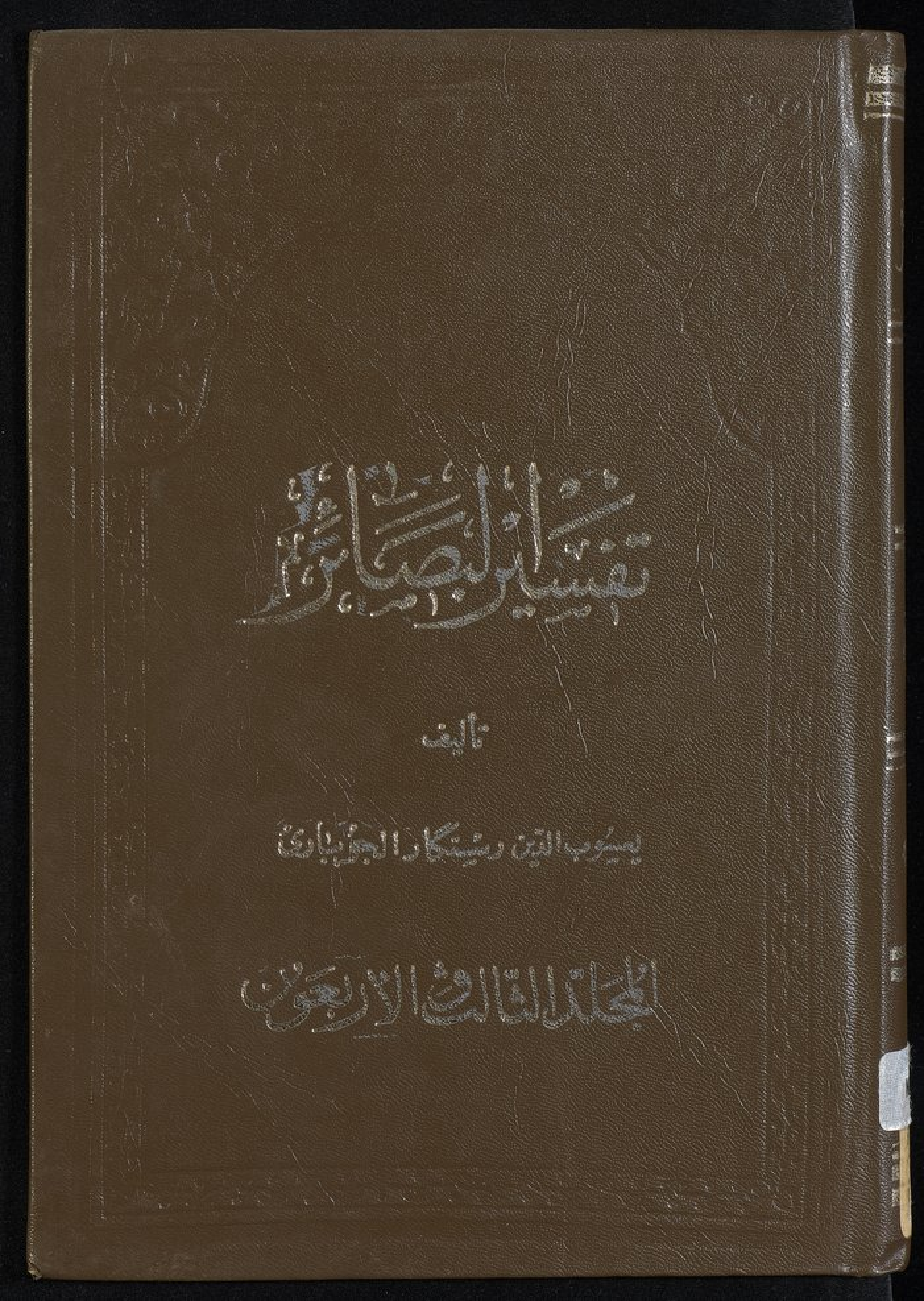
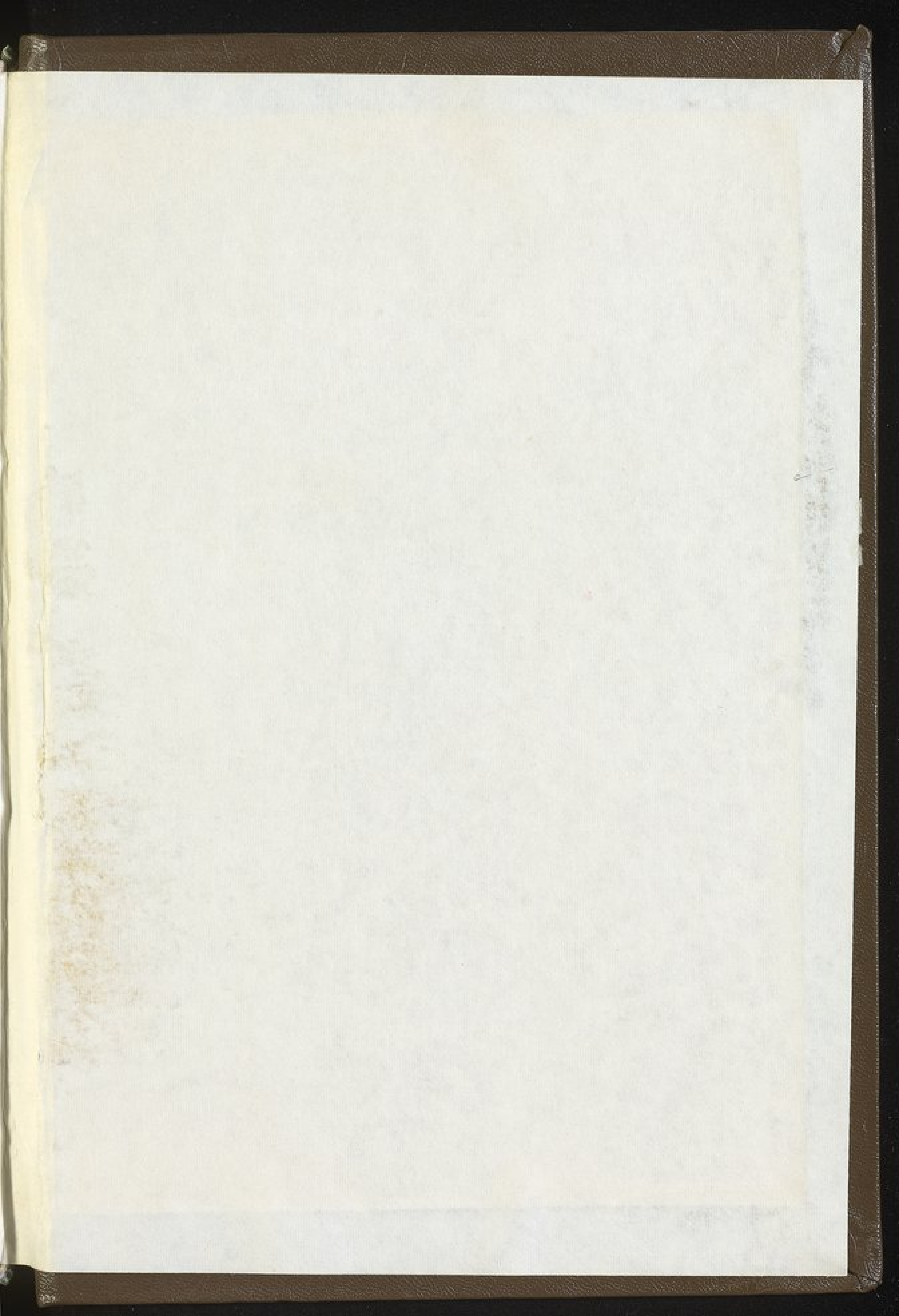
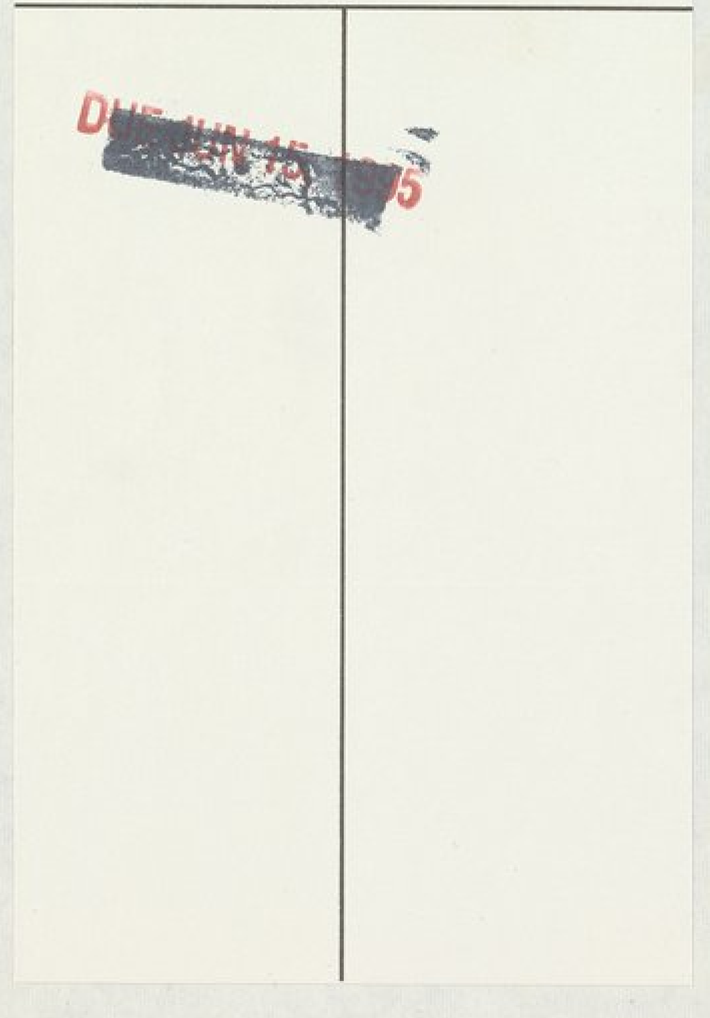
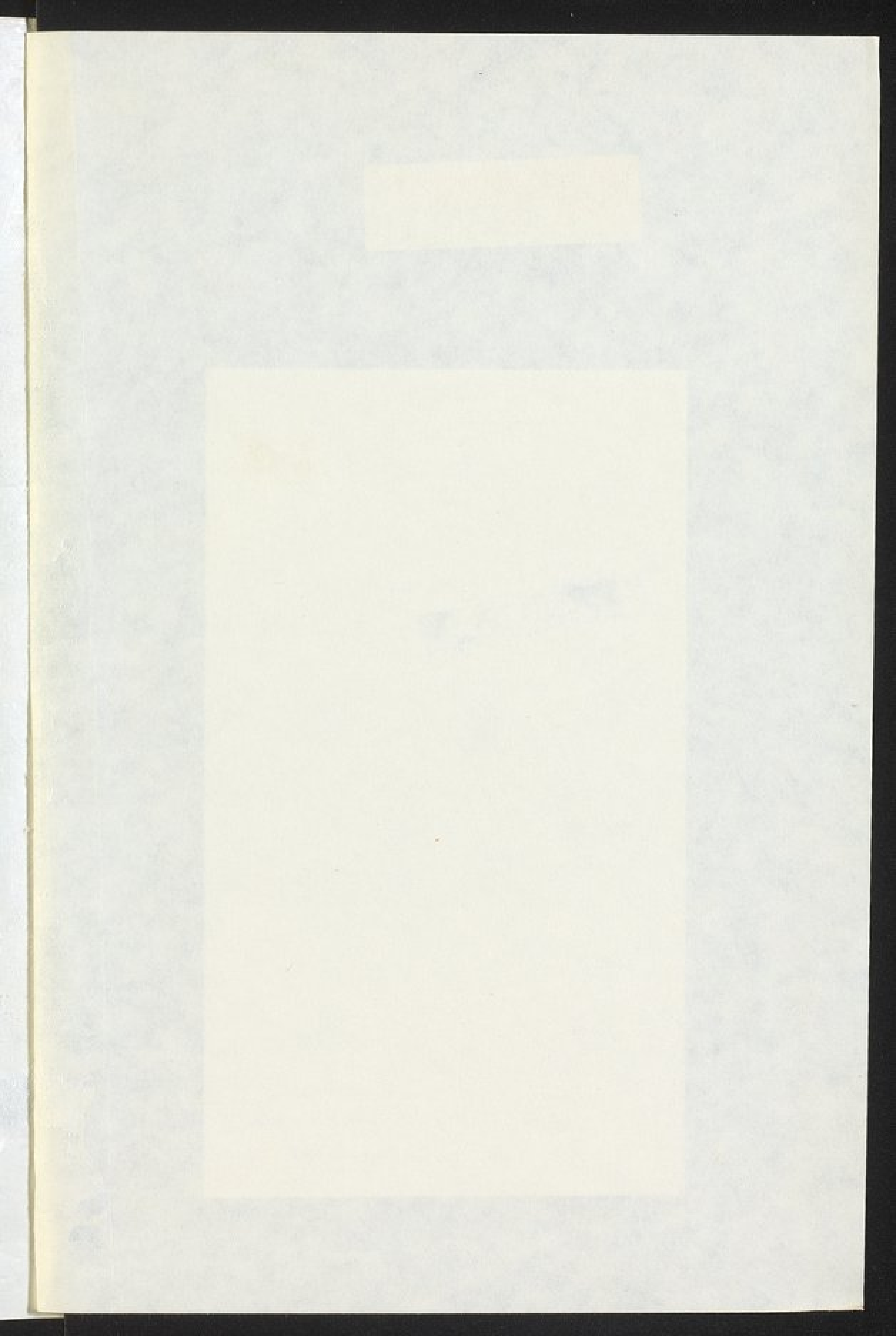

تفسير البصائر
تأليف
يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد الثالث والاربعون




PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592122





Juybari ...

المجلد الثالث و الاربعون

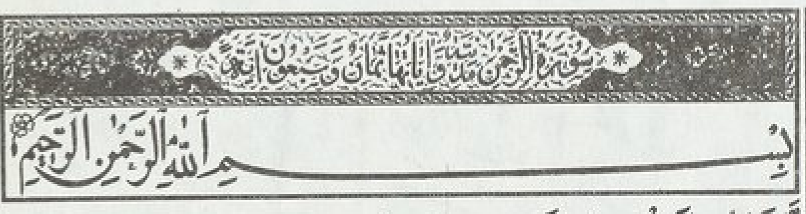
من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم　　مطبعة فيض



الرحمن ﴿١﴾ علم القرآن ﴿٢﴾ خلق الإنسان ﴿٣﴾ علمه البيان ﴿٤﴾ الشمس والقمر بحسبان ﴿٥﴾
والنجم والشجر يسجدان ﴿٦﴾ والسماء رفعها ووضع الميزان ﴿٧﴾ ألا تطغوا في الميزان ﴿٨﴾ و
أقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴿٩﴾ والأرض وضعها للأنام ﴿١٠﴾ فيها فاكهة
والنخل ذات الأكمام ﴿١١﴾ والحب ذو العصف والريحان ﴿١٢﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان
﴿١٣﴾ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴿١٤﴾ وخلق الجان من مارج من نار ﴿١٥﴾ فبأي آلاء
ربكما تكذبان ﴿١٦﴾ رب المشرقين ورب المغربين ﴿١٧﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿١٨﴾ مرج
البحرين يلتقيان ﴿١٩﴾ بينهما برزخ لا يبغيان ﴿٢٠﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٢١﴾ يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان ﴿٢٢﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٢٣﴾ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴿٢٤﴾ فبأي آلاء
ربكما تكذبان ﴿٢٥﴾ كل من عليها فان ﴿٢٦﴾ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿٢٧﴾

فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۲۸﴾ یَسْـَٔلُهٗ مَنْ فِی السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِیْ شَاْنٍ ﴿۲۹﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ

رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۳۰﴾ سَنَفْرُغُ لَکُمْ اَیُّهَ الثَّقَلٰنِ ﴿۳۱﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۳۲﴾ یٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَ

الْاِنْسِ اِنِ اسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ اَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوْا لَا تَنْفُذُوْنَ اِلَّا

بِسُلْطٰنٍ ﴿۳۳﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۳۴﴾ یُرْسَلُ عَلَیْکُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَّنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرٰنِ

﴿۳۵﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۳۶﴾ فَاِذَا انْشَقَّتِ السَّمَآءُ فَکَانَتْ وَرْدَةً کَالدِّهَانِ ﴿۳۷﴾ فَبِاَیِّ

اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۳۸﴾ فَیَوْمَئِذٍ لَّا یُسْـَٔلُ عَنْ ذَنْۢبِهٖۤ اِنْسٌ وَّلَا جَآنٌّ ﴿۳۹﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا

تُکَذِّبٰنِ ﴿۴۰﴾ یُعْرَفُ الْمُجْرِمُوْنَ بِسِیْمٰهُمْ فَیُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِیْ وَالْاَقْدَامِ ﴿۴۱﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا

تُکَذِّبٰنِ ﴿۴۲﴾ هٰذِهٖ جَهَنَّمُ الَّتِیْ یُکَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُوْنَ ﴿۴۳﴾ یَطُوْفُوْنَ بَیْنَهَا وَبَیْنَ حَمِیْمٍ اٰنٍ ﴿۴۴﴾ فَبِاَیِّ

اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۴۵﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهٖ جَنَّتٰنِ ﴿۴۶﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۴۷﴾

ذَوَاتَآ اَفْنَانٍ ﴿۴۸﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۴۹﴾ فِیْهِمَا عَیْنٰنِ تَجْرِیٰنِ ﴿۵۰﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا

تُکَذِّبٰنِ ﴿۵۱﴾ فِیْهِمَا مِنْ کُلِّ فَاکِهَةٍ زَوْجٰنِ ﴿۵۲﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۵۳﴾ مُتَّکِـِٕیْنَ عَلٰی

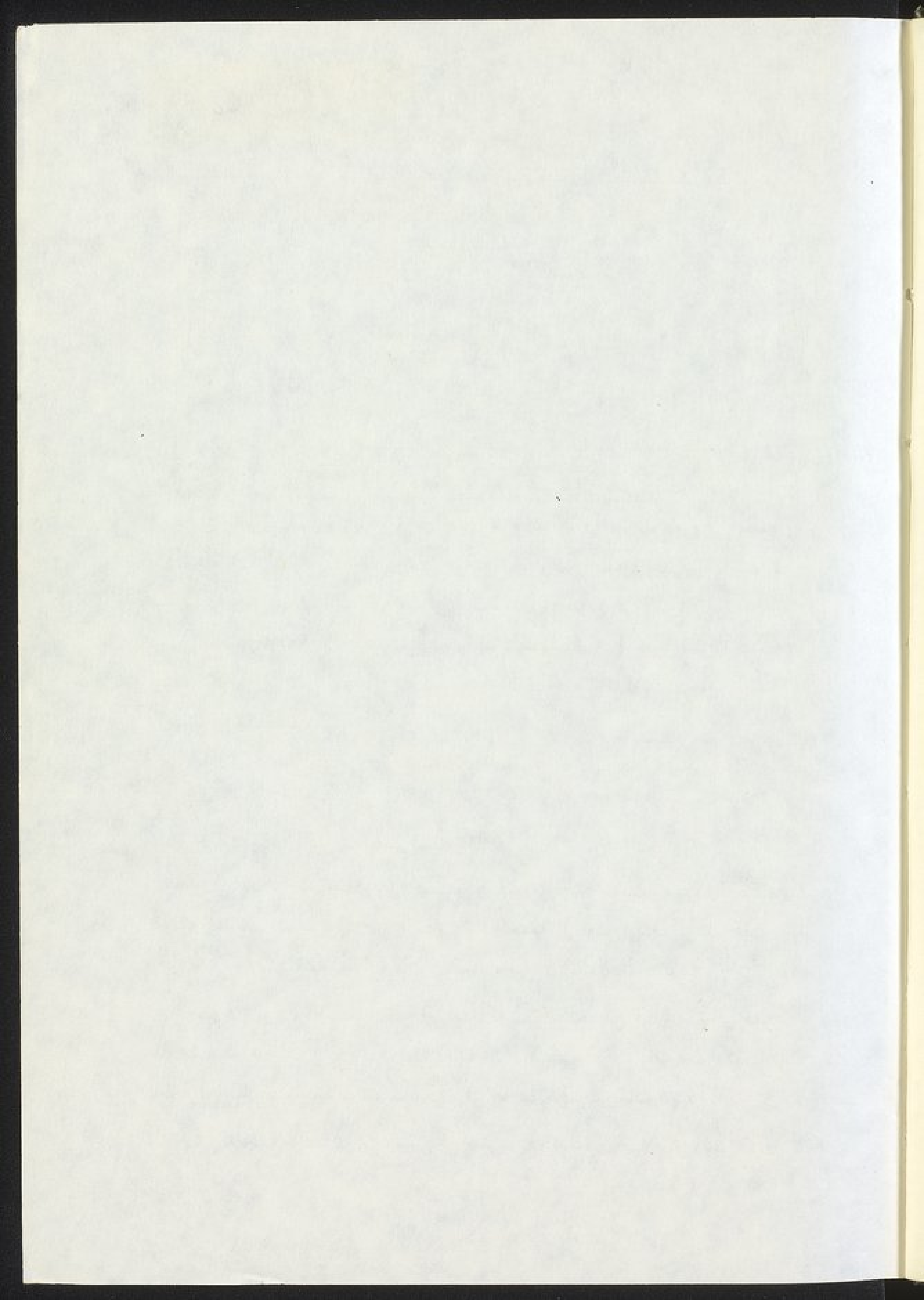
فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ اِسْتَبْرَقٍ وَجَنَی الْجَنَّتَیْنِ دَانٍ ﴿۵۴﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۵۵﴾ فِیْهِنَّ

قٰصِرٰتُ الطَّرْفِ لَمْ یَطْمِثْهُنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿۵۶﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۵۷﴾ کَاَنَّهُنَّ

الْیَاقُوْتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿۵۸﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۵۹﴾ هَلْ جَزَآءُ الْاِحْسَانِ اِلَّا الْاِحْسَانُ ﴿۶۰﴾

فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۶۱﴾ وَمِنْ دُوْنِهِمَا جَنَّتٰنِ ﴿۶۲﴾ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبٰنِ ﴿۶۳﴾ مُدْهَآمَّتٰنِ ﴿۶۴﴾

فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٦٥﴾ فيهما عينان نضاختان ﴿٦٦﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٦٧﴾ فيهما
فاكهة ونخل ورمان ﴿٦٨﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٦٩﴾ فيهن خيرات حسان ﴿٧٠﴾ فبأي
آلاء ربكما تكذبان ﴿٧١﴾ حور مقصورات في الخيام ﴿٧٢﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٧٣﴾ لم يطمثهن
إنس قبلهم ولا جان ﴿٧٤﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٧٥﴾ متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان ﴿٧٦﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿٧٧﴾ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴿٧٨﴾



﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقيام بها ، فانها لا تقرّ في قلوب المنافقين ، ويأتي بها ربّها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح حتى يقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها ، فيقول لها : من الذى كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك ؟ فتقول :

يا رب فلان وفلان ، فتبيضّ وجوههم ، فيقول لهم : إشفعوا فيمن أحببتم، فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له ، فيقول لهم : ادخلوا الجنّة واسكنوا فيها حيث شئتم .

أقول: رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار .

والتدبّر في السورة يلهمنا بمساس الرّواية بما تحويه السورة .

وفي الكافي : باسناده عن حمّاد بن عثمان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : يستحب أن يقرأ في دبر الغداة يوم الجمعة الرحمن كلّها ثم كلّما قلت : « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » قلت : لا بشيء من آلائك ربّ اكذّب .

وفي ثواب الاعمال : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من قرأ سورة الرحمن فقال عند كل « فبأي آلاء ربّكما تكذبان » : « لا بشيء من آلائك رب اكذب » فان قرأها ليلا ثم مات مات شهيداً ، وإن قرأها نهاراً فمات ، مات شهيداً .

وفي المجمع : وروى عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله

قال : لكلّ شيء عروس ، وعروس القرآن سورة الرّحمن جلّ ذكره .

وفيه : عن الصادق عليه السلام قال : من قرأ سورة الرحمن ليلا يقول عند كلّ « فبأى آلاء ربّكما تكذبان » : « لا بشيء من آلائك يا ربّ اكذّب » وكّل الله به ملكاً إن قرأها في اول الليل يحفظه حتّى يصبح ، وإن قرأها حين يصبح وكّل الله به ملكاً يحفظه حتى يمسى .

وفي البرهان : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كتبها وعلّقها عليه أمن وهان عليه كل أمر صعب ، وان علّقت على من به رمد يبرأ باذن الله تعالى .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من كتبها وعلّقها على الارمد زال عنه واذا كتبت جميعاً على حائط البيت منعت الهوام منه باذن الله تعالى .

أقول : ومن غير بعيد أن يكون من آثار قراءة السورة وخواص كتابتها ما اشير في الروايات الواردة مع أن شرائط التأثير أهمّها الايمان غير خفّى على القارىء المتأمّل .



﴿ الغرض ﴾

تشير السّورة إلى النّعمة العامّة الالهيّة من إبداع الخلق وتدبير الكون وإفاضة ما يتكامل به الانسان خاصّة من العلم والبيان ويتكامل به الوجود إطلاقاً .

ويستهدف ذلك بدء السورة بكلمة « الرحمن » ويؤيّده سياقها وخاصّة ذكر جملة « فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان » إزاء كل نعمة من النعم الدّنيويّة والاخرويّة ومن الوعد والوعيد التى هى كلها من أسباب الكمال .

وفى خلالها تنديد بالمكذّبين وإنذار لهم وتنويه بالمتقين وبشرى لهم وبيان ما سوف يلقاه الاولون من هول وعذاب فى الاخرة ونارها وما يتنعّم به الاخرون من نعيم ورفاه فى الجنّة .

ومن البديهى : انّ من أهم الامور السّياسية هو الوعد والوعيد يبتنى عليها نظام الاسر والمجتمع البشرى تدور عليها السورة .

﴿النزول﴾

سورة الرحمن مدنيّة نزلت بعدسورة الرعد وقبل سورة الانسان وهي السورة الثامنة والتسعون نزولا والخامسة والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على ثمان وسبعين آية سبقت عليها /٥٦١٨ آيه نزولا و /٤٩٠١ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على /٣٥١ كلمة و/١٦٣٦ حرفاً وقيل : ١٣٣٦ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في تفسير البحر المحيط : انّ سبب نزول هذه السّورة فيما قال مقاتل انّه لما نزل : « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن » الاية .

قالوا : ما نعرف الرحمن فنزلت : « الرّحمن علّم القرآن » وقيل : لمّا قالوا « انّما يعلمه بشر » اكذبهم الله تعالى وقال : « الرّحمن علّم القرآن » ووردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامّة ان قوله تعالى : « مرج البحرين يلتقيان » البحرين على وفاطمة عليها السلام ، والبرزخ محمد صلى الله عليه وآله ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في شواهد التنزيل الحسكاني الحنفي باسناده عن سلمان في قوله تعالى : « مرج البحرين يلتقيان » قال : على وفاطمة « بينهما برزخ لا يبغيان » قال : النّبي صلى الله عليه وآله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » قال: الحسن والحسين عليهما السلام.

رواه أيضاً عن الضحاك وإبن عباس وأنس بن مالك وأبي ذر وجعفر الصادق وعلى الرضا عليهما السلام .

٢ ـ روى سبط إبن الجوزى فى (التذكرة) عن سعيد بن جبير الحديث .

٣ ـ رواه الخوارزمى فى (المقتل) عن إبن عباس .

٤ ـ رواه السيوطى فى (الدر المنثور) عن إبن عباس وأنس بن مالك .

٥ ـ رواه الالوسى فى (تفسير روح المعانى) عن إبن عباس وإياس بن مالك .

٦ ـ رواه المير محمد صالح الكشفى الترمذى فى (مناقب مرتضوى) عن سلمان فارسى .

٧ ـ روى القندوزى فى (ينابيع المودة ص ١١٨ ط اسلامبول) .

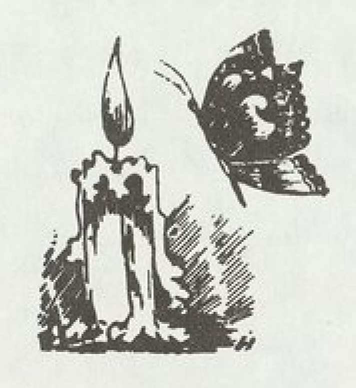
عن عدة عديدة منهم أبو ذر الغفارى قال : « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » نزلت فى النبى صلى الله عليه وآله وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فلا يحبّهم إلاّ مؤمن ولا يبغضهم إلاّ كافر ، فكونوا محبين بحبّهم ولا تكونوا كفّاراً ببغضهم ، فتلقون فى النار .

٨ ـ ذكر شارح نصّ فصوص فى شرح فصّ حكمة إلهيّة فى كلمة آدميّة بأنّ الانسان الكامل هو البرزخ بين البحرين والحاجز بين العالمين وإليه الاشارة بقوله سبحانه : « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » .

٩ ـ فى كشف الغمّة قال : بحر ماء النبوّة وبحر ماء الفتوة والامامة والاول من فاطمة والثانى من على عليه السلام هناك مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ التقوى لا يبغيان: لا يبغى على عليه السلام على فاطمة عليها السلام بدعوى ولا فاطمة على علىّ بشكوى ولعلّ كون النبى صلى الله عليه وآله برزخاً بينهما انّ وجوده صلى الله عليه وآله مؤكد لعصمتهما ، وعدم صدور خلاف الاولى من أحدهما الى الاخر .

١٠ ـ قال الالوسى فى تفسيره (روح المعانى ج ٢٧ ص ٩٣) بعد نقل الحديث عن إبن عباس وإياس بن مالك : « كلّ من علىّ وفاطمة رضى الله تعالى عنهما عندى أعظم من البحر المحيط علماً وفضلا و كذا كلّ من الحسنين رضى الله عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب جاوزت حدّ الحسبان » .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه على بن أبيطالب عليه السلام انّ رسول الله ﷺ لمّا نزلت فيها فاكهة قام إليه رجل ، فقال يا رسول الله : هل في تلك الفاكهة التي وصف الله تعالى رمّاناً ونخلا ، فانّي مشعوف بهما ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهما فاكهة ونخل ورمّان التي سئلت أيّها السّائل .



﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر « والحب ذا العصف والرّيحان » بالنصب على تقدير وخلق الحبّ وخلق الريحان ، وقرأ حمزة والكسائى برفع الاولين ، وجرّ الاخير على تقدير : ذو الرّيحان والباقون برفع الجميع على العطف وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو « يخرج » مجهولا من الاخراج والباقون معلوماً من الخروج ، وقرأ أبو جعفر « الجوار » بالامالة ، وقرأ حمزة « المنشئات » بكسر الشين على نسبة الفعل إلى الجوار إتّساعاً كما يقال : مات زيد ومرض عمرو ، ونحو ذلك مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه ، وهو فى الحقيقة لغيره وكان المعنى : المنشئات السّير على حذف المفعول للعلم به ، وإضافة السّير إليها اتساع أيضاً لان سيرها إنما يكون فى الحقيقة بهبوب الريح أو دفع الملاّح ، والباقون بفتح الشين ، فانها اجريت ولم تفعل ذلك أنفسها .

وقرأ حمزة « سيفرغ » بالياء والباقون بالنون على طريق الالتفات ، وقرأ ابن عامر « أيّه الثقلان » بضمّ الهاء مثل « أيّه المؤمنون » و« أيّه السّاحر » .

وقرأ ابن كثير « شواظ » بكسر الشين والباقون بضمّها .

وقرأ أبو عمرو وإبن كثير « نحاس » بالجر عطفاً على « من نار » ، والباقون بالرفع عطفاً على « شواظ » .

وقرأ حمزة « من إستبرق » بنقل حركة الهمزة الى النّون فى الوقف فقط .

وقرأ ابن عامر « ذوالجلال » بالرفع إجراء على الاسم ، والباقون بالجرّ نعتاً من « ربّك » .

﴿ الوقف والوصل ﴾

« الرحمن لا » لعدم تمام الكلام بناء على أنّه مبتدأ لخبر آت « القرآن ط » لتمام الكلام « بحسبان ص » لعطف الجملتين المتفقتين « ووضع الميزان لا » لتعلّق « أن » « للانام لا » لان الجملة بعدها حال « الاكمام ص » للعطف « الريحان ج » لابتداء الاستفهام مع دخول فاء التعقيب ، والوقف أحسن لانّ الابتداء بالاستفهام مبالغة فى التنبيه ، وكذلك فى جميع السّورة « كالفخّار لا » للعطف « من نارج » « المغربين ج » « يلتقيان لا » لانّ ما بعده حال من الضمير فى « يلتقيان » « المرجان ج » « كالاعلام ج » « فان ج » لعطف الجملتين المختلفتين والاولى الوصل لانّ الكلام الاول يتمّ بالثانى « الاكرام ج » « الارض ط » لتمام الكلام « فى شأن ج » « الثقلان ج » « فانفذوا ط » لتمام الكلام والاستيناف بكلام منفى آت « بسلطان ج » « فلاتنتصران ج » « كالدّهان ج » « ولاجانّ ج » « والاقدام ج » « المجرمون م » لانه لو وصل صار ما بعده حالا من المجرمين وليس كذلك « آن ج » « جنتان ج » « افنان ج » « من استبرق ط » لتمام الكلام « دان ج » « الطرف لا » لانّ « لم يطمثهن » حال أو نعت عنهن « جان ج » « المرجان ج » « الاحسان ج » « جنّتان ج » « مدهامّتان ج » « نضاختان ج » « رمّان ج » « حسان ج » « جان ج » « حسان ج » .

﴿ اللغة ﴾

٦٨ - الانام - ٦٨

إختلف اللغويّون فى أصل الانام ، فمنهم من قال : إنّه من أنم ، ومنهم من قال : إنّه من ونم إذا صوّت من نفسه كاناء ووناء ، ومنهم من قال : إنّه من نام .

الأنام والآنام : جميع ما على وجه الارض من الخلق ، قال الله تعالى: «والارض وضعها للانام» الرحمن : ١٠) .

وقيل: الانام : الجن والانس ، وقيل : كلّ من يعتريه النّوم ، وقيل : الناس.

٤٤ - الاكمام - ١٣١٧

كمّ يكم كمّاً - من نصر ، نحو مدّ - : غطى وستر .

الكم - بكسر الكاف - : الغلاف يغطى الثمر والحب فى الشجر والزرع ، وجمعه أكمام ، قال الله تعالى: «فيهافاكهة والنخل ذات الاكمام» الرحمن :١١) .

وكمّ النخل : كل ما يغطى شيئاً فيه ،كالليف والسّعف ووعاء الطلع.

قال تعالى : «وما تخرج من ثمرات من أكمامها » فصلت : ٤٧) .

والكم - بالكسر - : وعاء الطلع وغطاء النّور والغلاف الذى ينشقّ عن الثمر ويحيط به سمىّ كماً ، لانّه يستر ما تحته ، جمعه أكمّة وأكمام وكمام وأكاميم .

الكمّة - بضم الكاف - : القلنسوة المدوّرة لانّها تغطى الرأس ، يقال : اعتم

على الكمّة ، وانما تحسن العمّة على الكمّة .

والكمّ بالضم ـ : مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، جمعه : أكمام و كممة الكم ـ بالفتح ـ : مصدر ، وعند الحكماء : عـرض يقبل القسمة لذاتـه ، وهو امّا منفصل كالعدد ، أو متصل كالزمان .

والكم مطلقاً : عرض يقبل التجزى لذاته والكم المتصل : أن يكون لاجزائه جزء مشترك يتلاقى عنده ، فيخرج العدد والكم المتصل القارّ الذات هو المقدار فيكون جسماً وسطحاً وخطّاً بالاعتبار .

٤١ ـ الصلصال ـ ٨٧١

صلصل الشيء يصلصل صلصلة وصلصالا ـ من باب دحرج ـ : صوّت ، يقال : صلصل اللجام : إذا توهم ترجيع صوته ، وصلصل الجرس : رجّع صوته .

صلصال : هي حكاية صوت ، قالوا : صلّ الحديد والحلى : إذا توهمت فـي صوته حكايـة صلّ ، فان توهّمت ترجيعاً قلت : صلصل ، فالصّلصلة صوت مضاعف أشدّ من الصّليل و كل يابس يصلصل .

والصلصال : كلّ ما جفّ من طين قبل أن تصيبه النّار وإذا أصابته نار يصير فخّاراً وخزفاً ، **فالطين** اليابس يصلصل من يبسه كالفخار .

قال الله تعالى : « خلق الانسان من صلصال كالفخّار » الرحمن : ١٤) .

وفي حديث الوحي : كأنّه صلصلة على صفوان .

وفي روايـة : يأتيني مثـل صلصلة الجـرس ، والصلصـلة : صوت الحديـد إذا حرّك .

وفي حديث حنين : انّهم سمعوا صلصلة بين السّماء والارض ، وقيل : الصّلصل : المنتن مأخوذ من صلّ اللحم : إذا نتن فقلبت إحدى اللامين صاداً ، فصار صلصالاً وتشبّث به بعض من لاشأن له في اللغة وهذا خلاف الاصل ، لان الرّباعي لايكون

أصله ثلاثياً ، فصار رباعياً .

فى المفردات : أصل الصلصال : تردّد الصوّت من الشىء اليابس ومنه قيل: صلّ المسمار ، وسمى الطين الجاف صلصالا .

والصلصلة بقيّة ماء سمّيت بذلك لحكاية صوت تحرّكه فى المزادة .

وفى اللسان : وفى حديث إبن عباس فى تفسير الصلصال : هو الصّال الماء الذى يقع على الارض ، فتنشق ، فيجفّ فيصير له صوت ، فذلك الصلصال .

٢٠ ـ المرج ـ ١٤١٨

مرج فلان أمره يمرج مرجاً ـ من باب نصر ـ : خلطه وضيّعه ولم يحكمه .

قال الله تعالى : « مرج البحرين يلتقيان » الرّحمن : ١٩) ، أى خلطهما حتّى التقيا .

يقال : مرج العهد والامانة والدين: فسد واختلط واضطرب والتبس المخرج فيه .

وفى الحديث : « كيف أنتم إذا مرج الدين وقلقت أسبابه » .

ويقال : « بينهم هرج ومرج » أى إختلاط وفتنة وإضطراب ، وأمر مريج : مختلط أو ملتبس ، قال تعالى : « فى أمر مريج » ق : ٥٠) .

المارج ـ اسم فاعل ـ : الشّعلة السّاطعة ذات لهب شديد خليط بسوادها .

قال الله تعالى : « وخلق الجانّ من مارج من نار » الرحمن : ١٥) .

المرجان صغار اللؤلؤ ، وقيل : عظامها ، واحدته مرجانة ، وعلى هذا فقوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » : ٢٢) هو من عطف الخاصّ على العام .

المريج : العظم الصغير الابيض وسط القرن جمعه : أمرجة .

مرج يمرج مرجاً ـ من باب علم ـ : أرسل .

يقال : مرج فلان دابّته : أرسلها ترعى فى المرج فرعت فيه يتعدّى ولا يتعدّى ، ومرج فلان لسانه فى أعراض النّاس أطلقه فى ذمّهم واغتيابهم ، ومرج الكذب : أرسل لسانه فيه .

المرج : الفضاء ، وأمرج الدّابة : تركها تذهب حيث شاءت ، والمرج : أرض واسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب .

٦١ - الفناء - ١١٨٠

فنى يفنى فناء - من باب علم نحو رضى - : ذهب وانقطع وعدم فهو فان .

قال الله تعالى : « كل من عليها فان » الرحمن : ٢٦) .

يقال : فلان فنى : هرم وأشرف على الموت ، ويقال : فلان فان : صار شيخاً فانياً .

أفناه : أذهبه وقطعه وأعدمه ، والفناء : خلاف البقاء ، وفى الدّعاء : « نازل بفنائك » وفى الدّعاء أيضاً : « وأعوذ بك من الذنوب التى تعجل الفناء » .

ومن الحسى : شجرة فنواء : ذهبت أفنانها فى كل شىء ، والفناء : ما امتد مع الدار من جوانبها ومع الذّهاب والامتداد يكون الانقطاع والتبدّد .

فناء المصر : ما اتّصل به معدّاً لمصالحه ، و« فناء الكعبة » بالمدّ : سعة أمامها ، وجمعه : الافنيّة وهى السّاحات على أبواب الدّور .

وفى الخبر : « اكنسوا أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود » .

٢ - الشأن - ٧٧٠

شأن يشأن شأناً - من باب منع - : قصد قصده وعمل ما يحسنه يقال : وأشان شانك : إعمل ما تحسنه .

الشأن : الخطب ، والحال والامر ، ولا يقال إلا فيما يعظم من الاحوال والامور.

قال الله تعالى : « كلّ يوم هو فى شأن » الرّحمن : ٢٩) .

أى فى كل وقت وحين يحدث اموراً ويجدّد أحوالا من إهلاك وإنجاء وحرمان وإعطاء وعزّة وذلّة واغناء وفقر ولا يشغله شأن عن شأن كما روى عن

رسول الله ﷺ وقد قيل : وما ذلك الشأن ؟ فقال : « من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين » وفي حديث الغسل : « حتّى تبلغ به شؤون رأسها » هي عظامه وطرائقه ومواصل قبائله وهي أربعة بعضها فوق بعض ومنها تجيء الدموع والشأنان : عرقان ينحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين وماء الشئون : الدموع ، والشأن : عرق في الجبل فيه تراب ينبت النّخل .

يقال : ما شأنك : ما أمرك وحالك ، ويقال : من شأن كذا : طلبه وطبعه وخلقه شؤون وشئان واشئوون ، والشئون : الحوائج .

يقال : لا شأنن شأنهم : لأفسدنّهم ولا شأننّ خبرهم : لاخبرنّهم .

٦٨ ـ النفوذ ـ ١٥٤٣

نفذ الشيء ينفذ نفوذاً ونفاذاً ـ من نصر ـ : خرق وجاز وخلص .

تقول : نفذ السّهم من الرّميّة : خرقها وخالط جوفها وجازها .

قال الله تعالى : « أن تنفذوا من أقطار السّموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان » الرحمن : ٣٣) .

وفي حديث إبن مسعود : « انكم مجموعون في صعيد واحد ينفذكم البصر » أي يبلغكم ويجاوزكم .

ويقال : نفذ من البلد : جازه وخرج منه ، ونفذ في الامر والقول : مضى .

نافذه : حاكمه ، ونفذ المنزل إلى الطريق : اتصل به ، ونفذ الطّريق : عم مسلكه لكل أحد فهو نافذ أي عام ، وطريق نافذ : سالك عام وأمر نافذ : مطاع ، والنفيذ : الامر المطاع ، والمنفذ : موضع نفوذ الشيء ، وجمعه : منافذ ، ومنافذ الانسان : نوافذه .

٤٦ ـ القطر ـ ١٢٣٨

قطر الماء يقطر قطراً وقطوراً وقطراناً ـ من باب نصر ـ : سال وسقط قطرة قطرة ، وقطّر الطّبيب الدّواء : إستقطر ماؤه .

القطر : النّحاس المذاب ، قـال الله تعالى : « آتونى أفرغ عليه قطـراً » الكهف : ٩٦) .

القطر ـ بالضم ـ : النّاحيّة والجانب ، جمعه أقطار .

قـال الله تعالى : « إن استطعتم أن تنفذوا مـن أقطـار السّموات والارض » الرحمن : ٣٣) .

وفى الخبر فى وصفه تعالى : « منفى عنه الاقطار » يعنى الحدود والجوانب .

وفى حديث « قد جمع حاشيته وضمّ قطريه » أى جمع جانبيه عن الانتشار والتبدد والتفرق ، والقطران : عصارة شجرة الارز والابهل تطبخ ثم تطل بها الابل وهى شديدة الاشتعال ، وقطران : نحاس قد انتهى حرّه ، قـال تعالى : « سرابيلهم من قطران » ابراهيم : ٥٠) .

اى تطلى أجسامهم بالقطران أو مـادّة تشبهه ، فيكون بمثابـة السرابيل ، والقطور والمقطار : الكثير القطر من السّحاب وغيره ، والقطار ـ بالكسر ـ : قطار الابل وهو عدد نسق واحد يقال : جائت الابل قطاراً ، أى مقطورة .

٥٥ ـ الشواظ ـ ٨٢٣

شاظ يشوظ شوظاً ـ من باب نصر نحو قال ـ : ساب وقذع ، يقال : شاظ به الغضب : اذا سابه ، والشواظ ـ بضمّ الشين وكسرها ـ : القطعة من اللّهب ليس فيها دخان ، ويقال : أصابني شواظ من الشمس .

قال الله تعالى : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » الرحمن : ٣٥) .

وعن إبن عبّاس فى أحوال الكافرين والمنافقين يوم القيامة : « إذا خرجوا عن قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر » .

الشواظ : المشاتمة ، ويقال : تشاوظا : إذا تسابّا .

٦٠ ـ الفنن ـ ٨٢٣

فنّ فلان إبله يفنّ فنّاً ـ من باب نصر نحو مدّ ـ : طردها ، وفنّ غيره : عناه وفى البيع : غبنه ، وفن دينه : مطله ، وفنّ الشىء زيّنه .

الفنن : الغصن الغضّ الورق ، ويقال للنوع من الشىء كالفنّ ، وجمعه : أفنان وفنون وبالمعنيين يمكن أن يفسّر الافنان فى المرّة الواحدة التى وردت فيها الكلمة فى قوله تعالى : « ذواتا أفنان » الرحمن : ٤٨) . أى أغصان أو أنواع.

فنّن النّاس : جعلهم فنوناً ، وفنّن الشىء بالشىء : خلطه والكلام : إشتق فى فنّ بعد فنّ وفنّن رأيه : لوّنه ولم يثبت على رأى واحد ، وتفنّن الشىء : تنوعت فنونه ، وإفتنّ فلان فى حديثه وخطبته : أخذ فى فنون من القول وجاء بالأفانين.

استفنّ فرسه : حمله على فنون من المشى ، والفنّ يطلق على العلم والصناعة

وعلى قسم فى المقالة ، جمعه فنون وأفنان .

أفانين الكلام : أساليبه وأجناسه وطرقه ، والفنون : الاخلاط من النّاس ، ورجل مفنّن : كبير سيّىء الخلق ، ورجل متفنّن : ذو فنون .

وفى النهاية : فى الحديث : « أهل الجنّة جرد مكحّلون اولوا أفانين » أى ذوو شعور وجمم .

وفى القاموس وشرحه : الفن : الحال والضرب من الشىء والطرد والغبن والمطل والعناء والتزيين والأفنون - بالضّم - : الحيّة والعجوز المسترخية والمسنّة والغصن الملتف والكلام المثبج والداهيّة وأوّل الشّباب وأول السّحاب ، والتفنين : التخليط ، والتفنين فى الثوب طرائق ليست من جنسه يقال : ثوب ذو تفنين .

٦ - الطرف - ٩٢٣

طرف يطرف طرفاً - من باب ضرب - : لحظ بناحية عينه .

طرفه : لطمه بيده وطرف عنه : صرف عنه وردّه يقال: «ماالذى طرفك عنى» .

أى ردّك ، وفى حديث الفجأة : «أطرف بصرك» أى اصرفه عما وقع عليه وامتدّ اليه طرف بصره : اطبق أحد جفنيه على الاخر ، أو طرف بعينه وحرّك جفنيها ، وطرف كل شىء : منتهاه ، ومنه يجىء جانب الشىء والناحية ويستعمل فى الأجسام والأوقات وغيرهما ، والجفن فى العين : طرف وجانب ، فيقال : الطرف لتحريك الجفون أو لاطباق الجفن على الجفن وتحريك الجفن لازم للنظر ، فيعبر به عن النظر ويكون الطرف : العين والاسم الجامع للبصر .

قال الله تعالى : « فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولاجانّ » الرحمن : ٥٦) المرّة منه طرفة ، يقال : أسرع من طرفة عين .

وفى الدّعاء : « لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين » .

والطرف : الجانب ، قال تعالى: « وأقم الصّلاة طرفى النهار » هود : ١١٤) أى الصّباح والعشىّ وقال : « ومن الليل فسبّح وأطراف النّهار » طه : ١٣٠) أى

ـاعاته وجوانبه .

والطرف : الطائفة قال تعالى: « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » آل عمران: ١٢٧) أى طائفة .

واطراف الرجل : أخواله وأعمامه و كل قريب له محرم ، ويقال : لايدرى أىّ طرفيه أطول : أى لايدرى أىّ والدته اشرف .

وطرفا الانسان : لسانه وإسته .

والطراف : بيت من أدم ليس له كفاء وهو من بيوت الأعراب .

وأطراف الارض : اشرافها وعلمها ، وبه فسّر قوله تعالى : « انّا نأتى الارض ننقصها من أطرافها » الرعد : ٤١) أى موت علمائها .

وطرفت المرأة بنانها : إذاخضبت أطراف أصابعها بالحناء .

وفى الحديث : « انّ ابراهيم الخليل عليه السلام جعل فى سرب ، وهو طفل وجعل رزقه فى أطرافه » أى كان يمصّ أصابعه ، فيجد فيها ما يغذّيه .

والطرائف : جمع طريفة وهى الحكمة المستحدثة تكون طرفة عندكم . ومنه قول الامام على عليه السلام : « انّ هذه النفوس تملّ كما تملّ الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة » أى لطائفها وغرائبها المعجبة للنفس اللذيذة لها ، وذلك ليكون زائداً فى اكتساف الحكمة بنشاط .

فى المفردات : طرف الشيء : جانبه ويستعمل فى الاجسام والاوقات وغيرهما ومنه استعير : هو كريم الطرفين : أى الاب والام .

وطرف العين جفنه ، والطرف : تحريك الجفن وعبّر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن لازمة النظر .

قال تعالى : « فيهنّ قاصرات الطرف » عبارة عن اغضائهنّ لعفّتهنّ .

٢٤ - الطمث - ٩٤١

طمث الشيء يطمثه طمثاً - من باب ضرب - : مسّه .

الطمث في الحسّي : المس في كلّ شيء يمس .

قال الله تعالى : « لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جآن » الرحمن : ٥٦ - ٧٤)

أى لم يمسّهن .

وطمث يطمث طمثاً - من بابى نصر وعلم - : حاض ودنس وفسد ، والطمث : دم الحيض والافتضاض ، والطمث : الدنس والفساد ، والطمث : الريبة .

يقال : طمثت المرأة : حاضت ، والطامث : الحائض ، وطمثت المرأة : اذا دميت بالافتضاض ، وطمث الشيء : دنس وفسد ، ويقال : ما بفلان طمث : أى ريبة .

١٤ - الياقوت - ١٧٢٦

الياقوت من الجواهر - : حجر من الاحجار الكريمة ، ولونه في الغالب شفاف مشرب بالحمرة والزرقة والصّفرة ، والواحدة : ياقوتة .

قال الله تعالى : « كأنّهن الياقوت والمرجان » الرّحمن : ٥٨) .

والياقوت على أقسام كثيرة وأجودها الاحمر الرّماني ، ويقال له : البهرماني .

قال الحكماء : يجلب هذا النوع من الياقوت من سرنديب ، مفرّح جامع مقوّ نافع للوسواس العارض من السوداء والخفقان وضعف القلب شرباً ، ولجمود الدّم تعليقاً .

٣٨ ـ الدهم ومدهامتان ـ ٤٩٧

دهم الأمر يدهمه دهماً ـ من بابي علم ومنع ـ : غشيه .

الدّهمة : السّواد ، والادهم : الاسود ، والدّهمة : سواد الليل ، ويعبر بها عن سواد الفرس والابل وغيرهما ، وقد يعبّر بها عن الخضرة الكاملة اللون .

يقال : حديقة دهماء : أي خضراء تضرب إلى السّواد نعمة وريّاً ، وروضة مدهامّة : شديدة الخضرة المناهية فيها كأنها سوداء لشدّة خضرتها ، وانّما قيل للجنّة : مدهامّة لشدة خضرتها .

قال الله تعالى : « مدهامّتان » الرّحمن : ٦٤) أي خضراوان تضربان إلى السّواد من النعمة والرّي ، وهو من باب الافعيلال ادهام يدهام ادهيماما ـ من باب إحمارّ ـ : ضرب إلى السواد من الدهمة : فهو مدهام .

يقال : ادهام الزرع : علاه السّواد ريّاً .

دهمت النّار القدر : سوّدتها ، والدهيم ـ بالتصغير ـ : الداهية والاحمق .

ادهمه : ساءه ، والدهيمة ـ : بالتصغير الفتنة المظلمة .

الدهم ـ بفتح الدال ـ العدد الكثير جمعه دهوم ، والدهم ـ بضمّها ـ : ثلاث ليال من الشهر ، والدهم : الخلق يقال : أيّ دهم الله هو ، أي خلق الله هو .

وفي الحديث لما نزل قوله تعالى : « عليها تسعة عشر » قال أبو جهل : أما تستطيعون يا معشر قريش وأنتم الدّهم أن يغلب كل عشرة منكم واحداً .

وفي الحديث : « من أراد أهل المدينة بدهم » أي بأمر عظيم وغائلة من أمر يدهمهم : أي يفجاهم ، والادهم : الجديد من الاثار والقديم الدارس أيضاً ، فهو من

الاضداد ، يقال : الوطأة الدهماء : القديمة والجديدة .

الدهماء : مؤنث الادهم : جماعة الناس والعدد الكثير وسحنة الرجل وعشبة عريضة يدبغ بها ، والدهماء : القدر ، والشاة الدهماء : الخالصة الحمرة ، والدهماء : ليلة تسع وعشرين من الشهر .

٥١ ـ نضاختان ـ ١٥٢٦

نضخت عين الماء تنضخ نضخاً ـ من باب منع ـ فار ماؤها وارتفع من سفل إلى علو وجاش والعين ناضخة .

ويقال في المبالغة : عين نضّاخة : أي مشتدّة فوران مائها من ينبوعه .

قال الله تعالى : « فيهما عينان نضّاختان » الرحمن : ٦٦) .

النضاخ : الغيث الكثير الغزير ، ويقال : غيث نضّاخ .

نضخ الثوب : بلله ، ونضخ البول : ترشش .

٧١ ـ الخيام ـ ٤٥٩

خام يخيم خيماً وخيماناً وخيوماً وخيومة وخياماً ـ من باب ضرب نحو باع ـ : نكص وجبن .

الخيمة أصلها بيت يتّخذه الاعراب من الثياب أو عيدان الشّجر وجمعها : خيام وخيمات وأراد بها القرآن الكريم بيوتاً يعلم الله تعالى حقيقتها .

قال الله جلّ وعلا : « حور مقصورات في الخيام » الرّحمن : ٧٢) .

وفي الحديث : « الشهيد في خيمة الله تحت العرش » .

خيم القوم تخييما : دخلوا في الخيمة ، وخيّم بالمكان : أقام فيه وسكنه .

الخامة : الغضّة من النبات ، وجمعها : خام وخامات.

الخام : الجلد الذى لم يدبغ والكرباس الذى لم يغسل والثياب الذى لم يقصر. الخامة من الزرع : أوّل ما ينبت على ساق ، وخام رجله : رفعه ، والمخيّم : المكان نصبت فيه الخيام ، والخيميّ : صانع الخيام وبائعها ، الخيم : الطبيعة والسجيّة.

٥٢ ـ الرفرف ـ ٥٨٠

رفرف الطائر يرفرف رفرفة ورفرافاً ـ من باب دحرج ـ : بسط جناحيه وحرّكهما ، والرّفرف : البساط ، والرفرف : الوسادة التى يتّكأ عليها .

قال الله تعالى : « متّكئين على رفرف خضر » الرحمن : ٧٦) .

وفي حديث المعراج عن إبن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت رفرفاً أخضر سدّ الافق » أى بساطاً .

الرفرف : ثياب خضر تتّخذ منها المجالس وتبسط ، والرفرف : كلّ ثوب عريض رقيق من ثياب الديباج ، والرّفرف : شبه الطاق يجعل عليه طرائف البيت ، والرفرف : ما يجعل من أطراف البيت من خارج ليوقى به من حرّ الشمس .

رفيف الشجر : انتشار أغصانه ، والرفرف : المنتشر من الاوراق .

٦ ـ عبقرى ـ ٩٧١

عبقر السّراب يعبقر عبقرة ـ من باب دحرج ـ : تلألأ .

وأصل العبقرى صفة لكل ما بولغ فى وصفه والذى ليس فوقه شيء .

وورد فى وصف فراش الجنّة الممتّع : عبقرى قال الله تعالى : « متّكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » الرحمن : ٧٦) .

العباقرى : ضرب من البسط فاخر .

انّ العرب تزعم انّ للجن موضعاً إسمه عبقر ، يقال فى المثل : كأنهم جن عبقر ، فنسبوا إليه كلّ نافذ من إنسان وحيوان وغيرهما .

وقيل : عبقرى نسبة إلى بلدة باليمن توشّى فيه البسط وغيرهما فنسب اليها كل شئ جيد دقيق الصنعة ، وتوسّعوا فيه ، فقالوا : العبقرى : الشديد والسيّد وجارية وظبية عبقرة أى ناصعة اللون كما صاغوا فعلا ، فقالوا : عبقر السّراب : إذا تلالا .

وعبقريّة : قرية ثيابها فى غاية الحسن ، وعبقرى القوم : سيّدهم و كبيرهم وقويّهم ، والعبقرى : الكذب البحت .

٤٤ - الجلال والجلالة - ٢٦٠

جلّ الشئ يجلّ جلالا وجلالة - من باب ضرب نحو فرّ - : عظم قدره وجل عن كذا : تنزه عنه .

ومنه : جلّ فلان فى عينى ، أى عظم ، وجلال الله تعالى : عظمته .

الجلالة : عظم القدر والجلال : التناهى فى عظم القدر والشان ، ولا يقال : الجلال إلا لله تعالى .

قال الله تعالى : « تبارك إسم ربّك ذى الجلال والاكرام » الرحمن : ٧٨) .

وفى الحديث : « أجلّوا الله يغفر لكم » أى قولوا : يا ذا الجلال والاكرام أو عظّموه .

والجليل: من أسمائه تعالى راجع إلى كمال الصفات ، كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات والعظيم راجع إلى كمال الذات والصّفات.

ووصفه تعالى بذلك إمّا لخلقه الاشياء العظيمة المستدلّ بها عليه أو لانه يجلّ عن الاحاطة به أو لانه يجلّ أن يدرك .

الجليل: العظيم ، جمعه أجلاّء ، والجليلة : النخلة العظيمة الكثيرة الحمل الأجلّ : الأعظم .

الجلة: بالكسر- : العظام السادة ذوو الاخطار، قوم جلّة ذوو أخطار ومسان

وفى الحديث : « فجاء إبليس فى صورة شيخ جليل » أى مسنّ .

الجل ـ بالفتح ـ الياسمين والورد أبيضه وأحمره وأصفره و ـ بالكسر ـ : ضد الدّق ، يقال : ما له دق ولأجلّ أى دقيق ولا جليل و ـ بالضم للدابّة كالثوب للانسان .

الجلل ـ بالفتح ـ : الأمر العظيم والهيّن الحقير ، فهو من الاضداد .

فى الحديث : « كل مصيبة بعدك جلل » أى هيّن .

وفى حديث الدعاء : « اللّهم اغفر لى ذنبى كلّه دقه وجلّه » أى صغيره و كبيره .

ويقال : دخلت فى الجلل : أى الامر الصغير وهذا الامر جلل فى جنب هذا الامر أى صغير يسير .

وفى حديث غسل الميت : « وتغسله مرّة اخرى بماء وشىء من جلال الكافور » أى قليل ويسير منه .

جلل الشىء ـ من التفعيل ـ : غطّاه ، ومنه : جلّل المطر الارض إذا عمّها وطبّقها ، فلم يدع شيئاً الاّ غطّى عليه .

وفى حديث الفجر : « حين ينشق إلى أن يتجلل الصبح السماء » أى يعلوها بضوءها ويعمّها .

وفى الحديث : « الامام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم » وتجلّل زيد بثوبه : تغطّى به .

وفى الخبر « انّ القلب ليتجلل فى الجوف ليطلب الحق فاذا أصابه اطمأن » أى ليتحرّك .

وجلل الرجل : عظّمه ، وجلله عن العيب : نزهه عنه .

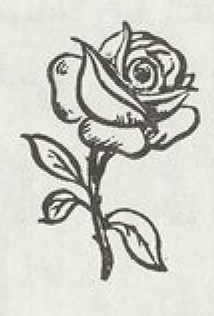
الجلى ـ بالضم ـ : الامر الشديد والخطب العظيم ، والجلاّء : الخصلة العظيمة .

الجلالة : بالتشديد ـ من الحيوان ، وهى التى اعتادت فى اغتذائها بعذرة الانسان ، وفى الحديث : « نهى عن لحوم الجلالة » .

المجلة : الصحيفة التي فيها الحكمة ، و كلّ كتاب عند العرب مجلّة يريد كتاباً فيه حكمة لقمان .

في المفردات : أصل الجليل موضوع للجسم الغليظ ولمراعاة معنى الغلظة فيه قوبل بالدقيق وقوبل العظيم بالصغير ، فقيل : جليل ودقيق وعظيم وصغير .

وفي القاموس : الجلل ـ محركة ـ الامر العظيم ، والهيّن الصغير ضد .



﴿ النحو ﴾

١ - (الرحمن)

وهو خبر لمحذوف أي الله الرّحمن ، وقيل : مبتدأ ، والافعال بعده مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف إما لان العائد قام مقام الصدر وإما لمجيئها على نمط التعديد .

وعلى الاول فما بعده مستأنف ، فعلى التقديرين : ان الرحمن صيغة مبالغة تدل على كثرة الرحمة ببذل النعم على المؤمن والكافر وعلى الغنم والذئب و و ...

٢ - (علم القرآن)

الفعل ماض من باب التفعيل ، وفاعله الضمير المستتر فيه الراجع إلى « الرّحمن » ، و« القرآن » مفعول به الثاني على حذف المفعول به الاول ، أي علّم الله تعالى الجنّ والانس القرآن أو علّم الانسان ، وقيل : علّم محمداً صلى الله عليه وآله القرآن وعلم هو صلى الله عليه وآله امتّه ، وقيل : علم جبرائيل القرآن ، فنزل به على محمد صلى الله عليه وآله .

٣ - (خلق الانسان)

« خلق » فعل ماض فاعله « الله » أو « الرحمن » ، و« الانسان » مفعول به .

٤ - (علمه البيان)

الضمير مفعول به الاول و« البيان » مفعول به الثاني ، قيل : ان الجملة فى موضع النصب على الحال من « الانسان » بتقدير « قد » .

٥ ـ **(الشمس والقمر بحسبان)**

« الشمس » مبتدأ « والقمر » عطف عليه ، وفى الخبر وجهان : أحدهما : أن يكون الخبر « بحسبان » منه والثانى: أن يكون الخبر محذوفاً وتقديره : يجريان بحسبان وعلى التقديرين : الجملة خبر بعد خبر .

٦ ـ **(والنجم والشجر يسجدان)**

الواو للعطف « النجم » مبتدأ « والشّجر » عطف عليـه ، « يسجدان » خبر والجملة عطف على ما سبق على تقدير: يسجدان له .

٧ ـ **(والسماء رفعها ووضع الميزان)**

« السماء » بالنصب بفعل محذوف يفسره المذكور ، وهـذا أوجه من الرفع لأمرين : أحدهما : لأن تقدير النصب « رفع السّماء » وهو يطابق « يسجدان » من عطف الفعل على الفعل .

ثانيهما : لأن فى تقدير الرّفع لا بدّ من كونـه عطفاً على إسم قد عمل فيه الفعل وهو الضمير فى « يسجدان » أو عطفاً على « الانسان » .

و « رفعها » فعل ماض ، فاعله الضمير المستكن فيه راجع إلـى « الرّحمن » وضمير التأنيث فى موضع نصب على المفعول به عائد إلى « السّماء » و« وضع الميزان » عطف على « رفعها » .

و « الميزان » إسم وضع موضـع المصدر وأصله : الموزان ، فقبلت الواو ياء لسكون الواو و كسر ما قبلها .

٨ ـ **(ألا تطغوا فى الميزان)**

على تقدير : لان لا تطغوا ، فالجملة فى موضع نصب لانها مفعول له ، ولفظها نفى ومعناها نهى ، ولذلك عطف عليها ، قوله تعالى : « وأقيموا الوزن » .

وقولـه : « ولا تخسروا » وقيل : « لا » للنّهى ، و « أن » بمعنى «أى» على تقدير القول .

٩ـ (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

« أقيموا » فعل أمر من باب الافعال ، أصله : أقوموا ، فنقلت كسرة الواو إلى ما قبلها لثقلها عليها ، فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها .

« الوزن » مفعول به و« بالقسط » متعلق بفعل الاقامة ، و« لا تخسروا » فعل نهى ، و« الميزان » مفعول به .

١٠ ـ (والارض وضعها للانام)

« الارض » بالنصب بفعل محذوف يفسّره المذكور، و« للانام » متعلق بفعل الوضع ، وقيل : متعلّق بما بعدها أى للانام .

١١ ـ (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام)

« فيها » متعلّق بمحذوف خبر مقدم ، و « فاكهة » مبتدأ مؤخّر ، وضمير التأنيث راجع إلى الارض ، والجملة فى موضع نصب على الحال ، و«النخل» عطف على « فاكهة » ، و« ذات الاكمام » نعت من النخل .

١٢ ـ (والحب ذو العصف والريحان)

« والحب » عطف على « فاكهة » و كذلك « والريحان » وهو فعلان روحان من الرائحة وأصل الياء فى الكلمة واو قلبت ياء للفرق بينه وبين الروحانى وهو كلّ شيء له روح .

١٣ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

الفاء تفريعيّة و « أىّ » إستفهاميّة إنكاريّة و « آلاء » جمع « إلى » بمعنى النعمة اضيفت إلى الرّبّ المضاف إلى كاف الخطاب للانس والجن و « تكذّبان » فعل مضارع من باب التفعيل .

١٤ـ (خلق الانسان من صلصال كالفخار)

« خلق » فعل ماض ، فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى « الرحمن »

و« الانسان » مفعول به و « من صلصال » متعلق بفعل الخلق و« كالفخّار » نعت من صلصال ، يدل على غاية يبس كزازة الانسان .

١٥ - (وخلق الجان من مارج من نار)

« من مارج » متعلق بقوله : « خلق » و « من نار » متعلق بمحذوف ، وهو نعت من « مارج » .

١٧ - (رب المشرقين ورب المغربين)

فى رفع « ربّ » وجوه : أحدها - : أن يكون بدلاً من الضمير فى « خلق » ثانيها - : أن يكون خبر مبتدإ محذوف وتقديره : هو ربّ المشرقين . ثالثها - : أن يكون مبتدأ وخبره « مرج » .

١٩ - (مرج البحرين يلتقيان)

« البحرين » مفعول به و « يلتقيان » فعل مضارع مغايب لتثنية المذكر من باب الافتعال فى موضع نصب على الحال من « البحرين » ويحتمل النعت .

٢٠ - (بينهما برزخ لايبغيان)

« بينهما » متعلق بمحذوف وهو خبر و « برزخ » مبتدأ ، والجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير « يلتقيان » و « لايبغيان » حال أيضاً .

٢٢ - (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

قيل : فى المقام حذف أى من أحدهما لأنّ اللؤلؤ والمرجان انّما يخرج من الملح ، فحذف المضاف واقيم المضاف إليه مقامه ، والجملة حال أيضاً ولكن ثبت انهما يخرجان من الملح والعذب فلا نحتاج الى مضاف محذوف .

٢٤ - (وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام)

« له » متعلّق بمحذوف خبر مقدّم ، والضمير راجع إلى « الرّحمن » ،

و« الجوار » جمع جارية وهي صفة السفن مبتدأ مؤخّر قامت مقام المبتدأ المحذوف أي السفن الجاريات و « المنشآت » إسم مفعول من الانشاء صفة من « الجوار » و « في البحر » متعلّق بالمنشآت و « كالاعلام » جمع علم ـ بفتحتين ـ وهو الجبل والكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في « المنشآت » .

٢٦ ـ (كل من عليها فان)

« كل » مبتدأ اضيف الى « من » وهو موصولة « عليها » متعلّق بمحذوف أي كل من هو كائن على الارض فالمحذوف هو الصّلة ، فالضمير راجع إلى الارض المتقدم ذكرها و « فان » خبر المبتدأ .

٢٧ ـ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

« ذو الجلال » نعت من « وجه ربّك » و « الاكرام » عطف على النعت .

٢٩ ـ (يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن)

« يسئله » فعل مضارع والضمير في موضع نصب مفعول به راجع إلى الله و « من » موصولة في موضع رفع فاعل الفعل و « في السموات » متعلق بمحذوف ، وهو الصلة « والارض » عطف على « السّموات » « كلّ يوم » ظرف لما دلّ عليه « هو في شأن » أي بقلب الامور كل يوم .

٣١ ـ (سنفرغ لكم أيه الثقلان)

السين للتسويف والفعل للمضارع المتكلم مع الغير جاء به **تعظيما** ، فان فاعله الضمير فيه الراجع إلى الله سبحانه و «لكم» متعلق به وجمع ثم قال : « أيّه الثقلان» لانهما فريقان و كل فريق جمع و« أيّه » وصلة إلى نداء ما فيه ال وحذفت حرف النداء لتقدم الخطاب و « الثقلان » : المنادى .

٣٣ ـ (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان)

« يا » حرف نداء و« معشر الجن » : المنادى « والانس » عطف عليه و« ان » حرف شرط « استطعتم » فعل ماض لجمع الخطاب المذكر من باب الاستفعال وهو

فعل شرط « أن تنفذوا » فى موضع نصب على المفعول به لانسباكه إلى المصدرو «اقطار » جمع قطر اضيف إلى السّموات « فانفذوا » الفاء للجزاء ومدخولها فعل أمر وهو جزاء الشرط و « لا » حرف نفى .

٣٥ ـ (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)

« يرسل » فعل مضارع مبنى للمفعول « عليكما » متعلّق به « شواظ » فاعله على النيابة « من نار » صفة من « شواظ » أو متعلق بالفعل « ونحاس » عطف على « شواظ » « فلا » الفاء تفريعيّة ومدخولها حرف نفى ، « تنتصران » فعل مضارع لخطاب تثنية المذكر من باب الافتعال .

٣٧ ـ (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)

الفاء تفريعيّة و « إذا » شرطيّة ، و « انشقّت » فعل ماض من باب الانفعال و« السّماء » فاعل الفعل و « فكانت » الفاء للجزاء والفعل من أفعال الناقصة وإسمه ضمير مستتر فيه راجع إلى « السّماء » و« وردة » خبره ، والجملة جزاء الشرط و« كالدهان » الكاف نعت من « وردة » .

٣٩ ـ (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جآن)

الفاء للتفريع ومدخولها ظرف و« لا » حرف نفى و« يسئل » فعل مضارع مبنىّ للمفعول و« عن ذنبه » متعلق بفعل السؤال والضمير راجع إلى « إنس » وهذا من باب الاضمار قبل الذكر و « إنس » فاعل الفعل على النيابة « ولاجان » عطف على « انس » ولكن على تقدير : ولا يسئل عن ذنبه جان ، فيكون من عطف الجملة على الجملة .

٤١ ـ (يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصى والاقدام)

« يعرف » فعل مضارع مبنىّ للمفعول و« المجرمون » فاعل على النيابة و« بسيماهم » متعلّق بفعل المعرفة و« فيوخذ » الفاء تفريعيّة ومدخولها فعل مضارع مبنى للمفعول و« بالنواصى » جمع ناصية فى موضع رفع على الفاعل النيابى

و« الاقدام » جمع القدم عطف على « النواصي » .

٤٣ ـ (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون)

« هذه » مبتدأ و « جهنم » خبره و «التي» موصولة و « يكذب » فعل مضارع من باب التفعيل و«بها» متعلق به و« المجرمون » فاعل الفعل والجملة صلة الموصول.

٤٤ ـ (يطوفون بينها وبين حميم آن)

« يطوفون » في موضع نصب حال من « المجرمين » ، ويحتمل الاستيناف و« بينها » متعلق بفعل الطواف والضمير راجع إلى « جهنم » ، و « بين » عطف على « بينها » اضيف إلى « حميم » و« آن » إسم فاعل صفة من « حميم »

٤٦ ـ (ولمن خاف مقام ربه جنتان)

الواو للاستيناف ، « لمن » متعلّق بمحذوف وهو الخبر المقدّم ، و « من » موصولة و « خاف » فعل ماض ، فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى « من » و« مقام » مصدر ميمي بمعنى القيام مضاف إلى فاعله والجملة صلة الموصول و« جنّتان » مبتدأ مؤخّر .

٤٨ ـ (ذواتا أفنان)

« ذواتا » خبر لمحذوف أي : هما ـ جنّتان ـ ذواتا أفنان و « ذواتا » تثنية « ذات » على الاصل ، لأن الاصل في « ذات » « ذوية » لانّ عينها واو ولامها ياء ، فتحرّك الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصار « ذوات » إلاّ انّه حذفت الواو من الواحد للفرق بين الواحد والجمع ودلّ عود الواو في التثنية على أصلها في الواحد و« ذواتا » اضيف إلى « أفنان » وقيل : المضاف والمضاف إليه صفة من « جنتان » .

٥٠ ـ (فيهما عينان تجريان)

« فيهما » متعلق بمحذوف خبر مقدم و« عينان » مبتدأ مؤخّر و « تجريان » صفة من « عينان » والجملة صفة من « جنّتان » وقيل : حال .

٥٢ - (فيهما من كل فاكهة زوجان)

إعرابها ظاهرة من قبلها .

٥٤- (متكئين على فرش بطآئنها من استبرق وجنا الجنتين دان »

« متكئين » حال من « من خاف » والعامل فيه الظرف أى ثبت لهم جنّتان في هذه الحال وقيل : العامل فيه مقدّر : أى ينعمون متّكئين و « بطائنها » جمع بطانة مبتدأ ، والضمير راجع إلى « فرش » جمع فراش و « من استبرق » متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ والجملة صفة من « فرش » وأصل كلمة « استبرق » فعل ماض من باب الاستفعال . فلمّا سمّى به قطعت همزته وأعرب .

« وجنى الجنتين » مبتدأ الجنى : ما يجنى من الشجر ، والمراد في المقام ثمر أشجار الجنتين « دان » خبر المبتدأ .

٥٦ - (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جآن)

«فيهنّ» متعلّق بمحذوف وهو الخبر المقدم والضمير راجع إلى الفرش ويجوز أن يكون عائداً إلى « الجنان » إذ لكل واحد من أولياء الله تعالى منها جنّتان و« قاصرات الطرف » مبتدأ مؤخّر أى قاصرات الطرف ثابتات على الفرش أو في الجنان و « لم يطمثهن - الخ » صفة من « قاصرات الطرف » .

٥٨ - (كأنهن الياقوت والمرجان)

« كأن » من الحروف المشبهة بالفعل ، والضمير في موضع نصب إسمها و«الياقوت» خبرها « والمرجان » عطف على« الياقوت » والجملة صفة من «قاصرات الطرف » وقيل: حال فتقديره : فيهن قاصرات الطرف مشبّهات الياقوت والمرجان.

٦٠ - (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)

« هل » للاستفهام الانكارى و« جزاء الاحسان » مبتدأ و « الاحسان » خبره دخلت « إلا » على المعنى و« هل » في القرآن على أوجه أربعة :

أحدها ـ بمعنى قد كقوله تعالى : « هل أتى على الانسان حين من الدهر » .

ثانيها ـ بمعنى الاستفهام كقوله تعالى « فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقا » وبمعنى الامر كقوله تعالى : « فهل أنتم منتهون » وبمعنى ما للجحد كقوله تعالى : « فهل على الرسل إلاّ البلاغ » و« هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » .

٦٢ ـ (ومن دونهما جنتان)

على تقدير : ولهم من دونهما جنّتان ، فحذف « لهم » لدلالة الكلام عليه تخفيفاً ، فالاية جملة اسمية على التقديم والتأخير وضمير التثنية راجع الى الجنّتين السابقتين .

٦٤ ـ (مدهامتان)

خبر لمحذوف أي هما مدهامّتان والجملة صفة من « جنّتان » «مدهامّتان نحو« محمارّتان» تثنية « مدهامّة » إسم مفعول من باب الافعيلال .

٦٦ ـ (فيهما عينان نضاختان)

« فيهما » متعلق بمحذوف وهو الخبر ، وضمير التثنية راجع إلى « جنّتان » و « عينان » مبتدأ مؤخّر و « نضّاختان » صفة من « عينان » والجملة في موضع نصب حال من « جنتان » وقيل : صفة .

و« نضّاختان » تثنية نضّاخة للمبالغة .

٦٨ ـ (فيهما فاكهة ونخل ورمان)

إعرابها ظاهر من سابقها .

٧٠ ـ (فيهن خيرات حسان)

« فيهنّ » متعلق بمحذوف وهو الخبر المقدّم والضمير راجع إلى الجنان باعتبار انّ هاتين الجنتين المتقدمتين منها و « خيرات » مبتدأ مؤخر ، وهي أيضاً صفة لموصوف يدل عليه « حور » الآتية ، فقامت مقام موصوفها وأصل « خيرات » خيّرات بالتشديد ، فخففت وقيل : جمع خيرة يقال : امرأة خيرة و « حسان » صفة من « خيرات » .

٧٢ - (حور مقصورات فى الخيام)

« حور » بيان من « خيرات » وقيل : بدل وقيل : خبر لمحذوف أى فيهنّ وقيل : مبتدأ ، و«فى الخيام» خبرها وقيل : على حذف الخبر أى فيهن ، والحور : جمع الحوراء.

« مقصورات » صفة من « حور » و « فى الخيام » متعلّق بمقصورات ، والخيام جمع الخيمة .

٧٤ - (لم يطمثهن انس قبلهم ولاجآن)

إعرابها ظاهر من آية (٥٦) .

٧٦ - (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)

« متكئين » حال وصاحب الحال محذوف دلّ عليه الضمير فى « قبلهم » وفى « رفرف » وجهان : أحدهما - : أن يكون إسما للجمع كقوم ورهط ولهذا وصف بقوله : « خضر » و « عبقرىّ » والخضر جمع الاخضر والعبقرى إسم جنس واحده عبقرية كقولك : قوم كرام ورهط لئام ، والثانى: أن يكون جمع رفرفة ، و«حسان» صفة من « عبقرى » وقيل: صفة من « رفرف » .

٧٨ - (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)

« تبارك » فعل ماض من باب التفاعل و« اسم ربك » فاعل الفعل و «ذى الجلال» نعت من « ربّك » وعلى قراءة الرفع صفة من « إسم » .

﴿ البيـان ﴾

١ ـ (الرحمن)

إعلم أنّ بدء السّورة بهذا الاسم يفوح ريح العناية الالهيّة والرّحمة الواسعة وما يجيىء من ذكر أنواع النعم الدنيويّة والاخروية ومن القوى الظاهرة والباطنة وما ينتظم به عالم الثقلين : الجن والانس خاصّة وما ينتظم به العالم كافّة .. فافتتح السورة باسم الرحمن من بين اسمائه تعالى ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة العامّة الشاملة من رحمانيته تعالى .

كما انّ هذا الاسم هنا هو بسبيل توكيد كونه هو الله جلّ وعلا وبسبيل الرّدّ على الكفّار الّذين كانوا ينكرون تسمية الله به ويتساءلون عن ذلك تساؤل المنكر المستغرب فان بدئها به ونسبة مشاهد الكون إليه قرينة على ذلك .

٢ ـ (علم القرآن)

شروع فى عدّ النّعم الالهيّة وقدّم نعمته التى تنمو به الأرواح البشريّة ، وتميز بها الانسان عمّا سواه ، ويصل بها إلى الكمال والسّعادة الدنيوية والاخروية وهى القرآن الكريم الذى فيه شفاء القلوب والطّهارة عن الذّنوب لتقدّم نفس متعلّقها فى الوجود على حذف المفعول أى علّم الانسان فقط أو مع الجنّ لدلالة مابعده عليه واشتراكه بالانسان فى التكليف ، فقدّم أجلّ نعمته قدراً وأكثرها نفعاً وأتمّها فائدة فانّ باتباعها تكون سعادة الدارين وبالسّير على نهجه تنال الرغائب فيهما وهو سنام الكتب السّماوية وقد نزل على خير البريّة .

مع أن معرفة الله تعالى هى العلة لخلق الجن والانس ، فخلقهما ليقوما

بوظيفتهما ، فهما معلولان لهذه العلّة ، والعلّة مقدم على معلولها إذ قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦) أي ليعرفوني ويعبدوني .

وفي إسناد تعليم القرآن الى الرّحمن ايذان بأنه من آثار الرّحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيهاً على إصالته وجلالة قدره وانه أسبق الآلاء قدماً وأجلّ النعماء منصباً وهو أوّل تجلّي رحمة الرحمن وأعظمها شأناً فيما يتّصل بالانسان وهو موضع هذه الرحمة ومتلقّي غيوثها .

٣ ـ (خلق الانسان)

تعييناً للمعلّم والمتعلّم وفي تخصيص الانسان بالذكر لنزول القرآن الكريم عليه وان كان الجن أيضاً مكلّفاً به .

٤ ـ (علمه البيان)

تعييناً لكيفيّة التعليم وان الجمل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن وإخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد .

وفي الايات الثلاث الاخيرة نكات لطيفة يلهمناها ترتيب الايات ، وهي : ان الانسان لا يكون إنسانا إلاّ بالدين ولا ذا بيان إلا بقدرته على الاتيان بالحقائق الدينيّة .

وذلك لانّ الله تعالى إبتدأ بتعليم القرآن ، ثمّ بخلق الانسان ، ثمّ بتعليم البيان ، ولم يدخل الواو فيما بينهما و «علّم القرآن » فان ايجاد الانسان بحسب نظرنا مقدّم على تعليم البيان ، وتعليم البيان مقدّم على تعليم القرآن لكن لمّا لم يعد الانسان إنساناً ما لم يتخصّص بالقرآن ، إبتدأ بالقرآن ، ثمّ قال : خلق الانسان تنبيهاً على أنّ بتعليم القرآن جعله إنساناً على الحقيقة ثم قال : علّمه البيان تنبيهاً على أن البيان الحقيقي المختصّ بالانسان يحصل بعد معرفة القرآن فنبّه بهذا الترتيب المخصوص وترك العاطف وجعل كل جملة بدلا مما قبلها من غير عطف على أنّ الانسان ما لم يكن عالماً برسوم العبادة ومتخصصاً بها لا يكون انساناً ، وإن كلامه ما لم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بياناً .

ان قلت : فعلى هذا لا يصحّ أن يقال للكافر إنسان وقد سمّاهم الله تعالى

بذلك في عامّة القرآن .

قلت : إنّا لم نقل : ان الكافر لا يسمى إنساناً على تعارف عامّة الناس بل قلنا : إنّ قضيّة العقل والشرع تقتضى أن لا يسمّى به الا مجازاً ما لم يوجد منه العقل المختص بـه ثمّ ان سمّي به على سبيل تعارف العامّة ، فليس ذلك بمنكر إذ كثير من الاسماء يستعمل على وجه ، فيبين الشرع انّ ليس إستعماله على ما استعملوه كقولهم : الغنى فانهم استعملوه فـى كثرة المال وبيّن الشرع ان الغنى ليس بكثرة المال ، قال رسول الله ﷺ : « ليس الغنى بكثرة المال وانّما الغنى غنى النفس » .

٥ ـ (الشمس والقمر بحسبان)

إستمرار للايات السابقة في صدد عدّ نعم الله تعالى وعظمته وفى الاية دلالة على أنّ للشمس والقمر منازل لا يعدوانها وبهاتوجد الشهور والسنون والاوقات .. وذكرهما من بين الكواكب لكونهما أظهر ما فى العالم العلوى المنظور لنا من نجوم وكواكب .. بحيث يقعان فى نظر كل انسان ولكون الحساب والاوقات عليهما أكثر من غيرهما وكأنهما سيدا الأجرام السماوية فاذا عرفهما الانسان عرف كثيراً من الاسرار العلوية ولما فيهما من المنافع من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج النهار .

٦ ـ (والنجم والشجر يسجدان)

وهذه إستعارة والنجم ههنا مانجم من النبات أى طلع وظهر والمراد بسجود النبات والشجر مايظهر عليها من آثار صنع الصانع الحكيم والمقدّر العليم بالتنقل من حال الاطلاع إلى حال الايناع ومن حال الايراق إلى حال الاثمار ، غير ممتنعة على المصرّف ولا آبية على المدبّر .

وان الآيتين ـ ٥ و ٦ ـ خبران آخران للرحمن جرّدتا عن الرابط اللفظى تعويلاً على كمال قوّة الارتباط المعنوى ، إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حالة

الشمس ، والقمر بتسخير غير الله تعالى ، ولا إلى كون سجود النجم والشجر لماسواه .

فكأنّه قيل : الشمس والقمر بحسبانه تعالى ، فيجريان على ماقدّر لهما من نوع الجرى والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء الجملة الاولى عن العاطف لشدّة الارتباط ، وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية ، لتناسبهما من حيث التقابل ، لما انّ الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث انّ كلّاً من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى .

٧ـ (والسماء رفعها ووضع الميزان)

الميزان ههنا مستعار على أحد التأويلين وهو أن يكون معناه العدل الّذى تستقيم به الامور ويعتدل عليه الجمهور .

٨ ـ (الا تطغوا فى الميزان)

دعوة إلى أن يقيم الناس أمرهم فى التعامل وغيره على العدل والاحسان على سبيل الالتفات والاخبار فى معنى الانشاء وفى تكرير الميزان دلالة على الاعتناء به لانه معيار العدل وبه يتميز الحق من الباطل ولولاه لتعذر الوصول الى كثير من الحقوق.

إن تسئل : ان قوله تعالى : « ألاّ تطغوا فى الميزان » مغن عما بعده من الجملتين فما فائدتها ؟

تجيب : ان المراد بالطغيان فيه أخذ الزائد وبالاخسار فيه إعطاء الناقص إطلاقاً فأمر بالتوسّط الّذى هو إقامة الوزن بالقسط ونهى عن الطرفين المذمومين .

٩ـ (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

إشارة إلى مراعاة العدل فى جميع الاقوال والافعال والعقائد ، فيضبط مسيرهم فى الحياة الدنيا على العدل كما تضبط السّماء دعائمها بهذا الميزان الذى وضعه الله تعالى لها . . ـ لما فى ذلك من قوام العمران وطمأنينة المجتمع البشرى .

وهذا من امّهات الأخلاق الشخصيّة والاجتماعيّة الّتى تكررت فى عديد من السور القرآنيّة بأساليب متنوّعة والّتى هى من امّهات أهداف الرّسالة

المحمدية في صدد تعامل الناس بعضهم مع بعض على أساس الحق والعدل والانصاف وعدم بخس الناس وغشهم والطغيان عليهم مما هو مستمر التلقين والمدى في كل ظرف ومكان ..

١٠ ـ (والارض وضعها للانام)

إشارة إلى أن هذه الارض هي في خلافة الانام ـ وهم الناس ـ وأن معهم الميزان الذي يضبطون به أمور الارض أشبه بذلك الميزان الذي وضعه الله تعالى لضبط السماء وعوالمها وفي هذا تكريم للانسان ورفع لقدره واعطاؤه حكم هذه الارض بالميزان الذي معه وهو العقل وهو بهذا الميزان استحق أن يكون خليفة الله في الارض فاذا لم يقم أمرها على ميزان الحق والعدل والاحسان إضطرب أمره وفسد حاله وساء مصيره . وفي التعبير عن الارض بالوضع قبال التعبير في السماء بالرفع لطف ظاهر .

١١ ـ (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام)

تقرير لما أفادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الناس وتفصيل المنافع العائدة إلى البشر .

وفي تنكير « فاكهة » دلالة على كثرتها وأنواعها وهي كل مايتفكه به ، وفي تخصيص النخل بالذكر للتفضيل ، ولانه فاكهة غدائية ، ولكثرتها بالبلاد العربية وكثرة فوائدها ، لانه ينتفع بثمارها رطبة ويابسة وينتفع بجميع أجزائها فيتخذ من خوصها السلال والزنابيل ، ومن ليفها الحبال ، ومن جريدها سقف البيوت ويؤكل جمارها .

١٢ ـ (والحب ذو العصف والريحان)

في التعبير بكلمة « الريحان » عن النبات الطيب الرائحة إشارة إلى أن إتجاه هذا النبت انما هو إلى الروح إذ بالريح الطيب تنعش النفوس .

١٣ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

سؤال إستنكارى يتضمن تقرير كون كل ذلك لايكون إلامن إله قادر عليم حكيم ، فأىّ آلاء الله محل للتكذيب والمماراة ، فالفاء لترتيب الانكار ، والتوبيخ على ما فصّل من فنون النعماء ، وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتماً ، والتعرّض لعنوان الربوبيّة المنبئة عن المالكيّة المطلقة والتربية والقدرة الكاملة مع الاضافة إلى ضمير الثقلين : الانس والجن لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ .

وفى الاية تنديد موجه للكفار المكذبين الذين يكابرون فى الحقائق ويتعامون عن آلاء الله تعالى الباهرة ويظلون يكررون جحودهم وتكذيبهم .

وقد جاء الخطاب بصيغة التثنية لتشمل الانس والجن على ما يستلهم من ذكر الجن والانس معاً فى هذه السّورة صريحاً فى قوله تعالى : « سنفرغ لكم أيّه الثقلان - يامعشر الجن والانس - يرسل عليكما شواظ من نار » : ٣١ - ٣٥) .

ويظهر من الاية انّ للجنّ تنعّما فى الجملة بهذه النعم المعدودة فى خلال الايات كما للانس وإلا لم يصحّ إشراكهم مع الانس فى التنديد والتوبيخ .

ولا يخفى انّ التكذيب إمّا باللسان والقلب معاً كالكفّار وإما بالقلب دون اللسان كالمنافقين ، فالاية شاملة للفريقين سواء كانوا من الانس أو من الجن .

١٤ - (خلق الانسان من صلصال كالفخار)

تقرير عام لعظمة الله تعالى وقدرته وتمهيد للتوبيخ على إخلال المكذبين بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين .

وفى التشبيه بالفخار - وهو الخزف - بيان لغاية يبس طينته و كزازته وانتهاء خلقه إليه فى سلسلة التراب ، والتركيب يدل عليه .

ان تسئل : عن وجه إختلاف الايات القرآنية فى خلق الانسان فى سلسلة التراب إذ قال : « يا أيّها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب » الحج : ٥) .

وقال : « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء مسنون » الحجر : ٢٦)

وقال : « انّا خلقناهم من طين لازب » الصافات : ١١) .

وقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة مـن طين » المؤمنون: ١٢) وغيرها من الايات .. ؟

تجيب : ان الايات متفقة فى المعنى ، فانها تفيد انه تعالى خلق الانسان من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالا كالفخار كما لو قلت : جعلت خبزاً من العجين ثم قلت : جعلت خبزاً من الطحين ثم قلت : جعلت خبزاً من الحنطة مـن غير منافاة فى ذلك ، فتدبّر واغتنم .

١٥ ـ (وخلق الجان من مارج من نار)

« من نار » بيان من « مارج » وفى الاية دلالة على أن الجن من انواع من اللهب مختلطات ، وقد ثبت انّ الضوء مركب من ألوان سبعة ولفظ « مارج » يشير إلى ذلك كما ان الانسان من عناصر مختلفة .

وعدهم مخلوقين من النار باعتبار انتهاء خلقتهم إليها كانتهاء خلق الانسان إلى التراب لو قلنا : ان المراد بالانسان نوعه وبالجان نوعه .

وفى الآيتين دلالة على أنّ السّامعين كانوا يعترفون بأصليّة الانسان و ناريّة الجن فذكروا بما يعرفونه ليستحكم التنديد بمماراة الممارين منهم .

١٦ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فقد خلق الله الانسان من طين وخلق الجان من النار فما الذى يكذبه المكذّبون من ذلك ؟

وفى تقديم خلق الانس على خلق الجن مع أن الجنّ أسبق فى الخلق من الانس ـ تشريفاً للانسان وتكريماً له فى رتبة الخلق حيث أمر الله تعالى الملائكة ـ ومنهم الجن ـ أن يسجدوا له إحتفاء بمولده ...

١٧ ـ (رب المشرقين ورب المغربين)

تكرار « رب » باعتبار الخطاب للانس والجن وفيه تأكيد ، لأنّ المقام بصدد الامتنان وتعديد النعم ولم يكرر في قوله تعالى : « فلا اقسم برب المشارق والمغارب » المعارج : ٤٠)

وقوله : « ربّ المشرق والمغرب » المزمل : ٩) .

لأنّ الموضعين ليسا بصددالامتنان وتعديد النعم ، ولا الخطاب للجنسين : الجن والانس .

وفي تثنية المشرق والمغرب وجوه : أحدها ـ المشرقان هما مشرقا الشمس والقمر والمغربان هما مغربا الشمس والقمر فيالصيف و الشتاء اللذين يترتب عليهما تقلّب الفصول الأربعة وتقلّب الهواء وتنوّعه ، وما يلي ذلك من الامطار والشجر والنبات والانهارالجاريات ، ثانيها ـ : مشرقا هما ومغربا هما إطلاقاً .

ثالثها ـ انّ سياق السّورة سياق المزدوجين فانه تعالى ذكر أوّلا نوعي الايجاد وهماالرحمة والخلق والتعليم والبيان ، ثم ذكرسراجي العالم : سراج النهار وهو الشمس وسراج الليل وهو القمر ، ثم ذكر نوعي النبات مماكان على ساق ومالا ساق له وهما النجم والشجر .

ثم ذكر نوعي السّماء والارض ، ثم نوعي العدل والظلم ، ثم نوعيالخارج من الارض وهما الحبوب والرياحين ، ثم نوعي المكلّفين وهماالجن والانس ، ثم نوعي المشرق والمغرب للشمس والقمر ، ثم نوعي البحرالملح والعذب ، فلهذا حسن تثنية المشرق والمغرب فيهذه السورة فلا منافاة بين هذه الآية والآيات التي جاء المشرق والمغرب فيها بصيغة الافراد والجمع ، فان كل قطر من أقطار العالم له مشرق لشمسه وقمره ومغرب لهما ، فالآيات التي تقول : المشرق والمغرب أرادت مشرق الشمس ومغربها أومشرق القمر ومغربه ، والآيات التي ذكرت المشرقين والمغربين أرادت مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما ، والآيات التي ذكرتالمشارق والمغارب ، انّما هي ناظرة إلى أنّ الارض كروية الشكل ، فكلّ قطر من أقطارها على

خطّ الاستواء له مشرق لشمسه ومشرق لقمره ومغرب لشمسه ومغرب لقمره أو يقال: هى مشارق الشمس ومغاربها وهى ثلاثمأة وستون مشرقاً و كذلك المغارب ، فان الشمس تشرق كلّ يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تشرق ولا تغرب فى واحد يومين وعلى هذا فلا منافاة بين الآيات .

١٨ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

انّ الشرق والغرب نعمتان عظيمتان جليلتان يتكامل بهما الجمادات والنبات والحيوان والانسان والجن . .

ويكون كل موجود هو من صنع رب الشرق والغرب وغذىّ من فضل هذه الربوبية واحسانها ، فهل من مكذّب بهذه الآلاء ومنكر لها ؟

وعلى أىّ حال : انّ الغرض هو لفت نظر السّامعين إلى مايرونه من دقّة سير كل من الشمس والقمر شروقاً وغروباً وما فى ذلك من مشاهد قدرة الله تعالى وعظمته وبديع صنعه وفضله على خلقه .

١٩ ـ (مرج البحرين يلتقيان)

فيها إستعارة والمراد بها أنه تعالى أرسل البحرين طامين وأمارهما طائعين وهما يلتقيان بالمقاربة لابالممازجة وبينهما حاجز يمنعهما من الانخراق ويصدّهما عن الاختلاط والقدرة الالهيّة هى الحاجز لوقلنا : ان المراد بالبحرين الارضيين .

٢٠ ـ (بينهما برزخ لايبغيان)

فيها إستعارة أيضاً إذ كنّى تعالى بلفظ البغى عن غلبة أحد البحرين على صاحبه لان الباغى فى الشاهد إسم لمن تغلب من طريق الظلم بالقوّة والبسطة والتطاول والسوط .

فالمعنى : لايغلب أحدهما على الآخر ، فيقلبه إلى صفته إما الملح على العذب أو العذب على الملح .

٢٢ - (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

في الاية دلالة على انه كان يجرى في البحار التى تقع عليها بلاد العرب مراكب عظيمة يستخرج منها اللؤلؤ والمرجان وأن هذا وذاك كان مشاهداً أو معروفاً في بيئة النبى الكريم ﷺ ومنتفعاً به وموضع حديث عن قدرة الله تعالى وعظمته وبديع صنعه .

٢٦ - (كل من عليها فان)

في إطلاق « من » على ما وجه الارض على تغليب العقلاء على غيرهم ولأن الكلام مسرود في السّورة لتعديد نعم الله تعالى وآلائه للعقلاء من الجن والانس .

ولايخفى على القارىء الخبير ان هذا المقطع ، فصل جديد في الخطاب والتقرير مع إتصاله ببيان عظمة الله تعالى وقدرته .

وان الآيات السّابقة احتوت تقريراً عن آلاء الله تعالى وكونه ونواميسه ونعمته على الانسان ووصاياه له .

وهذا المقطع احتوى تقريراً عن ذات الله ، والأسلوب كسابقه تقريرى عام ، وهدفه تقرير عظمة الله تعالى أيضاً ، فكل كائن سواه قابل للفناء وهو الباقى الذى لايطرأ عليه زوال ولاتغيير .

٢٧ - (ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام)

تعبير « وجه ربّك » بمعنى ذات الله جل وعلا هو تعبير أسلوبى مألوف في المخاطبات البشرية التى نزل باسلوبها القرآن الكريم ويدلّ عليه قوله تعالى : « ذوالجلال والاكرام » فكأنه قال : ويبقى ربّك .

وجاء بالوجه لانه إلفات الى الله تعالى وانه الحىّ الباقى الذى ينبغى أن تتجه إلى وجهه الوجوه وتتعلق برضاه وكرمه الآمال ويرجى عنده الخير كلّه .

وفي وصف الله تعالى بالبقاء بعد فناء الخلق إيذان بأنّه جلّ وعلا يفيض عليهم بعد فنائهم أيضاً آثار لطفه وكرمه حسبما ينبىء عنه قوله تعالى :

٢٨ ـ (فبأى آلآء ربكما تكذبان)

فان احياءهم بالحياة الأبديـة واثابتهم بالنعيم المقيم أجـل النعمـاء وأعظم الآلاء.

وذلك لان في الفناء بقاءاً ، فناء عن الصورة المادية الدنيوية وبقاءاً فى الحياة الواقعيـة وهى أعظم آلائه تعالى.

قال الله تعالى : « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » آل عمران : ١٦٩) .

وقال : « من عمل صالحاً مـن ذكر أو انثى وهـو مؤمن فلنحيينـه حيـاة طيبة » النحل : ٩٧) .

وقال : « وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت : ٦٤) فحقيقة هذا الفناء رجوع إلى الله تعالى بالانتقال من الدنيا إلى حياة طيبة ، وبذلك يندفع قول من قال : أى نعمة في الفناء حتى يجعل من النعم ويعد من الآلاء.

٢٩ ـ (يسئله من في السموات والارض كل يوم هو فى شأن)

السئوال كناية عن الحاجة المستمرة ، إذ كل مخلوق فى حاجة أبداً إلـى عون الله جل وعلا وإلى امداد انعامه واحسانه ، فان الوجود ليس مجرد آلة تدور على وجه واحد لا يتغير أبداً بل هو فى كل وقت وظرف فى صورة وحالة وحاجة غير سابقها .. فانه فى تجدد دائم وفى حركة دائبة .. يتبدل أثواباً بأثواب وأحوالا بأحوال دون أن يقع فى نظامه خلل أو إضطراب.

« كل يوم هـو » معنى ظرفية اليوم إحاطـة الله سبحانه فى مقام الفعل على الاشياء ، فهو تعالى فى كل زمان ، وليس فى زمان ، وفى كل مكان ، وليس فى مكان ومع كل شيء ، ولا يدانى شيئاً .

وفى تنكير « شأن » دلالة على التفرق والاختلاف.

أى ان الله تعالى كل يوم هو فى شأن غير ما فى سابقه ولاحقه من الشئون

فلا يتكرر فعل من أفعاله مرتين ، ولا يماثل شأن من شؤونه شأناً آخر من جميع الجهات ، فانه تعالى يفعل على غير مثال سابق وهو الابداع .

قال : « بديع السموات والارض » البقرة : ١١٧)) وبالجملة انها شئون يبديها لا شئون يبتديها .

٣١ - (سنفرغ لكم أيه الثقلان)

مقطع جديد غير مقاطع سابقة ، والخطاب موجّه إلى المكذّبين من جنسين : الانس والجن ، ويحتوى وعيداً شديدا لهم على سبيل الاستعارة ، وتعبير « سنفرغ لكم » تعبير أسلوبى ، فانّ الله سبحانه لايشغله شأن عن شأن حتى يصحّ فى حقه معنى الشغل ، والتفرغ والفراغ ، وإنّما الغرض هو الانذار والتهديد بأنه سوف يحاسبهم ويجزيهم بما كانوا يعملون .

ولا يخفى انّ أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ومستعار له ، والاوّل أصل وهو الأقوى ، والثانى فرع وهو الاضعف ، فالمستعار منه فى المقام مايجوز فيه الشغل وهو أفعال العباد ، والمستعار له مالا يجوز فيه الشغل وهو افعال الله تعالى ، والمعنى الجامع لهما الوعيد لأنّ الوعيد بقول القائل : سأتفرغ لعقوبتك أقوى من الوعيد بقوله : سأعاقبك .

فان الاول فى معنى : سأتجرّد لمعاقبتك ، كأنّه يريد إستفراغ قوته فى العقوبة له ، فجاء القرآن الكريم على مطرح كلام العرب لانّ معناه أسبق إلى النفس ، وأظهر للعقل والمراد به تغليظ الوعيد والمبالغة فى التحذير .

نظيره قوله تعالى : « ذرنى ومن خلقت وحيداً » المدّثر : ١١) فان المستعار منه ههنا ما يجوز فيه المنع وهو أفعال العباد ، والمستعار له مالا يجوز فيه المنع وهو افعال الله تعالى ، والمعنى الجامع لهما التخويف والتهديد .

والتهديد بقول القائل : ذرنى وفلانا إذا أراد المبالغة فى وعيده أقوى من قوله : خوّف فلاناً من عقوبتى وحذّره من سطوتى ، فالمعنى : سنقصد لحسابكم أيّها الجن والانس .

وانما قال : سنفرغ دون سنقصد أى سنعمل عمل من يتفرغ للعمل من غير توان تنبيها على كمال القدرة من غير عجز وعلى ارادة منجزة من دون ردّ .

وفى الاية دلالة على إشتراك الجن بالانس فى التّكليف ، وشمول حساب الاخرة وثوابها وعقابها لهم ، فينال المحسن منهم ثوابه والمسىء عقابه فى الاخرة كالانسان .

٣٢ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

ولا يخفى انّ تهديد المجرمين بالنار والعذاب من آلاء الله تعالى فى نظام الكون نظير التشديد على اهل البغى والفساد فى السنن والقوانين الجارية فى المجتمعات مما يتوقف عليه حياة المجتمع وبقائه .

٣٣ ـ (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)

خوطب باسم جنسهما لزيادة التقدير ، وتقديم الجن على الانس فى الذكر فى هذه الآية عكس آياتى ـ ١٤ و ١٥ ـ المتقدمتين ، لأن المقام بصدد التحدّى من النفوذ من أقطار السموات والارض ، وهذا أليق بالجن لو أمكن لانّ الجن على الحركات السّريعة أقدر ، وإن كانوا لن يستطعوا أن ينجوا من قبضته ويهربوا من نطاق سلطانه من أىّ ناحية فى السّموات والارض .

ولعلّ فى التعبير عن السّموات بصيغة الجمع وعن الارض بلفظ المفرد إشارة إلى أنّ السّموات عوالم وأكوان ، بعضها فوق بعض أو محيط بعضها ببعض وأنّ الارض عالم واحد له قطر واحد . .

وأمّا قوله تعالى : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » الطلاق : ١٤) .

فليست المثلية هنا فى العدد على ما قيل بل من حيث إختلاف طبقات الارض التى تبدأ من وجه الارض وقشرتها إلى وسط المركز منها . .

فقشرة الارض تراب وطين ورمال وأحجار . . ثم تلى ذلك طبقات كل طبقة

ذات طبيعة خاصّة وعلى درجة حرارة خاصّة تتكون منها المعادن والجواهر . . من الحديد والنحاس والذهب والفضّة والألماس وغيرها . .

فالارض واحدة في كيانها وجرمها وهي سبع في طبقاتها واختلاف طبيعة كل طبقة ولهذا جاء التعبيرالقرآني المعجز : « ومن الارض مثلهن » ولم يجيء : ومن الارضين مثلهن . . حيث تدل المثلية هنا في التعبير غير القرآني على مثلية العدد نصّاً وأمّاالتعبير القرآني فالمثليّة فيه مثلية في تنوع العوالم واختلاف المنازل ولكن الانسب ان يكون المراد من الارض جنسها فيشمل الجميع من هذه الارض التي نعيش عليها وغيرها من الست على ما حققناه في سورة الذاريات وغيرها .

٣٤ - (فبأي آلآء ربكما تكذبان)

من غير خفيّ على المتدبر الخبير انّ التّحدي والتعجيز يزيدان المؤمن على إيمانه ، ويكفّانه المسيء عن إسائته ، وهي من آلاء الله تعالى .

٣٥ - (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)

ان التنوين في « شواظ ـ ونحاس » للتفخيم وفي « نار » للتنويع .

٣٦ - (فبأي آلاء ربكما تكذبان)

انّ التهديدبارسال الشواظمن أنواع النيران ، والقذائف من النحاس الملتهب من آلاء الله تعالى التي تدعو الانس والجن إلى الايمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وإلى صالح العمل والاجتناب عن الكبائر والصغائر .

٣٧ - (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)

وصف رهيب لاهوال الآخرة ، ووعيد بعذابها للمجرمين المكذبين من الثقلين بثيران الفزع في قلوبهم ويحملانهم على الارعواء ، وكونهما من آلاء الله ظاهرا جدّاً .

٣٨ - (فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجآن)

وصف لأحوال المجرمين . وفي عدم التساؤل وجوه :

أحدها - : عدم التساؤل انما هو يوم نفخ الصور ، وقيام الساعة وعرض الناس للحساب لان لكل امرىء يوم شأن يغنيه ، والتعارف والمسئلة إنما هو في الجنّة وبعد الفراغ من الحساب على أنّ يوم القيامة الذى مقداره خمسون ألف سنة فيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدّة الهول والفزع .

ثانيها - ان المواطن مختلفة ، ففي بعضها يسئل المجرمون عن ذنوبهم ولا يسئلون في اخرى .

ثالثها - لايسئل أحد سؤال استعلام وانما يسئل سؤال توبيخ وتقريع .

رابعها - لايحتاج المذنب إلى السؤال عن حاله لانّ كلّ ماهو اليوم فيه كامن فيظهر منه يوم القيامة ، فيعرف المجرمون بعلاماتهم الظاهرة معرفة تغنى عن سؤالهم عن هويّاتهم وذنوبهم ، ولا نفع في السؤال على سبيل التوبيخ والتقريع يومئذ إذ لا سبيل لهم إلى إصلاح ما أفسدوا . .

لقوله تعالى : « فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون » الروم : ٥٧) .

وفي الآية دلالة على أنّ الجن يبعثون ويحاسبون يوم القيامة كالانس ، وإختصاص جانب الذنب بالذكر دون جانب الطاعة إذكانت الذنوب في هذا اليوم مما يتحاشاه اهل الموقف ويفرّون منه . .

انّهم يطلبون السلامة ويعضون أصابع الندم على ما فرط منهم في الحياة الدنيا .

٤١ - (يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام)

مستأنف بيانيّ سيق مقام التعليل لعدم السؤال ، كأنّه قال قائل : فاذا لم يسئلوا عن ذنبهم فمن أين يعرفوا من انهم أهل ايمان وجنّة ، أو أهل كفر ونفاق ونار ، فقيل : يعرفون المجرمون - الخ .

٤٣ - (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون)

مقول لقول مقدر : أى يقال على سبيل التأنيب والتوبيخ .

وفى الاشارة إلى جهنّم هناهى استحضار لها فى هذه الحياة الدّنيا بين يدى المكذبين بها وبالحساب والجزاء حيث يشهدون أنفسهم وهم يطوفون بينها وبين حميمها .

وان المقام يقتضى الخطاب ، فالالتفات للتبعيد والتسجيل عليهم بالاجرام ، وفى اظهار الاجرام موضع الاضمار تسجيل وإشعار بعلّة الحكم .

٤٦ - (ولمن خاف مقام ربه جنتان)

مقطع جديد - فيه بيان المصير الاخروى للسعداء الخائفين والاتقياء الصالحين الذين تفيض عليهم آلاء الله تعالى بعد ما وصل إليهم فى الدنيا من آلائه - مقابل مقاطع الانذار والوعيد السابقين ، وبيان مصير الأشقياء المجرمين واتباع الشياطين فى الاخرة جرياً على مألوف القرآنى .

وفى إشعار العلّيّة من تعليق الحكم على الوصف ما لايخفى على القارىء الخبير .

وإضافة المقام إلى الرب جل وعلا للتفخيم والتهويل أو هومقحم للتعظيم .

٤٨ - (ذواتا أفنان)

فى تخصيص الافنان بالذكر لانّها هى التى تورق ، فتبتهج بورقها النفوس وتستظل والتى تثمر ، فتنتفع النفوس بثمارها .

٥٠ - (فيهما عينان تجربان)

وصف ثان للجنتين ، وفى ابهام العينين دلالة على فخامة أمرهما .

٥٢ - (فيهما من كل فاكهة زوجان)

فى كلمة « كل » من الاستغراق ، وفى تنكير « فاكهة » من التنويع والتفخيم مالايخفى على القارىء الخبير .

٥٤ - (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان)

وصف لفراشهم بعد وصف طعامهم ، وإنما ذكر الاتكاء لانه هيئة تدل على

فراغ البال ، والعيش الهنيء وسلامة الجسم . . فان مشغول القلب ، وضنك العيش والعليل لايستطيع أن يستلقى أو يستند إلى شيء .

وفى « بطائنها من استبرق » دلالة على غاية شرف الفرش ، فان ما تكون بطائنها من الاستبرق تكون ظواهرها خيراً منها ، فكأنه شيء لا يدركه البصر من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم .

ومن البداهة انّ أهل الدنيا يظهرون الزينة ، ولا يتمكنون من أن يجعلوا البطائن كالظهاير لانّ غرضهم اظهار الزينة والباطن لايظهر ، فلا حقيقة للزينة الدنيوية ، وأمّا الآخرة ، فليس زينتها بالظواهر فقط بل زينة حقيقيّة لافرق فيها بين الظواهر والبواطن ولابين الظهائر والبطائن .

٥٦ ـ (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان)

بيان لازواجهم وأحوالهنّ بعد ذكر مساكنهم وطعامهم وشرابهم ، وفى الآية دلالة على ان الجن تطمث كالانس .

٥٨ ـ (كأنهن الياقوت والمرجان)

وصف لازواجهم بعد ذكر أحوالهنّ ، ووصف لهنّ بالنقاء والصفاء بعد وصفهنّ بالعفّة والحياء .

٦٠ ـ (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)

مستأنف سيق لتقرير مضمون ما فصّل قبله ، فالاستفهام انكارىّ فى مقام التعليل لما ذكر من إحسانه جلّ وعلا على السعداء الخائفين بالجنتين ، وما فيهما من أنواع النعم والآلاء ، فيفيد انه تعالى يحسن إليهم هذا الاحسان جزاء لاحسانهم بالخوف من مقام ربّهم .

فالمعنى : ليس جزاء إحسانهم ـ بالايمان وصالح العمل ـ إلّا الاحسان فى الثواب .

قيل : إنّ إطلاق الاحسان فى قوله تعالى : « إلّا الاحسان » يفيد الزيادة على قدر الجزاء .

٦٢ ـ (ومن دونهما جنتان)

بيان للجنتين الاخريين اللّتين تكونان أقل من الاولين خطورة وأهمّية وأنزل منهما درجه وأحطّ فضلا ، وإن كان فيهما من النعيم مما لايحيط به وصف تنبيهاً إلى تفاوت جنات الآخرة حسب تفاوت المؤمنين في الايمان وصالح الاعمال وإلى أنّ أهل الجنّة ليسوا على درجة واحدة وهذا طبيعي .

قال الله تعالى : « هم درجات عند الله » آل عمران : ١٦٣) .

٦٤ ـ (مدهامتان)

وصف للجنتين أى منظرهما ضارب إلى السّواد من شدّة الاخضرار والنضرة أو وصف لاشجارهما أى أنها متشابكة الأفنان ، بحيث تجعل الظلّ ذا لون أدهم كلون الشفق عند الغروب .

وهذا الظلّ هو نعمة ، وان لم يكن فى ظلها ذلك الصفاء البلّورى للجنتين الاولين . . « ذواتا أفنان » .

٦٦ ـ (فيهما عينان نضاختان)

وصف ثان للجنتين ، فلهما عينا ماء تفوران فى دفعات متتالية ولاترسلانه متدفقاً كالجنتين السابقتين : « فيهما عينان تجريان » .

٦٨ ـ (فيهما فاكهة ونخل ورمان)

فى تخصيص النخل والرّمّان بالذكر مع دخولهما فى الفواكه لفضلهما وشرفهما على غيرهما من الفواكه لأنّ النخل طعام كامل ، والرّمان شراب ودواء كامل ، وان العرب تذكر الأشياء جملة ثم تختصّ شيئاً منها بالتسميّة إهتماماً به ، وتنبيهاً على مزيّة فيه .

كما قال الله تعالى : « من كان عدوّاً لله وملائكته و كتبه ورسله وجبرئيل وميكال » البقرة : ٩٨) .

ولايخفى عليك الفرق بين ما فى الجنتين الاولين من « فيهما من كل فاكهة » فهما يحويان كل فاكهة معروفة ممالم تره عين ولم يسمع به أذن ولم يخطر على

قلب بشر « من كل فاكهة » وبين ما فى الجنتين الاخريين : «فيهما فاكهة ونخل ورمان » ان فيهمافاكهة ولكن لاعلى سبيل الشمول ومن فاكهتهما النخل والرمان وليسا أكرمى ثمر الجنة وأطيبها .

٧٠ ـ (فيهن خيرات حسان)

فى وصف الخيرات بالحسان مع كونهن مستغنية عن الوصف بذاتها تحقيقاً لكمال الخيرية فيهن ومحضهن للخير الخالص وعزلهن عن الخير الذى يشوبه شيء مما يكدر صفوه إذ كثيراً ما يشوب الخير ما ليس منه .

٧٢ ـ (حور مقصورات فى الخيام)

بدل مبين لقوله : « خيرات حسان » وهن يقابلن هؤلاء الحور قاصرات الطرف اللاتى للسعداء الخائفين .

وبينهن فرق إذ فى « قاصرات الطرف » إشارة إلى ما فى هؤلاء الحوريات من حياء وعفة ذاتاً وطبعاً ، وفى « حور مقصورات فى الخيام » إشارة إلى أن هؤلاء الحوريات قد قصرتهن الخيام وحجبتهن عن العيون وحجبت العيون عنهن . فشتان بين حياء وعفة مطلقين وحياء وعفة مقيدين .

والعرب تمدح النساء الملازمات للبيوت للدلالة على شدة الصيانة .

٧٦ ـ (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)

مقابل لقوله تعالى فى وصف السعداء الخائفين : « متكئين على فرش بطائنها من استبرق » إذ وصف الفرش بباطنها ووصف الرفرف بظاهرها بأنها خضراء عجيبة فى رونقها ومنظرها .

وهذه التفرقة بين نعيم الجنة وأهلها أمر لازم ، يقضى به عدل الله تعالى كما أن عدم إستواء المحسنين والمسيئين فى الآخرة على أساس العدل الالهى ، فلكل منزل حسب عمله . . .

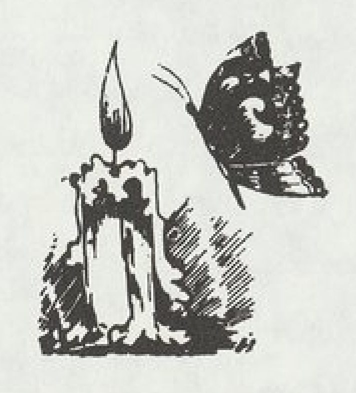
قال الله تعالى : « ولكل درجات مما عملوا » الانعام : ١٣٢) .

٧٨ - (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)

ثناء جميل لله تعالى بما أُفاض على الانس والجن فى الحياة الدنيا من الخلق والنظام والعلم والبيان وما يفيض عليهم غداً كلاً بعمله .

وهذا تعليم منه جلّ وعلا لعباده أن يقولوا عقيب كل نعمة من نعمه وآلائه ..

وفى التعبير « بالربّ » فى خلال السّورة إشارة إلى أنّ كل ذلك نعم صادرة من المالك المربّى الذى ينمى الجن والانس أجساما وعقولا بطرق مختلفة من الوعد والوعيد والبشارة والانذار وما إليها .



﴿ الاعجاز ﴾

إعلم أنّ سورة الرّحمن فريدة فى أسلوبها النظمى تلفت للأنظار وتدعو إلى التساؤل عنها ، والبحث عما ورائها من أسرار ..

وذلك لانها بدأت بلحن علوىّ ونغم قدسىّ لا تكاد تتحرّك بها الشّفاه وتتصل بهم الآذان ، حتى يتفتق من أكمامها الجلال المهيب الّذى يملأ القلوب مهابة وخشية والاكرام والمرجى الذى تبتهج به النّفوس ..

سواء فى ذلك من وقف عند تناغم الألفاظ ، وتجاوب جرسها ، أم من جمع إلى هذا ما يفتح الله جلّ وعلاله من علم يرى فى أضوائه جلال المعنى وصدقه المصفّى من شوائب الباطل والضّلال ..

انظر كيف يطلع هذا المطلع على تلك الصّورة الرائعة الفريدة من النّظم ..

فأنت بين يدى خمس آيات تلاحمت وتماسكت دون أن يقوم بينها حرف عطف : « الرحمن علّم القرآن خلق الانسان الشّمس والقمر بحسبان »

وذلك لان ما بينها من تجاوب وتآلف يجعلها فى غنى عن أن يقوم بينها عاطف يعطف بعضها على بعض ، ويجمع بعضها إلى بعض ..

ثم انظر كيف كانت كلمة « الرحمن » التى بدئت بها السّورة هى الميزان الذى تجرى أحكامه على آيات السّورة كلّها ، وتنضبط عليه أنغامها وتتألف منه وحدة اللحن كلّه ..

« الرحمن » انّه الذى يمسك بأجزاء السّورة كلّها لفظاً ومعنى، فالرحمن تندفق من رحمته هذه النعم التى تعرضها السورة فى كل آية من آياتها وقد تصدر

السورة بالقرآن - ومعناه القراءة الواعية في صحف الوجود وفي كتب العلم وأجلّها القرآن الكريم - تصدر كلّ هذه النعم ..

فانّه بغير هـذه القراءة لا يهتدى الانسان إلى الله تعالى ، ولا يتعرّف على خالقه ، ولا تقوم قدماه على طريق الحق والخير ..

فالقرآن كلمات الله تعالى ومـن كلمات الله هذا الوجود ، فما قام شيء مـن الكائنات في السّماء والارض إلاّ بأمره وبكلمة من كلماته ..

ثم يجيء الانسان أوّل هـذه المخلوقات جميعها التـى قامت بكلمات الله : « علّم القرآن خلق الانسان » ولم يقل خلق القرآن وإنما قال : « علّم القرآن » لان القرآن مصدر العلم والهداية ..

والانسان انما خلق ليتعلّم ويهتدى ، فقد خلقه الله تعالى وأودع فيه الملكات والقوى التي تستطيع بها أن يعلم وأن يبين عما يعلم ... وان الانسان هو الملتقى لمجتمع كلمات الله القارىء المستبصر الذى يكشف بقراءته دلائل القدرة الالهيّة .. فيؤمن بالله ويقوم على خلافته في الارض ، ويقيم موازين العدل فيها ..

ثم انظر - ثالثاً - إلى التدبير الحكيم الذى تطلع به عليك هذه المقدمة من الفواصل المتتابعة المتماثلة مع فاصلة الاية المكررة ..

« الرحمن - القرآن - الانسان - البيان - بحسبان - يسجدان - الميزان الميزان - الميزان - للانام - الاكمام - الرّيحان » فهذه إثنتاعشرة فاصلة سبقت المقطع الذى سيتكرر في السّورة في قوله تعالى : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » فيكون أشبه بمقدمة لهـذا التكرار إذ يكون من شأنه أن يقيم الأذن على هـذا النغم ، ويربطها به ، فاذا تكررت هذه الاية بعد ذلك لـم تجد الطريق الى الاذن مسـدوداً عليها أو مستوحشاً منهـا ، بل انّ الأذن لتتفتح لها ، وتدعوها إليهـا و تجذبها نحوها . .

ثم انظر - رابعاً - إلى ما سبق هذا التكرار المنتظر تكرار آخر يمهد له ويهيىء السمع واللسان لاستقباله ..

وذلك بأن تكررت كلمة « الميزان » ثلاث مرّات فى ثلاث فواصل متتابعة دون أن يفصل بينها فاصل آخر . . ولاشك انّ هذا التمهيد بليغ للتكرار الذى سيبدأبعد هذه الفواصل مباشرة بقوله : « فبأىآلاء ربكما تكذبان » والذى سيتكرر إحدى وثلاثين مرّة . .

فتكون هى القرار الذى ينتهى إليه النغم ، والّذى يتردد بعد كلّ آية أو آيتين من السّورة . .

فكل آية من آياتها رحمةالهيّة ونعمة سابغة حتى تلكالآيات التى تحمل العذاب على الكافرين المكذّبين الضالّين ، كما أنّ كل كلمة من كلماتها معجزة خالدة . .

فان النظم القرآنى لايوزن بميزان نظم البشر لكلامهم . . فهذا كلام الله . . و كلامه صفة منصفاته والفرق بين كلام الله و كلام البشر كالفرق بينصفات الله وصفات عباده . . ولا تصح المقايسة بحال أبداً بين الخالق والمخلوق .

واستمع إلى قوله تعالى : « وجنى الجنّتين دان » .

و « دان » يرادفها « قريب » و « حاضر » و « عتيد » ونحوها مما يدل على القرب والمداناة .

ولكن ليست هناك كلمة تؤدى ماتؤديه كلمة « دان » هنا . . حيث تدلّ على أنّ هذه الفاكهة الطيبة فى متناول يد الطالبين لاتقصر أيديهم عن تناولها .

ثم انّها تدل من جهة اخرى على أنّ هذه الفاكهة تقبل بنفسها على من أنعم الله عليهم بها ، فتتحرك شوقاً إليهم ولطفاً من ألطاف الله بهم ، فكأنّها ـ و الحال كذلك ـ تسعى إليهم وتقع لأيديهم و افواههم ، فلا يتكلّفون لها جهداً أبداً.

ثم كلمة « جنى » يرادفها « ثمر » و « فاكهة » ولكن ليس لأىّ المرادفين ما لها فى مكانها هذا . . إنّها « أجنّة » هذه الجنّة ومواليد أشجارها ! !

فانظر كيف يتمثل لك هذه الثمر ـ أنعم الله علينا وعليك به ـ كيف يتمثّل فى تلك الصورة المتدفقة حياة وجمالاً .. حياة الطفولة وجمالها ، و كلمة « فاكهة »

أو « الثمر » لاتعطى هذا المعنى ولا تمثله لخيالك ..

فقد يكون الثمر والفاكهة ولا شجر! .. ولكن هنا نجد فى كلمة « جنى » ان الثمر قد حمله الشجر على أذرعه واحتواه فى صدره .. كما تحمل الامّهات أجنتها وتحتويها !! .. فهو ـ والحال كذلك ـ ثمر يجتنى عند الطلب ، فلا يناله فساد أوعطب ! هذا إلى مالمنظر الفاكهة فى أشجارها من متعة للقلب وروح للنفس!

هذا مايبدو من الآيات لأدنى النظر فيها ..

أما المعنى الذى وراء هذا النظم فهو ما لا نهاية له من عجائب وأسرار لا يحصيها العدّ ولا يحيط بها العقل ..

وانّما هى أسرار تتكشّف حالاً بعد حال على مسرح العقول وعلى إمتداد الأزمان والآباد ..

فان القرآن الكريم جامع معارف وبحار لآلىء ودرر لا تزال أبد الدهر تغرى الطالبين لها الغواصين فى بحاره ليملؤا أيديهم منها ويزينوا جيد الزمن بما ينظمون من جواهره ..

فاقصد قصدك إليها ووجّه قلبك وعقلك لها .. وسترى ما الله مدنيك منه ومطلعك عليه من آياته ..

﴿ التكرار ﴾

لا بدّ لنا فى المقام من البحث فى امور :

أحدها ـ : أن نشير إلى صيغ تسع عشرة لغة ـ أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ الصيغ التى جائت فى هذه السورة وفى غيرها من السّور القرآنيّة :

١ ـ جاءت كلمة (الأنام) فى القرآن الكريم مرة واحدة : الرحمن : ١٠)

٢ ـ « « (الأكمام) « مرّتين : الرحمن : ١١) وفصّلت : ٤٧)

٣ ـ « « (الصلصال) « أربع مرّات : ١ ـ الرحمن : ١٤) ٢ ـ ٤ الحجر : ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٣٣) .

٤ ـ « « (المرج) « ست مرّات : ١ـ٤ الرحمن : ١٥ ـ ١٩ ـ ٢٢ ـ ٥٨) ٥ ـ ق : ٥) ٦ ـ الفرقان : ٥٣) .

٥ ـ « « (الفنـاء) « مرّة واحدة : الرحمن : ٢٦)

٦ ـ « « (الشأن) « أربع مرات : ١ـ الرحمن : ٢٩) ٢ـ عبس: ٣٧) ٣ ـ يونس : ٦١) ٤ ـ النور : ٦٢) .

٧ ـ « « (النفوذ) « ثلاث مرات : ١ ـ ٣ ـ الرحمن : ٣٣)

٨ ـ « « (القطر) « تسع مرات : ١ ـ الرحمن : ٣٣) ٢ ـ سبأ : ١٢) ٣ـ الكهف : ٩٦)٤ـ الاحزاب:١٤) ٥ـ ابراهيم : ٥٠)٦ـ٨ آل عمران: ١٤ـ٧٥) ٩ ـ النساء : ٢٠)

٩ ـ « « (الشواظ) « مرة واحدة : الرحمن: ٣٥)

١٠ـ « « (الفنن) « مرّة واحدة: الرّحمن : ٤٨)

١١ - « « (الطرف) « نحو إحدى عشرة مرّة :

١٢ - « « (الطمث) « مرّتين : الرّحمن : ٥٦ - ٧٤)

١٣ - « « (الياقوت) « مرّة واحدة : الرّحمن : ٥٨)

١٤ - « « (الدهم) « مرّة واحدة : الرّحمن : ٦٤)

١٥ - « « (نضّاختان) « مرّة واحدة : الرّحمن : ٦٦)

١٦ - « « (الخيام) « مرّة واحدة : الرحمن : ٧٢)

١٧ - « « (الرفرف) « مرّة واحدة : الرحمن : ٧٦)

١٨ - « « (عبقرى) « مرّة واحدة : الرّحمن: ٧٦)

١٩ - « « (الجلال) « مرّتين : الرحمن : ٢٧ - ٧٨)

ثانيها - : تكرر كلمة « الميزان » ثلاث مرّات متعاقبة في ثلاث آيات لتطبيق التشريع على التكوين الذي جاء بميزان العدل ، وتكرر في ناحية التشريع تشديداً للتوصية به وتأكيداً للامر باستعماله ، والحثّ عليه في جميع الشئون البشريّة من الاسرة والمجتمع ، وتنبيهاً إلى أنّ الميزان لا بد منه في جانبي الامر والنهي كما تشعر عليه صيغ الاخبار والامر والنهي ، فتدبّر واغتنم جداً . .

وفي المقام كلمات لا تشبع أهمّها وجهان :

أحدهما - : تكرر دلالة على إستقلال الكلام في كل واحدة منها فان الاول هو ميزان الدنيا والثاني ميزان الاخرة والثالث ميزان العقل فكلّ مغاير لغيره .

ثالثهـا - تكرر تمهيداً بليغاً للتكرار الذي سيبدأ بعد هذه الفواصل مباشرة بقوله : « فبأى آلاء ربّكما تكذّبان » .

ثانيتها - تكرّر قوله تعالى : « فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان » إحدى وثلاثون مرّة :

ثمانية منها عقيب آيات تذكر فيها تعداد عجائب خلق الله تعالى وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم وتطبيق التشريع على التكوين بميزان العدل .

ثم سبعة منها عقيب آيات تذكر فيها النار وعذابها وشدائدها على عدد أبواب

جهنم : « لها سبعة أبواب » الحجر : ٤٤) .

ثم ثمانية بعد وصف الجنتين العاليتين وأهلها الخائفين مقام ربّهم على عدد أبواب الجنّة .

ثمّ ثمانية باقية بعد ذكر الجنتين النازلتين وأهلها المؤمنين هم أنزل درجة من السابقين الاولين فى الايمان وصالح العمل .

فعلى هذا تنقطع السّورة على أربعة مقاطع فمن توعّد وتنذّر من مقطع الثانى ، وآمن بما جاء فى مقطع الاول ، وعمل بما يقتضيه ، فهو من أصحاب احد المقطعين الأخيرين على درجة الايمان والعمل الصالح ، فان تسئل : حسن التكرار « فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان » بعد ذكر النعمة وما وجه ذكره بعد : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ـ وبعد « فاذا انشقّت السّماء فكانت وردة كالدّهان وبعد يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام » بعد « هذه جهنم التى يكذّب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن » ؟

تجيب : انّ فعل العقاب وإن لم يكن نعمة ، ولكن الانذار والوعيد به من أكبر النعم فان فى الانذار والوعيد زجراً عما يستحق به العذاب وبعث على ما يستحق به الثواب . وفى المقام وجوه اخر أوجهها وجهان :

أحدهما ـ : تكرر للتقرير والتثبيت بعد عدّ نعمة من نعمه تعالى ، وان التكرار فى موارد عديدة حسن كما تقول لمن أنعمت عليه عند كفرانه : « أما أحسنت إليك حين اطلقت لك مالاً » « أما أحسنت اليك حين ملكتك عقاراً »

« أما أحسنت إليك حين بنيت لك داراً »

« أما زوّجتك وكنت عزوباً »

« أما انقذتك حين غرقت »

فالتكرار للتقرير بالنعم المختلفة المعدودة ، فكلّما ذكرت نعمة وبّخ على المكذّب بها ، ولوكان الجميع عائداً على شىء واحد لما زاد على الثلاثة ، لان التأكيد لا يزيد عليها .

ثانيهما ـ لمّا سبق تكرار الوعيد فى السّورة السّابقة « القمر » فى قوله

تعالى : « فكيف كان عذابى ونذر » أربع مرّات ذكر الله تعالى هذه الآية للعظة والنصيحة .

رابعها - إفتتحت ثلاث سور بحروف إذاجمعت صرن « الرّحمن » وهى : « الرا » و « حم » و « ن » .

ففى هذا التفصيل إشارة إلى أنّ أىّ نعمة من نعم الله تعالى وإن بدت فى العين صغيرة لايكاد يلتفت إليها الناس ولا يقدرونها قدرها هى فى حقيقتها نعمة جليلة تضمّ فى كيانها نعماً جليلة أيضاً . .

وهذا هو بعض السّرّ فى هذا التعقيب عقب كلّ نعمة بقوله تعالى : « فبأىّ آلاء ربكماتكذّبان » .

خامسها - التّناسب بين بدء السّورة وختمها :

وذلك انها إفتتحت بهذا الاسم « الرحمن » ثم أشارت إلى تعليم القرآن ، وخلق الانسان ، وتعليم البيان ، وخلق الجان والسموات والارض ، والى صنعه وتدبيره تعالى فى الكون ، وانّه « كل يوم هو فى شأن » .

ثم أشارت إلى القيامة وأهوالها وإلى النار وأهلها ، وإلى الجنة وأصحابها فختمت بقوله تعالى : « اسم ربّك ذى الجلال والاكرام » ، أى هذا الاسم هو الذى إفتتح به السورة .

فكأنه تعالى يعلّم الانس والجن أنّ هذا كله خرج لكم من رحمتى الواسعة العامّة ، فمن رحمتى خلقتكم وعلّمتكم البيان ، وأنزلت عليكم القرآن وخلقت لكم السماء والارض ، ومن رحمتى ذكرت فى القرآن الجنة والنار وعداً ووعيدا يحسر الحسير ويقف الكسير . . فهذا كله لكم من اسم الرحمن ، فمدح اسمه اذ قال : « ذى الجلال والاكرام » جليل فى ذاته كريم فى أفعاله .

﴿ التناسب ﴾

انّ البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السّورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها ـ : التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السّورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السّورة نزلت بعد سورة الرّعد ، فلما جاء سورة الرّعد لالفات أنظار السّامعين إلى نواميس كون الله العجيب وعظمته في سمائه وأرضه وشمسه وقمره وليله ونهاره وجباله وسهله وبرّه وبحره ، وماعلى وجه الارض من جنّات وأنواع أشجارها . .

فتسترعى الأسماع والاذهان ، وأن ينفذ إلى العقول والقلوب ، فلكل إنسان أن يؤهل عقله وإدراكه لتدبر نواميس الله في كونه وتفهمها في كل وقت ومكان بكل وسيلة وطريقة .

وجائت في سورة الرّعد ، فصول من المشاهد الجدليّة الّتي كانت تقوم بين النّبي الكريم ﷺ والكافرين فيها صور من أقوالهم ومكابرتهم ، وتكذيبهم برسالة النبي ﷺ وإنذار وتسفيه ، وتمثيل ومقايسة بين الصالحين والمفسدين ، وعدم استوائهم وتذكير بمواقف الأمم السابقة وبيان مصائر المؤمنين والكفار في الاخرة . .

تشير سورة الرّحمن إلى النعمة العامّة الالهيّة من إبداع الخلق ، وتدبير الكون وإفاضة مايتكامل به الانسان من القرآن والعلم والبيان ، وتحثّ الانس والجن على التقاعد والايمان وصالح العمل ، وشكر الآلاء وحمد النعم لله تعالى ،

وفى خلالها تنديد بالمكذبين ، وإنذارلهم وتنويه بالخائفين وبشرى للمؤمنين وموقف الفريقين فى الاخرة .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة لسورة القمر فبوجوه :

أحدها - لما ختم الله تعالى سورة القمر باسمه « مليك مقتدر » بدء هذه السورة باسمه أيضاً « الرحمن » .

ثانيها - لمّا جاء فى سورة القمر إجمال من أحوال المجرمين والمتقين إذ قال : « انّ المجرمين فى ضلال وسعر - انّ المتّقين فى جنات ونهر » .

جاء تفصيلها فى هذه السّورة . .

٣ - لمّا عدّد الله تعالى فى سورة القمر مانزل بالأمم السالفة من ضروب النقم ، وبيّن عقب كلّ ضرب منها : انّ القرآن قد يسّر لتذكر الناس وإيقاظهم ثم نعى عليهم اعراضهم .

عدّد فى سورة الرحمن ما أفاض على عباده من ضروب النعم الدينية والدنيوية فى الانفس والآفاق وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بموجب شكرها .

٤ - انّ قوله تعالى : « الرّحمن علّم القرآن » كأنّه جواب سائل يقول : ماذا صنع المليك المقتدر ، ومن آثار الملك والاقتدار الرحمة لا الجبروت ، وما أفاد برحمته على أهل الأرض ، وخاصّة الانسان والجان المكلّفين .

فأجاب عنه بقوله : « الرحمن علّم القرآن - الخ » وبهذه الرحمة التى وسعت كل شىء ، أرسل الرسل يدعون عباده إليه ، وأنزل عليهم كتباً ، وخاصّة القرآن الجامع لجميع الكتب السماوية ، وفيه كمال الانس والجن وسعادتهم الدنيويّة والاخرويّة .

٥ - ان النظم الذى جاءت عليه سورة الرّحمن يشابه الذى جائت عليه سورة القمر من حيث التكرار .

إذ كرر فى سورة القمر قوله تعالى : « فكيف كان عذابى ونذر » أربع مرات وكذلك قوله : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » أربع مرّات .

وأما الثالثة : فان ّ الله تعالى : لما بدء السورة باسمه الذي ينبيء عن رحمته أخذ بعد آثارها ، فقدّم أول شيء هو أسبق قدماً ، وأعلى درجة ، وأجلّ شرفاً من أقسام آلائه ، واصناف نعمائه ، وهو نعمة الدين التي تنمو بها الارواح البشرية ، فتكمل ، وقدّم من نعمة الدين ما هو أعلى مراتبها ، وأقصى مراقيها ، وهو القرآن الكريم لانّه أعظم وحي الله تعالى رتبة ، وأعلاه منزلة ، واكملها بياناً مما يحتاج إليه الانسان إلى يوم الدين ، وهوسنام الكتب السّماوية ومصداقها والعيارعليها .

ثم ذكر ما هو ملتقى لمجتمع كلمات الله تعالى ، وهو الانسان تنبيهاً إلى انه خلق للكمال ولا يكمل إلاّ بالدين الاسلامي ، وخلق ليحيط علماً بوحي الله تعالى و كتبه .

ثم ذكرما به تمايز الانسان من غيره من الحيوان والنبات والجماد وهوالبيان وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير .

ثم أشار إلى أن هذا الوجود كلّه على أساس ميزان العدل « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » .

فلا بد من تطبيق التشريع على التكوين في السير على ميزان العدل ، لئلا يقع في المجتمع البشري من فطور .

ثم أخذ بذكر ما تيسّر للانسان أن يعيش على وجه الارض من الفواكه ، والحبوبات والرياحين ، وما فيها ، وما يجري عليها ، ثمّ أشار إلى أن الانسان لم يخلق للبقاء على وجهها ، فلا بدله من وجهها إلى بطنها إلى أن يلقى كل عامل جزاء ما عمل به في الدنيا .

ثم أخذ بذكر ثلاثة مقاطع :

أحدها: في البعث وشدائده ، وأحوال المكذبين الذين غلبت عليهم شقوتهم متعاقبة بتذكير الآلاء ليتذكر السّامعون فيحذرون مما سيؤدّي إلى سوء الحساب وشديد العقاب .

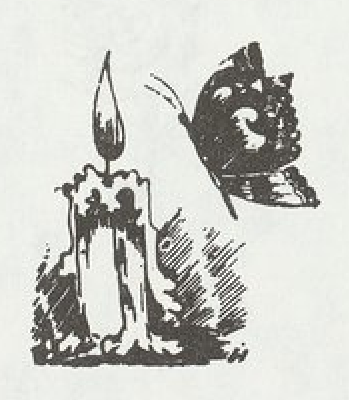
ثانيها : في الجنتين العاليتين للخائفين مقام ربهم وأحوالهم فيهما لعلو رتبتهم

في الايمان والعمل ..

ثالثها - : فى الجنتين النازلتين للذين هم أدنى من السابقين فى الايمان والعمل : وأحوالهم فيهما ..

وختمت السورة بما يلتقى بما بدئت به من الذى يزاوج بين رحمة الرحمن وكرم الكريم ، فانّها بدئت بالاسم الجليل « الرحمن » وختمت بالتبريك لهذا الاسم العظيم الذى يتجلى على عباده بجلاله وعظمته وكرمه .

فمن حق كلّ نعمة من نعمه تعالى وآلائه التى هى من آثار رحمته وكرمه أن يحمدله الثقلان فى الغدو والاصال ، وإن كان حمدهما وشكرهما لايقوم بحق نعمة منها .. فضلا عن جميعها .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أنّ في السّورة ناسخاً أومنسوخاً أومتشابهاً فظاهر آياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق فى الأقوال ﴾

٢ - (علم القرآن)

فى معنى التعليم والقرآن والمراد بالمتعلّم أقوال :

١ - قيل : أى استعدّ الانسان لتعليم القرآن الكريم ، ومكّنه الله تعالى من تعلّمه .

٢ - عن الكلبى : أى علّم الله تعالى محمداً ﷺ القرآن ومحمد ﷺ علّم امّته.

٣ - عن الزجاج : أى يسّر الله القرآن فهمه وسهّله ومافيه من هدى ورشاد لأن يذكر ويقرأ لقوله تعالى : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » .

٤ - أى علّم الله تعالى الانس والجن القراءة ، فالمراد بالقرآن هى القراءة وبهذه القراءة الواعية يكون لقراءة القرآن ثمراتها التى يحصل بها الخير كلّه الذى ملاكه معرفة الله والايمان به والولاء له .

٥ - قيل : أى جعل الله تعالى القرآن علامة لما تعبد الناس به .

٦ - قيل : أى علّم الله جبرائيل القرآن حتى نزل به على محمد ﷺ .

٧ - قيل : أى علّم المؤمنين .

أقول : لو لايؤيّد الثانى بالرواية الآتية لكان الرابع هو الانسب بتخاطب السّورة فى تضاعيف آياتها للجن والانس وبشمول التعليم للثقلين .

٣ - (خلق الانسان)

فى الانسان أقوال : ١ - عن إبن عباس وقتادة والحسن : اريد بالانسان آدم عليه السلام فأخرجه من العدم إلى الوجود .

٢ ـ قيل : اريد بالانسان نوعه ، فيشمل للذكر والانثى كما في قوله تعالى : « والعصر إنّ الانسان لفي خسر » .

٣ ـ قيل الانسان هو محمد رسول الله ﷺ عن إبن عباس أيضاً وإبن كيسان .

أقول : وعلى الثاني اكثر المفسّرين المتأخرين ولكن السّياق يؤيد الاوّل .

٤ ـ (علمه البيان)

في البيان أقوال : ١ ـ عن إبن عباس وإبن كيسان : اريد بالبيان بيان الحلال والحرام ، وفي كتابه بيان مايحتاج إليه الانسان في دنياه وآخرته ليحتجّ بذلك على خلقه .

٢ ـ عن الضحّاك : اريد بالبيان بيان الخير والشرّ ، وما يأتي ويدع ، وبيان سبيل الهدى والرشاد وطريق الضلالة والغواية .

٣ ـ قيل : البيان هو الاسماء التي علّمها الله تعالى آدم عليه السلام وهي أسماء كل شيء .

٤ ـ قيل : اريد بالبيان القرآن إذ علّمه الله تعالى المؤمنين .

٥ ـ عن الحسن والسدى وأبي العالية وإبن زيد ويمان : البيان : الكتابة والخطّ بالقلم والنطق والفهم والأفهام حتى يعرف ما يقول ومايقال له لقوله تعالى: « علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم »

٦ ـ قيل أي علّم الانسان اللغات كلّها فعلّمه التعبير عمّا يختلج بخاطره ويدور بخلده .

٧ ـ عن إبن كيسان أيضاً : البيان ما كان ومايكون لانّه يبيّن عن الأوّلين والاخرين ويوم الدين .

٨ ـ عن الربيع بن أنس وقتادة : أيضاً البيان هو ما ينفعه وما يضرّه .

٩ ـ عن السدى أيضاً : البيان هو علم كلّ قوم لسانهم الذي يتكلّمون به .

١٠ ـ عن الجبائي وإبن زيد : البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده وبه يتميز من سائر الحيوانات .

وذلك لأن الانسان لما كان مدنياً بطبعه لا يعيش إلاّ مجتمعاً بسواه كان لابدّ له من لغة يتفاهم بها من سواه من أبناء جنسه ، ويكتب إليه في الأقطار النائية والبلاد النازحة ، ويحفظ علوم السّلف لينتفع بها الخلف ، ويزيد فيها اللاحق على ما فعل السابق .

أقول : والاوّل هو المروىّ من غير تناف بينه وبعض الأقوال الاخر فتدبّر .

٥ - (الشمس والقمر بحسبان)

في معنى « بحسبان » أقوال :

١ - عن إبن عباس وقتادة وأبي مالك : أى لهما منازل وبروج يجريان عليها ، ولا يعدوانها ولهما أجل مسمى .

٢ - عن الضحاك : أى انهما يجريان بقدر وحساب معلوم وتقدير سوىّ .

٣ - عن مجاهد : أى انّهما يدوران على مدارهما كالرّحى على قطبها ، فيدوران في مثل القطب .

٤ - عن إبن زيد وإبن كيسان : يعنى انّ بهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار ، ولولا الليل والنّهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئاً ، لو كان الدّهر كلّه ليلاً أو نهاراً .

٥ - عن السّدى : « بحسبان » : تقدير آجالهما أى تجرى بآجال كآجال النّاس فاذا جاء أجلهما هلكا .

أقول : والاوّل هو المؤيد بالايات والرواية مع تقاربه ببعض الاقوال الاخر .

٦ - (والنجم والشجر يسجدان)

في النجم والشجر أقوال :

١ - عن إبن عباس وسعيد بن جبير وسفيان الثورى والسدى : النجم : نبات الارض الذى لا ساق له ، والشجر : النبات الذى له ساق .

٢ - عن مجاهد والحسن وقتادة : النجم : نجوم السّماء ، ثم قال مجاهد : سجودها دوران ظلها ، وقال غيره : سجودها : أفولها ، وسجود الشجر إمكان الاجتناء لثمارها .

٣ ـ قيل : النجم : الزرع والحبوب مما يأكله الانسان .

أقول : وعلى الاوّل أكثر المفسّرين .

وفى سجودهما أقوال :

١ ـ عن الضحاك وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد : أى ظلالهما لقوله تعالى : « يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشّمائل سجّداًلله » النحل : ٤٨) .

والمعنى فيه انّ لكل جسم له ظلّ فهو يقتضى الخضوع بما فيه من دليل الحدوث ، واثبات المحدث المدبّر قال تعالى : « ولله يسجد من فى السّموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال » الرعد : ١٥) .

٢ ـ قيل : سجدة النجم : طلوعه ودورانه على مداره ، لوكان المراد بالنجم نجم السّماء ، وأمّا لوكان المراد به النبات الذى لاساق له على قوله فسجدته نبته من الارض للامر الالهى بالنشؤ والنموّ على حسب ما قدّر لهما .

٣ ـ قيل : إنّ حقيقة السجود توجد منهما ، وإن لم تكن مرئيّة ، ولم يفهمه الانسان كقوله تعالى : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » الاسراء : ٤٤) .

٤ ـ عن الفرّاء : سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت ثمّ يميلان معها حتّى ينكسر الفيء .

٥ ـ قيل : السّجود وضع الجبهة على الارض والنجم والشجر رؤسهما على الارض فى الحقيقة وأرجلهما فى الهواء .

لانّ الرأس من الحيوان مابه شربه واغتذائه والنجم والشجر اغتذائهما وشربهما باجذابهما ، ولأنّ الرأس لاتبقى بدونه الحياة والنجم والشجر لايبقى شيء منهما ثابتاً غضّاً عند وقوع الخلل فى اصولهما ويبقى عند قطع فروعهما وأعاليهما .

وانّما يقال للفروع : رؤس الأشجار لأنّ الرأس فى الانسان هو مايلى جهة فوق ، فقيل لاعالى الشجر : رؤس ، فاذا علمت هذا ، فالنجم والشجر رؤسهما على الارض دائماً ، فهوسجودهما بالشبه لابالحقيقة ، وانماالحيوان بين الانسان والشجر سواء يمشى بالاربع أم على بطنه فرؤسه بين فوق وتحت .

٦ ـ عن مجاهد وقتادة : أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعاً إنقياد

الساجدين من المكلفين طوعاً .

٧ ـ عن الزّجاج : سجودهما دوران الظل معهما .

أقول : وعلى الاول والسّادس اكثر المفسرين .

٧ ـ (والسماء رفعها ووضع الميزان)

فى رفع السّماء أقوال : ١ ـ قيل : أى خلقها الله تعالى مرفوعة لاانّه تعالى رفعها بعد خلقها ، فالمراد بالسّماء حينئذ هو جهة العلو .

٢ ـ قيل : أى رفع محالّها بحيث تكون مرفوعة بالنسبة إلى الارض بالفتق بعد الرتق كما قال سبحانه : « انّ السّماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » الانبياء : ٣٠) فالمراد من السماء مافى جهة العلو من الأجرام والرفع على القولين رفع حسّى .

٣ ـ قيل : اريد بالرفع ما يشمل منازل الملائكة الكرام ومصادر الامر الالهى والوحى ، فالرفع معنوى .

٤ ـ قيل : اريد بالرفع ما يشمل الحسّى والمعنوىّ .

أقول : والأخير هو الانسب بسياقى التكوين والتشريع فتدبّر .

وفى الميزان أقوال :

١ ـ قيل : الميزان آلة التعديل فى النقصان والرجحان وبه يوزن الاشياء ، وعن مجاهد وقتادة والسدى والزجاج : أى وضع الله العدل فى الارض الذى أمر به فالمراد بالميزان هنا العدل ، فوضعه بين خلقه فى الارض إذ قال : « ألا تطغوا فى الميزان » أى فى العدل ، فلا تظلموا ولا تبخسوا فى الكيل والوزن وفى جميع الشئون ، فاعدلوا بين الناس كما تحبّون أن يعدلوا عليكم ، فلا بدّ من إعطاء كل ذى حق حقّه .

٢ ـ قيل : أى انّ الله تعالى جعل لكلّ شيء حدّاً لا يتجاوز عنه .

٣ ـ قيل : اريد بالميزان فى المقام ما يتميّز به الحق من الباطل وهو المعيار لأداء كل حق بصاحبه من غير زيادة ونقصان ولا إفراط وتفريط سواء كان من الظواهر والاعيان كأوزان الاشياء أو من الخفايا ، والحقوق كالحكم بين صاحبيها . .

٤ - قيل : أى وضع الله تعالى الشريعة ، ووضع فلان كذا أى ألقاه .

٥ - عن الحسين بن الفضل : الميزان : القرآن لانّ فيه بيان ما يحتاج إليه الانسان .

٦ - عن الحسن وقتادة والضحاك : الميزان : ذو اللسان الذى يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض .

٧ - قيل . الميزان الحكم .

٨ - قيل : أراد وضع الميزان فى الاخرة لوزن الاعمال .

أقول : والخامس هو الانسب بسياق التشريع من غير تناف بينه وبين أكثر الاقوال ويمكن تأييده بالرواية الاتية .

٨ - (ألا تطغوا فى الميزان)

فى الميزان أقوال :

١ - عن إبن عباس : الميزان هو ميزان الاثقال ، فالمعنى : لا تخونوا من وزنتم له .

٢ - قيل : الميزان : القرآن الذى أنزله الله تعالى على محمد ﷺ .

٣ - قيل : أمركم ألا تطغوا فيه ، وفعل ذلك لئلا تعتدوا وتتجاوزوا ماينبغى من العدل والنّصفة وجرى الامور وفق ما وضع لكم من سنن الميزان فى كلّ امره ، فترقى شؤنكم ، وتنتظم أعمالكم وأخلاقكم .

٤ - الميزان : العقل الذى يضبط به مسير الانسان فى الحياة .

أقول : والثانى هو الانسب بما قلنا فى الاية السابقة .

١٠ - (والارض وضعها للانام)

فى الأنام أقوال :

١ - عن إبن عباس ومجاهد وقتادة وإبن زيد والضحاك : الأنام : كل ما دبّ على الارض وفيه الروح من الخلائق .

٢ - عن الحسن : الأنام : الجنّ والانس .

٣ ـ قيل : الأنام : الناس فقط وخصّ بالذكر لشرفه ولأنّ الباقي خلق لأجله .

أقول : والا خير هو المؤيّد بما ورد من الرّواية الآتية .

١١ ـ (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام)

في الاكمام أقوال :

١ ـ عن الحسن : أى ذات الليف ، فان النخلة قد تكمّم بالليف و كمامها ليفها الذى في أعناقها .

٢ ـ عن ابن زيد : أى ذات الطلع قبل أن يتفتق .

٣ ـ عن عكرمة : أى ذات الأحمال .

أقول : والمعاني متقاربة .

١٢ ـ (والحب ذو العصف والريحان)

في الحبّ ذو العصف أقوال :

١ ـ عن الحسن وإبن عبّاس والضحاك : الحبّ حبّ الحنطة ، والشعير ذوالورق والعصف هو التبن لأنّ الريح تعصفه أى تطيره .

٢ ـ عن سعيدبن جبير والفرّاء والسدى : الحبّ ذوالعصف : هو البقل من الزرع أى أوّل ماينبت منه تقول العرب: نعصف الزرع إذا قطعوا منه قبل أن يدرك .

٣ ـ عن مجاهد والجبائي : الحب ورق الشجر والزرع .

٤ ـ عن ابن عباس : الحب ذوالعصف : تبن الزرع وورقه الذى تصفه الرّياح ، وقال : العصف ورق الزرع الاخضر إذا قطع رؤسه ويبس كقوله تعالى : « فجعلهم كعصف مأكول »

٥ ـ عن الكلبي : العصف : الورق الذى لايؤكل .

اقول : والاوّل هو المرويّ .

وفي الريحان أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد والضحاك : الريحان : الرزق والطعام وفي الحديث : « الولد من ريحان الله » .

٢ ـ عن إبن عباس والضحاك أيضاً وقتادة وإبن زيد والحسن : الريحان هو الذى يشم.

٣ ـ قيل : الريحان ما ينبت من الارض ويأكله الانسان .

٤ ـ عن إبن عباس أيضاً : الريحان خضرة الزرع .

٥ ـ عن سعيد بن جبير : الريحان ما قام على ساق .

٦ ـ عن الفرّاء : الريحان ما لا يؤكل .

٧ ـ عن الكلبى والضحاك : الريحان هو الحبّ المأكول .

٨ ـ قيل : الريحان كل بقلة طيبة الريح سمّيت ريحاناً لأنّ الانسان يراح لها رائحة طيّبة أى يشمّ .

٩ ـ عن الفرّاء أيضاً : العصف ساق الزرع والريحان ورقه .

١٠ ـ قيل : الحبّ ذوالرزق والرزق من حيث كان العصف رزقاً لأنّ العصف رزق للبهائم ، والريحان رزق للناس .

أقول : والثالث هو المروىّ .

١٣ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فى تثنية الضمير والفعل أقوال :

١ ـ قيل : خطاب للذّكر والانثى من الانس ، ولم يجر سبيل التغليب للأهميّة .

٢ ـ قيل : خطاب واحد بخطاب الاثنين للتأكيد .

٣ ـ عن إبن عباس وابن عمر وإبن زيد وقتادة والحسن خطاب للانس والجنّ بناء على كون الأنام إسماً للانس والجنّ ، فيعود ضمير التثنية إلى ما فى الأنام من الجنس أو بناء على إرادة الانس والجان من الأنام منويّين لما سيذكر فى قوله تعالى: « وخلق الجان » « وخلق الانسان » فيعود الضمير إلى المنوىّ أو بناء على كون المخاطب فى النيّة ، لا فى اللفظ فكأنّه قال : « فبأىّ آلاء ربكما تكذبان » أيّها الثقلان من الانس والجن .

٤ ـ قيل: خطاب للروح والجسم ، وهما اللذان يتشكل بهما الانسان أحدهما نعمة ظاهرة ، والاخرى نعمة روحيّة معنويّة .

٥ ـ قيل : اريد بالتثنية العموم لدخول العام فى التثنية كما إذا قلت انّ الله تعالى خلق من يعقل ومن لا يعقل ، فيراد به العموم مما سوى الله تعالى ، فكأنه قال : ليس لأحد ولا لشيء أن ينكر نعم الله تعالى .

٦ ـ قيل : اريد بالتثنية القلب واللسان لانّ التكذيب إمّا باللسان وإمّا بالقلب أو بكليهما ، فكأنه تعالى قال : مخاطباً لهما يا أيّها القلب واللسان فبأىّ آلآء ربّكما تكذّبان .

٧ ـ قيل : انّ المكذّبين على طائفتين : طائفة كذّبوا بآيات الله تعالى ونعمه وطائفة سيكذّبون ، فالخطاب لهما .

٨ ـ قيل : اريد بالتثنية طائفتى المكذّبين :

أحدهما ـ مكذّبوا الادلّة النقلية من آيات قرآنيّة وروايات واردة عن أهل بيت النبوّة كلها ينادى على التوحيد وما حوله من الاصول والفروع .

ثانيهما ـ مكذّبوا الادلّة العقليّة من الايات الافاقيّة والانفسيّة التى كلّها ينادى على الخالق المدبّر الحكيم العليم الخبير ، فكأنّه تعالى قال : يا أيّها المكذّبان : مكذّب العقل ومكذّب النقل .

أقول : والثالث هو المؤيّد بظاهر السياق من قوله تعالى : « سنفرغ لكم أيّه الثقلان ـ يا معشر الجن والانس » وبالرواية الآتية وهما المكلّفان من بين الخلائق بما لهما من عقل وإدراك وهما اللذان يحاسبان ويثابان أو يعاقبان .

١٤ ـ (خلق الانسان من صلصال كالفخار)

فى الانسان قولان :

أحدهما ـ آدم عليه السلام وهو الذى خلق من طين يابس لم يطبخ .

ثانيهما ـ قيل : اريد بالانسان نوعه .

أقول : وعلى الاول أكثر المحققين وهو الانسب بظاهر السّياق .

١٥ ـ (وخلق الجان من مارج من نار)

فى الجانّ أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : اريد بالجانّ نوعه ، فخلقهم من النار باعتبار انتهاء خلقهم إلى النار كانتهاء خلق الانسان إلى التراب .

٢ ـ عن الحسن : اريد بالجان أبو الجن كما اريد بالانسان أبو البشر .

٣ ـ قيل : اريد بالجان إبليس .

أقول : وعلى الثانى أكثر المحققين وهو المؤيّد بظاهر السياق وبالروايتين الآتيتين .

وفى قوله تعالى : « من مارج من نار » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن وإبن زيد : المارج هو الذى إختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً : المارج : خالص النار كالسلالة خلاصة من الطين .

٣ ـ قيل : من مارج من نار ، أى من أوسطها وأحسنها .

أقول : والمعانى متقارب .

١٧ ـ (رب المشرقين ورب المغربين)

فى المشرقين والمغربين أقوال :

١ ـ عن مجاهد وقتادة : أى مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما .

قيل : فى إختصاص المشرقين والمغربين بالذكر مع أن للشمس والقمر فى كل يوم مشرقاً ومغرباً اشعار إلى غاية إنحطاط الشمس فى الشتاء وغاية إرتفاعها فى الصيف ، والاشارة إلى الطرفين تتناول ما بينهما والاول مطلع أول السرطان والثانى مطلع أول الجدى هذا فى بلادنا الشماليّة والحال فى الجنوبيّة بالعكس وبذلك تحصل الفصول الاربعة .

٢ ـ قيل : مشرق الشمس ومشرق القمر ، ومغرب الشمس ومغرب القمر ،

فالبيان حينئذ فى حكم إعادة ما سبق مع زيادة لانّه تعالى لما قال : « الشمس والقمر بحسبان » دلّ على أن لهما مشرقين ومغربين كما انّ ذكر خلق الانسان ذكر انه مخلوق من شيء وهو الصلصال .

٣ ـ عن إبن أبزى : أى مشارق الصيف ومغارب الصيف مشرقان تجرى فيهما الشمس خمس وستون وثلاثمأة فى خمس وستين وثلاثمأة برج إذ لكل برج مطلع لا تطلع يومين من مكان واحد ، فكذلك فى ناحية المغرب .

٤ ـ قيل : فى التثنية إشارة إلى النوعين الحاضرين ، فالتثنية فى معنى الجمع فيشمل للجميع .

٥ ـ عن إبن زيد : أى أقصر مشرق السنة وأطول مشرق السنة وأقصر مغرب السنة وأطول مغرب السنة .

٦ ـ قيل : إنّ التثنية باعتبار تثنية الخطاب للجن والانس ولرعاية الفواصل.

٧ ـ قيل : فى الاية إشارة إلى وجود قارّة أخرى تكون على السطح الاخر للارض يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنّا .

أقول: والاول هو المؤيد بالرواية .

١٩ و ٢٠ (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)

فى البحرين أقوال : ١ ـ عن إبن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحّاك وإبن أبزى : اريد بالبحرين : بحر فى الارض وبحر فى السّماء يلتقيان كل عام بينهما برزخ وهو الجوّ ، فلا يبغى أحدهما على الاخر ، فان الجوّ يمنع بحر السّماء من النزول وبحر الارض من الصعود إلاّ باذن الله تعالى .

وذلك لانّ فى السّماء بحراً يمسكه الله تعالى بقدرته ، فينزل منه المطر ، ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، ومن المعلوم انهما يخرجان من بحر الارض عن قطر ماء السماء ، وان ذلك بحر الارض وبحر السّماء .

٢ ـ قيل : بحر المشرق وبحر المغرب يلتقى طرفاهما .

٣ ـ عن الحسن وقتادة : اريد بأحدهما بحر فارس وبحر الرّوم وبينهما

برزخ وهو الحجاز ، وقيل : الجزائر .

٤ ـ قيل : أى بحر اللؤلؤ وبحر المرجان .

٥ ـ عن إبن جريج : البحر المالح والأنهار العذبة .

٦ ـ قيل : بحر مالح وبحر عذب ، وبينهما برزخ ، وهو القدرة الالهيّة .

٧ ـ عن سهل بن عبدالله : بحر الخير وبحر الشرّ والبرزخ الذى بينهما التوفيق والعصمة .

٨ ـ قيل : البحر الابيض المتوسط والبحر الأحمر .

٩ ـ قيل : البحر الاحمر وبحر الهند .

١٠ ـ قيل : شط العرب وخليج البصرة .

١١ ـ قيل : البحر المالح الذى يغمر نحو ثلاثة أرباع من الكرة الارضيّة من البحار المحيطة ، وغير المحيطة والبحر العذب المدّخر فى مخازن الارض التى تنفجر الارض عنها ، فتجرى العيون والانهار الكبيرة والصغيرة ، فتصبّ فى البحر المالح ، ولايزال يلتقيان وبينهما حاجز .

وهو نفس المخازن الأرضيّة والمجارى يحجز البحر المالح أن يبغى على البحر العذب ، فيغشيه ويبدّله بحراً مالحاً ، فتبطل بذلك الحياة ويحجز البحر العذب أن يزيد فى الانصباب على البحر المالح ، فيبدّله ماء عذباً ، فتبطل بذلك مصلحة ملوحته من تطهير الهواء وعيش ما فيها من السّماك وغيرها .

أقول : والاوّل هوالمروىّ ولعله من باب التوسيع وأكثر المفسرين على السادس وفى قوله تعالى : « لايبغيان » أقوال : ١ ـ عن إبن زيد : أى لايختلطان.

٢ ـ قيل : أى لا يبغيان على اليبس .

٣ ـ قيل : أى لايظلمان ولايتجاوزان .

٤ ـ قيل : أى لا يطلبان شيئاً .

٥ ـ عن مجاهد : أى لا يغلب أحدهما على الاخر كما لا تنجذب الشّمس القمر أو الارض وغيرها من الكرات والافلاك ولا أحد منها غيره .

٦ ـ عن قتادة : أى لا يبغيان على النّاس ، فيغرقانهم كما طغيا فأهلكا من على الارض فى أيام نوح عليه‌السلام فجعل بينهما وبين الناس يبساً .

٧ ـ قيل : البرزخ مابين الدنيا والاخرة أى بينهما مدة قدرها الله تعالى وهى مدّة الدنيا ، فهما لايبغيان ، فاذا أذن الله تعالى فى انقضاء الدنيا صار البحران شيئاً واحداً وهو كقوله تعالى : « وإذا البحار سجّرت »

أقول: والخامس هو الانسب بظاهر السّياق ، ولا تغفل عن تقارب أكثر الاقوال معنى .

٢٢ ـ (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

فى اللؤلؤ والمرجان أقوال :

١ ـ عن إبن عباس والحسن وقتادة والضّحاك : انّ اللؤلؤ ما عظم من الدر وكباره ، والمرجان ما صغر منه .

٢ ـ عن إبن عباس والضحاك وقتادة أيضاً ومجاهد ومقاتل : اللؤلؤ صغار من الدر ، والمرجان كباره .

٣ ـ عن مرّة : اللؤلؤ الدنى من اللؤلؤ ، والمرجان الجيّد منه .

٤ ـ عن إبن مسعود وأبى مالك وعطاء الخراسانى: المرجان : الخرز الاحمر وهو كالقضبان يخرج من البحر ، وقال إبن مسعود المرجان : حجر .

أقول: ان اللؤلؤ يختلف باختلاف قطرات المطر، فان الصدف إذا فتح فاه فى البحر ، فوقع فى فيه من ماء المطر تخلق اللؤلؤ الصغيرة من القطرة الصغيرة ، واللؤلؤ الكبيرة من القطرة الكبيرة وهذا هو المروىّ .

٢٤ ـ (وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام)

فى المنشآت أقوال :

١ ـ عن مجاهد : هى السفن التى رفع قلعها وبه تقبل وتدبر ، وقال : ما رفع له القلاع ، فهو منشأ وما لم ترفع قلاعه ، فليس بمشاء ، والقلاع جمع قلع وهو شراع السفينة ، وقيل : يقال لها : المبتدءآت للسير مرفعة القلاع .

٢ ـ قيل : أى المصنوعات بأيدى الناس .

٣ ـ عن قتادة : أى المخلوقات للجرى مأخوذة من الانشاء وهو إحداث الشيء وتربيته .

قيل : عدّ الجوارى مملوكة لله تعالى ومخلوقة له جل وعلا مع كونها من صنع الانسان لان الاسباب العاملة فى إنشائها من خشب وحديد وسائر أجزائها التى تتركب منها والانسان التى يركبها وشعوره وفكره وإرادته كل ذلك مخلوق له ومملوك ، فما ينتجه عملها من ملكه .

فهو تعالى المنعم بها للانسان ألهمه طريق صنعها والمنافع المترتبة عليها وسبيل الانتفاع بمنافعها كلّها .

٤ ـ قيل : المنشآت : المرفوعات ، وهى التى رفع خشبها بعضها على بعض وركب حتى إرتفعت وطالت .

٥ ـ عن الأخفش : المنشآت : المجريات .

٦ ـ قيل : أى رافعات القلع .

٧ ـ قيل أى منشآت الأمواج يجريهنّ .

٨ ـ قيل : أى الظاهرات فى السير يقبلن ويدبرن .

أقول : والاوّل هو المؤيّد بالرّواية الآتية .

٣٦ - (كل من عليها فان)

فى الضمير أقوال :

١ ـ قيل : راجع إلى الارض أى كلّ من على وجه الارض من الانسان والجن والحيوان والنبات والجماد ستفنى وتخرج من الوجود إلى العدم ، وكنّى عن الارض وإن لم يجر ذكرها آنفا لكونها معلومة من آية سابقة « والارض وضعها للانام » : ١٠) .

وجاء بلفظ « من » يدل على أولى العقل لخطاب السورة لذويه من الانس والجن .

٢ ـ قيل : راجع إلى الجوار إذ لاشك فى أنّ كل من فى السفن إلى الفناء

أقرب ، فكيف يمكنه انكار كونه فى ملك الله تعالى ، وهو لا يملك لنفسه فى تلك الحالة نفعاً ولا ضرّاً .

٣ ـ قيل : راجع إلى السّماء والارض والجوار فانّ كل من فى السموات والارض ومن فى البرّ والبحر من الملائكة والجن والانس والحيوان وغيرها سيفنى ويهلك ، وما هو يبقى ، فهو ذات الله تعالى .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين ولكن الاخير غير بعيد للسّياق .

وفى « فان » أقوال :

١ ـ قيل : أى فان عن صورة ماديّة بالتمام .

٢ ـ قيل : أى فان عن صورة إنسانيّة وكل شىء يفنى عما هو فيه فى الدّنيا ولكن تبقى موادّه .

٣ ـ قيل : ان الفناء هو الفناء المطلق .

أقول : وعلى الثانى جمهور المحققين .

٢٧ ـ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

فى الوجه أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : اريد بالوجه ذات الله تعالى ووجوده .

٢ ـ قيل : الوجه صفة زائدة على الذات لاتكيف يحصل بها الاقبال على من أراد الرّبّ تخصيصه بالاكرام .

٣ ـ قيل : أى يبقى الظاهر بأدلته كظهور الانسان بوجهه .

٤ ـ قيل : أى تبقى الجهة التى يتقرّب بها إلى الله تعالى .

أقول: والاول هو الصواب على الظاهر .

٢٨ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فى وجه كون الفناء وبقاء الذات الربوبى نعمة أقوال :

١ ـ قيل : إن فى فناء الخلق تسوية بينهم فى الموت وبالموت تستوى الاقدام .

٢ ـ قيل : إن الانسان والجان وبينهما خلقوا فى الحياة الدنيا لغرض وهو الايمان وصالح العمل فيها ولهما أجر وثواب لا ينالون بهما إلاّ فى الاخرة ، لان

الدنيا دار عمل لا ثواب فيها ، والاخرة دار ثواب لا عمل فيها ليميز المؤمن من الكافر والمطيع من الطاغي ... ولا يمكن من إنتقال المكلفين من دار التكليف إلى دار الجزاء إلاّ بالموت فهو سببا لنقل ومقدمة لنيل الجزاء بما كان يفعله المكلفون فالفناء نعمة عظيمة من نعمه تعالى ، فلا بد من بقاء الذات الربوبي ليجزى كل عامل بما عمل ..

ولعل هذا هو الوجه لختم مجالس العزاء والموت بسورة الرحمن وبهذه الاية ..

٣ ـ قيل : انّ في الفناء حياة مستمرة إذ لولا الموت لتعطلت الحياة .

وذلك لانّ بني آدم إذ توالدوا جيلا بعد جيل ، ولم يمت منهم أحد ، فلا تمضى إلاّ أجيال معدودة حتى يكون على القدم ألف قدم وتمتلىء الارض بالادميين فلا يكفيهم حيوان ولا نبات مأكول ، ولا يجدون وسيلة للعيش إلا أن يأكل بعضهم بعضاً ، وتمتلىء الارض رمماً آدميّة من السغب والمخمصة .

أقول: وللاخير وجه والثاني هو الاوجه ، والجمع بينهما غير بعيد .

٢٩ ـ (يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن)

في السئوال أقوال :

١ ـ عن إبن عباس وأبى صالح : ان أهل السّموات يسئلون الله تعالى المغفرة ولا يسئلونه الرزق وأهل الارض يسئلونهما جميعاً .

٢ ـ قيل : يسئل الله تعالى من في السّموات الرحمة ومن في الارض الرزق.

٣ ـ عن إبن جريج : تسئله الملائكة الرزق لأهل الارض ، فكانت المسئلتان جميعاً من أهل السّماء ، وأهل الارض لاهل الارض .

٤ ـ عن إبن عطاء : يسئلونه القدرة على العبادة .

٥ ـ عن قتادة : أى لا يستغنى عنه أهل السموات والارض فيسئلونه حوائجهم.

٦ ـ عن مقاتل : أى يسئل أهل الارض الرزق والمغفرة ، و تسئله لهم الملائكة أيضاً الرزق والمغفرة .

٧ ـ عن إبن عباس أيضاً : يسئله تعالى عباده الرزق والموت والحياة كل يوم

هو في ذلك .

٨ ـ تسئله الملائكة لمصالح الدارين ويسئله الجن والانس لمصالح الدارين.

أقول : وعلى الخامس أكثر المفسّرين وهو الأنسب بسياق الاطلاق ، وفي قوله تعالى : « كل يوم هو في شأن » أقوال :

١ ـ عن إبن بحر وسفيان بن عيينة : انّ الدهر عند الله تعالى يومان : يوم هو مدّة عمر الدنيا وفيها الامتحان والابتلاء والاختبار ، فشأنه تعالى فيها الأمر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والاهلاك والانجاء . .

ويوم وهو يوم الاخرة ، فشأنه فيه الحساب والجزاء من الثّواب والعقاب والجنّة والنار .

٢ ـ قيل : أي كل يوم هو في وقت من الأوقات .

٣ ـ قيل: أي في أمر من الأوامر ، ومن شؤونها انّ الله تعالى يعطي أهل السّموات والارض ما يطلبونه منه جل وعلا على إختلاف حوائجهم وتباين اغراضهم.

٤ ـ عن الحسين بن الفضل ، أي انّها شؤن يبديها لاشؤن يبتدبها

٥ ـ قيل : أي في كلّ يوم من أيام الدنيا وهذا اخبار عن شأنه في كل يوم من أيّامها .

٦ ـ عن مجاهد وقتادة : أي كلّ يوم هو في شأن لايستغني عنه تعالى أهل السّموات ولا أهل الأرض يحيي ويميت ، ويرفع قوماً ويضع الاخرين ، ويفقر غنياً ويغني فقيراً ، ويعزّ ذليلاً ويذلّ عزيزاً ، ومن شؤنه شفاء سقيم ، وإجابة دعاء داع وغفران ذنب تائب ، ورفع كرب ذي كرب ، ورفع غمّ مصاب و كشف سوء عن المضطرّ وغير ذلك . .

٧ ـ قيل : انّ شأنه تعالى أن يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر : عسكراً من أصلاب الآباء إلى الأرحام ، وعسكراً من الارحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبر ، ثم يرتحلون جميعاً إلى الله تعالى .

٨ ـ عن أبي سليمان الداراني : انّ شأنه إيصال المنافع الى الانسان ودفع

المضارّ عنه ، فلا ينبغي أن يغفل طاعة من لا يغفل عن برّه وإحسانه على عباده .

أقول : والسادس هو المرويّ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام .

٣١ - (سنفرغ لكم أيه الثقلان)

في الفراغ أقوال :

١ - عن قتادة : أي دنا من الله فراغ لخلقه ، أي سنطوي بساط النشأة الاولى ونشتغل ببسطة النشأة الاخرى جزاء لكم بما كسبتم في الاولى إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

٢ - قيل : أي ستنتهي الدنيا ، فلا يبقى إلاّ حسابكم وجزاءكم .

٣ - عن الزجاج : أي سنقصد لحسابكم وجزاء أعمالكم على سبيل الوعيد كقول القائل في مقام الوعيد والتهديد : « لا تفرغن لك وسأتفرغ » بمعنى ساجدّ في امرك .

٤ - عن الحسن وإبن زيد ومقاتل : أي سنحاسبكم ونأخذ في أمركم يا معشر الجن والانس ، فنعاقب أهل العصيان ونثيب أهل الايمان على طريق الوعد والوعيد .

أقول: والمعاني متقارب .

وفي تسميّة الثقلان أقوال :

١ - قيل : سمي الجن والانس بالثقلين لعظم شأنهما بالاضافة إلى ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف ، فكل يأخذ جانباً من كفّتي ميزانها .. الانس في كفّة والجن في كفة ..

عالم الظهور في جانب وعالم الخفاء في جانب ، ومثل هذا « الملوان » وهما الليل والنّهار لانّهما يملأن الزمان كلّه ، ويستوعبان كل آناته ولحظاته .

٢ - قيل : سمّيا بذلك لانهما ثقلا الارض أحياء وأمواتاً ، قال الله تعالى : « وأخرجت الارض أثقالها » ومنه قولهم : « اعطه ثقله » أي وزنه ، إذ كل شيء له وزن وقدر ينافس فيه فهو ثقل ، ومنه قيل لبيض النعام : ثقل لان واجده وصائده يفرح به إذا ظفر به لنفاسته .

٣ ـ قيل: سمّيا بهما لانّهما مثقلان بالذنوب.

٤ ـ قيل: الثقل: الانس لشرفه على غيره، وهذا على سبيل الحقيقة والحق به الجن مجازاً للمجاورة والتغليب.

والثقل: العظيم الشريف، قال رسول الله ﷺ: «انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتى أهل بيتى».

والثقل ـ محرّكة ـ كل شيء نفيس سمّى النبى الكريم ﷺ القرآن وعترته ثقلين لخطرهما وعظم شأنهما ونفاستهما.

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين وهو الانسب بسياق الخطاب للجنسين.

٣٣ ـ (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)

فى الاية أقوال:

١ ـ عن إبن عباس: أى إن قدرتم أن تهربوا من قضائى، وتخرجوا من ملكوتى وقدرتى، فاهربوا منها، وخلّصوا أنفسكم من ملكى ومن حيطة تصرّفى، وهذا فى الاخرة.

٢ ـ قيل: أى ان قدرتم أن تجوزوا أطراف السّموات والارض، فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم، فجوزوا ذلك فانكم لاتجوزونه إلاّ بسلطان من ربّكم وهذا على سبيل التعجيز.

٣ ـ عن عطاء والضّحاك: أى إن قدرتم أن تهربوا من نواحى السّموات والارض، فاهربوا هاربين من الموت ولكنّكم لاتقدرون، وان الموت يدركم ولو نفذوها لكانوا فى سلطان الله تعالى ولأخذهم الموت بأمره جلّ وعلا، وهذا فى الدّنيا.

٤ ـ عن ابن عباس أيضاً: أى ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان يعنى بيّنة وحجّة من الله تعالى ولا بيّنة ولاحجّة لكم، وقيل: بملك من الملائكة وليس لهم ذلك.

٥ ـ قيل ـ أى فلا تقدرون على النفوذ إلاّ بقوّة وقهر وغلبة ، وأنّى لكم ذلك لان القدرة التى بها يملك النفوذ ليست فى وسعكم لانّ قدرتكم محدودة وتلك القدرة فوق قدرتكم .

٦ ـ عن الزجاج : لاتنفذون إلاّ بسلطان معناه : حيث شاهدتم حجّة الله وسلطانه الذى يدلّ على توحيده .

٧ ـ عن الضحاك ايضاً قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السّماء الدنيا ، فتشققت بأهلها ، فتكون الملائكة على حافاتها ، حتّى يأمرهم الرّبّ ، فينزلون إلى الارض ، فيحيطون بالارض ومن فيها ثم يأمر الله السّماء التى تليها كذلك ، فينزلون فيكونون صفاً من خلف ذلك الصّف ثم السّماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ، فينزل الملك الأعلى فى بهائه وملكه ومجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها ، فلا يأتون قطراً من أقطارها إلاّ وجدوا صفوفاً من الملائكة ، وقال به ابن المبارك ايضاً .

٨ ـ قيل : أى ولن تتيسّر لأحد من الجن والانس النجاة من الفزع يوم الاكبر إلاّ ببرهان وهو الايمان وصالح العمل .

أقول : والاخير والسابع والاوّل مؤيدة بالروايات الآتية وبظاهر السياق لأن المقام بصدد النشأة الاخرة .

٣٧ ـ (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)

فى « وردة كالدّهان » أقوال :

١ ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير وقتادة وأبى عبيد والزجاج وأبى صالح: أى فتصير السّماء يوم القيامة فى حمرة الورد وجريان الدّهن أى تذوب الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدّهن لرقتها وذوبانها

٢ ـ عن إبن عباس أيضا : أى كالفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب إلى الحمرة تتغيّر ألوانه ، فانّه فى الربيع كميت أصفر وفى أوّل الشتاء كميت أحمر فاذا اشتدّ كان كميت أغبر ، فشبه تلوّن السماء بتلوّن الورد من الخيل .

٣ ـ قيل أراد به وردة النبات وهي حمراء وقد تختلف ألوانها .

٤ ـ عن مجاهد والضحاك : أي صارت السّماء في صفاء الدهن الخالص .

٥ ـ عن الفراء : أي تصير السماء حمراء كالأديم لشدّة حرّ النار .

٦ ـ عن الحسن : أي كصبّ الدهن ، فانّك إذا صببته ترى فيه ألواناً .

٧ ـ عن زيد بن أسلم وعطاء بن أبي رباح: أي تصير كعكر الزيت يتلون ألواناً.

٨ ـ قيل : انّ السّماء تمرّ وتجيء .

٩ ـ عن قتادة : انّ السّماء يوم القيامة تصير أحمر ولها اليوم لون خضراء رزقاء .

١٠ ـ قيل : انّ السّماء تصير حمراء كلون الجلد المدبوغ .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

٣٩ ـ (فيؤمئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولاجآن)

في السئوال أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد والحسن وقتادة : أي لا يسئل الله عن ذنوبهم لانّه قد حفظها عليهم ولا تسئل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم لانّهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده.

٢ ـ قيل : أي لا يسئل الله بعضهم عن ذنوب بعضهم الاخرين .

٣ ـ عن قتادة : أي يسئل عنهم ثمّ يختم على أفواههم ، فتكلّمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون .

٤ ـ قيل : لا يسئل بعض المجرمين عن بعضهم .

٥ ـ عن أبي العالية : أي لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم .

٦ ـ قيل : أي لا يسئلهم هل عملتم كذا و كذا لانّه تعالى أعلم بذلك منهم بل يقول لهم : لم عملتم كذا د كذا .

٧ ـ قيل : معنى الاية : انّ من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب في الحياة الدنيا عذّب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسئل عنه .

٨ ـ قيل : انّ هذا بعد دخولهم فى النار ، فلا يسئلون عن ذنوبهم بعد دخولهم فى النار وإستقرارهم فيها ، وأمّا قبله فيسئلون لقوله تعالى : « فوربّك لنسئلنّهم أجمعين عما كانوا يعملون ».

٩ ـ قيل لا يسئلون سئوال شفقة ورحمة إنما يسئلون سئوال تقريع وتوبيخ للمحاسبة .

١٠ ـ عن عكرمة : ان المواطن يوم القيامة عديدة لطول ذلك اليوم ، فيسئل فى بعضها ، ولا يسئل فى بعضها .

أقول : وعلى الأخير جمهور المحققين والسابع هو المروى ولكنّه راجع إلى المؤمنين فقط فتأمّل .

٤١ ـ (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام)

فى قوله : « يعرف المجرمون بسيماهم » قولان :

أحدهما ـ عن قتادة والحسن: أى بعلاماتهم وهى سواد الوجوه وزرقة العيون.

ثانيهما ـ قيل : بأمارات الخزى .

أقول : ولكل وجه ، والمعنيان متقاربان .

وفى قوله تعالى: « فيؤخذ بالنواصى والاقدام » أقوال: ١ـ قيل: أى تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبأقدامهم ، فتسوقهم إلى النار .

٢ ـ عن الحسن وقتادة : أى فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغلّ ثمّ يسحبون فى النار ، ويقذفون فيها .

٣ ـ قيل : ملكان يأخذ أحدهما ناصية المجرم ـ وهى شعور مقدم رأسه ـ وثانيهما ـ يأخذ رجل المجرم . فيلقيانه فى نار جهنم .

٤ ـ قيل : انّ بعض الملائكة يأخذ رجله وبعض الاخرين ناصيته فيلقون فى جهنم .

٥ ـ قيل : إنّ بعض المجرمين يؤخذ بناصيته وبعضهم يجرّ برجله .

٦ ـ عن الضحاك : أى يجمع بين ناصيتهم وقدمهم من جانب الظهر أو من

ناحية الوجه ، فيربط بنواصيهم أقدامهم ، فتكون رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم مربوطة في سلسلة وراء ظهورهم .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسّرين .

٤٣ ـ (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمين)

في الآية قولان :

أحدهما ـ قيل : أي يقال للمجرمين يوم القيامة عند دخولهم في النار هذه جهنم التي ـ الخ .

ثانيهما ـ قيل: هذا إخبار من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لأنّ الله تعالى لما أخبر بأن المجرمين سيؤخذون بالنواصي والاقدام ويدخلون في النار ، قال : ان هذه جهنّم التي كان المجرمون يكذبون بها ، فسيردونها يوم القيامة فلا تحزن .

أقول : وعلى الاوّل جمهور المحققين .

٤٤ ـ (يطوفون بينها وبين حميم آن)

في الآية أقوال :

١ ـ عن قتادة : أي يطوفون مرّة بين الجحيم ومرّة بين الحميم ، فالجحيم: النار والحميم : الشراب ، وقال : « آن » طبخ منذ خلق الله السموات والارض ، فاذا استغاث المجرمون من النار جعل غياثهم ذلك .

٢ ـ عن إبن عباس وسعيد بن جبير والسدى ومجاهد والضحاك والحسن : أي ان المجرمين يعذّبون بالنّار مرّة ويتجرّعون من الحميم يصبّ عليهم ليس لهم من العذاب أبداً فرج ، و « آن » أي إنتهى حرّه واشتدّ غليانه .

٣ ـ عن كعب انّه قال : «آن » واد من أودية جهنّم يجتمع فيه صديد أهل النار ، فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم ثمّ يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً ، فيلقون في النار .

٤ ـ عن كعب أيضاً انّه قال : « آن » أي حاضر .

٥ ـ قيل : الحميم الآن : ما ينبعث من النار من سموم يشوى الوجوه ..

فأهل النار إذا تحركوا فى جهنم كانت حركتهم فيها على بحار من الحميم وهو القيح والصديد الذى يسيل منهم لما يسيل الماء من القدور أثناء غليانها .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسّرين .

٤٦ - (ولمن خاف مقام ربه جنتان)

فى قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربّه » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة : أى من خاف قيامه بين يدى ربه للحساب ، فأطاعه بأداء فرائضه وإجتناب معاصيه وإشرافه تعالى وإطلاعه عليه وذلك بأنّ الرجل إذا همّ بالذنب فيذكر قيام ربه عليه وقيامه بين يدى ربه للحساب فيدعه ويتركه مخافة الله تعالى، فالمقام مصدر ميمى بمعنى القيام بيانه قوله تعالى: « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت »

٢ - قيل : أى لمن راقب الله تعالى فى السرّ والعلانية جملة ، فما عرض له من ذنب تركه مخافة من الله تعالى وماعرض له من خير عمله وأفضى به إلى الله تعالى لايطلع عليه .

فالمقام اسم مكان والاضافة لاميّة والمراد به مقامه وموقفه تعالى من عبده وهو انّ الله جلّ وعلا يدبّر أمر عباده ، ومن تدبير أمره انّه دعاهم بلسان أنبيائه إلى الايمان وصالح العمل وقضى أن يجازيهم على ما عملوا إن كان خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، فهو تعالى محيط بهم وهو معهم أينما كانوا وسميع بما يقولون وبصير بما يفعلون .

٣ - عن إبن عباس أيضاً : أى من خاف مقام ربّه بعد أداء الفرائض .

أقول: والمعانى متقاربة وهى مؤيّدة بالرّوايات الاتية ..

وفى قوله تعالى : « جنّتان » أقوال :

١ - قيل ولكل خائف على حدة جنّتان جنّة لخوفه من ربّه وجنّة لتركه الشهوات ، فينتقل من إحديهما إلى الاخرى لتتوفر دواعى لذّته ، وتظهر ثمار كرامته ، وأين هذا ممّن يطوف بين النار وبين حميم آن ، فكأنه قيل : لكل مطيع وتارك المعصية جنّتان .

٢ ـ قيل : إنّ الجنّتين هما لجميع الخائفين .

٣ ـ قيل: انّ الجنتين : جنّة خلقت للخائف وجنّة ورثها .

٤ ـ عن الجبائى : إحداهما منزل الخائف ومحل زيادة أحبّائه ، والاخرى منزل أزواجه كما يفعله رؤساء الدنيا .

٥ ـ قيل إحداهما مسكنه والاخرى بستانه .

٦ ـ عن الفرّاء : انّما هما جنّة واحدة ، فثنى لرؤس الاى والفواصل لقوله تعالى : « فان الجنّة هى المأوى » .

٧ ـ قيل : إحداهما أسافل القصور والاخرى أعاليها .

٨ ـ قيل : إحداهما فى داخل قصره وبستان فى خارج قصره .

٩ ـ عن مقاتل : هما جنّة عدن وجنة النعيم .

١٠ ـ قيل : انّما كانتا إثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة إلى جهة .

١١ ـ إحداهما : للانس والاخرى للجن ، فالتثنية باعتبار تثنية صاحبيهما ، فلكل من طائفتى الجن والانس جنة : جنة للانس المتصف بالخوف وبالطاعة وترك المعصية ، وجنة للجن المطيع تارك المعصية والمتّصف بالخوف .

١٢ ـ قيل : جنة يثاب بها ، وجنّة يتفضّل بها عليه زيادة لقوله تعالى : « للذين آحسنوا الحسنى وزيادة » يونس : ٢٦) أى الجنّة والزيادة .

١٣ ـ قيل : لكل خائف جنّتان : جنة لعقيدته الحقّة والاخرى لعمله الصالح

١٤ ـ قيل جنّة روحانية للجن ، وجنة مادية للانس فلكل بما يناسبه .

١٥ ـ قيل : جنّة من ذهب وجنة من فضّة .

أقول : والاوّل هو المروىّ من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الاخر فتدبّر .

٤٨ ـ (ذواتا أفنان)

فى الأفنان أقوال

١ ـ عن ابن عباس : أى ذواتا ألوان من النعيم ، واحدها الفنّ .

٢ ـ عن الضحاك : أى ذواتا ألوان من الفواكه ، والمعنى : ذواتا أنواع من الثمار ونحوها .

٣ ـ عن مجاهد والاخفش والجبائي : الافنان : الاغصان ، واحدها : الفنن وهو الغصن الليّن الدقيق .

والمعنى : ذواتا أغصان ليّنة أنواع أشجارهما .

وذلك لأنّ الأغصان لا تكون إلاّ من الشجر ، فدلّ بكثرة أغصانها على كثرة أشجارها وبكثرة أشجارها على تمام حالها و كثرة ثمارها لأنّ البستان انّما يكمل بكثرة الأشجار ، والأشجار لا تحسن إلاّ بكثرة الأغصان .

٤ ـ عن قتادة : أى ذواتا سعة ، وفضل على ما سواهما من الجنّات .

٥ ـ عن مجاهد أيضاً وعكرمة : انّ الافنان : ظلّ الأغصان على الحيطان .

أقول : ولكل وجه والثالث هو الأوجه من غير تناف بين الأقوال .

٥٠ ـ (فيهما عينان تجريان)

فى الآية أقوال :

١ ـ عن إبن عباس والحسن : أى تجريان بالماء الزلال ، إحداهما التسنيم والاخرى السلسبيل .

٢ ـ عن إبن عبّاس أيضاً : أى تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنّة .

٣ ـ قيل : أى تجريان من جبل من مسك .

٤ ـ عن إبن عباس أيضاً : أى عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة ، حصباؤهما الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحمأتهما المسك الاذفر وحافاتهما الزعفران .

٥ ـ عن عطيّة العوفي: إحداهما من ماء غير آسن ، والاخرى من خمر لذّة للشاربين .

٦ ـ عن أبي بكر الورّاق : أى فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا

تجريان من مخافة الله عزّ وجل .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

٥٢ - (فيهما من كل فاكهة زوجان)

في الزوجين أقوال :

١ - عن إبن عباس انه قال : ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلاّ وهي في الجنّة حتى الحنظل إلاّ انّه حلو .

٢ - قيل : الزوجان : الصنفان و كلاهما حلو يستلذ به ، فمن كل نوع من الفاكهة في الجنتين ضربان متشاكلان كتشاكل الذكر والانثى .

٣ - قيل : أي ضربان : رطب ويابس لا يقصر أحدهما عن الاخر في الفضل ، والطيب بخلاف ثمار الدنيا ، فان الطازج فيها ألذّ طعماً وأشهى مأكلا .

٤ - قيل : أراد تفضيل هاتين الجنّتين على الجنّتين دونهما سيأتي ذكرهما فكانه تعالى قال : في تينك الجنتين من كل فاكهة نوع ، وفي هذه الجنّة من كل فاكهة نوعان كماذكرهنا عينين جاريتين وذكر ثم عينين بالماء والنضخ دون الجرى .

٥ - قيل : الزوجان : الذكر والانثى من الفواكه ، وإن خفيا علينا في الحياة الدنيا ولا نعرفهما ، ولكن يوم القيامة تبرز كل شيء على حقيقته .

٦ - قيل : أي فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان : ضرب معروف وضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا ، فكل صنف من أصناف الفاكهة يرد على أهل الجنة بجيئهم في صورتين : صورة لما كانوا يعرفونه في الدنيا وصورة لما هو من حقيقة ثمار الجنة وبهذا يظهر لهم ما بين الفاكهتين من بون شاسع وفرق بعيد .

أقول: والخامس غير بعيد ويمكن تأييده بالايات الكريمة ...

٥٤ - (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان)

في « بطائنها من إستبرق » أقوال :

١ - عن إبن مسعود : البطائن جمع البطانة ، وهي التي تحت الظهارة ، والاستبرق ما غلظ من الديباج وخشن : أي إذا كانت البطانة التي تلي الارض هكذا

فما ظنّك بالظهارة .

قيل لسعيد بن جبير : إذا كانت البطائن من إستبرق ، فما الظواهر ؟ قال : هذا مما قال الله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين » .

وقال إبن عباس : انما وصف لكم بطائنها لتهتدى إليه قلوبكم وأما الظواهر فلا يعلمها إلاّ الله تعالى .

٢ ـ عن الحسن : بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد .

٣ ـ قيل : تكون ظهائر الفرش من سندس وبطائنها من إستبرق ، وذكر البطائن دون الظهائر لأنّ البطانة تدلّ على أنّ لها ظهارة ، وفي ذلك تنبيه على أنّ الظهارة فوق الاستبرق .

٤ ـ عن الحسن أيضاً والفرّاء وقتادة : البطائن هى الظواهر ، وتقول العرب للظهر بطناً ، فيقال : هذا ظهر السّماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذى تراه .

أقول : والاخير مؤيّد بآيات كريمة فانتظر .

وفى « وجنى الجنتين دان » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أى تدنو الشجرة حتى يجتنيها أولياء الله تعالى حيث شاؤا .

٢ ـ عن مجاهد : انّ ثمار الجنتين قريبة من أفواه أربابها ، فيتناولونها مضطجعين ، فلا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « والّذى نفسى بيده لا يقطع رجل ثمرة من الجنّة ، فتصل إلى فيه حتى يبدّل الله تعالى مكانها خيراً منها » .

٣ ـ قيل : أى ثمر الجنتين الذى يجتنى قريب منهم فلا يتعبون بصعود نخلها وشجرها لاجتناء ثمرها ، بل يجتنونها من قعود بغير عناء وتعب ، فيتناولها القاعد والمضطجع حيثما شاء .

أقول : والمعانى متقاربة .

٥٦ - (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان)

فى القاصرات قولان :

أحدهما - عن البلخى : انّهن حور عين ، فالمعنى : انّ ما يهب الله لمؤمنى الانس من الحور لم يطمثهن إنس ، وما يهب الله لمؤمنى الجن من الحور لم يطمثهن جانّ من قبل .

ثانيهما - عن الكلبى والشعبى : هنّ من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشأهن الله تعالى وخلقهن أحد من إنس ولا جان ، وهنّ اللاتى متن قيل زواجهن .

أقول : وعلى الأوّل أكثر المفسّرين .

٦٠ - (هل جزآء الاحسان الا الاحسان)

قيل : فى القرآن الكريم ثلاث آيات فى كلّ واحدة منها مأة قول :

أحدها - : قوله تعالى : « فاذكرونى أذكركم » البقرة ١٥٢) .

ثانيها - : قوله تعالى : « وان عدتم عدنا » الاسراء : ٨) .

ثالثها - : قوله تعالى : « هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان » فنشير الى أهم الاقوال فيما نحن فيه :

١ - أى ليس جزاء التوحيد وكلمته إلاّ الجنّة ، أفمن قال : لا إله الاّ الله ، وعمل عملاً صالحا وترك ذنباً يدخل الجنّة .

٢ - أى ليس جزاء الاحسان فى الدنيا على الناس إلاّ الاحسان على المحسن يوم القيامة .

٣ - أى ليس جزاء من أحسن إليكم فى الحياة الدنيا بالنعم وفى العقبى بالنعيم إلاّ أن تحسنوا إليه بالعبادة وصالح العمل .

٤ - أى ليس جزاء كل من أحسن إلاّ أن يجب الاحسان على المحسن .

أقول : والاول هو المروى وهو المؤيد بظاهر السّياق .

٦٢ - (ومن دونهما جنتان)

فيها أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أى ومن دون الجنّتين السابقتين جنّتان أخريان فى الدّرج ، وكان فى الاولين النخل والشجر وفى الاخريين الزرع والنبات وما انبسط.

٢ ـ عن إبن زيد : أى ومن دون الجنتين سبق ذكرهما جنتان أخريان فى الفضل والخطورة والأهميّة .

٣ ـ عن الماوردى : هاتان الجنتان لأتباع الخائفين لقصور منزلتهم عن منزلة الخائفين ، فاحداهما للحور العين والاخرى للولدان المخلّدين ليتميّز الذكور عن الاناث .

٤ ـ عن إبن جريج : الجنات أربع : جنتان منها للسابقين الاولين ، وهم المقرّبون وجنتان أخريان لأصحاب اليمين .

٥ ـ قيل : أى فمن خاف مقام ربه فله جنتان قريبتان من جنتيه السابقتين فينتقل من جنّة إلى جنّة كما تميل إلى ذلك الطبائع ليتضاعف السّرور للانسان فمعنى دون قريب ، وقيل : أى ومن أسفل الجنتين السابقتين جنتان فى المكان .

أقول : والرابع هو المؤيّد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر

٦٦ ـ (فيهما عينان نضاختان)

فى الآية أقوال :

١ ـ عن إبن عباس والضّحاك وإبن زيد : أى عينان فوّارتان بالماء ، وعن الحسن : أى تنبعان الماء من أصلهما ثمّ تجريان .

٢ ـ عن إبن عباس والحسن أيضاً ومجاهد : أى فوّارتان بالخير والبركة .

٣ ـ عن إبن عباس أيضاً وإبن مسعود : أى تنضخ على أولياء الله تعالى بالمسك والعنبر والكافور فى دور أهل الجنّة كما ينضخ رش المطر .

٤ ـ عن سعيد بن جبير : أى تنضخ بأنواع الفواكه والماء .

٥ ـ قيل : أى بأنواع الفواكه والنعم والجوار المزيّنات والدواب المسرجات والثياب الملوّنات .

٦ ـ عن الضحاك أيضاً : أى ممتلئتان لا تنقطعان .

أقول: والاول هـو الانسب بمعنى النضخ اللغوى ، وهو المؤيّد بالروايـة الاتية فانتظر .

٧٠ ـ (فيهن خيرات حسان)

فى « فيهن » أقوال :

١ ـ قيل إن الضمير راجع إلـى الجنان باعتبار أنّها جنّتان ، جنّتان من هاتين الجنتين .

٢ ـ قيل : راجع الى الجنات الاربع المذكورة فى الايات ..

٣ ـ قيل : راجع الى الجنتين ونعيمهما ..

٤ ـ قيل : راجع الى الفاكهة والنخل والرّمان .

أقول: ولكل وجه والاوجه الاول .

وفى قوله تعالى : «خيرات حسان » أقوال :

١ ـ عن الحسن : أى حسان فى المناظر والالوان .

٢ ـ قيل : هنّ نساء مؤمنات صالحات ، خيرات الاخلاق ، حسان الوجـوه والجمال تردن على أصحاب اليمين فى الجنّة وهنّ أجل من الحور العين .

٣ ـ عن جرير بن عبد الله : خيرات : مختارات .

أقول: يمكن تأييد الثانى بالرواية الاتية .

٧٢ ـ (حور مقصورات فى الخيام)

فى « حور » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد والضحاك : حور هن نساء الدنيا ، وهنّ هؤلاء خيرات الحسان .

وحور : بيض حسان البياض ، ومنه الدقيق الحوارى لشدة بياضه ، والحوراء إذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد السواد ، وبذلك يتمّ حسن العين .

٢ ـ قيل : انهنّ من غير نساء الدنيا ، وذلك أنّ سحابة أمطرت من العرش

فخلقت الحور من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الانهار سعتها أربعون ميلا ، وليس لها باب حتى اذا دخل ولى الله الجنّة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله ان أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهى مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين .

٣ ـ عن أبى صالح : حور : هنّ عذارى الجنّة اللاتى لم تزوجن فى الحياة الدنيا ، فانهنّ متن قبل البلوغ أو لم يخطبن أصلا .

أقول : والاول هو الأنسب بظاهر السياق وإن كان الثالث غير بعيد عن السياق فتدبّر . وفى « مقصورات فى الخيام » قولان :

أحدهما ـ عن إبن عباس ومجاهد والحسن والضّحاك وأبى العالية : أى محبوسات مستورات فى الحجال لسن بالطوافات فى الطرق .

ثانيها ـ عن مجاهد أيضاً والربيع : أى قد قصرن على أزواجهنّ فلا يردن بدلاً منهم فلا يبغين بهم ، ولا يرفعن أطرافهن إلى غيرهم من الرجال .

أقول : والجمع غير بعيد .

٧٦ ـ (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)

فى « رفرف خضر » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس والحسن وقتادة والضحاك وإبن زيد والقرظى : الرفرف : فضول الفرش ، وهى المحابس يتّكؤن على فضولها . وهى ثياب خضر تتّخذ منها المحابس .

٢ ـ عن الجبائى وإبن عيينة : الرفرف : الزرابىّ وهى الفرش المرتفعة .

٣ ـ عن الحسن أيضاً وإبن كيسان : الرفرف : المرافق وهى الوسائد .

٤ ـ عن أبى عبيدة والليث : الرفرف : حاشية الثوب وضرب من الثياب الخضر التى تبسط ، وقيل : كل ثوب عريض عند العرب ، فهو رفرف .

٥ ـ عن إبن عباس أيضاً وسعيد بن جبير والزجاج : الرفرف رياض الجنّة .

٦ . قيل : أى متّكئين على نبات أخضر فى الجنّة على ما هو معتاد فى

أيّام الرّبيع .

أقول : وعلى الأول اكثر المفسرين والمعانى الاربعة الأول متقاربة

وفى « عبقرى حسان » أقوال :

١ ـ عن الفرّاء وإبن زيد : العبقرىّ : الطنافس الثّخان منها .

٢ ـ قيل : العبقرىّ : ثياب منقوشة تبسط .

٣ ـ عن إبن عباس وسعيد بن جبير وقتادة : العبقرى : الزرابى الحسان .

٤ ـ عن الحسن : العبقرى : البسط .

٥ ـ عن مجاهد : العبقرى : الديباج .

٦ ـ عن القتبى : كلّ ثوب وشى عند العرب عبقرى ، وقال أبو عبيد : العبقرى منسوب إلى ارض يعمل فيها الوشى ، فينسب إليها كل وشى حبك .

٧ ـ عن الخليل النّحوى : كل جليل نافس فاضل وفاخر من الرجال والنساء وغيرهم عند العرب عبقرىّ .

أقول : والأخير هو الأنسب بمعناه اللغوى .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (الرحمن)

هو الذى وسعت رحمته كل شيء وشمولها له باعتبار أصل الوجود لابالنظر فى صفاته من الايمان والكفر والأبيض والأسود ومن كونه ذكراً أو انثى أوذئباً وغنماً . . .

وانّما هى اللطف السّارى فى هذا الوجود والنّور الهادى لكل موجود وإلى هذه الرحمة العامّة الشاملة يشير بقوله : « ورحمتى وسعت كلّ شيء » الاعراف : ١٥٦) .

وقوله : « أهم يقسمون رحمت ربّك » الزخرف : ٣٢) .

وقوله تعالى حكاية عن حاملى العرش من الملائكة : « ربّنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً » المؤمن : ٧) .

وقوله : « فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها » الروم : ٥٠) .

وقوله : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » القصص : ٧٣) .

وقوله : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيّها النّاس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السّماء والارض لا إله إلاّ هو فانّى تؤفكون » فاطر : ٢ و ٣) .

٢ ـ (علم القرآن)

علم الله تعالى ـ التعليم: هو تبيين ما به يصير من لم يعلم عالماً ـ محمداً ﷺ القرآن وهو الجامع لحقائق الأشياء وأوصافها وأحكامها، ولما يمكن وجوده بعد ذلك وفيه أحكام الشرائع لهداية الناس، وارشاد الجن وإتمام سعادتهم فى معاشهم ومعادهم وفيه غاية مايأمله آمل ونهاية مايسئله سائل وعلّمه الرسول ﷺ امته.

والآية فى معنى قوله تعالى: «وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً» النساء: ١١٣).

وقوله: «إن هو إلاّ وحي يوحى علّمه شديد القوى» النجم: ٤ و ٥).

وقوله: «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون» البقرة: ١٥١).

٣ ـ (خلق الانسان)

خلق الله تعالى آدم عليه السلام وفى إطلاق الانسان على آدم فقط كثير، وخاصّة فى مقام الخلق كما يأتى عن قريب فى قوله تعالى: «خلق الانسان من صلصال كالفخار» الرحمن: ١٤).

وقال تعالى: «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين» المؤمنون: ١٢).

وقال: «وبدأ خلق الانسان من طين» السجدة: ٧).

وما ورد من ان المراد بالانسان اميرالمؤمنين عليه السلام فمن التأويل لانه مظهر كمال الانسانيّة.

٤ ـ (علمه البيان)

البيان هو النطق الفصيح المعرب عمّا فى الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً.

وان البيان هو الذى يدور عليه تعليم القرآن وبالبيان يحفظ نوع الانسان فى موقفه، ويهديه الى كل خير، فالبيان هو مما فضّل به الانسان على سائر الحيوان.

وانّ البيان هو إحدى امتيازات الانسان على غيره، فليس هو المائز الوحيد

بين الانسان وغيره ، وانّما أهم الامتيازات هـو إستعداد الانسان للكمال الروحي والتنمية المعنوية ومن هنا أعطى سبب الكمال والنمو وهو الدين ، وجعله الله تعالى مختاراً في ذلك ليثاب أو يعاقب .

فلو لا هذا الاستعداد ولو لا هذه التنمية لما كان بين الانسان والحمار فرق فتعليم البيان للانسان من عظيم العناية الالهيّة المتعلقة به ، ومن أعظم النعم والالاء الربّانية التي أنعمها عليه هذا .

ولكن الاية في معنى قوله تعالى : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » النحل : ٨٩) .

وقوله : « هذا بيان للناس وهدى » آل عمران : ١٣٨) .

وتؤيّده الرواية الواردة فانتظر .

٥ ـ (الشمس والقمر بحسبان)

يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما وحركتهما ودورانهما على وتيرة واحدة ، وحساب متّفق لا يقع فيه تفاوت .

وان الشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشيء ويقطع القمر منازله في ثمانية وعشرين يوماً .

وبذلك تنتظم امـور الكائنات السفليّة ، وتختلف الفصول والاوقات ، وتعلم السنون والحساب .

قال الله تعالى : « هو الّذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السّنين والحساب » يونس : ٥) .

وقال : « والشّمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » يس : ٣٨ـ ٤٠).

٦ ـ (والنجم والشجر يسجدان)

النجم : نبات الارض الذى لا ساق له مما ينبت من الارض ويطلع منها ويبسط

عليها كالحشائش ونحوها مما لا يغلظ ساقه .

والشجر : النبات الذىله ساق ، يبقى فى الشتاء وماله من الفروع والاغصان والاوراق والازهار والثمار .

وان السجود فى الاصل : الاستسلام والانقياد لله تعالى .

وفى النجم والشجر آيـة دالـّة على حدوثهما ، وعلى أنّ لهما صانعا أنشأهما وما فيهما من الصنعة ، والقدرة التى توجب السجود ، فتظهر منهما آثار الحدوث والله تعالـى يصرفهما على مـا يريده من غير امتنـاع ، فجعل ذلك خضوعـاً واستسلاماً وإنقياداً .

فضربهما فى التراب بأصولهما وعروقهما لجذب ما يحتاجان إليه من المواد العنصريـّة التى يغتذيان بها ، فهذا السقوط على الارض اظهاراً للحاجة إلى المبدأ الذى يقضى حاجتهما ، وهو الله الذى - فى الحقيقة - يربـّيهما كذلك سجود منهما لـه تعالى .

فما اختلاف ثمرهما فى الشكل والهيئة واللون والمقدار والطعم والرائحة إلا إنقياد للقدرة الالهيـّة أرادها الله تعالى منهما .

قال الله تعالى : « ألم تر انّ الله يسجد له من فى السّموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس» الحج : ١٨).

وقال : « ولله يسجد من فى السّموات والارض طوعاً وكرهاً » الرعد: ١٥).

وقال : « وهو الذى أنزل من السّماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبـّاً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرّمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره اذا أثمر وينعه انّ فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٩) .

وقال : « فأخرجنا به ازواجا من نبات شتّى كلوا وارعوا انعامكم انّ فى ذلك لآيات لاولى النهى » طه : ٥٣ و ٥٤) .

وقال : « فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها » فاطر : ٢٧) .

وقال : « ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاما انّ في ذلك لذكرى لاولى الالباب » الزمر : ٢١) .

٧ ـ (والسماء رفعها ووضع الميزان)

والسماء مرفوعة بلا عمد تقوم عليها ، وانما يد القدرة الالهيّة تمسكها ، وتقيمها على ميزان دقيق لا ينحرف قيد أنملة ، فأقامها ووضع لها حساباً دقيقاً وميزانا مضبوطاً تجرى عليه امورها ، وجعلها رفيع القدر ، فانّه مبدأ أحكامه ومتنزل أوامره ونواهيه لعباده وسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه عليهم السلام . .

فكما انّ الله تعالى خلق العالم العلوى على العدل ، فلا بد منه في التشريع أن يقيمه الانسان في معاملاته وأمور تمدنه ، وجميع شؤونه في عالمه الارضىّ ليسير على نهج العدل ، فأنزل ما يميز به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والسعادة من الشقاء ، والصدق من الكذب ، والايمان من الكفر ، والعدل من الظلم والخير من الشر ، والحسن من القبيح ، والفضيلة من الرذيلة مما هو شأن الرّسول صلى الله عليه وآله أن يأتي به من عند ربّه .

قال الله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » الرعد : ٢) .

وقال : « ويمسك السمّاء أن تقع على الارض الاّ باذنه » الحج : ٦٥) .

وقال : « الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان » الشورى : ١٧) .

٨ ـ (ألا تطغوا في الميزان)

لئلاّ تتجاوزوا عن القرآن الّذى هو أصل الدّين ، فكأنّه تعالى بيّن أدلة العقل والسّمع ، فأعاد ذكر الميزان من غير إضمار ليكون الثانى قائماً بنفسه في النهى عنه إذا قيل لهم لا تطغوا في الميزان .

نظير قوله تعالى : « فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولاتطغوا » هود : ١١٢) .

٩ ـ (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

افعلوه مستقيماً بالعدل ولا تخسروا الميزان بزيادة أو نقيصة بحيث يخسر

البائع أو المشترى لو اريد بالميزان مايوزن به الأثقال فقط كقوله تعالى: «وأوفوا الكيل والميزان بالقسط» الانعام: ١٥٢).

وقوله: «فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا النّاس أشياءهم» الاعراف: ٨٥).

والاّ فمعناه ما يوزن به العقيدة والقول والعمل وهو القرآن الكريم وما جاء به الانبياء عليهم السلام.

كقوله تعالى: «الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان» الشورى: ١٧).

وقوله: «وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» الحديد: ٢٥).

فما ورد فى المقام فمن التأويل فتدبّر.

١٠ - (والارض وضعها للانام)

وخلق الله تعالى الارض للانسان لينتفع بما فى ظاهرها وما فى باطنها فى معائشه على ضروب مختلفة وأشكال عديدة.

والآية بصدد الامتنان نظير قوله تعالى: «الّذى جعل لكم الارض فراشاً والسّماء بناء وأنزل من السّماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم - هوالّذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً» البقرة: ٢٢-٢٩)، وقوله: «ولقد مكّنّاكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش» الاعراف: ١٠).

١١ - (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام)

فى الارض مايتفكّه به الانسان من ألوان الثمار من ضروب الأشجار والنخل ذات الاوعية لثمرها حين ظهوره.

قال تعالى: «وما تخرج من ثمرات من أكمامها» فصلت: ٤٧).

١٢ - (والحب ذو العصف والريحان)

وما يحرث فى الارض من الحنطة والشعير والأرز، وأنواع الحبوب ذى التبن، وما يأكل من الخضراوات...

كل ذلك كاشف عن العناية الرّبّانيّة والرحمة الشاملة الالهيّة واللطف السّارى فى هذا الوجود عامّة والانسان خاصّة.

قال الله تعالى: «أفلم ينظروا إلى السّماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها ومالها

من فروج والارض مددناها وألقينا فيهارواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكلّ عبد منيب ونزّلنا من السّماء ماء مباركا فأنبتنا بـه جنّات وحبّ الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد » ق : ٦ ـ ١١) .

١٣ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى آلاء ربكما ـ من تعليم القـرآن ، وخلق الانسان ، وتعليم البيان ، وتقدير الشمس والقمر بحساب معلوم ، ورفع السّماء ، وتشريع ما فيـه سعادة المجتمع البشرى ، ووضع الارض للانسان وخلق البساتين ، وما فيها ـ يامعشر الجن والانس تكذّبان .

ومعنى تكذيب آلاء الله تعالى الكفر بها إمّا بانكار كونها نعمة فى نفسها كتعليم القرآن ، وما يستند إليه من النعم الدينيّة وإما بانكار كونها من الله جل وعلا مع الاعتراف بكونها نعمة فى نفسها كالنعم الدنيويّة الواصلة إليهم باسنادها إلى غير الله تعالى إستقلالا أوإشترا كاً صريحاً أو دلالة .

وما ورد فى ذلك فمن التأويل .

١٤ ـ (خلق الانسان من صلصال كالفخار)

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين يابس لم يطبخ ، فان الصلصال هو من الطين الذى إذا امطرت السّماء فيبست الارض كانّه خزف رقاق يتردد منه الصوت إذا نقر .

١٥ ـ (وخلق الجآن من مارج من نار)

وخلق الله تعالى الجان وهو أبو الجن ـ كآدم أب البشر عليه السلام ـ من لهب النّار الصافى الذى لادخان فيه ، فانّ اللهب هوالاصفر والاخضر اللذان يعلوان النار إذا أوقدت وانتهت حمرتها .

٣٦ ـ (فبأى آلآء ربكما تكذبان)

فباىّ آلآء ربّكما يا معشر الجنّ والانس مما أفاض عليكما من سوابغ

النّعم فى تضاعيف خلق أصليكما : آدم من صلصال والجان من مارج من نار تكذبان وأنتم لاتعرفون حكمة الصلصاليّة فى سلسلة الترابيّة فى خلق آدم عليه السلام ولا حكمة المارجيّة من النار فى خلق الجان .

١٧ - (رب المشرقين ورب المغربين)

الله تعالى هو ربّ مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما ، وبذلك تحصل الفصول الأربعة ، وتقلب الهواء وتنوعه ، ومايلى ذلك من الامطار والأشجار والنبات والانهار الجاريات ، وتنتظم بها الأرزاق ، ومافى ذلك من مشاهد قدرة الله جلا وعلا ، وبديع صنعه ، وذلك كله نعمة عظيمة شاملة وغذىّ فضل إلهى وإحسان لكل إنس وجنّ .

وماورد فى ذلك انّ المشرقين : رسول الله وأمير المؤمنين والمغربين : الحسن والحسين عليهم السلام فمن التأويل فتأمّل واغتنم .

١٨ - (فبأى آلآء ربكما تكذبان)

فهل من مكذّب يامعشر الجن والانس بتلك النعم العامّة الشاملة ومنكر لها ؟

أفينكر إختلاف الفصول ومنافعها ، من إختلاف صنوف المزروعات الصّيفيّة والشتويّة أم ينكر الأمطار والأشجار والانهار الجارية وفوائدها أو ينكر ما لاختلاف الهواء والأجواء من مزايا فى تنظيم مزاج الانسان والحيوان وغيرها من المنافع الحاصلة من إختلاف الفصول الحاصلة من مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما .

١٩ و ٢٠ (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان)

خلّى الله تعالى وأرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين ، وأثار بينهما تماوجاً وتدافعاً وإضطراباً عند التقاء أحدهما بالاخر لايبغى أحدهما على صاحبه ، فلا الملح يطغى على العذب ، فيجعله ملحاً ، فيبطل بذلك نظام الحياة والبقاء ، ولا العذب يجعل البحر الملح مثله بالممازجة ، فيبطل بذلك مصلحة ملوحته من تطهير الهواء وعيش ما فيها من السّماك وغيرها . .

قال الله تعالى : « وهو الذى مرج البحرين هـذا عذب فرات وهـذا ملح

اجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً » الفرقان : ٥٣) .

وقال : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » فاطر : ١٢) .

وما ورد في ذلك ، فمن باب التأويل والتوسيع فتدبّر .

٢١ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

ومن الرّحمة العامّة انه جل وعلا جمع بين البحرين : عذباً فراتاً سائغاً شرابه وملحاً اجاجاً وهما فى مرأى العين ماء ولكل آثار وفوائد ومنافع ترجع كلها الى الانس والجن .

فلوبغى العذب على الملح لما وجدنا مايصلح الهواء ويمنع عاديات الجراثيم التى فيه وما اليها من فوائد البحر المالح وآثاره . . .

ولو بغى الملح على العذب لما وجدنا ماء للشرب ولا لسقى الحيوان والنبات ، وما وجدنا ما نقتات به فنهلك جوعاً ، وغيرها من منافع البحر العذب وخواصّه .

فبأىّ هذه النعم الشاملة الربانيّة يامعشر الجن والانس تكذّبان ؟

٢٢ ـ (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

يخرج من البحرين اللؤلؤ والمرجان ، واللؤلؤ : هو إفراز حيوان بحرى داخل بيت صدفى لونه أبيض مشرب بصفرة تتخذ منه الحلل الثمينة من قلائد وقرط وخواتيم .

والمرجان : هو خرز أحمر صفار وهو نباتى أقرب إلى عالم الحيوان . .

وقد ثبت حديثاً انّ اللؤلؤ يستخرج من البحر الملح والبحر العذب وان المرجان يستخرج غالباً من البحر الملح .

وهما على ما تشبه بهما الأشياء فى الصّفاء قال تعالى : « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » الواقعة : ٢٢ ـ ٢٣) .

وقال : « فيهن قاصرات الطرف - كأنهن الياقوت والمرجان » الرحمن : ٥٦ - ٥٨) .

وما ورد من ان اللؤلؤ والمرجان هما الحسن والحسين عليهما السلام فمن التأويل .

٢٣ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

ومن الرحمة العامة الالهية انه سخر لكم البحر ، فتستخرجون منه حليتكم وزينتكم .

قال الله تعالى : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » النحل : ١٤) .

فهل من مكذب يامعشر الجن والانس بتلك النعم الشاملة الربانية ومنكر لها ؟

٢٤ - (وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام)

ولله تعالى السفن الجارية فى البحار بأمره جل وعلا - سميت بالجوار لجريها فى البحار كما سميت المملوكة جارية باعتبار جريها لحوائج سيدها - مرفوعات القلاع والشرع ، فالسفن فى البحر التى رفعت شرعها فى الهواء كالجبال الشاهقة فى البر - وسمى الجبل علماً لظهوره واشرافه على الارض كمعلم من معالمها كما سميت الراية علماً والرجل العظيم البارز علماً لهذا المعنى - وهى تجرى فى البحر لانتفاع الناس ، وتنقل المتاجر والاقوات من بلاد إلى بلاد اخرى وهى محروم منها وبذا يتم تبادل السلع وسد حاجات الأمم فى أقواتها ومشاربها .

قال الله تعالى : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » الجاثية : ١٢) .

وقال : « ألم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » لقمان : ٣١) .

وقال : « والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس » البقرة : ١٦٤) .

٢٥ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم الشاملة والمنافع العائدة إليكم من الله تعالى بالسفن تكذّبان ؟

٢٦ ـ ٢٧ (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

كل من على وجه الارض من الجن والانس والحيوان سيفنى ويهلك عمّا هو عليه فى الحياة الدّنيا من الصور والأشكال والهيئات وتبقى موادّه وحقيقته . .

ويبقى ذات ربّك يا محمّد صلى الله عليه وآله وهو ذو العظمة والكبرياء وهو أهل لأن يكرم عما لايليق به من الشرك والكفران ، فلا بد من الحمد والثناء الجميل على إحسانه الذى يدور عليه إحسان غيره وعلى انعامه الذى هو أصل كلّ انعام أو هو الذى يكرم أوليائه بافضاله .

قال الله تعالى : « ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا اله الاّ هو كلّ شىء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون » القصص : ٨٨) .

وما ورد فى المقام فمن التأويل .

٢٨ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى هذه النعم الرّبانيّة من الخروج من سجن المادّة إلى فسيح العالم الروحى بعد الموت ، ومن تعاقب الأجيال بالفناء ، وإلى التمتع بنعيم آخر بعد البعث يا معشر الجن والانس تكذّبان ؟

وفى الفناء تجدّد مستمر فى العالم ، فانّ المادة الارضيّة لو بقيت على حال واحدة لما كان العيش على وجه الارض هنيئاً لتنفّر الطبع البشرى عن حالة واحدة لمحدوديّة قوى المادّة الارضيّة .

فانبعاث الصور المتنوعة ، وتعاقبها جيلاً بعد جيل ، يلبس المادّة جميع الصور والأشكال ، ويجعل العالم فى تجدّد مستمر .

ففى الموت حيات جديدة ، وفى الفناء بقاء أبدى ونعم سرمدى .

٢٩ ـ (يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن)

يسئل الله تعالى من فى السّموات من الملائكة ، ومن فى الارض من الجن

والانس وغيرهم كلّ يوم هو جلّ وعلا في شأن لاغنى لاحد منهم عنه تعالى .

فكل محتاج إليه وسائله وتصريفه للأكوان وشؤن الخلق دائم لاسكون فيه .

وهو جلّ وعلا مسئل حاجات عباده ومنتهى شكواهم ، وهم سائلوه من جلاله و كرمه ، سؤال الذليل عن العزيز ، سؤال الصغير إلى الكبير ، سؤال الضعيف عن القوى ، وسؤال من لا يملك شيئاً عمن يملك كلّ شيء ، سائلوه بلسان الحال والمقال . .

فالسؤال كناية عن حاجة مطلقة إذ كل مخلوق في حاجة أبداً إلى عون الله وإلى إمداد انعامه واحسانه . . « أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغنى » فاطر : ١٥) .

فكل مستمد من فضله تعالى سئل أولا . .

فان لم يسئل ، فهو يعلم بحاله ، فيغنيه برحمته العامّة عن سؤاله ، فانّ هذه المنن ، وتلك العطايا التى تعيش بهاوفيها المخلوقات ، وتحفظعليها وجودها كلها من عند الله ومن واسع رحمته.

وانّه تعالى فى كلّ يوم بل فى كل آن ولحظة فى تصريف وتدبير للخلق ، وهذا شأن مالك الملوك وخالق المخلوق لا يغفل أبداً عن ملكه ولا يفتر عن تدبير شئون خلقه قطّ .

« الله لا اله الاّ هو الحىّ القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السّموات وما فى الارض ـ وسع كرسيّه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » البقرة : ٢٥٥) .

وان هذا الوجود ليس مجرّد آلة تدور على وجه واحد لا يتغيّر ، بل هو فى كل آن فى صورة غير الصّورة التى كان عليها ، وفى حاجة غير ما كان عليه من قبل بل هو فى تجدّد دائم ، وفى حركة مستمرة .. يتبدّل أثواباً بأثواب ، وأحوالا بأحوال .. من غير خلل وإضطراب فى نظام الكون .

وهذا دليل قاطع ، وبرهان واضح على يد القدرة الكاملة ، على هذا الوجود يغيّره ويبدّله كيف يشاء ، مع إحتفاظه بهذا النظام المحكم البديع .. ولو كان

لهذا الوجود وجه واحد لما قام منه شاهد على أن له مدبّراً يدبّره ، ويحكم أمره ومن شأن الكائن الحيّ القادر أن يحرّك ويعمل ويؤثّر ، وأن يبلى قديماً ويلبس جديداً ، وأن يأخذ كل يوم وضعاً جديداً في الحياة ..

فهذا التبدّل والتحوّل والتغير كلّه في هذا الكون شاهد على أنّه قائم حدوثاً وبقاء على وجود حيّ مؤثر في حياة الكون ولهذا الحي المؤثر حياة أبدية سرمدية لا زوال ولا فناء لوجوده .

٣٠ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فباى هذه المنن السارية وتلك العطايا الجارية يامعشر الانس والجن تكذبان ؟!

٣١ ـ (سنفرغ لكم أيه الثقلان)

سنتجرّد لحسابكم وجزاءكم يوم القيامة ، يا معشر الجن والانس ، وهذا على سبيل الوعيد الشديد والانذار والتهديد .

وما ورد من انّ المراد بالثقلين القرآن وأهل البيت عليهم السّلام فمن التأويل ، والمعنى : سنفرغ لسئوال الخلق لكم والانتقام ممّن لم يرع حقكم .

٣٢ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بالوعيد والتهديد والانذار الربانيّة وهي نعم جليلة من النعم الشاملة التي تقيم كيان الجن والانس ، وترفع قدرهما في العالمين وهي التي لا تدع لاحد فرصة للغفلة عن مراقبة الله تعالى لهما ، وتحذير مما سيؤدى إلى سوء الحساب وشديد العقاب ؟ .

وذلك لانّ من المعلوم أن الوعيد والتهديد والانذار تلاحظ في السنن والقوانين الموضوعة بين جميع الامم لما فيها من التأثير في نظام الاسر والاجتماعات ...

٣٣ ـ (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)

إذا وقعت الواقعة ، وجمع الله تعالى أهل السّموات من الملائكة ، وأهل الارض من الجن والانس يأمر الله جلّ وعلا منادياً ينادى : يا معشر الجن والانس

إن قدرتم اليوم على أن تخرجوا من نواحى السّموات والارض هاربين من الحساب والجزاء فارّين من عذابه وفزع يومئذ فافعلوا ولن تفعلوا ذلك إلاّ بالحجة والبرهان وهما الايمان وصالح العمل.

ففى الاية إرشاد وهداية إلى ما فيه نجاة للجن والانس من فزع اليوم الاكبر وخلاص من عذاب يومئذ، وذلك نعمة عظيمة الهية.

٣٤ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذا الارشاد والهداية يامعشر الجن والانس تكذّبان؟

٣٥ - (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)

لو أردتم الخروج يوم القيامة من نواحى السّموات والارض ليرسل عليكما شواظ - وهو لهب - من نار حيث تشتعل وتؤجج لادخان فيه ويرسل عليكما نحاس - وهو الدخان الذى لا لهب فيه - وقيل: صفر مذاب يصب على رؤسكم، فلا ينصر بعضكم بعضاً يامعشر الجن والانس من البلاء والعناء لسقوط تأثير الاسباب يومئذ، ولا عاصم اليوم من الله عزّ وجلّ، ففى الآية اخبار عن حالة يوم القيامة يتحرز عنها العاقل بالاجتناب عن الكفر ومواقعة المعاصى وعن الانهماك فى الشهوات فى الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: «وترهقهم ذلّة مالهم من الله من عاصم كأنّما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً» يونس: ٢٧).

٣٦ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بالاخبار عن حالة يوم القيامة يوجب النجاة منها إذا اجتنبت عنها فى الحياة الدنيا؟

٣٧ - (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)

فاذا جاء يوم القيامة انشقت السّموات، وتفطرت واختلّت نظمها وتبعثرت أجرامها وكواكبها عن مداراتها، فتغيّر لونها، مما عليه فى الدنيا من لون

الزرقاء فتصير حمراء ، فتذيب كما يذوب درديء الزيت والفضّة حين السبك وتتلوّن كما تلوّن الأصباغ التى يدهن به ، فتكون حمراء تارة وخضراء اخرى وزرقاء ثالثة .

وفى الآية إخبار مما يزجر الانسان عن الشرّ ويقفه عنه ، ويحثّه إلى الخير ويوفقه باتيانه ، فهو لطف أىّ لطف ونعمة أيّما نعمة إلهيّة ورحمة عامّة ربانيّة .

٣٨ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بالاخبار الذى يقف المزدجر عن الشر ، ويوفّق المتفكّر إلى الخير كلّه .

٣٩ ـ (فيؤمئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان)

فيوم البعث وعند الحشر لايسئل إنس عن جرمه ولاجان عن ذنبه فى ذلك الموطن لما يلحقه من الذهول الذى تحار له العقول ، وفى الموطن الذى يقوم عليهم الاشهاد .

قال الله تعالى: « فهذا يوم البعث ـ فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون » الروم : ٥٦ و ٥٧) .

وقال : « هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون ـ هذا يوم الفصل جمعنا كم والاوّلين » المرسلات : ٣٥ ـ ٣٨) .

وقال : « ويوم يقوم الاشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم » المؤمن ٥١ و ٥٢).

وقال : « ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امّة شهيدا ـ ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون » القصص : ٧٤ ـ ٧٨)

وان وقعت المسئلة فى غير هذين الموطنين لقوله تعالى : « ولتسئلنّ عما كنتم تعملون » النحل : ٩٣) ففى الاية تخويف شديد .

٤٠ ـ (فبأى آلآء ربكما تكذبان)

ان التخويف نعمة عامة ربّانية يرتدع به المرتدع عن الذنوب ، ويتوب به

التائب إلى ربه ويثوب به المهتدى إلى رشده ، فبأىّ هذه النعم الشاملة يامعشر الجن والانس تكذّبان ؟

٤١ - (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام)

يعرف كلّ مجرم يوم القيامة بعلامات فى سيماهم من آثار الخزى ، وسواد وجوههم وزرقة عيونهم ، وهم يسحبون فى الحميم والاغلال فى أعناقهم وهم يسجرون فى النار والسلاسل فى أرجلهم .

قال الله تعالى : « يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا - وعنت الوجوه للحىّ القيّوم وقد خاب من حمل ظلماً » طه : ١٠٢ - ١١١) .

وقال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس فى جهنّم مثوى للمتكبّرين » الزمر : ٦٠) .

وقال : « وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة » عبس : ٤٠ - ٤٢) .

وقال : « إذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » المؤمن : ٧١ و ٧٢) .

وقال : « ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم » القمر : ٤٧ و ٤٨) وما ورد فى المقام ، فمن التأويل فتأمّل .

٤٢ - (فباى آلاء ربكما تكذبان)

فباىّ هذا التخويف والانذار والاخبار عن حال المجرمين يوم القيامة التى تقف المتعقّل عن الأجرام ، وتحثّ المتذكّر إلى الايمان وصالح العمل ، وتخرج المتدبّر من زمرة المجرمين فى الحياة الدنيا والنجاة من عذاب النار يوم القيامة تكذّبان ؟

٤٣ - (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون)

يقال للمجرمين يوم القيامة عند دخولهم فى النار على سبيل التأنيب والتوبيخ : هذه جهنم التى كنتم تكذّبون بها فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذّبون بيوم الدين ـ ثم انّهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذّبون » المطففين : ١٠ ـ ١٧) .

٤٤ ـ (يطوفون بينها وبين حميم آن)

ان المجرمين يعذّبون بالنّار مرّة ، ويتجرّعون من الحميم وهو الماء الذى انتهى حرّه واشتدّ غليانه مرّةاخرى ، ويصبّ عليهممن فوق رؤسهم ثالثة .

قال الله تعالى : « وأمّا إن كان من المكذّبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ـ فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم » الواقعة : ٥٤ ـ ٩٤) .

وقال : « فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود » الحج : ١٩ ـ ٢٠) .

وقال : « وسقوا ماء حميماً فقطّع أمعاءهم » محمد ﷺ : ١٥) .

٤٥ ـ (فبأى الاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم الربانيّة ، فيما وصف من أهوال القيامة ومخاوفها وعقاب المجرمين ، ما فى ذلك من الزجر عن المعاصى ، والترغيب فى الطاعات ، وإثارة الفزع فى قلوب الكفّار والمنافقين ، وحملهم على الارعواء ؟

٤٦ ـ (ولمن خاف مقام ربه جنتان)

ولمن خاف قيام ربّه عليه ـ فيعبده تعالى لكونه أهلا للعبادة ويترك معصيته لكونه ذا الجلال والاكرام ، وكونه تعالى مهيمنا عليه ، مراقباً له ، حافظاً لاحواله عليماً بأعماله ، بصيراً بافعاله ، سميعاً بأقواله ـ جنّتان .

وهذا هو خوف المقربين السابقين الخاضعين المخلصين له جلّ وعلا .

وليس هذا خوفاً من عقاب الله تعالى على الكفر به ومعصيته فقط كخوف العبيد من سياسة مواليهم فلا تكون الطاعة ابتغاء لوجه الله تعالى ، ولا خوفاً من حرمان الجنّة ونعيمها بالكفر والعصيان فحسب فتكون الطاعة طمعاً فى الجنّة

كعبادة التجار .

وإن كان الخوف من العقاب والحرمان من الثواب لاينافى الاخلاص لقوله تعالى : « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً انّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً » الانسان : ١٠) .

وقال : « يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون » النحل : ٥٠) .

وقال : « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرالله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧) .

وقال : « اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمة ويخافون عذابه » الاسراء : ٥٧) .

٤٧ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى هذه النعم ـ من الجنتين ونعيمها ـ اللّاتى ينال بها الخائف المطيع وتارك المعصية يامعشر الجن والانس تكذّبان ؟

٤٨ ـ (ذواتا أفنان)

انّ الظل نعيم من نعم الجنّة حيث يطيب الهواء ويعتدل به الجوّ وخصّ الأفنان بالذكر لانّها هى التى تورق وتثمر وتظلّ ، وانهما صاحبات فنون النعم ، ويشير إليها قوله تعالى : « فيهما من كل فاكهة زوجان » الرحمن : ٥٢) .

قال الله تعالى : « انّ المتّقين فى ظلال وعيون وفواكه ممّا يشتهون » المرسلات : ٤١ و ٤٢) .

وقال : « هم وأزواجهم فى ظلال على الأرآئك متّكئون لهم فيها فاكهة ولهم مايدّعون » يس : ٥٦ و ٥٧) .

وقال : « مثل الجنّة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم وظلّها تلك عقبى الذين اتّقوا » الرعد : ٣٥) .

٤٩ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى هذه النعم الالهية التى وعد الله تعالى الخائفين تكذبان ؟ وهى التى تحت

النفوس إلى الايمان وصالح العمل لتنال بها .

٥٠ ـ (فيهما عينان تجريان)

فى كل واحدة من الجنتين عين جارية للخائفين حيث شاؤا . وان جريان الماء العذب بنفسه نعمة عظيمة إلى جانب نعمة الجنة ، وإلى ظلها الممدود .

قال الله تعالى : « فى جنة عالية ـ فيها عين جارية » الغاشية : ١٠ ـ ١٢) .

وقال : « عيناً يشرب بها المقربون » المطففين . ٢٨) .

٥١ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب من الجن والانس بهذه النعم المتظاهرة ، ويجحد فضل الله تعالى وإحسانه بها ؟ .

٥٢ ـ (فيهما من كل فاكهة زوجان)

فى الجنتين من كل نوع من الفواكه الكثيرة صنفان : الذكر والانثى ، وإن خفيا علينا فى الحياة الدنيا ولا نعرفهما ولكن يوم القيامة تبرز كل شيء على حقيقته .

قال الله تعالى : « لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » الزخرف : ٧٣) .

وقال : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » الرعد : ٣) .

٥٣ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى هذه النعم الخاصة الربانية التى يعدها الله تعالى أهل الايمان والطاعة ـ وفى ذكرها حث للناس كافة إلى أسبابها ـ يا معشر الجن والانس تكذبان ؟

٥٤ ـ (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان)

حالكون الخائفين متكئين على فرش تكون بطائن الفرش من جنس الاستبرق ـ وهو الحرير الغليظ يتلألأ ـ وحال كون ثمار أشجار الجنتين قريبة من أربابها ، فيتناولونها حيثما شاؤا وكيفما أرادوا قائمين أو قاعدين أو مضطجعين من غير تعب ولاعناء ولا مانع ولا انقطاع .

قال الله تعالى : « اولئك لهم جنّات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » الكهف : ٣١) .

وقال : « انّ المتّقين فى مقام أمين فى جنّات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين » الدخان : ٥١ ـ ٥٣) .

وقال : « ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا » الانسان : ١٤) .

وقال : « فى جنّة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية » الحاقة : ٢٢ ـ ٢٤) .

وقال : « وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة » الواقعة : ٣٢ ـ ٣٣) .

٥٥ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه الكرامات والنعم الالهيّة ، يا معشر الجنّ والانس تكذّبان ؟

٥٦ ـ (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن قبلهم انس ولاجآن)

فى الجنّتين وما أعدّ لصاحبهما من النعيم أو فى الجنان إذ لكل واحد من الخائفين منها جنّتان ـ وقيل : فى هذه الفرش ـ حور عين قد قصر طرفهن على أزواجهنّ ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال ولا يردن غير أزواجهن ، فانهنّ لايرين أحداً فيها أحسن منهم ، وهنّ أبكار خلقهنّ الله تعالى للخائفين لم يمسهن يد إنس ولا جانّ ، ولم يجامعهن إنس ولا جان من قبل .

قال الله تعالى : « جنّات عدن مفتّحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب انّ هذا لرزقنا ماله من نفاد » ص : ٥٠ ـ ٥٤) .

وقال : «وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون» الصافات : ٤٨ ـ ٤٩) .

٥٧ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب من الجن والانس بهذه النعم الخاصّة الرحيمية ـ إذ لا ينال بها إلا الخائفون ـ وبهذه النعم العامّة الرحمانية ـ إذ فى ذكرها تحريض إلى

النيل بها بالايمان وصالح العمل ـ ؟

٥٨ ـ (كأنهن الياقوت والمرجان)

كأنّ هؤلاء القاصرات ياقوت في الصفاء والتلألؤ ، ومرجان في البياض والبهاء ، انّ الياقوت والمرجان حجران كريمان صافيان صفاء البلور ، ولكنهما مع هذا الصفاء مشربان بحمرة ليست في البلور ، ولهذا كان تشبيه الحور بهن أبلغ وأصدق لما يجري في بشرتهنّ من دم الشباب الذي يشرق منه هذا الشعاع الشفقي على وجوههنّ .

٥٩ ـ (فبأى الاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم الربانية ـ من صفاء قاصرات الطرف وتلألؤهـن وبياضهن ، أو من كون ذكرهنّ مشوقاً للنفوس إليهن تكذبان ؟

٦٠ ـ (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)

ليس جزاء الاحسان في العقيدة والعمل إلاّ الاحسان في المثوبة ، انّ هذه النعم التي تفاض من الله تعالى على الخائفين في الجنّة هي جزاء إحسانهم في العقيدة والعمل وخوفهم مقام ربّهم وإذا كان هؤلاء المحسنون قد أحسنوا العقيدة والعمل وخافوا مقام ربهم وتركوا المعاصي يزيد الله تعالى عليهم الجزاء .

قال : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصّلاة وايتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » النور : ٣٧ ـ ٣٨) .

وقال : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » آل عمران : ١٧٢) .

وقال : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربّكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين » النحل : ٣٠ ـ ٣١) .

٦١ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى هذه النعم الربانيّة ـ من جزاء الاحسان في الاخرة لمن أحسن عقيدته

وعمله في الحياة الدنيا ومن مزيد فضله على الخائفين ومن كون ذكر ذلك حثّاً للناس كافة الى الاحسان - يا معشر الجن والانس تكذّبان ؟

٦٢ - (ومن دونهما جنتان)

ومن وراء هاتين الجنتين اللتين كانتا للخائفين - وهم السابقون الاولون اولئك المقرّبون - جنتان اخريان أقل منهما فضلا ودرجة لاصحاب اليمين كيف لا وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً .

وقال : « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقرّبون » الواقعة : ٧-١١) .

وقال : « انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربّهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربّهم ومغفره ورزق كريم » الانفال : ٢ - ٤) .

وقال : « ولكل درجات مما عملوا » الانعام : ١٣٢) .

وقال : « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى » طه : ٧٥) .

وقال: « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » المجادلة: ١١) .

وقال : « وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة » النساء : ٩٥ - ٩٦) .

٦٣ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب يا معشر الجن والانس بهذه الدرجات كل بما عملوا وبما فى ذكرها من التشويق إلى أعلاها ، والتحريض إلى التسابق ؟

٦٤ - (مدهامتان)

هاتان الجنتان الدانيتان لأصحاب اليمين ، تنبتان النبات والرياحين الخضراء التى تضرب إلى السواد من شدة خضرتها، ونضرتها لكثرة الراى وهوابتهاج الشجرة .

٦٥ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ نعم ربّكما التى أنعم على أصحاب الجنّتين الدانيتين وما وصفهما حسب ما عملوا تكذّبان ؟

٦٦ ـ (فيهما عينان نضاختان)

فى الجنتين الدانيتين اللتين لاصحاب اليمين عينان تفوران فى دفعات متتالية ولا ترسلانه متدفقاً كالعينين اللتين فى الجنتين العاليين للخائفين ، إذ قال : « فيهما عينان تجريان » وليس هذا عن ضنّ من الله سبحانه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وانّما هو عطاء يفرّق فيه بين أهل الاحسان ، حيث ينزل كل منهما منزله الذى هو أهل له ودلك هو عدل الله تعالى الذى يجرى مع إحسانه ويضبط موازينه . .

٦٧ ـ (فبأى الاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب من الجن والانس بهذه النعمة المتظاهرة الالهية ويجحد فضل الله تعالى وإحسانه بها ؟ .

ومن المعلوم انّ فوران الماء العذب بنفسه نعمة عظيمة إلى جانب نعمة الجنّة وإلى نباتها ورياحينها الخضراء المبهجة التى تستوجب الحمد والشكر لله رب العالمين .

٦٨ ـ (فيهما فاكهة ونخل ورمان)

فى هاتين الجنتين الدانيتين لأصحاب اليمين فاكهة متلوّنة ، ونخل ورمّان ولكن لا على سبيل الشمول كما فى الجنتين العاليين للخائفين إذ قال : « فيهما من كلّ فاكهة » .

٦٩ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم الربانية من الفواكه المتلوّنة والنخل والرّمّان ينال بها أصحاب الجنة فيها تكذّبان ؟

٧٠ - (فيهن خيرات حسان)

فى الجنتين الدانيتين نساء مؤمنات صالحات فاضلات الاخلاق حسان الوجوه لأصحات اليمين .

٧١ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بهذه النعم الالهية في الاخرة وهى من سعادة المرء فى الحياة الدنيا؟

٧٢ - (حور مقصورات فى الخيام)

هنّ هؤلاء خيرات الحسان من نساء الدنيا المؤمنات الصالحات اللاتى صرن يوم القيامة واسعات العيون مع صفاء بياضها وشدّة سواد سوادها ، محبوسات فى الحجال ، حبس صيانة وتكرمة ، مستورات فى القباب ، قد قصرن أنفسهن عن أبصار غير أزواجهن ، ولسن بطلاقة العنان مبتذلات طوّافات فى الطرق ، ولا يردن غير أزواجهنّ ، فاذا انكشف وجه هؤلاء خيرات الحسان كنّ حوراً يقابلن هؤلاء الحور اللاتى فى الجنتين العالين للخائفين

٧٣ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم الربّانية من الصالحات المؤمنات ، وخصالهن وصفاتهن لاصحاب اليمين ، ومن كون ذكرها تشويق النفوس إليهن بما تستوجب إليهنّ من الايمان وصالح العمل تكذّبان ؟

٧٤ - (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان)

هؤلاء خيرات الحسان أبكار لم يمسسهنّ يد إنس ولا جانّ ، ولم يجامعهن أحد منهم من قبل ، أوليس هذه نعمة هنيئة فى أمر الزواج ؟

٧٥ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بهذه النعمة الهنيئة الزواجيّة ؟

٧٦ - (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)

حالكون أصحاب اليمين متكئين على ثياب ناعمة ، وفرش رقيقة النسج من

الديباج ، ووسائد عظيمة ، وبسط لها أطراف خضراء فاخرة عجيبة في رونقها ، وحسن منظرها وكمال صنعها .

٧٧ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم الربانيّة يامعشر الجن والانس تكذّبان ؟

٧٨ ـ (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)

تعاظم وتكرم اسم ربك يامحمد ﷺ وهو « الرحمن » لما أفاض برحمته الواسعة نعمتى المادية والمعنويّة على الجن والانس ، فمن تكرّم بهذا التكريم الشامل بالايمان وصالح العمل ، وبالحمد والشكر ، فهو من المكرمين يوم القيامة .

قال الله تعالى : « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » الاسراء : ٧٠) .

وقال : « انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون الاّ عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنّات النعيم» الصافات : ٣٨ ـ ٤٣) .

وقال : « الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدّقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربّهم مشفقون ان عذاب ربّهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك فى جنّات مكرمون » المعارج : ٢٣ ـ ٣٥) .

﴿جملة المعاني﴾

٤٩٠٢ - (الرحمن)

هو الّذى وسعت رحمته كل شيء وسار لطفه في هذا الوجود وهدى نوره كل موجود .

٤٩٠٣ - (علم القرآن)

علّم الله جل وعلا نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم القرآن ، وعلّمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمّته ، وبلّغه الناس والجن كافّة .

٤٩٠٤ - (خلق الانسان)

خلق الله تعالى آدم أبا البشر عليه السلام .

٤٩٠٥ - (علمه البيان)

علّم الله سبحانه الانسان البيان ، وهو إحدى امتيازات الانسان على غيره .

٤٩٠٦ - (الشمس والقمر بحسبان)

يجريان بحساب مقدّر في بروجهما ومنازلهما وحركتهما ودورانهما .

٤٩٠٧ - (والنجم والشجر يسجدان)

ونبات الارض الذى لاساق له ممّا ينبت من الارض والنبات الذى له ساق ، يبقى فى الشتاء ، وماله من الفروع يستسلمان لامر الله تكويناً وما فيهما من آثار الحدوث والانقياد .

٤٩٠٨ - (والسماء رفعها ووضع الميزان)

ورفع الله تعالى السموات بلا عمد ترونها . وأقامها على ميزان دقيق تجرى عليه امورها .

٤٩٠٩ - (الا تطغوا فى الميزان)

لأن لاتتعدّوا حدود الله التى جائت فى القرآن فيطابق التكوين التشريع .

٤٩١٠ - (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

وافعلوه مستقيماً بالعدل ولا تخسروا ما يوزن به الحق إطلاقاً .

٤٩١١ - (والارض وضعها للأنام)

وخلق الله جل وعلا الارض للانسان لينتفع بها فى معاشه .

٤٩١٢ - (فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام)

فى الارض ما يتفكّه به الانسان من ألوان الثّمار من ضروب الأشجار ، والنخل ذات الأوعية .

٤٩١٣ - (والحب ذوالعصف والريحان)

وما يحرث فى الارض من أنواع الحبوب ذوى التبن ، وما يأكل من الخضراوات . .

٤٩١٤ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بهذه النعم : المعنويّة والماديّة اللّتان ، يتكامل بهما الجسم والروح ؟ .

٤٩١٥ - (خلق الانسان من صلصال كالفخار)

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين يابس غير مطبوخ ، كأنّه خزف رقاق يتردد منه الصوت إذا نقر .

٤٩١٦ - (وخلق الجآن من مارج من نار)

وخلق الله أبا الجن من لهب النار الصافى الذى لا دخان فيه .

٤٩١٧ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى هذه النعم - من خلق أب الانس من الصلصال وأب الجن من المارج لما فيهما من الحكم التى ستظهر - إنشاء الله تعالى - تكذبان ؟ .

٤٩١٨ - (رب المشرقين ورب المغربين)

هو رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما .

٤٩١٩ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فهل من مكذب بالنعم الربانية المترتبة على مشرقى الصيف والشتاء ومغربهما ؟ .

٤٩٢٠ / ٤٩٢١ (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)

أرسل الله تعالى البحر الملح ، والبحر العذب متلاقيين ، وأثار بينهما تماوجاً وتدافعاً لايبغى أحدهما على صاحبه لما فى واحد منهما من المنافع .

٤٩٢٢ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأى تلك المنافع العامة الحاصلة من البحرين المختلفين المتلاقيين غير الباغين تكذبان ؟

٤٩٢٣ - (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

يخرج من البحرين اللؤلؤ والمرجان اللذان تتخذ منهما الحلى الثمينة ، ولما فيهما من الفوائد الكثيرة ...

٤٩٢٤ - (فبأى الاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بتلك الفوائد الحاصلة من اللؤلؤ والمرجان الخارجين ، من البحرين المسخرين لكم من الله القادر المتعال ؟ .

٤٩٢٥ - (وله الجوار المنشأت فى البحر كالاعلام)

ولله جل وعلا السفن الجارية فى البحار بأمره مرفوعات القلاع كالجبال

الشاهقة فى البرارى لانتفاع الناس .

٤٩٢٦ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فهل من مكذب بالمنافع العائدة إليكم من الله تعالى بالسفن ؟ .

٤٩٢٧ - (كل من عليها فان)

كلٌ من على وجه الارض من الجن والانس والحيوان سيفنى .

٤٩٢٨ - (ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام)

ويبقى ذات ربك يا محمد ﷺ وهو ذو العظمة والكبرياء والتكريم .

٤٩٢٩ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بالفناء الذى يليه البقاء وبقاء ذات خالقه الكبير المتعال الذى يكرم عباده المخلصين يوم القيامة بما فعلوا فى الحياة الدنيا ؟

٤٩٣٠ - (يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن)

يسئل الله تعالى من فى السّموات من الملائكة وأهلها ، ومن فى الارض من الجن والانس وغيرهم كل يوم هو جل وعلا فى شأن لاغنى لأحد منهم عنه سبحانه .

٤٩٣١ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فباى هذه المنن السارية ، وتلك العطايا المسئولة الجارية تكذّبان ؟ .

٤٩٣٢ - (سنفرغ لكم ايه الثقلان)

سنتجرّد لحسابكم وجزاءكم يا معشر الجن والانس يوم القيامة كل بما عمل .

٤٩٣٣ - (فباى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بهذا الوعيد والتهديد والانذار الموجبة لاصلاح الدين والدنيا؟

٤٩٣٤ - (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)

مناد ينادى يوم القيامة : يا معشر الجن والانس إن قدرتم اليوم على أن تخرجوا من نواحى السموات والارض هاربين من الحساب والجزاء فارين من عذاب

الله ، فافعلوا ولن تفعلوا ولا تنجوا من العذاب إلاّ بالايمان وصالح العمل .

٤٩٣٥ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بهذا الارشاد والهداية الالهيّة التى تنجى الجن والانس من العذاب ان استرشدوا واهتدوا ؟ .

٤٩٣٦ ـ (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)

لو أردتم الفرار يوم القيامة يرسل عليكما لهب من نار ودخان ، فلا يقدر أحد أن ينصر بعضكم بعضاً .

٤٩٣٧ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بالاخبار عن حالة يوم القيامة ينجى الانس والجن منها إذا اجتنبوا عن موجباتها فى الحياة الدنيا ؟ .

٤٩٣٨ ـ (فاذا انشقت السمآء فكانت وردة كالدهان)

فاذا انفطرت السّماوات ، واختلت نظامها ، فصارت حمراء تذيب كما يذوب درديء الزيت والفضة حين السبك .

٤٩٣٩ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بهذا الاخبار الذى يقف المزدجر عن الشر ، ويوفّق المتفكر إلى الخير كله ..؟

٤٩٤٠ ـ (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولاجان)

فيوم انشقاق السماء لا يسئل انس عن جرمه ، ولاجآن عن ذنبه لما يلحقهم عندئذ من الذهول الذى تحارله العقول .

٤٩٤١ ـ (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذا التخويف الذى يرتدع به المرتدع عن الذنوب تكذّبان ؟

٤٩٤٢ ـ (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام)

يعرف كل مجرم يوم القيامة بعلامات فى سيماهم ، فتأخذ ملائكة العذاب نواصيهم وأقدامهم ، فتقذفونهم فى نار جهنّم .

٤٩٤٣ ـ **(فبأى آلاء ربكما تكذبان)**

فمن يكذب بهذا الاخبار عن حال المجرمين يوم القيامة التى تحث المتذكر إلى الايمان وصالح العمل ، وتقف المتعقل عن الاجرام ؟

٤٩٤٤ ـ **(هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون)**

يقال للمجرمين يوم القيامة عند دخولهم فى النّار على سبيل التوبيخ : هذه جهنم التى كنتم بها تكذّبون فى الدنيا .

٤٩٤٥ ـ **(يطوفون بينها وبين حميم آن)**

يطوف المجرمون بين جهنّم ، فيعذّبون بالنار مرّة ، ويطوفون بين الماء الذى إنتهى حرّه ، واشتدّ غليانه مرّة اخرى .

٤٩٤٦ ـ **(فبأى آلاء ربكما تكذبان)**

فمن يكذّب بما وصف من أهوال القيامة ، وعقاب المجرمين لما فى ذلك زجر عن المعاصى وترغيب فى الطاعات ؟

٤٩٤٧ ـ **(ولمن خاف مقام ربه جنتان)**

ولمن خاف قيام ربّه عليه ، وكونه تعالى مهيمناً ومراقباً له ، فيعبده حق عبادته ، وعمل إبتغاء وجهه جنّتان .

٤٩٤٨ ـ **(فبأى آلاء ربكما تكذبان)**

فبأىّ هذه النعم ـ من الجنتين ونعيمها ـ اللّاتى ينال بها الخائف تكذّبان ؟

٤٩٤٩ ـ **(ذواتا أفنان)**

ان الجنتين المتقدم ذكرهما ، صاحبات فنون من النّعم والثمار ..

٤٩٥٠ ـ **(فبأى آلاء ربكما تكذبان)**

فبأىّ هذه النعم التى وعد الله تعالى الخائفين تكذّبان ؟ .

٤٩٥١ ـ **(فيهما عينان تجريان)**

فى الجنتين المتقدمتين عينان تجريان للخائفين حيث شاؤا ..

٤٩٥٢ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم المتظاهرة تكذّبان ؟ .

٤٩٥٣ - (فيهما من كل فاكهة زوجان)

فى الجنّتين من كل نوع من الفواكه الكثيرة صنفان .

٤٩٥٤ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بهذه النعم التى وعدها الله تعالى الخائفين ؟

٤٩٥٥ - (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان)

حالكون الخائفين متكئين على فرش تكون بطائن الفرش من جنس الاستبرق ، وحال كون ثمار أشجار الجنّتين قريبة من أربابها فيتناولونها حيثما شاؤا . .

٤٩٥٦ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىٍّ هذه الكرامات ، والنعم الالهيّة تكذّبان ؟ .

٤٩٥٧ - (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان)

فى الجنّتين ، وما أعدّ لاصحابهما من النعيم حور عين قد قصر طرفهن على أزواجهن لم يمسهن يد إنس ولا جانّ ولم يجامعهن إنس ولا جآن من قبل .

٤٩٥٨ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بهذه النعم التى يشتهى إليها كل نفس ، ولكن لا ينال بها إلاّ الخائفون ؟ .

٤٩٥٩ - (كأنهن الياقوت والمرجان)

كأن هؤلاء القاصرات ياقوت فى التلألؤ والصفاء ومرجان فى البياض والبهاء .

٤٩٦٠ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فبأىّ هذه النعم الربانيّة - من صفاء قاصرات الطرف وتلألؤهنّ وبياضهن تكذّبان ؟ .

٤٩٦١ - (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)

ليس جزاء الاحسان فى العقيدة والعمل الا الاحسان فى المثوبة .

٤٩٦٢ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بجزاء الاحسان فى الاخرة لمن أحسن عقيدته وعمله فى الحياة الدنيا ؟ .

٤٩٦٣ - (ومن دونهما جنتان)

ومن وراءهاتين الجنتين اللتين كانتا للخائفين جنتان اخربان أقل منهما فضلاً وأحطّ درجة لاصحاب اليمين .

٤٩٦٤ - (فباى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذب بهذه الدرجات فى الجنان كل بما عمل ؟ .

٤٩٦٥ - (مدهامتان)

هاتان الجنتان الدانيتان لاصحاب اليمين لهما نضرة وإبتهاج .

٤٩٦٦ - (فباى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بما وصفنا جنتى أصحاب اليمين به ؟ .

٤٩٦٧ - (فيهما عينان نضاختان)

فىهاتين الجنتين عينان تفوران فى دفعات متتالية .

٤٩٦٨ - (فباى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بهذه النعمة المتظاهرة ؟ .

٤٩٦٩ - (فيهما فاكهة ونخل ورمان)

فى هاتين الجنتين فاكهة متلوّنة ، ونخل ورمّان كثيرة .

٤٩٧٠ - (فباى آلاء ربكما تكذبان)

فباىّ هذه الفواكه ، والنخل والرّمان الكثيرة تكذبان ؟ .

٤٩٧١ - (فيهن خيرات حسان)

فى هاتين الجنتين نساء مؤمنات صالحات الاخلاق ، وحسنات الوجوه لأصحاب اليمين .

٤٩٧٢ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بنساء مؤمنات ، وأخلاق فاضلة ، وحسنة الوجوه ؟ .

٤٩٧٣ - (حور مقصورات فى الخيام)

واسعات العيون مع صفاء بياضها وشدّة سواد سوادها مستورات فى القباب .

٤٩٧٤ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بتلك خصال النساء وصفاتهنّ ؟ .

٤٩٧٥ - (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان)

هنّ أبكار لم يصل إليهن يد إنس ، ولا جان من قبل ذلك .

٤٩٧٦ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بهذه النعمة الهنيئة الزوجيّة التى تشوق إليها النفوس ولكن لاينال بها إلاّ أصحاب العفّة والغيرة ؟ .

٤٩٨٧ - (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)

حالكون أصحاب اليمين متكئين على ثياب ناعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج ، ووسائد عظيمة حسن منظرها .

٤٩٧٨ - (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فمن يكذّب بهذه النعمة الفاخرة المبتهجة الاخروية ؟

٤٩٧٩ - (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)

كثر صدور الخيرات والنعم بقسمي الماديّة والمعنوية ، الدنيوية والاخروية وزادت البركات عن اسم ربّك يا محمد ﷺ له عظمة وكبرياء ، وتكريم ينبغى للجن والانس أن يشكروه عند كل نعمة وإكرام .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : باسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قوله : « الرحمن علّم القرآن » قال : الله علّم محمداً القرآن قلت : « خلق الانسان » ؟ قال : ذلك أمير المؤمنين عليه السلام قلت : « علّمه البيان » ؟ قال : علّمه تبيان كلّ شيء يحتاج الناس إليه قلت : « الشمس والقمر بحسبان » ؟ قال : هما يعذّبان قلت : الشمس والقمر يعذّبان ؟ قال : سئلت عن شيء ، فاتقنه انّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له ضوئهما من نور عرشه وجرمهما من جهنم (وحرّهما من حر جهنم ـ خ) فاذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما وعاد إلى النّار جرمهما (حرّهما ـ خ) .

فلا يكون شمس ولا قمر وانّما عناهما لعنهما الله أوليس قد روى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : انّ الشمس والقمر نوران في النّار ؟ قلت : بلى ، قال : أما سمعت قول الناس : فلان وفلان شمسي هذه الأمّة ونوريهما وهما في النار ؟ والله ما عنى غيرهما قلت : « النجم والشجر يسجدان » ؟ قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمّاه الله في غير موضع « والنجم اذا هوى » وقال : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » فالعلامات : الاوصياء ، والنجم : رسول الله صلى الله عليه وآله .

قلت : « يسجدان » ؟ قال : يعبدان وقوله : « والسماء رفعها ووضع الميزان » قال : السماء رسول الله صلى الله عليه وآله رفعه الله اليه والميزان أمير المؤمنين عليه السلام نصبه لخلقه قلت : « ألاّ تطغوا في الميزان » قال : لا تعصوا الامام ، قلت : « وأقيموا الوزن بالقسط » قال : أقيموا الامام بالعدل ، قلت:

« ولا تخسروا الميزان » ؟ قال: ولا تبخسوا الامام حقه ولا تظلموه ، وقوله: « والارض وضعها للأنام » ؟ قال : للناس « فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام » ؟ قال : يكبر ثمر النخل في القمح ، ثمّ يطلع منه ، قوله : « والحبّ ذو العصف والريحان » ؟ قال : الحب : الحنطة والشعيروالحبوب، والعصف : التبن والريحان: ما يؤكل منه ، وقوله : « فبأى آلاء ربكما تكذّبان » قال : في الظاهر مخاطبة الجن والانس ، وفي الباطن فلان وفلان .

أقول : فعلى هذا التأويل يكون التعبير بالشمس والقمر عن الاوّل والثاني على سبيل التهكم لاشتهارهما بين المخالفين بهما ، والمراد بالحسبان : البلاء والشرّ اللذان وقعتا على الأمة الاسلاميّة في طوال الاعصار والقرون مالا يخفى على القارىء المتدبّر المنصف .

وفي كنز الفوائد : باسناده عن داود الرقي قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » قال : يا داود سئلت عن أمر فاكتف بما يرد عليك ، انّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره ثمّ انّ الله ضرب ذلك مثلاً لمن وثب علينا وهتك حرمتنا وظلمنا حقّنا ، فقال : هما بحسبان قال: هما في عذابي ، قال : قلت : « والنجم والشجر يسجدان » ؟

قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وآله والشجر أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام لم يعصوا الله طرفة عين ، قال : قلت « والسّماء رفعها ووضع الميزان » قال : السّماء رسول الله صلى الله عليه وآله قبضه الله ثمّ رفعه إليه « ووضع الميزان » والميزان أمير المؤمنين عليه السلام نصبه لهم من بعده قلت : « وأن لاتطغوا في الميزان » قال لاتطغوا في الامام بالعصيان والخلاف ، قال : « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » قال : أطيعوا الامام بالعدل ، ولا تبخسوه من حقّه ، قلت : قوله : « فبأى آلاء ربكما تكذّبان » ، قال : أى بأىّ نعمتى تكذّبان ؟ بمحمّد أم بعليّ ؟ فيهما أنعمت على العباد .

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير قال : سئلت عن أبي عبد الله عليه السلام

عن قول الله عزّ وجلّ: « فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان » ؟ قال: قال الله : فبأيّ النعمتين تكفران بمحمّد صلى الله عليه وآله أم بعلي عليه السلام ؟

وفي الكافي : باسناده عن أبي يوسف البزّاز قال: تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الاية: « واذكروا آلاء الله » قال: أتدري ما آلاء الله ؟ قلت: لا قال: هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا .

وفيه : باسناده عن جابر بن عبد الله قال: لمّا قرء رسول الله صلى الله عليه وآله الرحمن على النّاس سكتوا، فلم يقولوا شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الجنّ كانوا أحسن جواباً منكم لمّا قرأت عليهم: « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » قالوا: لا ولا بشيء من آلاء ربّنا نكذّب.

وفيه : باسناده في إحتجاج الامام عليّ عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملأ وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام انّه قد غمّ أهله، وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام عليّ بعاصم بن زياد، فجيء به، فلمّا رآه عبس في وجهه فقال له:

أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك ؟ أترى الله أحلّ لك الطيّبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك أوليس الله يقول: « والارض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ».

وفي البرهان : عن أبي بصير عن الصّادق عليه السلام انّه قال: أخبرني عن خلق آدم كيف خلقه الله تعالى ؟ قال: انّ الله تعالى لمّا خلق نار السّموم، وهي نار لا حرّ لها ولا دخان، فخلق منها الجانّ، فذلك معنى قوله: « والجانّ خلقناه من قبل من نار السّموم » وسمّاه مارجاً، وخلق منها زوجه وسمّاها مارجة، فوقعها فولدت الجان ثم ولد الجانّ ولداً سمّاه الجن، ومنه تفرعت قبايل الجن، ومنهم إبليس اللعين، وكان يولد للجان الذكر والانثى، ويولد الجن كذلك توأمين، فصاروا تسعين ألفا ذكراً وانثى، وازدادوا حتّى بلغوا عدد الرمال . الحديث ..

وفي العيون : باسناده عن الرضا عليه السلام فيما سئل الشّامي علياً عليه السلام وفيه سئله عن إسم أبي الجنّ ، فقال : شومان وهو الذي خلق من مارج من نار .

وفي الاحتجاج : عن الامام علي عليه السلام في حديث ـ وأمّا قوله : « ربّ المشرقين وربّ المغربين » فانّ مشرق الشتّاء على حدة ومشرق الصيف على حدة أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها ؟ وأمّا قوله : « رب المشارق والمغارب » فان لها ثلاثة وستين (ثلاثمأة وستين) برجاً تطلع كل يوم من برج ، وتغيب في آخر ، فلا تعود اليه إلا من قابل في ذلك اليوم .

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « رب المشرقين وربّ المغربين » قال : المشرقين رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما ، والمغربين الحسن والحسين عليهما السلام ، وأمثالهما تجرى .

٢٠ ـ وفي الدر المنثور : عن إبن عباس في قوله : « مرج البحرين يلتقيان » قال : علي وفاطمة « بينهما برزخ لا يبغيان » قال : النبيّ صلى الله عليه وآله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » قال : الحسن والحسين .

أقول : وقد سبق كثير من الروايات الواردة عن طريق العامة في هذا المعنى في النزول فراجع .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن محمد بن علي الباقر عن علي أمير المؤمنين عليهم السلام قال : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » قال : من السماء ومن ماء البحر ، فاذا امطرت فتحت الاصداف أفواهها في البحر ، فيقع فيها من ماء المطر ، فتخلق اللؤلؤ الصغيرة من القطرة الصغيرة واللؤلو الكبيرة من القطرة الكبيرة .

وفي العيون : باسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في قوله عزّ وجلّ : « وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام » قال : السّفن .

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن : للقرطبي : وفي الحديث : انّ علياً رضى الله عنه رأى سفناً مقلعة فقال : وربّ هذه الجوارى المنشآت ما قتلت عثمان

ولا مالأت في قتله .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « كلّ من عليها فان » قال : من على وجه الارض « ويبقى وجه ربّك » قال : دين ربّك ، وقال على بن الحسين عليه السلام : نحن الوجه الذى يؤتى الله منه .

وفي التوحيد : باسناده عن أبي الصّلت الهروى _ في حديث _ قال : قلت لعلى بن موسى الرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ! فما معنى الخبر الذى رووه ان ثواب « لا إله إلا الله » النظر إلى وجه الله ؟ فقال عليه السلام : يا أبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ولكن وجه الله أنبيائه ورسله وحججه صلوات الله عليهم ، هم الذين بهم يتوجّه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته ، وقال الله عزوجل :

« كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك » فالنّظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة ، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله : من أبغض أهل بيتى وعترتى لن يرنى ولم أره يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله : ان فيكم من لا يرانى بعد أن يفارقنى ، يا أبا الصّلت ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام . الحديث . .

وفيه : باسناده عن الحارث بن المغيرة النصريّ قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « كلّ شيء هالك الاّ وجهه » قال : كل شيء هالك إلاّ من أخذ طريق الحق .

أقول : وذلك لان طريق الحق هو الذى يتوسّل به إلى الله ويتوجّه إلى رضوانه ودار الحيوان ، وكذلك أئمّة الدّين فانهم جهة الله تعالى وبهم يتوجه إلى الله ، ورضوانه ودار الحيوان ، فمن أراد طاعة الله تعالى فلا بدّ له أن يتوجّه إليهم .

وفيه : باسناده عن صفوان الجمّال عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « كل شيء هالك إلاّ وجهه » قال : ومن أتى الله بما أمر به من طاعة محمد والائمّة من بعده صلوات الله عليهم ، فهو الوجه الذى لا يهلك ، ثم قرأ : « من

يطع الرّسول فقد أطاع الله ».

وفيه : وبهذا الاسناد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام نحن وجه الله الذى لايهلك.

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربّك » قال : دين ربّك ، وقال على بن الحسين عليهما السّلام : نحن الوجه الّذى يؤتى الله منه.

وفى المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه فى قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك » قال الصّادق عليه السلام : نحن وجه الله.

وفى الاحتجاج : عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث ـ قال : وأمّا قوله : « كل شيء هالك إلاّ وجهه » فالمراد كل شيء هالك الاّ دينه ، لأنّ من المحال أن يهلك الله كل شيء ويبقى الوجه ، هو أجلّ وأعظم من ذلك ، وانّما يهلك من ليس منه ، ألاترى انّه قال : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربّك » ففصل بين خلقه ووجهه.

وفى المصباح : للشيخ الطوسى قدس سره فى دعاء إدريس النبى عليه السلام : يا بديع البدايع ومعيدها بعد فنائها بقدرته.

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يسئله من فى السّموات والارض كل يوم هو فى شأن » قال : يحيى ويميت ويرزق ويزيد وينقص.

وفى مجالس الشيخ : باسناده عن الامام على عليه السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : قال الله تعالى : « كل يوم هو فى شأن » فان من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ويرفع قوماً ، ويضع آخرين.

وفى المجمع : عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وآله : الرّواية.

وفى الكافى : فى خطبة الامام على عليه السلام : « الحمدلله الذى لايموت ولا تنقضى عجائبه لانّه كلّ يوم هو فى شأن من أحداث بديع لم يكن ».

٣١ ـ وفى كنزالفوائد : باسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله عز وجل : « سنفرغ لكم أيّها الثقلان نحن والقرآن.

وفيه : باسناده عن زرارة قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : « سنفرغ لكم ايّها الثقلان » قال : كتاب الله ونحن .

وفي تفسير القمي : وقوله : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » قال : قال : نحن وكتاب الله والدّليل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : انّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

وفي الاحتجاج : بالاسناد عن الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث وفيه خطبة الغدير وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « معاشر الناس اني ادعها امامة ووراثة في عقبي إلى يوم القيامة وقد بلغت ما امرت بتبليغه حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد من شهد أولم يشهد ولد أو لم يولد ، فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة وسيجعلونها ملكا واغتصاباً ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين وعندها « سنفرغ لكم أيّها الثقلان فيرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .

وفي العيون : باسناده عن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّ الله تعالى ديكاً عرفه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارضين السّابعة السفلى إذا كان في الثلث الأخير من الليل سبّح الله تعالى ذكره بصوت يسمعه كل شيء ما خلا الثقلين الجن والانس ، فيصيح عند ذلك ديكة الدّنيا .

وفي التوحيد : في خطبة للامام علي عليه السلام قال فيها - : وانشأ - الله - ما أراد انشاءه على ما أراد من الثقلين : الجن والانس ليعرف بذلك ربوبيته ويمكن فيهم طواعيته .

وفيه قال الرضا عليه السلام في حديث - : فمن المبلغ عن الله عزّ وجل الى الثقلين : الجن والانس .

وفي المجمع : وقد جاء في الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثمّ ينادون : « يامعشر الجن والانس إن استطعتم - إلى قوله : - يرسل عليكما شواظ من نار » .

وفي تفسير القمي : باسناده عن عمر بن شيبة عن أبي جعفر عليه السلام قال :

سمعته يقول إبتداء منه : ان الله إذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لا بد منه أمر منادياً ينادى ، فيجتمع الانس والجن فى أسرع من طرفة عين ثم اذن لسماء الدنيا ، فتنزل ، وكان من وراء الناس وأذن لسماء الثانية ، فتنزل ، وهى ضعف التى تليها فاذا رأوا (رآها ـ خ) أهل سماء الدنيا قالوا : جاء ربّنا قالوا : هو آت يعنى أمره حتى تنزل كل سماء كل واحدة من وراء الاخرى ، وهى ضعف التى تليها ثم يأتى (ينزل ـ خ) أمر الله فى ظلل من الغمام والملائكة ، وقضى الامر وإلى الله ترجع الامور .

ثم يأمر الله منادياً ينادى : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » قال وبكى عليه السلام حتى اذا سكت قال : قلت : جعلنى الله فداك يا أبا جعفر وأين رسول الله وأمير المؤمنين وشيعته ؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام رسول الله وعلى وشيعته على كثبان من المسك الاذفر على منابر من نور يحزن الناس ، ولا يحزنون ويفزع الناس ولايفزعون ثم تلا هذه الاية : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » .

فالحسنة ولاية على عليه السلام ، ثم قال : « لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » ، وقوله : « إلا بسلطان » أى بحجة .

وفى رواية : مسعدة بن صدقة عن كليب قال : كنّا عند أبى عبد الله عليه السلام فأنشأ يحدثنا فقال : إذاكان يوم القيامة جمع الله العباد فى صعيد واحد وذلك انه يوحى إلى السماء الدنيا أن اهبطى بمن فيك ، فتهبط أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الارض من الجن والانس والملائكة ، فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سماوات ، فتصير الجن والانس فى سبع سرادقات من الملائكة ، فينادى مناد : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم » الاية .

فينظرون فاذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة .

وفى محاسن البرقى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا

كان يوم القيامة دعي برسول الله صلى الله عليه وآله فيكسى حلّة ورديّة فقلت : جعلت فداك وردية ؟ قال : نعم أما سمعت قول الله عزّ وجل : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدّهان » ثم يدعى من شاءالله ، فيقومون على يمين علي عليه السلام ثم يدعى بشيعتنا ، فيقومون عن يمين من شاء الله ، ثم قال : يا أبا محمد أين ترى ينطلق بنا ؟ قال : قلت : إلى الجنة ، قال : ما شاء الله .

وفي المجمع : وروى عن الرضا عليه السلام انه قال : **فيومئذ لا يسئل منكم عن ذنبه انس ولاجان** والمعنى : انّ من اعتقد الحق ثم اذنب ولم يتب في الدنيا عذب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسئل عنه .

٤١ ـ وفي غيبة النعماني : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « يعرف المجرمون بسيماهم » قال : الله يعرفهم ولكن نزلت في القائم يعرفهم بسيماهم فيخبطهم بالسّيف هو وأصحابه خبطاً .

وفي الاختصاص : باسناده عن معاوية الدهني عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام » فقال : يامعاوية مايقولون في هذا ؟ قلت : يزعمون أن الله تبارك وتعالى يعرفون المجرمون بسيماهم في القيامة ، فيأمر بهم فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم ، فيلقون في النار ، فقال لي : وكيف يحتاج الجبّار تبارك وتعالى إلى معرفة خلق أنشأهم وهم خلقه ؟ فقلت : جعلت فداك وما ذلك ؟ قال : لو قام قائمنا أعطاه الله السيماء فيأمر بالكافر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم ، ثم يخبط بالسّيف خبطاً .

أقول : رواه الصفّار قدس سرّه في بصائر الدرجات .

وقوله عليه السلام : « يخبط » الخبط الضرب الشديد ، ويخبط القوم بسيفه : جلّدهم .

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي : عن أبي الدرداء إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية : « ولمن خاف مقام ربه جنّتان » فقلت : وإن زنى وإن سرق ، قال صلى الله عليه وآله : انّ من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق .

وفى الكافى : باسناده عن داود الرّقى عن أبى عبدالله عليه‌السلام فى قول الله عزوجل : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قال : من علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال ، فذلك الذى خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .

وفى الفقيه : فى مناهى النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله قال عليه‌السلام : ومن عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزوجل حرم عليه النار ، وآمنه من الفزع الاكبر وأنجز له ما وعده فى كتابه .

وفى التوحيد : فى خطبة الامام على عليه‌السلام : « أيها الناس من خاف ربّه كفّ ظلمه » .

وفى الخصال : عن الحسن قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : قال الله تبارك وتعالى : وعزّتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، فاذا أمننى فى الدنيا ، أخفته فى الاخرة يوم القيامة ، وإذا خافنى فى الدنيا أخفته فى الاخرة يوم القيامة ، واذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة .

وفى البرهان : بالاسناد عن جابر بن يزيد الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام قال : إنّ الجنان أربع وذلك قول الله : « ولمن خاف مقام ربّه جنّتان » وهو انّ الرجل يهجم على شهوة من شهوات الدّنيا وهى معصية فيذكر مقام ربّه ، فيدعها من مخافته فهذه الاية فهاتان جنّتان للمؤمنين والسابقين .

وأما قوله : « ومن دونهما جنتان » يقول : من دونهما فى الفضل : وليس من دونهما فى القرب ، وهما لاصحاب اليمين وهى جنّة النعيم وجنّة المأوى .

وفى هذه الجنان الاربع فواكه فى الكثرة كورق الشجر والنجوم ، وعلى هذه الجنان الاربع حائط محيط بها طوله مسيرة خمسمأة عام ، لبنة من فضّة ولبنة من ذهب ، ولبنة من درّ ولبنة من ياقوت ، وملاطها المسك والزعفران ، وشرفه نور يتلألأ يرى الرّجل وجهه فى الحائط ، وفى الحائط ثمانية أبواب على كل باب مصراعان عرضهما كحضر الفرس الجواد سنة .

أقول : إذا كان عرض الجنة عرض السموات والارض إذ قال تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السّموات والاض اعدّت للمتقين » آل عمران : ١٣٣) .

فلا يبعد أن يكون عرض مصرعى بابها كحضر الفرس الجواد سنة .

وفى تفسير العياشي : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أخبرنى عن الرّجل المؤمن له امرأة مؤمنة يدخلان الجنّة يتزوّج أحدهما الاخر ؟ فقال : يا أبا محمد انّ الله حكم عدل إذا كان أفضل منها خيّره ، فان اختارها كانت من أزواجه وإن كانت هى خيراً منه خيّرها فان اختارته كان زوجاً لها ، قال :

وقال أبو عبدالله عليه السلام : لاتقولن جنّة واحدة ، ان الله يقول : « ومن دونهما جنّتان » .

ولا تقولن درجة واحدة ، ان الله تعالى يقول : « درجات بعضها فوق بعض » انما تفاضل القوم بالأعمال ، قال : وقلت له : من المؤمنين يدخلان الجنّة فيكون أحدهما أرفع مكانا من الاخر ، فيشتهى ان يلقى صاحبه قال : من كان فوقه . فله ان يهبط ، ومن كان تحته له لم يكن ان يصعد لانه لم يبلغ ذلك المكان ، ولكنهم إذا أحبّوا ذلك ، واشتهوا القوه على الاسرة .

وفى البرهان : عن العلاء بن سيابة عن أبى عبدالله عليه السلام قلت : له ان النّاس يتعجّبون منّا إذا قلنا يخرج قوم من النّار ، فيدخلون الجنّة ، فيقولون لنا ، فيكونون مع أولياء الله فى الجنّة ، فقال : ياعلاء ان الله تعالى يقول : « ومن دونهما جنّتان » لا والله لايكون مع أولياء الله قلت : كانوا كافرين ؟ قال : لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنّة ، قلت : كانوا مؤمنين ؟ قال ، لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النّار ولكن بين ذلك .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « قاصرات الطرف » قال : الحور العين يقصر الطرف عنها من ضوء نورها :

وفى الدر المنثور : عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله : « قاصرات الطرف » قال : لا ينظرن إلا إلى أزواجهن .

وفى المجمع : « قاصرات الطرف » قصرت طرفهن على أزواجهن لم يردن غيرهم ، وقال أبوذر : انها تقول لزوجها : وعزة ربى ما أرى فى الجنة أخير منك فالحمد لله الذى جعلنى زوجك وجعلك زوجى .

« كأنهن الياقوت والمرجان » وفى الحديث ان المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها وراء سبعين حلة من حرير .

٦٠ - وفى أمالى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن على بن ابيطالب عليه السلام فى قول الله عزوجل : « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان الله عزوجل قال : ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة .

أقول: رواه الحميرى فى قرب الاسناد والصدوق فى التوحيد والقمى فى تفسيره والشيخ المفيد فى مجالسه وفى الاختصاص .

وفى التوحيد : باسناده عن أحمد بن عبدالله الجويبارى عن الرضا على بن موسى عن أبيه عن آبائه عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما جزاء من أنعم الله عز وجل عليه بالتوحيد إلا الجنة .

وفى تفسير العياشى : باسناده عن على بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : آية فى كتاب الله مسجلة قلت : وما هى؟ قال : قول الله عزوجل « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » جرى فى الكافر والمؤمن والبر والفاجر ومن صنع إليه معروف ، فعليه أن يكافىء به وليس المكافاة أن يصنع كما صنع حتى يربى ، فان صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء .

وفى المجالس : باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه عليهما السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : التوحيد ثمن الجنة والحمد لله رفاه كل نعمة والخشية مفتاح كل حكمة والاخلاص ملاك كل طاعة .

وفى العلل : باسناده عن الحسن بن على عليهما السلام عن النبى صلى الله عليه وآله فى حديث ـ قال : وأما قوله : لا إله إلا الله فثمنها الجنّة وذلك قول الله عز وجل : « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » قال : هل جزاء مَن لا إله إلا الله إلا الجنّة .

وفى المجمع : « ومن دونهما جنّتان » روى عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال جنتان من فضّة أبنيتهما وما فيهما جنّتان من ذهب أبنيتهما وما فيهما .

وفى الدرالمنثور : عن النّبىّ صلى الله عليه وآله فى حديث ـ وقوله : « ومن دونهما جنتان » قال : جنّتان من ذهب للمقرّبين وجنّتان من ورق لاصحاب اليمين .

وفى تفسير القمى : باسناده عن يونس بن ظبيان عن أبى عبدالله عليه السّلام في قول الله : « مدهامتان » قال : يتصل مابين مكة والمدينة نخلاً وقوله : « عينان نضّاختان » قال : تفوران .

وفى الدرالمنثور : عن أبى أيّوب قال : سئلت النّبىّ صلى الله عليه وآله عن قوله : « مدهامّتان » قال : خضراوان .

وفى روضة الكافى : باسناده عن الحلبىّ قال : سئلت أباعبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : « فيهنّ خيرات حسان » قال : هنّ صوالح المؤمنات العارفات ، قال : قلت : « حور مقصورات فى الخيام » ؟ قال : الحور هنّ البيض المضمومات المخدّرات في خيام الدّر والياقوت والمرجان ، لكلّ خيمة أربعة أبواب على كلّ باب سبعون كاعباً حجّاباً لهنّ ، ويأتيهنّ فى كل يوم كرامة من الله عز ذكره ليبشّر الله عز وجل بهنّ المؤمنين .

وقوله : عليه السّلام « المضمومات » أى اللاتى ضممن إلى خدورهنّ لايفارقنه ، و«كاعباً» الكاعب : الجارية حين تبد ثديها للنبود أى الارتفاع عن الصدر.

وفيه : باسناده عن مالك بن أعين قال : سئلت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الرّجل للرّجل : جزاك الله خيراً ما يعنى به ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : انّ خيراً نهر فى الجنة مخرجه من الكوثر ، والكوثر مخرجه من ساق العرش ، عليه منازل الأوصياء وشيعتهم على حافتى ذلك النهر جوارى نابتات كلّما قلعت واحدة

نبتت اخرى سمّي بذلك النهر وذلك قوله تعالى : « فيهنّ خيرات حسان » فاذا قال الرّجل لصاحبه : جزاك الله خيراً فانّما يعنى بذلك تلك المنازل التى قد أعدّها الله عزّ وجل لصفوته وخيرته من خلقه .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « فيهن خيرات حسان » قال : جوار نابتات على شطّ الكوثر كلّما أخذت منها نبتت مكانها اخرى .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « خيرات حسان » أى نساء خيرات الاخلاق حسان الوجوه ، روته ام سلمة عن النبى صلى الله عليه وآله .

وفى الفقيه : قال الصادق عليه السلام : الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا وهنّ أجمل من الحور العين .

وفى البرهان : بالاسناد عن عوف بن عبدالله الازدى عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث ـ قال : وحدث انّ الحور العين خلقهنّ الله فى الجنّة مع شجرها ، وحبسهنّ على أزواجهن فى الدنيا على كل واحدة منهنّ سبعون حلّة يرى بياض سوقهنّ من وراء الحلل السبعين كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء ، والسلك الابيض فى الياقوتة الحمراء .

يجامعها فى قوّة مأة رجل شهوة أربعين سنة وهنّ شقراء أبكار عذارى كلّما نكحت صارت عذراء لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يقول لم يمسّهن انسىّ ولا جنّىّ قطّ ، فيهنّ خيرات حسان يعنى خيرات الاخلاق حسان الوجوه كأنّهن الياقوت والمرجان يعنى صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ قال : فانّ فى الجنّة لنهراً حافيته الجوارى قال : فيوحى اليهن الرب تبارك وتعالى : اسمعن عبادى تمجيدى وتسبيحى وتحميدى ، فيرفعن أصواتهنّ بألحان وترجيع لم يسمع الخلائق مثلها قطّ ، فتطرب أهل الجنّة .

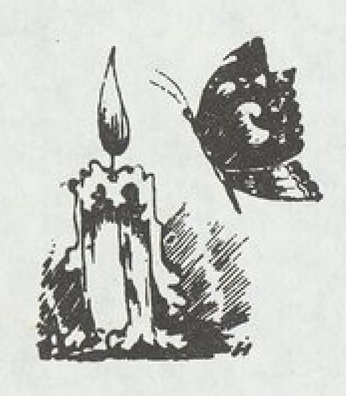
أقول : ويرتفع الابهام من الروايات بكون « خيرات حسان » على طائفتين : طائفة إنسيّة دنياويّة ، وطائفة حورية اخراويّة .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « حور مقصورات فى الخيام » قال :

أي يقصر الطرف عنها .

وفي المجمع : عن النبي صلى الله عليه وآله قال : مررت ليلة أسري بي بنهر حافتاه قباب المرجان ، فنوديت عنه : السلام عليك يارسول الله ! فقلت : ياجبرئيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء جوار من الحور العين استأذن ربّهن أن يسلمن عليك ، فأذن لهن ، فقلن : نحن الخالدات ، فلانموت ، ونحن الناعمات ، فلانيأس ازواج رجال كرام ثم قرأ صلى الله عليه وآله : « حور مقصورات في الخيام » .

وفي تفسير القمي : باسناده عن سعدبن طريف عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام » فقال : نحن جلال الله وكرامته التي أكرم الله العباد بطاعتنا ومحبتنا .



﴿ بحث مذهبي ﴾

إختلف بين المتكلمين والحكماء والمفسرين في المايز بين الانسان والحيوان فذهب الاكثرون إلى ان المايز هو البيان، وقالوا: لولاه لما كان بينهما فرق.

وذهب الاخرون إلى ان المايز هو الاستعداد إلى الكمال الروحي، وأما البيان فهو إحدى الادوات إلى الكمال، ومبرزه.

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: « علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » الرحمن: ٢ - ٤).

وذلك لأن في تقديم تعليم القرآن على خلق الانسان، وهو على تعليم البيان دلالة على أن المايز بين الانسان والحيوان، هو استعداد للكمال الروحي وان البيان بعد التعليم الذي لا يمكن إلا بالاستعداد للتعليم، ويدل عليه قوله تعالى: « إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » الاحزاب: ٧٢).

وقوله تعالى: « وإذقال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة - وعلم آدم الاسماء كلها - وما كنتم تكتمون » البقرة: ٣٠ - ٣٣).

وقوله تعالى: « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف: ١٧٩).

واستدل الحكماء والمتكلمون: على تبدل الطبيعة بقوله تعالى: « كل من عليها فان » الرحمن: ٢٦).

فقالوا : إنّ كل شخص جوهرىّ له طبيعة سيّالة متجددة ، وله أيضاً أمر ثابت مستمر نسبته إليها ، نسبة الروح إلى الجسد ، فانّ الروح الانسانى لتجرّده باق ، وطبيعة البدن أبداً فى التجدد والسّيلان والذوبان وإنما هومتجدد الذات الباقية ، فكل الصور الطبيعية متجدّد من حيث وجودها المادى الوضعى الزمانى ولها كون تدريجى متبدّل غير مستقرّ الذات ، ومن حيث وجودها العقلى وصورتها المفارقة باقية .

وقال رسول الله الاعظم ﷺ : « الدنيا دار زوال وانتقال » فلا قرار لهذه الصورة الدنيويّة ، وهذا لا ينافى المعاد الجسمانى كما فى قوله تعالى : « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » ابراهيم : ٤٨) .

واستدل على أنّ الجن مخاطبون مكلّفون مأمورون منهيّون مثابون ومعاقبون كالانس سواء بسواء ، مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم ، لا فرق بيننا وبينهم فى شىء من ذلك بقوله تعالى : « سنفرغ لكم أيّه الثقلان ـ فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان » الرحمن : ٣١ ـ ٣٣) .

ففى الآية ردّ على من أنكر تكليف الجن وحشرهم وحسابهم وجزائهم يوم القيامة ، كما أنّ قوله تعالى : « يرسل عليكما شواظ من نار ـ هذه جهنم الّتى يكذّب بها المجرمون » ردّ على أبى حنيفة وأتباعه حيث أنكر دخول الجن فى النار لكونه خلق منها ، قال المراغى فى تفسيره : الجن أجسام ناريّة فكيف تحترق من الشهب .

وفى عيون الاخبار : عن الرضا عليه السّلام فى حديث ـ قال قلت له : يا ابن رسول الله أخبرنى عن الجنّة والنار أهما مخلوقتان ؟ فقال : نعم ، وان رسول الله ﷺ دخل الجنّة ورأى النار لما عرج به إلى السّماء قال : فقلت له : انّ قوماً يقولون : انّهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين ، فقال عليه السّلام : لاهم منّا ولا نحن منهم ، من أنكر خلق الجنّة والنار ، فقد كذب النّبى ﷺ وكذبنا ، وليس من ولايتنا على شىء ، ويخلد فى نار جهنّم قال الله تعالى : « هذه

جهنّم التى يكذّب بها المجرمون » الرحمن : ٤٣) .

واستدل على تكليف الجن ، وخوفه مقام ربّه ، ودخوله فى الجنّة كالانس بقوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربّه جنتان » الرحمن : ٤٦) .

واستدل على تجسّم الجن يوم القيامة وإنتفاعه فيه بالامور الماديـة بقوله تعالى : « فيهما عينان تجريان ـ فيهما عينان نضّاختان » الرحمن : ٥٠ ـ ٦٦) .

حيث ان العيون الجارية والفوّاريّة من الامور المادية ينتفع بها المكلّف من الجن والانس .

واستدل على أنّ الجنّ يغشى فى الحياة الدنيا كما يغشى الانس بقوله تعالى : « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان » الرحمن : ٥٦ ـ ٧٤) .



﴿ في فضل تعليم القرآن الكريم ﴾

وحسبك فى فضل تعليم القرآن المجيد انّ الله تعالى قدّم تعليمه على خلق الانسان وجعل تعليمه أوّل آثار رحمته العامّة، ويدور عليه وعلى العمل به السعادة الدنيويّة والاخرويّة . .

وقد وردت روايات كثيرة فنشير إلى مايسعه المقام :

١ ـ فى نهج البلاغة قال الامام على عليه السّلام فى خطبة ـ : وتعلّموا القرآن فانّه أحسن الحديث وتفقّهوا فيه ، فانّه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره ، فانّه شفاء الصّدور ، وأحسنوا تلاوته فانّه أنفع القصص ، وانّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لايستفيق من جهله بل الحجّة عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله ألوم .

أقول : قوله عليه السّلام : « بل الحجّة عليه أعظم » لانّه يعلم الحقّ ولا يعمل به ، فالحجّة عليه أعظم من الحجّة على الجاهل وإن كانا جميعاً محجوجين امّا أحدهما فبعلمه ، وأمّا الآخر فبتمكّنه من أن يعلم .

وقوله عليه السلام : « والحسرة له ألزم » لانه عند الموت يتأسّف ألاّ يكون عِمل بما علم ، والجاهل لايتأسّف ذلك الأسف .

وقوله عليه السّلام : « وهو عند الله ألوم » أى أحقّ أن يلام لانّ المتمكّن عالم بالقوة وهذا عالم بالفعل ، فاستحقاقه اللوم والعقاب أشد .

٢ ـ فى جامع الأخبار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من علّم ولده القرآن ، فكأنّما حجّ البيت عشرة ألف حجّة ، واعتمر عشرة ألف عمرة ، وأعتق عشرة

ألف رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام ، وغزا عشرة ألف غزوة ، وأطعم عشرة ألف مسكين مسلم جائع ، وكانّما كسى عشرة ألف عار مسلم ، ويكتب له بكل حرف عشرة حسنات ، ويمحي عنه عشر سيّئات ، ويكون معه فى قبره حتّى يبعث ويثقّل ميزانه ويتجاوز به على الصراط كالبرق الخاطف ، ولم يفارقه القرآن حتى ينزل به من الكرامة أفضل مايتمنّى .

٣ ـ فى شرح إبن أبى الحديد : وفد غالب بن صعصعة على علىّ عليه السلام ومعه إبنه الفرزدق فقال له : من أنت ؟ فقال غالب بن صعصعة المجاشعىّ قال : ذو الابل الكثيرة ؟ قال : نعم ، قال : ما فعلت إبلك ؟ قال : أذهبتها النّوائب ، وذعذعتها الحقوق ، قال : ذاك خير سبلها ثم قال : يا أبا الأخطل من هذا الغلام معك ؟ قال : ابنى وهو شاعر قال : علّمه القرآن فهو خير له من الشعر ، فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتّى قيّد نفسه وآلى ألاّ يحل قيده حتّى يحفظ القرآن ، فما حلّه حتى حفظه وذلك قوله :

وما صبّ رجلى فى حديد مجاشع ـ مع القدّ الاّ حاجة لى اريدها

قال الحديد : قلت تحت قوله عليه السلام : « ياأبا الأخطل » قبل أن يعلم ان ذلك الغلام ولده وانه شاعرسرّ غامض ويكاد يكون اخباراً عن غيب ، فليلمح .

﴿ فضل تعلم القرآن المجيد ﴾

في أمالي الطوسي قدس سره : بالاسناد عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله قال : خيار كم من تعلّم القرآن وعلّمه .

وفي العلل : باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : انّ الله عزّ وجل ليهمّ بعذاب أهل الارض جميعاً ، حتى لا يريد أن يحاشي منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي ، واجترحوا السيّئات ، فاذا نظر إلى الشّيب ناقلي أقدامهم إلى الصّلوات ، والولدان يتعلّمون القرآن رحمهم ، وأخّر عنهم ذلك .

وفي امالي الطوسي : عن النبي صلى الله عليه وآله قال : تعلّموا القرآن ، وتعلّموا غرائبه وغرائبه : فرائضه وحدوده ، فانّ القرآن نزل على خمسة وجوه : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فاعملوا بالحلال ودعوا الحرام ، واعملوا بالمحكم ودعوا المتشابه ، واعتبروا بالامثال .

وفي أمالي الصدوق : رحمة الله تعالى عليه : في مناهي النبي صلى الله عليه وآله انه قال : ألا ومن تعلّم القرآن ثمّ نسيه متعمّداً لقي الله يوم القيامة مغلولاً يسلّط الله عليه بكلّ آية نسيها حيّة تكون قرينته إلى النار إلاّ أن يغفر له .

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن الصّباح بن سيابة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : من شدد عليه القرآن كان له أجران ، ومن يسّر عليه كان مع الأبرار .

وفي امالي الطوسي : باسناده عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أيّكم يحبّ أن يغدو إلى العقيق أو إلى بطحاء مكّة ، فيؤتى بناقتين كوماوين

حسنتين، فيدعابهما إلى أهله من غير مأثم ولا قطيعة رحم؟ قالوا: كلّنا نحبّ ذاك يا رسول الله قال: لأن يأتي أحدكم المسجد، فيتعلّم آية خير له من ثلاث.

وفي عدة الداعي: قال الصّادق عليه‌السلام: ينبغي للمؤمن أن لايموت حتى يتعلّم القرآن، أو يكون في تعلّمه.

وفيه: في حديث عن يعقوب الأحمر عن الصّادق عليه السلام - إلى أن قال -: عليكم بالقرآن فتعلّموه، فانّ من الناس من يتعلّم ليقال: فلان قارىء، ومنهم من يتعلّمه، ويطلب به الصوت ليقال: فلان حسن الصّوت وليس في ذلك خير ومنهم من يتعلّمه، فيقوم به في ليله ونهاره، ولا يبالي من علم ذلك ومن لم يعلمه.

أقول: رواه الكليني قدس سره في الكافي.

وفي الكافي: باسناده عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلّموا القرآن، فانّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل شاحب اللّون فيقول له القرآن: أنا الذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك، وأجففت ريقك وأسلت دمعتك أؤول معك حيثما ألت وكل تاجر من وراء تجارته وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر وسيأتيك كرامة من الله عزّ وجلّ فأبشر فيؤتى بتاج، فيوضع على رأسه، ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره ويكسا حلّتين ثم يقال له: إقرأ وارق، فكلّما قرأ آية صعد درجة ويكسا أبواب حلّتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما: هذا لما علّمتناه القرآن.

وفيه: باسناده عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ياسعد تعلّموا القرآن، فانّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف عشرون ومأة ألف صف: ثمانون ألف صف امّة محمد وأربعون ألف صف من سائر الامم، فيأتي على صف المسلمين في صوره رجل، فيسلّم فينظرون إليه ثم يقولون:

لا اله الاّ الله الحليم الكريم إنّ هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته

غير انه كان اشدُّ إجتهاداً منّا فى القرآن ، فمن هناك اعطى من البهاء والجمال والنور مالم نعطه ثمّ يجاوز حتى يأتى على صف الشهداء ، فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون : لااله الاّ الله الربّ الرّحيم ان هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته ، غير أنه من شهداء البحر ، فمن هناك اعطى من البهاء والفضل مالم نعطه قال : فيتجاوز حتى يأتى صف شهداء البحر فى صورة شهيد ، فينظر إليه شهداء البحر ، فيكثر تعجّبهم ويقولون :

إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير أن الجزيرة التى اصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التى أصبنا فيها ، فمن هناك اعطى من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه ، ثم يجاوز حتى يأتى صف النبيين والمرسلين فى صورة نبى مرسل ، فينظر النبيّون والمرسلون إليه ، فيشتد لذلك تعجبهم ويقولون :

لا اله الا الله الحليم الكريم ان هذا النبى مرسل نعرفه بسمته وصفته غير أنه اعطى فضلاً كثيراً قال : فيجتمعون ، فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون : يا محمد من هذا ؟ فيقول لهم : أو ماتعرفونه ؟ فيقولون : مانعرفه هذا ممن لم يغضب الله عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله : هذا حجّة الله على خلقه ، فيسلّم ثم يجاوز حتى يأتى على صف الملائكة فى سورة ملك مقرب ، فتنظر اليه الملائكة ، فيشتد تعجبهم ، ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون :

تعالى ربنا وتقدس ان هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته ، غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عزّ وجلّ مقاماً فمن هناك ألبس من النّور والجمال مالم نلبس ، ثم يجاوز حتى ينتهى إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى ، فيخرّ تحت العرش ، فيناديه تبارك وتعالى ياحجّتى فى الارض وكلامى الصادق الناطق إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه ، فيقول الله تبارك وتعالى كيف رأيت عبادى؟ فيقول : يارب منهم من صاننى وحافظ علىّ ولم يضيّع شيئاً ، ومنهم من ضيّعنى واستخف بحقى وكذب بى وأنا حجّتك على جميع خلقك ، فيقول الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لاثيبن عليك اليوم أحسن الثواب ،

ولاعاقبن عليك اليوم أليم العقاب قال : فليرجع القرآن رأسه فى صورة اخرى قال : فقلت له : يا أباجعفر فى أى صورة يرجع ؟

قال : فى صورة رجل شاحب متغير يبصره أهل الجمع ، فيأتى الرجل من شيعتنا الذى كان يعرفه ، ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول : ما تعرفنى ؟ فينظر اليه الرجل ، فيقول : ما أعرفك يا عبد الله قال : فيرجع فى صورته التى كانت فى الخلق الاول ويقول : ما تعرفنى ؟ فيقول : نعم فيقول القرآن:

أنا الذى أسهرت ليلك وأنصبت عيشك وفىّ سمعت الأذى ورجمت بالقول فىّ ألا وإن كل تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم قال : فينطلق به إلى رب العزة تبارك وتعالى ، فيقول : يارب عبدك وأنت أعلم به قدكان نصباً بى مواظباً علىّ يعادى بسببى ويحب فى ويبغض فيقول الله عز وجل :

ادخلوا عبدى جنّتى واكسوه حلّة من حلل الجنّة ، وتوّجوه بتاج فاذا افعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له : هل رضيت بما صنع بوليّك ؟ فيقول: يا رب انّى أستقل هذا له فزده مزيد الخير كلّه ، فيقول : وعزتى وجلالى وعلوى وارتفاع مكانى لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ، ولمن كان بمنزلته إلا أنّهم شباب لا يهرمون وأصحّاء لا يسقمون ، وأغنياء لايفتقرون ، وفرحون لايحزنون ، وأحياء لايموتون ثم تلا هذه الآية : « لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى » قال : قلت : يا أبا جعفر وهل يتكلّم القرآن فتبسّم ثم قال :

رحم الله الضعفاء من شيعتنا انّهم أهل تسليم ثم قال : نعم يا سعد والصّلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمروتنهى ، قال : ياسعد فتغيّر لذلك لونى وقلت : هذا شيء لا أستطيع أتكلّم به فى الناس فقال : أبو جعفر وهل النّاس إلا شيعتنا ، فمن لم يعرف الصّلاة فقد أنكر حقّنا ثم قال :

يا سعد أسمعك كلام القرآن ؟ قال سعد : فقلت : بلى صلى الله عليك فقال : ان الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، فالنهى كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر.

﴿ فى فضل الحافظ للقرآن والعامل به ﴾

وقد جاءت روايات كثيرة فى المقام نشير إلى نبذة منها :

١ ـ فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الفضيل عن الصادق عليه السّلام قال : الحافظ للقرآن ، العامل به مع السفرة الكرام البررة .

٢ ـ فى الخصال بالاسناد عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أشراف أمّتى حملة القرآن ، وأصحاب الليل .

٣ ـ فى معانى الأخبار باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حملة القرآن عرفاء أهل الجنّة .

٤ ـ فى أمالى الطوسى قدس سره باسناده عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لايعذب الله قلباً وعى القرآن .

٥ ـ فى ثواب الاعمال باسناده عن السّكونى عن الصّادق عن أبيه عليهما السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : إن أهل القرآن فى أعلا درجة من الآدميّين ما خلا النبيّين والمرسلين ، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فان لهم من الله لمكانا .

٦ ـ فى جامع الأخبار : عن مكحول قال : جاء أبو ذر إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله انّى أخاف أن أتعلّم القرآن ولا أعمل به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يعذب الله قلباً أسكنه القرآن .

٧ ـ فى نوادر الراوندى باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله تعالى جواد ، يحب الجود ومعالى الامور ويكره سفسافها ، وان من عظم جلال الله تعالى إكرام ثلاثة : ذى الشيبة فى الاسلام ،

والامام العادل ، وحامل القرآن ، غير الغالى ولا الجافى عنه .

قوله عليه السلام : « سفسافها » السفساف : الردى من كل شيء .

٨ ـ فى البحار عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن أحق الناس بالتخشّع فى السر والعلانية لحامل القرآن ، وإن أحق الناس بالصلاة والصّيام فى السر والعلانية لحامل القرآن .

٩ ـ فى رواية : « ان الله تعالى خلق بعض القرآن قبل أن يخلق آدم ، وقرأه على الملائكة ، فقالوا : طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تنطق بهذا .

١٠ ـ فى ثواب الاعمال باسناده عن الفضيل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ان الذى يعالج القرآن ليحفظه بمشقّة منه ، وقلّة حفظ له أجران .

١١ ـ وفيه باسناده عن منهال القصّاب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من قرأ القرآن وهوشاب مؤمن إختلط القرآن بلحمه ودمه ، جعله الله مع السفرةالكرام البررة ، وكان القرآن حجيجاً عنه يوم القيامة ، ويقول : يارب ان كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملى ، فبلّغ به كريم عطاياك ، فيكسوه الله عز وجل حلّتين من حلل الجنّة ، ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له : هل أرضيناك فيه ؟ فيقول القرآن : يارب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا .

قال : فيعطى الامن بيمينه ، والخلدبيساره ثم يدخل الجنة ، فيقال له : إقرأ آية واصعد درجة ثم يقال له : بلّغنا به وأرضيناك فيه ؟ فيقول : اللهم نعم .

١٢ ـ وفيه بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عرضت علىّ الذنوب ، فلم اصب أعظم من رجل حمل القرآن ثم تركه .

١٣ ـ قال الامام على عليه السلام : « أهل القرآن أهل الله وخاصّته » .

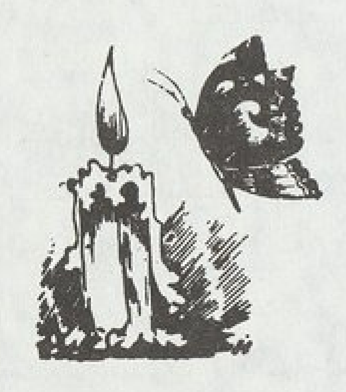
عن بعض الظرفاء قال : بلغنى ان صاحب القرآن إذاوقف على معصية خرج القرآن من جوفه ، فاعتزل ناحية وقال : ألهذا حملتنى .

أقول : وهذا على سبيل المثل والتخويف من مواقعة المعاصي لمن يحفظ القرآن .

عن عبدالله بن مسعود : قال ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذالناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وبيكائه إذالناس يضحكون وبخشوعه اذ الناس يختالون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون سكّيتاً زمّيتاً ليّناً ، ولاينبغي أن يكون جافياً ولامماريا ولاصيّاحاً ولاحديداً ولاصخّاباً .

أقول : السكّيت : الكثير السكوت والزميت : الحليم الساكن القليل الكلام والحديد : السريع الغضب .

وعنه أيضاً قال : أنزل الله عليهم القرآن ليعملوا به ، فاتخذوا دراسته عملاً ان أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به .



﴿ كلام في البيان ﴾

قال الله تعالى : « علّمه البيان » الرحمن : ٤) .

في تحف العقول : قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله : « ان من البيان سحراً ومن العلم جهلا ومن القول غيّاً » .

وفيه : قال صلى الله عليه وآله : « إن من الشعر حكماً وأن من البيان لسحراً » .

وفي مجمع الامثال للميداني النيسابوري : « ان من البيان لسحراً » قاله النبي صلى الله عليه وآله حين وفد عليه عمرو بن الاهتم والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ، فسئل صلى الله عليه وآله عمرو بن الاهتم عن الزبرقان ، فقال عمرو : مطاع أدنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان :

يا رسول الله صلى الله عليه وآله انه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني فقال عمرو : أما والله انّه لزمر المرؤة ، ضيق العطن أحمق الوالد لئيم الخال والله يا رسول الله ما كذبت في الاولى ، ولقد صدقت في الاخرى ولكنّي رجل رضيت ، فقلت أحسن ما عملت وسخطت ، فقلت : أقبح ما وجدت .

فقال صلى الله عليه وآله : « ان من البيان لسحراً » يعني : ان بعض البيان يعمل عمل السّحر ، ومعنى السحر اظهار الباطل في صورة الحق والبيان : اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن وانما شبّه بالسحر لحدّة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له فيضرب في استحسان المنطق وايراد الحجّة البالغة .

وللبيان تعاريف كثيرة عند اللغويين والمفسّرين والمتكلمين :

فمنهم من قال : البيان هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب.

ومنهم من قال : البيان : هـو الكشف عن الشيء ، وهو أعم من النطق مختص بالانسـان .

ومنهم من قال : البيان : هو الكلام سمي بياناً لكشفه عن المقصود واظهاره .

ومنهم من قال : البيان : مايظهر بـه المعنى للنفس عند الادراك بالبـصر او السمع وذلك على خمسة أوجه :

١ ـ باللفظ والنطق ٢ ـ بالخـط ٣ ـ بالاشارة ٤ ـ بالعقـد ٥ ـ بالهيئة كالاعراض وتكليح الوجه ، وغير ذلك من التعاريف لا جدوى فيها .

أقول : البيان : هو الكشف عن الشيء ، والمراد به الكلام الكاشـف عما في ضمير الانسان وهو من أعظم النعم الشاملة للانسان ، وتعليمه له من عظيم العنايـة المتعلّقة به وانّه هـو الذي يبرز ما عليه الانسان من الاستعداد للكمال المعنوي ، والمدني الذي هو يحفظ لنوع الانسان موقفه الانساني .

وبالبيان يحصل العلم ، ويـوجـد الاختـراع والاكتشاف والصناعـة والرقي والارتفاع .

ولولاه لما برز استعداد الانسان لذلك ، فكان على حالة واحدة طول الحياة ، ولا ينتقل إلى غيره ، ولا يحول ولا يسعى إلا لتحصيل المورد والمرعى ، ولا يرتقي على مرور الاعوام إلا في ضخامة العظام ونمو الاجسام الذي يشاركه فيه الحيوان والنبات والاشجار .

والانسان في جولان وحركة دائبة ومساع واصب واعمال ناصبة ويسعى طلباً لسعادته وكماله ورفع ما يجده من نقصه وسوء حاله . .

وتلك الاحوال والاثار هي التي اوجبت لنا أن نحكم بان للانسان قوة غير القوى التي يشترك بها مع الحيوان سمّيناها بالقوة العاقلة التي يتكامل بها الانسان تقفه موقفه الانساني وإلا « إن هم إلا كالانعام بل هم أضلّ سبيلا » .

ففيه قوة بها استحق صدق حقيقة الانسانية والخروج عن البهيميّة والحيوانية والسبيل إلى الحكم بها آثارها وخواصّها التي تبرز بالبيان .

تحقيق علمي

في المايز بين الانسان والحيوان

إختلفت كلمات الحكماء والمفسرين والفلاسفة والمتكلمين والطبيعيين في المايز بين الانسان والحيوان .

فذهب ارسطو إلى أنّ المايز هو الروح الخاصّة بالانسان ، يعبّر عنها بالنفس الانسانيّة ليست بجسم ، ولا قوّة في جسم يتحرّك بها الانسان إلى مصالحه وأغراضه . .

وقال في إثبات ذلك : ومن المعلوم أن الحيوان يتحرك إلى جهات مختلفة حركة إختياريّة إذ لو كانت حركة طبيعيّة أو قسريّة لتحركت إلى جهة واحدة لا تختلف البتّة ، فلمّا تحرّكت إلى جهات مضادّة علم أنّ حركاته إختياريّة ، والانسان مع انّه مختار في حركاته كالحيوان إلا انّه يتحرّك لمصالح مستقبله ، فلا تصدر عند حركة إلا الى غرض والحيوان ليس على هذا النهج ، فيجب أن يكون للانسان روح خاصّة كما وجب أن يكون للحيوان ميزة عن سائر الجامدات .

وذلك لاننّا نعقل ونتصوّر أمراً معقولا صرفاً كأن يتصور أحدنا ان الانسان كلّيّ يعمّ جميع النوع ، ومحل هذا المعقول جوهر ليس بجسم ولا قوة في جسم أو صورة الجسم ، وذلك يدلّ على أنّ للانسان نفساً ليست بجسم ولا بصورة ولا بقوّة في جسم .

ثم قال : **إن كمال النفس الانسانية ان استكملت قوتي العلم والعمل .**

وقال اتباعه : إن الانسان مملكة قائمة بنفسها بجانب ممالك الطبيعة الاخرى.

وقالوا : إن النبات حى ، والحيوان حى حسّاس ، والانسان حى حساس مفكر وان مزيّة الانسان على غيره من الحيوانات ليست من وجهة تشريحيّة وليست فى أنه قائم على رجليه باستواء تام ولا فى خاصة ذكائه لان للحيوانات ذكاءً ولا فى مزية التخاطب لان الطيور وبعض الحيوانات الثديية لها لغة ما تتفاهم بها ولا فى العواطف الحبيّة ، فقد ثبت ان لبعض الحيوانات عواطف مثلها .

وقالوا : إن المايز أمران : وهما فى أخلاق الانسان ثم فى تدينه .

وذهب المفسرون إلى أن الانسان هو مظهر مستقل من مظاهر الابداع الالهى خلقه الله تعالى مستقلاً بنفسه لامشتقاً من حيوان سابق عليه .

والدليل على ذلك عدم رؤية ترقى جديد فى خلال هذه الالوف المؤلفة من رتبة الحيوانية إلى الانسانية ولانسبة بين الانسان وبين حيوان فى شىء وانما المايز بينهما هو استعداد الانسان للكمال المعنوى بالعلم والعمل دون الحيوان وانّ الانسان عالم وحده فى جميع أطواره واحواله وليس بين شعوبه من الفروق الجثمانية او الروحية ما يشير الى ترق تدريجى بين آحاده من عالم أدنى من عالمه من غير تبديل فى خلقة الانسان ولانقله من حال إلى حال لا إلى ترق ولاتدلّ وإن الانسان الابيض فى أوروبا والاسود فى إفريقا والاحمر فى امريكا هو الانسان نفسه مصبوغاً بلون إقليمه بدون فرق بين أقدم الانسان وبين الانسان الحالى .

وتبعهم فى ذلك المتكلّمون والطبيعيون الا من لايرى بين نفسه والقردة فرقا فهو فى زمرة القرود لا شأن له كداروين وأتباعه .

وذهب الطبيعيون - إلا الشذ منهم - إلى أن المايز بين الانسان والحيوان وجهتان :

وجهة زولوجيّة أو متعلّقة بعلم الحيوانات ووجهة طبيعيّة ومعنويّة .

أما الوجهة الاولى : فاذا كانت البقايا الانسانيّة التى وجدت فى مغارات (انجيس) و (نندرتال) بأوروبا وهى تعتبر أقدم البقايا البشرية لا تدل على أدنى فرق بينها وبين الانسان الحالى : أفلا يكون ذلك من أدلّ الادلّة على بطلان من

قال : إن الانسان مترقٍّ عن القردة ؟

إذا كانت هذه الالوف المؤلفة من السنين التى تفصلنا عن أصحاب تلك البقايا لم تؤثر أدنى تأثير فى تبديل الخلقة أو نقلها من حال إلى حال لا إلى ترق ولا تدل فكم يلزم أن يكون مضى من ملايين السنين بين انتقال الحيوان الدنىء من حالته السافلة إلى رتبته الانسانيّة الراقية ، وهل يبلغ عمر الارض مثل هذه المدة ؟ على أنّ الفرق بين أقرب الحيوانات شبهاً بالانسان وهو الغوريل وبين الانسان نفسه عظيم جداً .

وذلك ان أخف مخ من الانسان لا يزن أقل من ٩٦٠ الى ٩٩٠ غراماً مع أن أثقل مخ من مخاخ الغوريل لا يزن أكثر من ٩٢٠ غراماً .

أما حجم أصغر جمجمة من جماجم الانسان ، فلايقل عن ١١٤ بوصة مكعبة .

أما أكبر جمجمة من جماجم الغوريل ، فلا يبلغ أكثر من ٣٢ بوصة ونصف مع أن وزن الغوريل يبلغ ضعفى وزن المرأة المتوسطة الحجم .

واما الوجهة الثانية : فلكون الانسان مستعداً للاتصاف بصفتى الفضيلة والرذيلة ، والصدق والكذب والصلاح والفساد والهداية والضلالة ، والسعادة والشقاء والايمان والكفر ، والحق والباطل ، والعدل والظلم والعلم والعمل . . وما له من الشعور والادراك ماليس للحيوان وبالنطق والبيان تظهر هذه المزيّة الانسانية على ما سواه .

خلق الانسان الاول

فى السلسلة الترابية

قد جاء خلق الانسان الاول فى القرآن الكريم بأحوال مختلفة من كونه تراباً وطيناً وحمأ مسنوناً وصلصالاً إلى أن نفخ فيه الروح إذ قال تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » آل عمران : ٥٩) .

فبدأ بالخلق وهو إخراج من العدم الصرف إلى المادة وهى التراب لقوله تعالى : « خلقه من تراب » هذا مجرد إعطاء الوجود بايجاد المادة الخاصة .

وقال : « إذقال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » ص : ٧١ ـ ٧٢) .

وقد عد فى الاية مبدء خلق الانسان الاول الطين كما فى قوله تعالى : « وبدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة : ٨) .

وذلك بتعجن التراب بالماء ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى ، فصار حمأ مسنوناً إذقال : « انى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون » الحجر : ٢٨) .

وذلك لأن الحمأ هو الطين المتغير والمسنون ماصب عليه الماء حتى خلص عن الأجزاء الصلبة الخشنة غير المعتدلة المنافية لقبول الصورة التى يراد تصويرها منه ، والصلصال ماتخلخل منه بالهواء وتجفف بالحرارة فصار كالخزف الذى صوت إذا نقربه ، وبهذا البيان ظهر تركب الانسان بالعناصر الاربعة الممتزجة .

وفى المجمع : « وأصل آدم كان من تراب وذلك قوله : « خلقه من تراب » ثم جعل التراب طيناً ، وذلك قوله : « وخلقته من طين » ثم ترك ذلك الطين حتى

تغيّر واسترخى ، وذلك قوله : « من حمأ مسنون » ثم ترك حتى جف ، وذلك قوله : « من صلصال » فهذه الاقوال لاتناقض فيها إذهى أخبار عن حالاته المختلفة » فالصلصال آخر السلسلة الترابيّة .

وعن بعض الحكماء : انّما خلق آدم عليه السلام من تراب لوجوه :

الاول : ليكون متواضعاً .

الثاني : ليكون ستاراً .

الثالث : ليكون أشد إلتصاقاً بالارض ، وذلك لانّه انما خلق لخلافة أهل الارض كما قال الله تعالى : « انّى جاعل فى الارض خليفة » .

الرابع : أراد الحق إظهار القدرة ، فخلق الشيطان من النار التى هى أضوء الاجرام ، وابتلاهم بظلمات الضّلالة وخلق آدم من التراب الذى هو أكثف الاجرام ثم أعطاه المحبّة والمعرفة والنور والهداية .

الخامس : خلق الانسان من تراب ليكون مطفئاً لنار الشهوة والغضب .

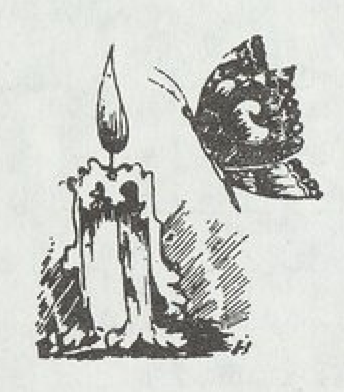
السادس : ان المكونات الماديّة لآدم عليه السلام هى من نوع ذلك التراب لان التربة الارضية تحتوى على جميع العناصر التى يتألف منها جسد الانسان عند تحليله ولايزيد على تلك العناصر إلا الحياة لن يقدر أحد على إدراك كنهها إلا الله تعالى فبدون الحياة يكون هذا الجسم الانسانى هو التراب فحسب ويكون فيه كل عناصرها الماديّة التى يعرفها عند التحليل ، وان كان اصول العناصر الاربعة : الماء والنار والهواء والتراب .

وان آدم أبالبشر خلقه الله تعالى من التراب ، فجسده لايحتوى عنصراً زائداً لاتحتويه تربة الارض التى منها خلق .

وأما الحياة الزائدة على هذا التراب تتم بها كينونة الانسان وتعلن عن وجوده الحى ، فقد جائته من الكلمة جائته من توجّه الارادة إلى ايجاده وإحيائه على هذه الهيئة الانسانيّة الخاصة ، وان هذه الارادة التى يعبر عنها بكلمة « كن »

لتقريبها إلى تصور البشر المحدود، فكيف تكون فى خلقة عينى غرابة، وفى مولده شذوذ إذا يقاس إلى خلق آدم عليه السلام ومنحه الحياة ابتداء فى هذا الوجود، فنقطع على أن مولد عيسى مع غرابته هو أمر عادى بالنسبة الى قدرة الخالق ومشيته.

فكيف تجعل غرابة مولده بالنظر السطحى كونه إلهاً أو لائقاً للعبادة، فيتناسب آدم وعيسى عليهما السلام باشتراكهما فى خرق العادة، وكون جسد آدم مخلوقاً من عناصر مسبوقة بمادة ومدة، وبكون روحهما مبدعاً من عالم الامر ليس مسبوقاً بمدة ومادة لقوله تعالى: «كن فيكون».



﴿ الانسان والعناصر الأربعة ﴾

وقد اتفق العلماء الأقدمون على أن الانسان مركب من الأركان الاربعة : التراب ، والماء ، والهـواء ، والنارالتى لها الطبائع الأربعـة : اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة .

وقالوا : إن الموت والحياة معاً بالماء والهواء والحرارة والطين ، وكون الموت والحياة بالماء ظاهراً ، وبالهواء حياة باستنشاقه صافياً ، وموت إذا خولطت بالذرات الحيوية القاتلة ، وبالحرارة حياة كل حيوان وموت اذا اشتدت وكون الموت والحياة بالطين ظاهراً أيضاً .

فبالامور الاربعة حدوثنا وحياتنا فى الحياة الدنيا باذن الله تعالى .

فى اوائل المقالات للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه قال : وقد ذهب من الموحّديـن إلى أن الأجسام كلّها مـركبة من الطبايع الاربـع : وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، واحتجّوا فى ذلك بانحلال كل جسم اليها ، وبما يشاهدونـه من إستحالتها كاستحالة الماء بخاراً والبخار ماء والموات حيواناً والحيوان مواتاً ، وبوجود النارية والمائيّة والهوائية والترابية فى كل جسم وانه لاينفك جسم من الأجسام من ذلك ، ولا يعقل على خلافه ولا ينحل إلا إليه وهذا ظاهر مكشوف ، ولست أجد لدفعه حجة اعتمدها ولا أراه مسنداً لشىء من التوحيد والعدل والوعد والوعيد أو النبوات أو الشرائع ، فاطرحه لذلك بل هو مؤيّد للدين مؤكد لادلّة الله تعالى على ربوبيته وحكمته وتوحيده ، وممن دان به من رؤساء المتكلمين النظام وذهب إليه البلخى ، ومن اتبعه فى المقام .

أقول : وقد اظهرت الاكتشافات العلمية ، والأبحاث الطبيعية ان العناصر التى تتركب منها الأجسام أكثر من العناصر الاربعة وقد ذكروا أساميها وآثارها وخواصها ، وما يتعلق بها فى مؤلفاتهم :

منها : فى (اصول الكيمياء) إذ جاء فيه : « إنّ المواد البسيطة المعروفة الآن هى (٦٥) عنصراً وقد انقسمت إلى معدنيّة وغير معدنيّة » .

ومنها : فى الجزء الثانى من (النقش فى الحجر) فجاء : « العناصر المعروفة اليوم عند علماء الكيمياء أوبالاحرى المواد المعدودة عندهم عناصر بسيطة هى نحو (٦٧) مادة .

وقيل : أكثر من ذلك حتى انتهى إلى ألف مادة ، ولكن كلّها ترجع إلى العناصر الاربعة المتقدم ذكرها .

ومن المعلوم : انه ليست لهذه العناصر قوة ذاتية من أنفسها فى تركيب الأجسام كما زعمه الدهريّون .

وانما الله جل وعلا يقهر تلك العناصر بقدرته ومشيته على الجمع والافتراق وبذلك يحصل التركب بين الأجسام ، ويتم التأليف بين الاسطقسات ـ والاسطقس لفظة يونانية بمعنى الأصل سميّت بها العناصر الاربعة باعتبار كونها أصولاً ومبادىء للمركبات منها الانسان والحيوان والنبات والمعادن كل بحسبه .



« بحث روائي في العناصر الاربعة »

في الخصال باسناده عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قوام الانسان وبقائه بأربعة : بالنار والنور والريح والماء ، فبالنار يأكل ويشرب وبالنور يبصر ويعقل وبالريح يسمع ويشم وبالماء يجد لذة الطعام والشراب فلولا النّار في معدته لما هضمت الطعام والشراب ، ولولا أن النّور في بصره لما أبصر ولاعقل ولولا الريح لما التهبت نار المعدة ، ولولا الماء لم يجد لذة الطعام والشراب ، قال :

وسئلته عن النيران فقال : النيران أربعة : نار تأكل وتشرب ، ونار تأكل ولا تشرب ، ونار تشرب ولا تأكل ونار لاتأكل ولا تشرب ، فالنار التي تأكل وتشرب فنار ابن آدم وجميع الحيوان ، والتي تأكل ولا تشرب ، فنار الوقود ، والتي تشرب ولاتأكل فنار الشجرة والتي لاتأكل ولاتشرب فنار القداحة والحباحب.

أقول : قوله عليه السلام : « فبالنار يأكل ويشرب » أي بالحرارة الغريزيّة التي تتولد من النار ويسمّونها نار الله تعالى .

والمراد بالنور إما نور البصر أو الأعم منه ، ومن سائر القوى والمشاعر ، فانّ النور مايصير سبباً لظهور الأشياء كما عرفت مراراً .

وقوله عليه السلام : « وبالريح يسمع ويشمّ » لان الهواء حامل للصوت والكيفيّات المشمومة .

وقوله عليه السلام : « وبالماء يجد لذة الطعام والشراب » أي الماء الذي في الفم ، فانه الموصل للكيفيات المذوقة إلى الذائقة كما مرّ .

« فلولا النار فى معدته » أى الحرارة المفرطة ، « فنار ابن آدم » أى الحرارة الغريزية فانها الداعيّة إلى الأكل والشرب ، وتحيل المأكول والمشروب « فنار الوقود » أى النيران التى توقدها الناس ، فانّها تأكل الحطب وكل ما تقع فيه أى تحيلها وتكسرها ولا تشرب لان الماء غالباً يطفئها « والتى تشرب ولا تأكل فنار الشجرة » أى النار التى تورى من الشجر الأخضر كما مر فى تفسير قوله تعالى : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » فانّها تشرب الماء التى يسقى الشجر ولا تأكل أى لا يحيل شيئاً ترد عليها بحرارتها .

وفى الاختصاص : مرفوعاً إلى أبى عبد الله عليه السلام قال : إنّ أول من قاس إبليس ، فقال : خلقتنى من نار وخلقته من طين ، ولو علم ابليس ما جعل الله فى آدم ، لم يفتخر عليه ثم قال : إنّ الله عزّ وجل خلق الملائكة من النور وخلق الجان من النار ، وخلق الجن صنفاً من الجان من الريح وخلق الجنّ صنفاً من الجن من الماء ، وخلق آدم من صفحة الطين ثم أجرى فى آدم النور والنار والريح والماء ، فبالنور أبصر وعقل وفهم ، وبالنار أكل وشرب ، ولولا أن النار فى المعدة لم يطحن المعدة الطعام ، ولولا أن الريح فى جوف آدم تلهب نار المعدة لم تلتهب ولولا أن الماء فى جوف ابن آدم يطفىء حرّ نار المعدة لأحرقت النار جوف ابن آدم ، فجمع الله ذلك فى آدم خمس خصال وكانت فى ابليس خصلة فافتخر بها .

وفى الكافى : عن ابن سنان قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : طبائع الجسم على أربعة : فمنها الهواء الذى لاتحيى (لاتجيىء ـ خ) النفس إلا به وبنسيمه ويخرج مافى الجسم من داء وعفونة والارض التى قد تولّد اليبس والحرارة والطعام ومنه يتولد الدم ألا ترى أنّه يصير إلى المعدة ، فتغذيه حتى يلين ثم يصفو فتأخذ الطبيعة صفوه دماً ثم ينحدر الثقل والماء وهو يولّد البلغم .

أقول : قوله عليه السلام : « طبائع الجسم على أربعة » أى مبنى طبائع جسم الانسان وصلاحها على أربعة أشياء ، ويحتمل أن يكون المراد بالطبائع ماله دخل فى قوام البدن ، وان كان خارجاً عنه ، فالمراد أنها على أربعة أقسام :

الاول : الهواء .

وقوله عليه السلام : « ويخرج ما في الجسد » يدلّ على أن لتحرّك النفس مدخلا في دفع الادواء ورفع العفونات عن الجسد كما هو الظاهر.

والثاني : الارض وهي تولد اليبس بطبعها ، والحرارة بانعكاس أشعّة الشمس والكواكب عنها ، فلها دخل في تولد المرّة الصفراء والمرة السوداء .

والثالث : الطعام وقد نسب الدم فقط إليه لأنها أدخل في قوام البدن من سائر الاخلاط مع عدم مدخليّة الاشياء الخارجة كثيراً فيها .

والرابع: الماء ودخلها في تولّد البلغم ظاهر .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الارض امّكم وهي برّة بكم » .

فالارض أمّنا لأنّا ولدنا منهاوهي برّة بنالانهاتغذينا كماترضع الأم وليدها ثم نعود إليها بعد الموت ، ونصير تراباً كما كنّا من قبل ، ثم نحيا ثانية للحساب والجزاء .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين اميرالمؤمنين على عليه السلام : « ولوأراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الابصار ضياؤه ، ويبهر العقول رواؤه ، وطيب يأخذ الانفاس عرفه لفعل ، ولو فعل لظلّت له الاعناق خاضعة ، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة ، ولكن الله سبحانه إبتلى خلقه ببعض مايجهلون أصله تمييزاً بالاختيار لهم ونفياً للاستكبار عنهم وإبعاداً للخيلاء منهم ، فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس اذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد ، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سنى الدنيا أم من سنى الاخرة عن كبر ساعة واحدة ، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته » .

أقول: قوله عليه السلام : « يخطف » : يسرع و « رواؤه » الرواء : المنظر الحسن و « عرفه » العرف : الريح الطيّبة « للخيلاء » للكبراء .

﴿ تحقيق فى حقيقة الجن ﴾

قال الله تعالى : « وخلق الجان من مارج من نار ـ فبأى آلاء ربّكما تكذبان » الرحمن : ١٥ ـ ٧٧) .

ولماكانت الخطابات القرآنيّة للجن فى هذه السورة على طريقى الوعد والوعيد أكثر مما جاء فى جميع القرآن الكريم ، فلا بد من البحث فيه فيها تحت عناوين . . .

ومن غير خفى على القارىء الخبير ان الأنظار إختلفت قديماً وحديثاً فى الجن وحقيقته ، وتوالده وتناسله وطعامه وشرابه ، وفى علمه وتكليفه وإيمانه وكفره ، وفى دخوله الجنة والنّار . . .

فطائفة ينكرون وجود هذا الخلق اطلاقاً ويبنون هذا الانكار بصيغة الجزم والقطع ويسخرون من يعتقد بوجوده ، ويسمّون الاعتقاد به خرافة وأوهاماً . . .

وهم ماعرفوا واحداً من أسرار أنفسهم ، ولا ما فى هذا الكون من خلائق حتى عرفوا الجن من بينها ، وان فى هذه الارض وحدها من الخلائق الحيّة لكثيراً مما يكشف وجوده يوماً فيوماً .

ولا يقول وما قال أحد : إنّ سلسلة الكشوف للأحياء فى الارض وقفت أو ستقف فى يوم من الايام . . .

وهل عرفوا كل القوى المكنونة فى هذا الكون الشاسع فلم يجدوا الجن من بينها ؟! ولا يدعى أحد من العقلاء هذه الدعوى ، وانّ هناك قوى مكنونة

تكشف كل يوم وهي كانت مجهولة بالأمس والعلماء جادون فى التعرف إلى القوى الكونية ، وهم يعلنون فى تواضع قادتهم إليه كشوفهم العلميّة ذاتها انهم يقفون على حافة المجهول فى هذا الكون وانهم لم يكادوا يبدأون بعد .

وهل رأوا فيما حولهم من القوى التى استخدموها ، فلم يروا الجن من بينها ؟ ولا هذه فانّهم يتحدثون عن الكهرب بوصفه حقيقة علمية منذ توصّلوا إلى تحطيم الذرة ولكن احداً منهم لم ير الكهرب قطّ ، وليس فى معاملهم من الأجهزة مايفرزون به كهرباً من هذه الكهارب التى يتحدثون عنها ، فكيف يجزمون ، ويقطعون بنفي وجود الجن ، ومعلومات البشر عن هذا الكون ، وأسراره وقواه وسكانه من الضآلة بحيث لاتسمح لانسان يحترم عقله أن يجزم بشيء .

ألأنّ هذا الخلق المسمى بالجن تعلّقت به الخرافات والأساطير ، وان القرآن الكريم نزل لابطال الخرافات والأساطير والأوهام ، وإذا كانت العقيدة بوجود الجن خرافة كانت العقيدة بوجود الكهرباء وما إليها أولى بالخرافة .

وطائفة يعتقدون بوجود الجنّ ويفرطون فى ذلك ، فيجعلون الخير والشر بيده فيعوذون به ويستمدون منه فى أمورهم وشؤونهم ، ويزعمون انّه عالم الغيب ، ويصعد إلى السماء ، ويعلم الخفاء وليس له تكليف وهم يعتقدون بأن الله سبحانه اتخذ منه له ولداً وهو الملائكة . .

وهذه مردودة بالايات القرآنيّة والروايات الصحيحة الواردة .

قال الله تعالى : « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ـ وأنّا لاندرى أشرّ اريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربّهم رشداً ـ وانّا لمّا سمعنا الهدى آمنا به » الجنّ : ٦ـ١٣) .

وقال : « وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦) .

وقال : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلآء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون » سبأ : ٤٠ ـ ٤١) .

وقال : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عمّا يصفون » الانعام : ١٠٠) .

وطائفة **اعترفوا** بوجود الجن ثم اختلفوا فى ماهيّته .

فمنهم : من سموا الجن بالأرواح السفليّة وقالوا : إن الجن أسرع إجابة من الأرواح الفلكية إلاّ انهم أضعف .

و منهم الذين قالوا : إنّ الجن حيوان هوائى يتشكل بأشكال مختلفة .

و منهم الذين قالوا : إنّ الجن جواهر ليست بأجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهيّة ، فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ، ولا يعلم عدة أنواعهم إلاّ الله تعالى .

و منهم من قال : إن الجن أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة ، وهى كونهم حاصلين فى الحيّز موصوفين بالطول والعرض والعمق ، وينقسمون إلى لطيف و كثيف وعلوى وسفلى ، ولا يمتنع فى بعض الاجسام اللطيفة الهوائيّة أن تكون مخالفة لسائر أنواع الاجسام فى الماهية ، وأن يكون لها علم مخصوص ، وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة ، أو شاقّة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون بأشكال مختلفة وذلك بأقدار الله تعالى إيّاهم فى ذلك .

و منهم : الذين قالوا : إن الجن أجسام متساوية فى تمام الماهيّة وإن لم نرها .

وأما الشيعة الامامية الاثنى عشرية فتقول : إن الجن نوع من الخلق خلقوا من النار قبل الانس كما انه مخلوق من التراب وهم مستورون من حواسّنا وربما يظهرون للخواص من الانبياء وأئمة أهل البيت عليهم السلام ولبعض الناس وانّ الجن مكلّف كالانس ، ومنهم ذكر ومنهم انثى ولهم توالد وتناسل ، وطعام وشراب ، وهم يعيشون ويموتون ويبعثون ، فيدخل مؤمنهم فى الجنّة ، و كافرهم فى النار .

وتؤيّد ذلك آيات كريمة وروايات شريفة :

قال الله تعالى : « وخلق الجان من مارج من نار » الرحمن : ١٥) .

وقال : « ومن الجن يعمل بين يديه باذن ربه - يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان - فلما خر تبينت الجن ان كانوا يعلمون الغيب مالبثوا » سبأ : ١٢ - ١٤) .

وقال : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » الاحقاف : ٢٩) .

وقال : « قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار » الاعراف : ٣٨) .

وقال : « أنّه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرّشد فآمنا به - وانّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » الجن : ١ - ١٥) .

وقال : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » الجن ٦) .

فللجن شعور وإرادة ، وانّهم يقدرون على حركات سريعة ، وأعمال شاقّة كما فى قصة سليمان عليه السلام وتسخير الجن له ، وقصة ملكة سبأ إذ قال تعالى على سبيل الحكاية : « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك » النمل : ٣٩) .

وان ابليس من الجن وله ذريّة وحزب لقوله تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاّ ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً » الكهف : ٥٠) .

وقال : « يابنى آدم لايفتننّكم الشيطان - انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم » الاعراف : ٢٧) .

وذلك ان الشيطان وما إليه من جنسه أجسام لطيفة معلومة وجودهم كما انّ الملائكة كذلك ، ولا يستنكر وجود أجسام لطيفة جداً وإن كنّا لانراهم كما لانرى الهواء ولا ندركه مع إقامة البرهان العقلى القاطع على وجوده حتى الروح

والعقل فينا ، ولم يدّع عاقل على رؤية عقله وروحه أو عقل غيره مع ادعائه وجوده فيه على الجزم والقطع .

وان الآية الأخيرة لا تستحيل رؤية الجن والشيطان بل تثبت انهم يروننا من حيث لانراهم نحن في تلك الجهة وهي التي يكونون فيها على أصل خلقتهم من الأجسام اللطيفة ولكن يمكننا أن نراهم في بعض الصور في بعض الأحيان .

كما اننا لا نرى مادّتي الماء من الاكسيجين والايدروجين قبل تركّبهما وصيرورتهما ماء ، ونحن نراهما بعد ذلك .

وسمي الجن جنّاً لتواريه عن الأعين كما سمي الجنين جنيناً لتواريه في بطن أمّه ، فوصف بالجن لخفائه عن الأبصار .

في الاحتجاج : عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في أجوبته عن مسائل طاووس اليماني « قال : فلم سمّي الجن جناً ؟ قال : لانهم استجنّوا فلم يروا » .

فلا نعلم شيئاً عن حقيقة الجن فانها طاقات وقد علم أن الذرة في الأصل طاقات كهربائيّة تكدست باذن الله بترتيب بديع تحت نظام رائع حتى كانت هذه الذرة ثم تشكلت بأشكال شتى حسب إختلاف عدد الالكترونات (شحنة كهربائية سالبة) والبروتونات (شحنة كهربائيّة موجبة) حتى كانت هذه العناصر المختلفة : الايدورجين ، الكالسيوم ، الحديد ، الرصاص ـ الخ . .

فالعالم كلّه قوى كهربائية ومغناطيسيّة وجاذبية وطاقات أخرى ، نجهلها كجهلنا كثيراً من الاشياء ، لا تتناهى وهكذا الجن مخلوق من مارج من نار ، والمارج : لهب النار الخالص من الدخان .

فهذه طاقات خلق الله منها الجن لانعلم حقيقتها كما لانعلم في الوقت الحاضر حقيقة أيّة طاقة من الطاقات ، بل العلم الحديث انما يعمل في كشف الآثار والاستفادة منها في الحياة الاجتماعيّة .

﴿ تحقيق علمي آخر في حقيقة الجن ﴾

وفي المقام كلمات عديدة من الاعلام قديماً وحديثاً، نذكر أهمّها على سبيل الاختصار لما فيه من فوائد جمّة :

في شواهد الامالي : للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه : إن الجنّ أجسام هوائيّة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة لهم عقول وأفهام وإقتدار على إنجاز مشاق الاعمال .

وحكى إجماع المسلمين على أنهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون والنصوص دالّة على ذلك خلافاً للفلاسفة النافين لوجودهم .

وإن اثبات وجودهم أو نفيه أمر لا يرجع إلى الحس ليستدلّ بعدم الوجدان على عدم الوجود ، على أننا لو رجعنا اليه احتجنا الى الاستقراء التام الذى لا يسع أحداً دعواه إلا بموهبة من الله لا تنفع فى مقام الإستدلال إلا بارائة الموهوب لمن لم يوهب وهو غير نافع فى جميع الموارد ومع كل فرد محال .

فالكلام فى ثبوته ونفيه ـ إذ كان أمراً وراء الحس ـ ينحصر إمّا بالعقل أو بالنقل والعقل لا يصل الى إثبات وجود الجن إلا بمقدّمات حسّية كالآثار ، ولو سلّمنا عدمها أيضاً كما هو دعوى الفلاسفة وغيرهم من متفلسفة الاسلام ، فينحصر ـ حينئذ ـ طريق إثبات وجودهم والملائكة مع انتفاء الطريقين بالنقل عن الصادقين عليهم السلام وقد ورد عنهم الثبوت فيجب التصديق به .

كما أنّ عين هذا الكلام يجرى مع النافين ، فيقال لهم : إما أن تنكروا أصل وجود المجردات وأنه لا يوجد فى الخارج شيء منها ما لم يظهر للحس ،

لا وجود له .

فالبرهان قائم على خلاف ما تدّعون من وجود أمور غير ظاهرة للحس ، كالعقل والروح والشم والذوق وأمثالها .

وإن أقررتم بوجود حقائق غير ظاهرة للحس ، وأردتم نفي الجن خاصة أو مع الملائكة ، فالكلام في النفي كالكلام في الاثبات إن أريد منه عدم الوجود لهم لأن النفي ـ كالاثبات ـ مفتقر الى الاستقراء التام وإن أريد به عدم الوجدان فهو غير دال على عدم الوجود .

وقال في موضع آخر : إن الجن والشياطين أجسام لطيفة يرون في بعض الاحيان ، ولا يرون في بعضها ، ولهم حركات سريعة وقدرة على أعمال قويّة ، ويجرون في أجساد بني آدم مجرى الدم ، وقد يشكّلهم الله بحسب المصالح بأشكال مختلفة ، وصور متنوّعة ، أو جعل الله لهم القدرة على ذلك كما هو الاظهر من الاخبار والآثار .

وقال صاحب المقاصد : ظاهر الكتاب والسنّة وهو قول أكثر الامة : ان الملائكة أجسام لطيفة نورانيّة قادرة على التشكّلات باشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة ـ وان الجن أجسام لطيفة هوائية متشكل بأشكال مختلفة ويظهر منها أفعال عجيبة منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي والشياطين أجسام ناريّة شأنها إلقاء النفس في الفساد والغواية بتذكير أسباب المعاصي واللذات وإنساء منافع الطاعات وما أشبه ذلك على ماقال تعالى حكاية عن الشيطان :

«وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » ابراهيم : ٢٢) .

وقيل : تركيب الأنواع الثلاثة من إمتزاج العناصر الاربعة ـ الماء والتراب والنار والهواء ـ إلاّ أن الغالب على الشيطان عنصر النار ، وعلى الآخرين عنصر الهواء وذلك انّ إمتزاج العناصر قد لا يكون على القرب من الاعتدال بل على قدر صالح من غلبة أحدهما ، فان كانت الغلبة للأرضيّة يكون الممتزج مائلاً إلى

عنصر الارض وإن كانت للمائيّة فالى الماء أو الهوائيّة ، فالى الهواء أو للنارية فالى النار لايبرح ولايفارق إلا بالاجبار أو بأن يكون حيواناً فيفارق بالاختيار .

وليس لهذه الغلبة حدّ معين بل تختلف إلى مراتب بحسب أنواع الممتزجات التى تسكن هذا العنصر ولكون الهواء والنار فى غاية اللطافة والشفيف كانت الملائكة والجن والشياطين بحيث يدخلون المنافذ والمضايق حتى أجواف الانسان ولايرون بحس البصر إلا إذا اكتسبوا من الممتزجات الاخر التى تغلب عليها الارضية والمائية جلابيب وغواشى، فيرون فى أبدان كأبدان الناس أو غيره من الحيوانات والملائكة كثيراً ماتعاون الانسان على أعمال يعجز هو عنها بقوته كالغلبة على الأعداء والطيران فى الهواء والمشى على الماء ويحفظ خصوصاً المضطرّين عن كثير من الآفات.

وأما الجن والشياطين فيخالطون بعض الأناسيّ ، ويعاونونهم على السحر والطلسمات والنيرنجات ثم تعرض لدفع الشبهة الواردة على هذا القول .

وهى أن الملائكة والجن والشياطين إن كانت أجساماً ممتزجة من العناصر يجب أن تكون مرئيّة لكل سليم الحس كسائر المركبات وإلا لجاز أن تكون بحضرتنا جبال شاهقة وأصوات هائلة ، لانبصرها ولانسمعها والعقل جازم ببطلان ذلك على ماهو شأن العلوم العادية وإن كانت غلبته اللطيف بحيث لا تجوز رؤية الممتزج يلزم أن لايروا أصلاً وأن تتمزّق أبدانهم وتنحل تراكيبهم بأدنى سبب واللازم باطل لما تواتر من مشاهدة بعض الانبياء والاولياء إيّاهم ومكالمتهم ومن بقائهم زماناً طويلاً مع هبوب الرّياح العاصفة والدخول فى المضائق الضيّقة .

وأيضاً لو كانوا من المركبات المزاجيّة لكانت لهم صور نوعية وأمزجة مخصوصة تقتضى أشكالاً مخصوصة كما فى سائر الممتزجات فلا يتصور التصور بأشكال مختلفة .

والجواب : منع الملازمات : أما على القول باستناد الممكنات إلى القادر المختار ، فظاهر لجواز أن يخلق رؤيتهم فى بعض الأبصار والاحوال دون البعض

وأن يحفظ بالقدرة والارادة تركيبهم ويبدّل أشكالهم.

وأما على القول بالايجاب ، فلجواز أن يكون فيهم من العنصر الكثيف مايحصل منه الرؤية لبعض الابصار دون البعض ، وفي بعض الأحوال دون البعض أو يظهروا أحياناً في أجسام كثيفة هي بمنزلة الغشاء والجلباب لهم ، فيبصروا وأن يكون نفوسهم أو أمزجتهم أوصورهم النوعيّة تقتضي حفظ تركيبهم عن الانحلال وتبدّل أشكالهم بحسب اختلاف الأوضاع والاحوال ويكون فيهم من الفطنة والذكاء مايعرفون به جهات هبوب الرّياح وسائر أسباب انحلال التركيب فيحترزون عنها ويأوون إلى أماكن لايلحقهم ضرر .

وأما الجواب بأنّه يجوز أن تكون لطافتهم بمعنى الشفافية دون رقّة القوام ، فلا يلائم مايحكى عنهم من النفوذ في المنافذ الضيّقة والظهور في ساعة واحدة على صور مختلفة بالصغر والكبر ونحو ذلك .

ثم أشار إلى مذاهب الحكماء والفلاسفة في المقام ، فقال : والقائلون من الفلاسفة بالجن والشيطان زعموا أن الجن جواهر مجردة لها تصرّف وتأثير في الاجسام العنصريّة ، من غير تعلّق بها تعلّق النفوس البشريّة بأبدانها والشياطين هي القوى المتخيلة في أفراد الانسان من حيث استيلائها على القوى العقليّة وصرفها عن جانب القدس وإكتساب الكمالات العقلية إلى اتباع الشهوات واللذات الحسيّة والوهمية .

ومنهم من زعم أن النفوس البشرية بعد مفارقتها عن الابدان وقطع العلاقة عنها إن كانت خيّرة مطيعة للدواعي العقلية ، فهم الجن وإن كانت شريرة باعثة على الشرور والقبائح معينة على الضلال والانهماك في الغواية فهم الشياطين .

فبالجملة إنّ القول بوجود الملائكة والشياطين مما انعقد عليه اجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى و كلام الانبياء عليهم السّلام وحكى مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات من الاولياء فلا وجه لنفيها كما لاسبيل إلى إثباتها بالأدلة العقلية ثم ذكر طريق المتألهين من الحكماء وقولهم بالعالم

بين العالمين وعالم المثال وانّهم جعلوا الملائكة والجن والشياطين والغيلان من هذا العالم وقد مضى بعض الكلام فيه.

وقال الغزالي في (الركن الثاني): إن الملائكة والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق إختلافاً يكون بين الانواع ثم قال: ويمكن أن تشاهد هذه الجواهر أعني جواهر الملائكة وإن كانت غير محسوسة، وهذه المشاهدة على ضربين:

إما على سبيل التمثيل كقوله تعالى: «فتمثّل لها بشراً سويّاً» مريم: ١٧).

وكما كان رسول الله ﷺ يرمى جبرئيل في صورة دحية الكلبي وإمّا أن يكون لبعض الملائكة بدن مخصوص كما ان نفوسنا غيرمحسوسة ولهابدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها، فكذلك بعض الملائكة وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفاً على إشراق نور النبوة كما أن محسوسات عالمنا هذا موقوف عند الادراك على إشراق نور الشمس وكذلك في الجن والشياطين.

ثم اختلفت كلمات الباحثين في الجن فقال بعضهم انه جنس غير الشياطين وقال الاخرون: إن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان منهم مؤمناً فانه لايسمى بالشيطان وكل من كان منهم كافراً يسمى بالشيطان.

وقيل: إن الاختلاف بين الجن والشيطان إختلاف ذاتي نوعي كما بين الانسان والفرس.

وقيل: بالعوارض، فالجن خيارهم، والشياطين أشرارهم.



﴾ بحث قرآني في الجن ﴿

ولمّا كان القرآن الكريم انّما ذكر الجنّ في معرض التنديد والتحذير والموعظة والتدعيم والتمثيل ، ثمّ لمّا كان الجنّ كائنات غيبيّة إيمانيّة لايصح الكلام فيها إلا في نطاق ماجاء عنها في القرآن أوالسنة النبويّة الثابتة ، فانّمن الواجب ملاحظة ذلك الهدف من جهة أخرى فضلا عن انتفاء أيّ طائل في إرسال الكلام عنهم والتزيد فيه خارج ذلك .

ولقد إحتوى القرآن الكريم آيات كثيرة حول الجن وماهيّتهم أولاً وحول عقائد العرب فيهم ثانياً ومآل أمرهم في الآخرة إما إلى الجنة وإما إلى النار ثالثا .

ومجمل ماجاء عن ماهيتهم أنهم مخلوقات ناريّة لقوله تعالى : « خلق الجان من مارج من نار » الرحمن : ١٥) .

وانهم طوائف وطبقات لقوله تعالى حكاية عنهم : « وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ـ وانا منا المسلمون ومنا القاسطون » الجن : ١١ـ١٤) .

وأن منهم طبقة ابليس وذريته الذين يوسوسون في صدور الناس ويوحون اليهم زخرف القول ويزينون لهم الشر والاثم والتمرد على الله تعالى وهم عدو الانبياء والأولياء عليهم السلام لقوله تعالى : « الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس » الناس : ٥ ـ ٦) .

وقوله : « وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول » الانعام : ١١٢) .

وان منهم من كان يصعد إلى السماء ويحاول استراق السّمع على ما يدل عليه

قوله تعالى : « وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » الجن : ٨ ـ ٩).

وأن منهم من كان تحت تسخير سليمان عليه‌السلام يعلمون له مايشاء ويقومون بأعمال أضخم من أعمال البشر لقوله تعالى : « ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه » سبأ : ١٢).

وان منهم من سمع القرآن من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وآمنو به وذهبوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين لقوله تعالى : « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم » الاحقاف : ٢٨ ـ ٢٩)

وأمّا مجمل ما جاء في القرآن عن عقائد العرب في الجنّ فهو أنهم كانوا يعتقدون أن بينهم و بين الله تعالى نسباً وصهراً إذقال: « وجعلوا بينه و بين الجنة نسباً » الصافات : ١٥٨) .

وأنهم كانوا يتّجهون إليهم ويشركونهم مع الله فى العبادة والدعاء إذ قال تعالى على سبيل الحكاية : « قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم مؤمنون » سبأ : ٤١) .

وأنهم كانوا يرونهم مصدر خوف وشرّ ويعوذون بهم اتّقاء شرهم فقال : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجنّ » الجن : ٦) .

وإنهم يخالطون النّاس فيعقولهم ، فيكون من ذلك الجنون و أعراضه إذ قال : « أم يقولون به جنّة بل جاءهم بالحقّ وأكثرهم للحق كارهون » المؤمنون : ٧٠) .

وإنهم ينزلون على بعض الناس ، ويوحون إليهم ، ويوسوسون فى صدور الناس .

و بالمآل إنهم صائرون إلى ما هو حائر إليه الانس من الحياة الاخرويّة

منازلها جنّة وناراً وكرامة وهواناً وفق أعمالهم إذ قال : « و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والانس » الاعراف : ١٧٩) .

فالصورة القرآنية عن الجن سواء أكانت بما جاء عن ماهيتهم وأعمالهم أم حكاية عن عقائد العرب فيهم هي صورة مخلوقات خفية غير مرئية ولا محسوسة المادة عادة فائقة القدرة متسلطة على البشر تثير فيهم الخوف والفزع وتؤثر في أفكارهم وتوجّههم توجيهاً ضاراً فاسداً باستثناء بعضهم الذين كانوا يؤمنون بالله ويخشونه وهذه الصورة تتفق في بعض الخطوط مع الصورة القرآنية للملائكة ، وتختلف عنها في بعض فهم سواء في الخفاء و عدم المادية والقدرة الفائقة مفترقون من حيث كون الجن ناريين ومبعث خوف وقلق ومصدر شر وأذى ومن حيث كون غالبيتهم موضع سخط الله ونقمته لشرورهم وتمردهم على الله ومن حيث كون اتصالهم وتعاونهم مع ذوي النيّات السيئة والافكار الخبيثة والاخلاق المنحرفة في حين أن الملائكة مبعث طمأنينة وسكينة ومصدر أمن وخير وعون ورجاء ومختصون من الله مكرمون لديه يقومون بخدمته ويسبحون باسمه ويخضعون لأمره ويخشونه وفي حين أن إتصالهم مع الانبياء والرسل الذين لهم الكرامة عند الله جل وعلا .

فوجود الجن كالملائكة في نطاق قدرة الله وان لم تدرك عقول عامة الناس مداه ، وإن التصديق به واجب ايماني غيبي لان نصوص القرآن قطعية في ذلك .

ولكن الآراء تشتّتت والأنظار اختلفت فانكر طائفة واستبعد بعض الاخرين من المنكرين بعض المثقفين بثقافة العصر من رجال الغرب ، فقال : لا يمكن رؤية الجن بالباصرة أو لمسه باليد .

وذلك لتغلب مفهوم المادية على النفوس ، وقد تأثر الشرق بمادية الغرب طريق الصحافة وغيرها حتى فسّر بعض المستغربين الجن في القرآن الكريم بالميكروبات التي لاترى بالعين .

ومنهم من يرى الجن وجوداً خيالياً تخيّله البشر وليس شيئاً إلاّ الخيال ولاوجود له في الخارج .

بيد أن أوساط أوروبا قد تأثرت في القرن الحاضر باحضار الارواح على ما فيه من التمويه والتنويم المغناطيس ، فصارت تعترف بوجود الجن وأنّه كائن حي ، لايشبه الانسان في كيانه ، وقد دونت في الغرب كتب عدة في هذا الموضوع فليس عندهم الجن بجراثيم صغيرة تخفى على الأعين كما فسره بعض المستغربين .

وأن القرآن الكريم يصرّح بأن الجن عالم قائم بنفسه كالانس حتى يتحدى الله تعالى الجن كما يتحدى الانس بقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » الاسراء: ٨٨).

وبقوله : «يا معشر الجنّ والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان » الرحمن : ٣٣) .

إلا أن النظرية المادية : « كل ما لا يرى بالعين ولا يلمس باليد فهو غير موجود » قد أثرت في بعض النفوس التي ضعيف ايمانها لتساهلها في تطبيق تعاليم الاسلام تطبيقاً شاملا ، فصارت تنكر الجنّ تأسيّاً بالماديين أو ضرارا من وصمة الرجعيّة والخرافة أو تشهيّاً للقلب : (العصرى) أو (المثقف) ! .. لئلا يعدمتأخر عن ركب المدنية الحاضرة بما فيها من علل وويلات ! .. أو صار يظن أن الجن ميكروبات أو بهائم أو حشرات دونما تحقيق و دون إرجاع الموضوع إلى صريح الايات القرآنية والاحاديث المستفيضة والمشهورة :

وهي تصرح : ان الجن ليس من الاجسام المتعارفة التي نبصرها بأعيننا وانّما هو من طاقة اخرى لاتتمكن من مشاهدتها لعدم وجود قابليّة فينا لرؤيتها اذ قال تعالى : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم » فان الانسان لم يعط ملكة يقوى بها على رؤية الجن ولكن الانبياء والاولياء عليهم السلام يتمكّنون من رؤيته بفضله تعالى لا أعطاهم من ملكة خاصة نجهلها .

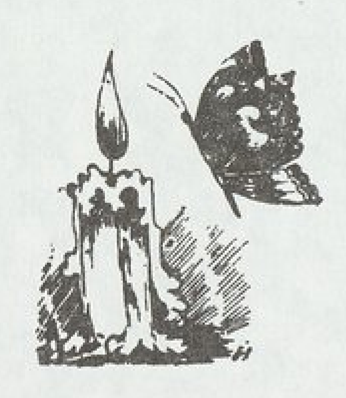
وهكذا ليس في استطاعة الانسان أن يرى الملك بقابلياته الحاضرة وملكاته الطبيعيّة التي وهبها الله اياه لذلك قال تعالى : « و قالوا لولا انزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لاينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم

مايلبسون » الانعام : ٨ ـ ٩) .

أى انّا لو جعلنا الرسول ملكاً لاضطررنا لقلبه رجلا ليتمكّنوا من رؤيته .

وان الجنّ قد يتطورون و يتشكلون فى صور الانس و غير الانس على ما أعطاهم الله تعالى من ملكات وامكانيات يراهم الانبياء والاولياء عليهم السلام .

كل ذلك فى دائرة محدودة وبأمر من الله عزوجل ، وقد يتجسّم الجن على شكل اوصورة بنى آدم وفى امكان الجن أن يدخلوا الغرف والابواب مغلقة ، و ذلك من شقوق الابواب والمنافذ كأمواج الراديو .



بحث روائي

في عمل الجن و تجسمهم

وقد جائت روايات كثيرة في مساعي الجن وتجسمهم في هذه الحياة الدنيا كالانس نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في روضة الكافي باسناده عن الوليد بن صبيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الله عزوجل أوحى إلى سليمان بن داود عليه السلام : ان آية موتك ان شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها : الخرنوبة ، قال : فنظر سليمان يوما فاذاً الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس ، فقال لها : ما إسمك ؟ قالت الخرنوبة ، قال : فولّى سليمان مدبراً إلى محرابه ، فقام فيه متّكئاً على عصاه ، فقبض روحه من ساعته ، قال : فجعلت الجن والانس يخدمونه و يسعون في امره كما كانوا و هم يظنون أنه حي لم يمت ، يغدون ويروحون وهو قائم ثابت حتى دبّت الارضة من عصاه ، فأكلت منسأته ، فانكسرت وخر سليمان إلى الارض أفلا تسمع لقوله عز وجل : « فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

اقول : « الخرنوبة » نبت و « الارضة » دويبة تأكل الخشب ، « منسأته » : عصاه .

٢ ـ في عيون الاخبار باسناده عن الحسين بن خالد الصيرفي عن الرضا عليه السلام قال : كان نقش خاتم سليمان بن داود : سبحان من ألجم الجن بكلماته .

٣ ـ في تفسير القمي : في قصّة بلقيس قال : وارتحلت نحو سليمان، فلمّا علم سليمان باقبالها نحوه قال للجن والشياطين : « أيكم يأتيني بعرشها قبل أن

يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن" انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك و إنّى عليه لقوى" أمين » قال سليمان : أريد اسرع من ذلك ، فقال آصف بن برخيا : « أنا آتيك به قبل ان يرتد" إليك طرفك » القصة .

٤ - فى الكافى باسناده عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن نفراً من المسلمين خرجوا إلى سفر فضلّوا الطريق فأصابهم عطش شديد فتكنفوا ولزموا اصول الشجر ، فجاءهم شيخ عليه ثياب بيض فقال : قوموا فلا بأس عليكم فهذا الماء فقاموا وشربوا وارتووا فقالوا: من أنت يرحمك الله ؟ فقال : انّا من الجن الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « المؤمن أخوا المؤمن عينه ودليله » فلم تكونوا تضيّعوا بحضرتى .

أقول : قوله عليه السلام : « فتكنفوا » أى ذهب كل منهم إلى كنف وجانب وفى بعض النسخ « فتكفّنوا » أى لفّوا أثوابهم على أنفسهم بمنزلة الكفن ، ووطّنوا أنفسهم على الموت .

٥ - وفيه باسناده عن أبى حمزة الثمالى قال : كنت عند حوض زمزم فأتانى رجل فقال لى : لاتشرب من هذاالماء يا أبا حمزة فان هذا يشترك فيه الجن والانس وهذا لا يشترك فيه إلا الانس قال : فتعجبت من قوله وقلت : من أين علم هذا ؟ قال : ثم قلت لأبى جعفر عليه السلام : ماكان من قول الرجل لى فقال : إنّ ذلك رجل من الجن أراد إرشادك .

٦ - فى المحاسن باسناده عن عمر بن يزيد قال : ضللنا من السنين ، ونحن فى طريق مكة فأقمنا ثلاثة أيام نطلب الطريق ، فلم نجده فلما أن كان فى اليوم الثالث وقد نفذ ماكان معنا من الماء عمدنا إلى ماكان معنا من ثياب الاحرام ومن الحنوط فتحنّطنا وتكفّنا بازار إحرامنا فقام رجل من أصحابنا ، فنادى : ياصالح ياأبا الحسن ، فأجابه مجيب من بعد ، فقلنا له : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا من النفر الذى قال الله فى كتابه : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » الاية . . ولم يبق منهم غيرى فأنا مرشد الضال الى الطريق ، قال : فلم نزل

نتبع الصوت حتى خرجنا إلى الطريق .

٧ ـ وفيه باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا ضللت في الطريق فناد : ياصالح ويا أبا صالح أرشدانا إلى الطريق رحمكما الله قال عبيد الله : فأصابنا ذلك ، فأمرنا بعض من معنا أن يتنحّى وينادى كذلك قال : فتنحّى فنادى ثم أتانا فأخبرنا أنه سمع صوتاً يرد دقيقاً يقول : الطريق يمنة أو قال : يسرة فوجدناه كما قال .

٨ ـ في الكافي باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فيما بين مكة والمدينة إذ التفت عن يساره فاذاً كلب أسود بهيم فقال : مالك قبحك الله ما أشد مسارعتك ! وإذاً هو شبيه بالطائر فقلت : ماهذا جعلت فداك ؟ فقال : هذا غثيم ـ بريد الجن ـ مات هشام الساعة وهو يطير ينعاه في كل بلدة .

أقول : رواه الصفار في بصائر الدرجات والطبري في دلائل الامامة والمجلسي في البحار والراوندي في الخرائج .

٩ ـ في بصائر الدرجات باسناده عن سدير الصيرفي قال : أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة قال : فبينا أنا في فجّ الروحاء على راحلتي إذاً إنسان يلوى بثوبه قال : فملت إليه وظننت أنه عطشان فناولته الأداوة قال : فقال : لا حاجة لي بها ، ثم ناولني كتاباً طينه رطب قال : فلما نظرت إلى ختمه إذاً هو خاتم أبي جعفر عليه السلام فقلت له : متى عهدك بصاحب الكتاب ؟ قال : السّاعة قال : فاذاً فيه أشياء يأمرني بها ثم قال : التفت فاذاً ليس عندي أحد قال : فقدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته ، فقلت له : جعلت فداك رجل أتاني بكتاب وطينه رطب قال : إذا عجل بنا أمر أرسلنا بعضهم يعني الجن .

وفي رواية : قال : ياسدير إنّ لنا خدماً من الجن فاذا أردنا السرعة بعثناهم.

١٠ ـ وفيه باسناده عن سعد الاسكاف قال : طلبت الاذن عن أبي جعفر عليه السلام فبعث إليّ : لاتعجل فان عندي قوماً من إخوانكم فلم ألبث أن خرج عليّ إثنا عشر رجلاً يشتهون الزط عليهم أقبية طبقين وخفاف فسلّموا ومرّوا ودخلت إلى

أبي جعفر عليه السلام وقلت له : ماأعرف هؤلاء جعلت فداك الذين خرجوا فمن هم ؟ قال : هؤلاء قوم من إخوانكم من الجن قلت له : ويظهرون لكم ؟ قال : نعم .

أقول : « الزطّ » : جنس من السودان .

١١ ـ في الكافي باسناده عن سعد الاسكاف قال : أتيت أبا جعفر عليه السلام اريد الاذن عليه ، فاذاً رحال إبل على الباب مصفوفة وإذاً الاصوات قد ارتفعت ثم خرج قوم معتمين بالعمائم يشبهون الزط قال : فدخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت : جعلت فداك أبطأ أذنك عليّ اليوم ، ورأيت قوماً خرجوا عليّ معتمين بالعمائم فأنكرتهم فقال : أو تدري من اولئك ياسعد ؟ قال : قلت : لا قال : فقال : أولئك إخوانكم من الجن يأتونا فيسألونا عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم .

١٢ ـ وفيه باسناده عن حكيمة بنت موسى قالت : رأيت الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الحطب وهو يناجي ولست أرى أحداً فقلت : ياسيدي لمن تناجي ؟ فقال : هذا عامر الزهرائي أتاني يسألني ويشكو إليّ فقلت : يا سيدي أحب أن أسمع كلامه فقال لي : إنّك إن سمعت به حممت سنة فقلت : ياسيدي أحب أن أسمعه فقال لي: اسمعي فاستمعت فسمعت شبه الصفير وركبتني الحمّى فحممت سنة.



﴿ شبهات و دفع ﴾

ولمنكري وجود الجن شبهات واهيّة مدفوعة بذاتها ونذكر أهمها إطلاعاً عليها متعقبة بما يدفعها :

١ ـ لو كان الجن موجوداً فان كان جسماً كثيفاً لوجب أن يراه كل من كان سليم الحس لكنا لانراه ، وإن كان جسماً لطيفاً لوجب إن يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصفة ، ولزم أيضاً أن لا يقدر على الأعمال الشاقة التي ينسبها إليه المثبتون .

و الجواب : أنه لم لايجوز أن يكون جوهراً مجرداً ، وعلى تقدير كونه جسماً كثيفاً فلم لا يجوز أن يصرف الله تعالى عنه أبصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال تعالى : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم » الاعراف : ٩٧) .

وعلى تقدير كونه جسماً لطيفاً فلم لايجوز أن يكون تركيبه محكماً كالأفلاك ؟

٢ ـ ان الظاهر الغالب أن الجن لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقة ، وليس كذلك وأهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون أنفهسم فيما نسبوه إلى الجن .

ودفعهظاهر : حيث ان الاختلاط والعداوة والصداقة قد صرّحت بها الايات القرآنية والروايات المستفيضة .

قال الله تعالى : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون » النمل : ١٧) .

وقال : « ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ـ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان » سباء : ١٢ ـ ١٣) .

وقال : « وقال الذين كفروا ربنا أرنا الـذين أضلاّنا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين » فصلت : ٢٩) .

وقال : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » الجن : ٦) .

٣ ـ عن بعض المستغربين قال : « إن النافى للجن لايحتاج الى دليل ولكن على المثبت أن يأتى بالدليل » .

فأجيب : إنّ من يؤمن بالقرآن الكريم ، فعليه أن يعترف بوجود الجن كمخلوق مكلّف بتكاليف عبادية كالانس إذ قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦) .

ثم كيف توفق بين ما تعتقـده وبين الايات السابقة فى قصّة سليمان عليه السلام وأعمال الجـن ، فهـل للبهيمة أو الحشرة أو المكروبات أن تقـوم بهـذا العمل الجبار ؟ ! .

٤ ـ قالوا : إن أخبار الانبياء عليهم السلام عن الجن لا تفيد إثباتهم إذ على إفتراض ثبوتهم يجوز أن يقال : كل ما أتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز أن حنين الجزع كان بسبب نفوذ الجن فى الجزع ، و كل فـرع أدى إلى إبطال الاصل ، فهو باطل .

والجواب : أن الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء عليهم السلام يدلّ على صدق أخبارهم ومن جملة ماأخبروا عنه وجود الجن والشياطين والملائكة ، فصحّ وجودهم .

٥ ـ قال الجبائى : كيف تتهيّأ منهم هذه الاعمال وأجسامهم رقيقـة ، وانما يمكنهم الوسوسة فقط ، فلعل الله تعالى كثف أجسامهم خاصة ، وقوّاهم على تلك الاعمال الشاقة وزاد فى عظمهم معجزة لسليمان بن داود عليه السلام فلما مات سليمان عليه السلام ردهم إلى الخلقة الأولى إذ لو أبقاهم على الخلقة الثانية لكان شبهـة

على الناس فلعل بعض الناس يدّعى النبوة ويجعله دلالة عليها .

أجاب عنه الفخر فقال : لم قلت : إن الجن أجسام ؟ فلعلهم من الموجودات التى ليست متحيّزة ، ولا حالة فى التحيّز ، ولا يلزم منه الاشتراك مع البارىء فان الاشتراك نفى اللوازم الثبوتيّة ولا يدل على الاشتراك فى الملزومات فضلاً عن اللوازم السلبية ولو سلمنا أن الجن أجسام لكن لم قلت : إن البنية شرط للقدرة وليس فى يدكم إلا الاستقراء الضعيف ، سلمنا أنه لابدّ من تكثيف أجسامهم فمن أين يلزم ردهم الى الخلقة الاولى ؟! .

أقول : إن الله تعالى ذكر فى كتابه الكريم قصة الجن ومقالتهم واعتقاداتهم ومساعيهم بمواضع عديدة :

منها : ما ذكر الحادثة التى تبيّن مقالات نفر من الجن حول الوحى والايمان بالله تعالى و قدرته و الايمان بالاخرة و النبوة . . . و تلك الحادثة وحدها كافية بذاتها لتقرير وجود الجنّ و لتقرير أن الجن يستطيعون باستماع القرآن بلفظه العربى المنطوق كما يلفظه رسول الله ﷺ ولتقرير ان الجنّ خلق مستعدّون للايمان والكفر وللهدى والضلالة وللطاعة و العصيان كالانس وإن لا نراهم و هم يروننا .

حيث انّ الكون من حولنا حافل بالاسرار ، حافل بالقوى و الخلائق المجهولة لنا حتى القوى التّى بها حياتنا كالارواح والعقول والشعور . . .

فكلّها مجهولة لنا كنهاً وصفة ، ونحن نعيش فى احضان هذه القوى والاسرار نعرف منها القليل : « وما اوتيتم من العلم إلا قليلا » الاسراء : ٨٥) .

ونجهل منها الكثير لانقدر على احصائها ، وفى كل يوم يكشف بعض هذه الاسرار و ندرك بعض هذه القوى المحيطة بنا ، و نتعرّف إلى بعض هذه الخلائق تارة بزوالها واخرى بصفاتها و ثالثة لمجرد آثارها فى الكون و فى وجودنا ونحن نعرف و نكشف فى حدود طاقتنا البشريّة المعدة للخلافة فى هذه الارض و وفق مقتضيات هذه الخلافة ، وفى دائرة ما سخّره الله تعالى لنا ليكشف لنا عن اسراره

و ليكون لنا ذلولا كيما نقوم بواجب الخلافة فى الارض و لن تتعدّى معرفتنا و كشوفنا فى طبيعتها ، وفى مداهامهما إمتدّ بنا الاجل و مهما سخّر لنا من قوى الكون ، و كشف لنا من أسراره لاتتعدّى تلك الدائرة :

دائرة مانحتاج إليه للخلافة فى هذه الارض وفق حكمة الله تعالى و تقديره فليس لنا أن تنفى من أسرار هذا الموجود و قواه لمجرد أنّه خارج عن مألوفنا العقلى أو تجاربنا المشهودة ، ونحن لم ندرك بعد عشراً من آلاف أسرار أجسامنا الظاهريّة ولابعض قوانا الباطنية فقدتكون هنالك أسرارليست داخلة فى برنامج مايكشف لنا عنه اصلا و أسرار ليست داخلة فى برنامج مايكشف لنا عن كنهه ، فلايكشف لنا إلا عن صفته ، أو أثره أومجرد وجوده لان هذا لا يفيدنا فى وظيفة الخلافة فىالارض ، فانّ الله تعالى كشف لنا عن القدر المقسوم لنا من هذهالاسرار والقوى عن طريق كتابه فيجب علينا القبول و الشكر والتسليم لا نزيد عليها ولا ننقص منها لانّ المصدر الوحيد الذى نتلقى عنه هذه المعرفة لم يمنحنا الا هذا القدر بلا زيادة .

وليس هنالك مصدر آخر نتلقى عنه زيادتها مع عدم قدرتنا عن إدراك زيادتها ، وليس هذا ظلماً كما أن الحيوان يدرك بما يحتاج إليه فى عيشه فمحروميّته عن إدراك ماندركه ليس ظلماً عليه .

فبالجملة : إن هنالك خلقاً سمّى بالجن وله خصائص غيرخصائص الانس :

منها خلقه الله تعالى من نارومنها انّه يرى الناس ولايراه الناس لقولهتعالى عن إبليس وهو من الجن :

« إنه يراكم هو وقبيله منحيث لاترونهم » .

وإن له تجمّعات معينة تشبه تجمعات البشر فى قبائل وأجناس لقوله تعالى المذكور : « انه يراكم هو وقبيله » .

وليس هذا الامر يبعيد عن العقل ولابمجافى لسنن الخليقة فانّ الله تعالى كما خلق أرواحاً مكتسية بالمادة ، خلق أرواحاً مجرّدة عنها .

ونحن نعلم أن الكون لو انقلب كلّه ادلة وبراهين على أن يقلع المقلدون لماديّي الجيل السابق من أوروبا عن عقيدتهم فى عدم وجود شيء وراء المادة لما أمكن ذلك لجمودهم على ماقرأوه قبل اربعين سنة وعدم تصوّرهم أن يترقى الوجود عمّا رأوه عليه وقد قال الله تعالى فيهم :

« وما لهم بذلك من علم إن هم الاّ يظنون » الجاثية : ٢٤) .

فمن العبث مجادلتهم أو مناقشتهم فى هذا الشأن وانما نكتب للنشء الطيب الذى لم يطبع التقليد بطابع الجمود وإياهم نلفت إلى ما كتبنا و كتبه الألوف المؤلفة من علماء أوروبا لأنه إن كان يهمّ مقلّدى الماديين الاوربيين البائدين اثبات عدم وجود عالم روحانى ولاثواب للانسان إلا الجنيهات ، وظلمات السجون فى الدنيا .

فانه يهمنا ويهم النشء الطيب من أبناء هذا الجيل أن يثبت عالم الروحانى وأن ترجع للحياة الانسانية بهجتها من الأمل والرجاء .

فهنالك طائفة شرذمة مضحكة على ذلك وليست هذه أول قارورة كسرت فى الشريعة الاسلاميّة بل هم من أذناب السابقين الذين كانوا يضحكون على أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام فى طيلة السنين وهم وطأ الشياطين قلوبهم ، يكذبون بالانبياء عليهم السلام والكتب السماوية والآخرة . . .



﴿ كلام في أصناف الجن وطوائفهم ﴾

في الدر المنثور : عن أبي ثعلبة الخشني قال رسول ﷺ : إن الجن على ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء ، وصنف حيّات و كلاب وصنف يحلون و يظعنون .

وفي الخصال : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الجن على ثلاثة أجزاء : فجزء مع الملائكة وجزء يطيرون في الهواء ، وجزء كلاب وحيّات .

وفي الاختصاص : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عزّ وجل خلق الملائكة من النور ، وخلق الجان من النار ، وخلق الجن صنفاً من الجان من الريح ، وخلق الجن صنفاً من الجن من الماء .

وفي الكافي : باسناده عن مسمع عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الكلاب من ضعفة الجن فاذا أكل أحدكم الطعام وشيء منها بين يديه ، فليطعمه أو ليطرده فان لها أنفس سوء .

و فيه : باسناده عن سالم بن أبي سلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل : عن الكلاب فقال : كل أسود بهيم ، و كل أحمر بهيم و كل أبيض بهيم فذلك خلق من الكلاب من الجن وما كان أبلق ، فهو مسخ من الجن والانس .

أقول : ومن المحتمل أن يكون المعنى : أن أصل خلق الكلب من الجن لما ورد في الروايات أنه خلق من بزاق إبليس أو أنّه في الصفات شبيه بهم ، أو أن الجن يتصور بصورتهم أو أنّه لما كان الكلب من المسوخ ، فبعضهم مسخوا من الانس وبعضهم من الجن .

هواتف الجن واتباعهم

وقد جائت فی الآثار هواتف الجن فی بعثة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وإتباعهم إياه صلى الله عليه وآله فنشير إلى مايسعه المقام :

١ ـ فی المناقب لابن شهر آشوب قدّس سره : قال تميم الداری : أدركنی الليل فی بعض طرقات الشام ، فلما أخذت مضجعی قلت : أنا الليلة فی جوار هذا الوادی ، فاذاً مناد يقول : عذ بالله ، فان الجن لا تجير أحداً على الله قد بعث نبی الامّيين رسول الله وقد صلّينا خلفه بالحجون وذهب كيد الشياطين ورميت بالشهب فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين .

٢ ـ وفيه : قال سعيد بن جبير : قال سواد بن قارب : نمت على جبل من جبال السراة ، فأتانی آت وضربنی برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب أتاك رسول من لوی بن غالب فلما استويت أدبر وهو يقول :

عجبت للجن وأرجاسها ورحلها العيس بأحلاسها
تهوی إلى مكة تبغی الهدى ما صالحوها مثل أنجاسها

فعدت فنمت فضربنی برجله ، فقال مثل الاول فأدبر قائلاً :

عجبت للجن وتطلابها ورحلها العيس بأقتابها
تهوی إلى مكة تبغی الهدى ما صادقوها مثل كذّابها

فعدت فنمت فضربنی برجله ، فقال مثل الاول فلما استويت أدبر وهو يقول:

عجبت للجن وأشرارها ورحلها العيس بأكوارها
تهوی إلى مكة تبغی الهدى ما مؤمنوها مثل كفّارها

قال : فركبت ناقتي وأتيت مكة عند النبي وأنشدته :

أتاني جن قبل هدء ورقدة ولم يك فيما قد أتانا بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لوىّ بن غالب

فاشهد أن الله لا ربّ غيره وأنك مأمون على كل غائب

أقول : قوله : « بأحلاسها » الاحلاس : جمع الحلس وهو كلما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل . و « العيس » : كرام الابل وأيضاً الابل البيض يتخالط بياضها سواد خفيف .

و « بأقتابها » الاقتاب جمع القتب : الرحل و « بأكوارها » جمع الكور رحل البعير أو الرحل بأداته .

٣ ـ وفيه : كان لبني عذرة صنم يقال له : حمام ، فلما بعث النبي ﷺ سمع من جوفه يقول : يا بني هند بن حزام ظهر الحق وأودى ـ أي هلك ـ الحمام ودفع الشرك الاسلام ثم نادى بعد أيّام لطارق يقول :

يا طارق ياطارق ، بعث النبي الصادق جاء بوحي ناطق ، صدع صادع بتهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع منّي إلى يوم القيامة ، ثم وقع الصنم لوجهه فتكسّر ، قال زيد بن ربيعة : فأتيت النبي ﷺ فاخبرته بذلك ، فقال : كلام الجن المؤمنين فدعانا الى الاسلام .

٤ ـ وفيه سمع صوت الجن بمكة ليلة خرج النبي ﷺ :

جزى الله رب الناس خير جزائه رسولا أتى في خيمتي أمّ معبد

فيا لقصيّ ما زوى الله عنكم به من فعال لا يجازى بسودد

فاجابه حسان في قوله :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيّهم وقد سرّ من يسري إليه ويغتدي

نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كلّ مشهد

وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في ضحوة العيد أو غد

٥ ـ وفيه : هتف من جبال مكة يوم بدر :

أذلّ الحنيفيّون بدراً بوقعة سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
أصاب رجالا من لوىّ وجرّدت حرائر يضربن الحرائر حسّرا
ألا ويح من أمسى عدوّ محمّد لقد ضاق خزياً فى الحياة وخسّرا
وأصبح فى هافى العجاجة معفرا تناوله الطير الجياع و تنقرا

فعلّموا الواقعة و ظهر الخبر من الغد.

٦ ـ فى عيون المعجزات للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه باسناده عن سلمان قال: كان النبى صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث إذا نظرنا إلى زوبعة ـ أى هيجان الرياح وتصاعدها إلى السماء ـ قد ارتفعت فأثارت الغبار وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقف بحذاء النبى صلى الله عليه وآله ثم برز منها شخص كان فيها.

ثم قال: يارسول الله صلى الله عليه وآله إنى وافد قومى استجرنا بك فأجرنا وابعث معى من قبلك من يشرف على قومنا، فان بعضهم قد بغى علينا فيحكم بيننا وبينهم بحكم الله و كتابه وخذ علىّ العهود والمواثيق المؤكدة أن أردّه إليك سالماً فى غداة غد إلّا أن تحدث علىّ حادثة من عند الله.

فقال له النبى صلى الله عليه وآله: من أنت؟ ومن قومك؟ قال: أنا غطرفة بن شمراخ أحد بنى نجاح، وأنا وجماعة من أهلى كنا نسترق السمع فلما منعنا من ذلك آمنا ولمّا بعثك الله نبيّاً آمنا بك على ما علمتك وقد صدقناك، وقد خالفنا بعض القوم وأقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا وبينهم الخلاف، وهم اكثر منّا عدداً وقوة وقد غلبوا على الماء والمراعى وأضرّوا بنا وبدوابّنا فأبعث معى من يحكم بيننا بالحق.

فقال له النبى صلى الله عليه وآله: فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التى أنت عليها قال: فكشف لنا عن صورته فنظرنا فاذاً شخص عليه شعر كثير، وإذاً رأسه طويل، طويل العينين عيناه فى طول رأسه صغير الحدقتين وله أسنان كأنها أسنان السباع ثم إن النبى صلى الله عليه وآله أخذ عليه العهد والميثاق على أن يردّ عليه فى

غد من يبعث به معه .

فلما فرغ من ذلك إلتفت إلى أبى بكر فقال له : صرمع أخينا غطرفة وانظر إلى ماهم عليه وأحكم بينهم بالحق فقال : يارسول الله وأين‌هم ؟ قال : هم تحت الارض ، فقال أبوبكر : فكيف أطيق النزول تحت الارض ؟ وكيف أحكم بينهم ولا احس كلامهم ؟ ثم إلتفت إلى عمربن الخطاب ، فقال له : مثل قوله لأبى بكر فأجاب مثل جواب أبى بكر ثم أقبل على عثمان ، وقال له : مثل قولهلهما فأجابه كجوابهما ثم‌استدعى بعلى عليه السلام وقال له : ياعلى صر مع أخينا غطرفة وتشرف على قومه وتنظر إلى ما هم‌عليه وتحكم بينهم بالحق فقام أميرالمؤمنين عليه السلام مع غطرفة وقد تقلّد سيفه :

قال سلمان رضى‌الله عنه : فتبعتهما إلى‌أن صارا إلى‌الوادى فلماتوسّطا نظر إلىّ أميرالمؤمنين عليه السلام وقال : قد شكر الله تعالى سعيك يا أبا عبد الله فأرجع ، فوقفت‌أنظر إليهما فانشقت الارض ودخلا فيها وعادت إلى ماكانت ورجعت وتداخلنى من الحسرة ما الله أعلم به كل ذلك إشفاقاً على أمير المؤمنين عليه السلام .

وأصبح النبى صلى الله عليه وآله ، وصلى بالناس الغداة وجاء وجلس على الصفا وحفّ به أصحابه وتأخّر أمير المؤمنين عليه السلام وارتفع النهار ، وأكثر الكلام إلى أن زالت الشمس وقالوا : إن الجنّى احتال على النبى صلى الله عليه وآله وقد أراحنا الله من أبى تراب وذهب عنا افتخاره بابن عمه علينا واكثروا الكلام إلى أن صلّى النبى صلى الله عليه وآله صلاة الاولى وعاد إلى مكانه وجلس على الصّفا وما زال مع أصحابه بالحديث إلى أن وجبت صلاة العصر وأكثروا القوم الكلام وأظهروا الياس من أميرالمؤمنين عليه السلام .

فصلى النبى صلى الله عليه وآله صلاة العصر وجاء وجلس على الصفا وأظهر الفكر فى أمير المؤمنين عليه السلام وظهرت شماتة المنافقين بأمير المؤمنين عليه السلام وكادت الشمس تغرب ، فتيقن القوم أنه قد هلك إذاً وقد انشق الصفا وطلع أميرالمؤمنين منه وسيفه يقطر دماً ومعه غطرفة .

فقام اليه النبى صلى الله عليه وآله وقبّل بين عينيه وجبينيه وقال له :

ما الذى حبسك عنّى إلى هذا الوقت ؟ قال عليه‌السلام : صرت إلى جن كثير قد بغوا إلى غطرفة وقومه من المنافقين ، فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا علىّ :

وذلك أنّى دعوتهم إلى الايمان بالله تعالى و الاقرار بنبوتك و رسالتك ، فأبوا فدعوتهم إلى أداء الجزية ، فأبوا فسئلتهم أن يصالحوا غطرفة وقومه فيكون بعض المرعى لغطرفة وقومه و كذلك الماء فأبوا ذلك كلّه فوضعت سيفى فيهم و قتلت منهم زهاء ثمانين ألفاً فلما نظروا إلى ماحل بهم طلبوا الامان و الصلح ثم آمنوا وصاروا إخواناً وزال الخلاف وما زلت معهم إلى الساعة فقال غطرفة : يا رسول الله جزاك الله وأميرالمؤمنين عليه‌السلام عنّا خيراً .



﴿ في تكليف الجن وايمانهم وكفرهم ﴾

وقد صرحت آيات قرآنيّة وكثيرمن الروايات الواردة بأن الجن مكلّفون كالانس ولهم عبادة وطاعة ، وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشريعة الاسلامية ، فآمن بعضهم وكفر الاخرون.

وإنهم طوائف وطبقات فمنهم رجال صالحون أبرار كالخائفين المقرّبين من الانس فلهم جنّة عالية ومنهم مقتصدون أى أقل من أولئك رتبة وهم اصحاب اليمين ولهم جنّة دانية فهم فى طرائق متفرقون ومنهم كافرون ومأواهم جهنّم وبئس المصير.

قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » الذاريات : ٥٦).

وقال : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدقاً لمابين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفرلكم من ذنوبكم ويجر كم من عذاب أليم ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء اولئك فى ضلال مبين » الاحقاف : ٢٩ ـ ٣٢).

وقال : « قل اوحى إلى انّه استمع نفرمن الجن فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنّا به ـ وأنّا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً ـ وأنّا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً وامّا القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » الجن ١ ـ ١٥).

وقال : « ويوم يحشرهم جميعاً ـ يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا » الانعام : ۱۲۷ ـ ۱۳۰).

فمن الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن الكريم ، و انما الايمان يقع بأحد الامرين :

أحدهما ـ : أن يعلم المكلف حقيقة الاعجاز وشرائط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وآله .

ثانيهما ـ : ان يكون عنده علم من الكتب الاولى فيها دلائل على أنه النبي المبشر به ، و كلا الامرين يحتملان في الجن .

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ـ إلى قوله ـ أولئك في ضلال مبين » قال : فهذا كله كناية عن الجن فكان سبب نزول هذه الاية انّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الاسلام فلم يجبه أحد ولم يجد أحداً يقبله .

ثم رجع إلى مكة فلما بلغ موضعاً يقال له : وادى المجنّة تهجّد بالقرآن في جوف الليل ، فمرّ به نفر من الجن فلما سمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله استمعوا له فلما سمعوا قرائته قال بعضهم لبعض : اسكتوا فلما قضى أي فرغ رسول الله من القراءة « ولّوا إلى قومهم منذرين » « قالوا : ياقومنا انّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى ـ إلى قوله ـ اولئك في ضلال مبين » .

فجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يطلبون شرائع الاسلام فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله « قل اوحي إليّ انه استمع نفر من الجن » السّورة كلّها فحكى الله قولهم ، و ولّى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله منهم ، و كانوا يعودون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في كل وقت ، فأمر صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلّمهم ويفقههم فهم مؤمنون وكافرون و ناصبيّون ويهود ونصارى ومجوس وهم ولد الجان .

وفي الدر المنثور : عن عبدالله بن مسعود قال : هبطوا على النبي صلى الله عليه وآله وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا : « انصتوا قالوا : صه » و كانوا

تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن » الاية .

وفيه : قال ابن عباس : كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين ـ اليمن او النينوى ـ فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله رسلاً إلى قومهم :

وفيه : باسناده عن جابر بن عبدالله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال : ما لى أراكم سكوتاً ؟ لقد قرأتها على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم كلّما أتيت على قوله : « فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان » .

فقالوا : ولا بشيء من نعمك ربّنا نكذب فلك الحمد .

و فى مجمع الزوائد : للهيتمى عن عبدالله بن مسعود قال : استتبعنى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الجن فانطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكّة فخطّ لى خطّاً و قال : لاتبرح ثم انصاع فى أجبال الجن فرأيت الرجال ينحدرون عليه من رؤس الجبال حتى حالوا بينى وبينه ، فاخترطت السيف ، وقلت لاضربنّ حتى استعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم ذكرت قوله : « لاتبرح حتى آتيك » قال : فلم أزل كذلك حتّى أضاء الفجر فجاء النبى صلى الله عليه وآله وأنا قائم ، فقال : ما زلت على حالك ؟ .

فقلت : لو لبثت شهراً ما برحت حتى يأتينى ثم أخبرته بما أردت أن أصنع ، فقال : لو خرجت ما التقينا أنا وأنت إلى يوم القيامة ثم شبّك أصابعه فى أصابعى ثم قال : إنى وعدت أن يؤمن بى الجن والانس .

فأما الانس فقد آمنت بى وأما الجن فقد رأيت قال : وما أظن أجلى الاّ قد اقترب ، قلت : يارسول الله ألا تستخلف أبا بكر ؟ فاعرض عنّى فرأيت انه لم يوافقه ، فقلت : يارسول الله ألا تستخلف عمر ؟ فأعرض عنى فرأيت انه لم يوافقه فقلت : يارسول الله ألا تستخلف علياً ؟ قال : ذاك والذى لا اله الاّ هو إن بايعتموه واطعتموه ادخلكم الجنة .

وفى الاصابة : لابن حجر العسقلانى من أعلام العامة باسناده عن سلمان الفارسى قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وآله فى مسجده فى يوم مطير فسمعنا صوت السلام

عليكم يارسول الله ، فرد عليكم إلى أن قال : فقال الشيخ - أى الجن - يانبى الله أرسل معى من يدعو جماعة من قومى إلى الاسلام وأنا أردّه إليك سالماً فذكر قصة طويلة فى بعثه معه على ابن ابيطالب عليه السلام إلى أن قال : ورجع بعلىّ فقال النبى صلى الله عليه وآله لعلى لما قصّ قصتهم : أما انهم لايزالون لك هائبين إلى يوم القيامة.

وفى البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقى باسناده عن عبدالله بن الحارث عن ابن عباس قصة قتال على عليه السلام الجن بالبئر ذات العلم التى بالجحفة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله يستقى لهم الماء فازدادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل اليهم .

وفى شرح التجريد : للقوشجى المطبوع بهامش شرح المواقف ما لفظه : روى إن جماعة من الجن أرادوا وقوع الضرر بالنبى صلى الله عليه وآله حين مسيره إلى بنى المصطلق فحارب على عليه السلام معهم وقتل منهم جماعة كثيرة .

وفى الاربعين : لأبى محمد بن أبى الفوارس عن أبى سعيد الخدرى : شكوى جن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث إليهم رجلاً يحكم بينهم ، فعرضه على أبى بكر فقال : كيف اكلّم فيهم ولا أعرف كلامهم ؟ فعرضه على عمر ، فقال : مثلذلك فبعث علياً عليه السلام فحاربهم وقتل منهم جماعة كثيرة فغلب عليهم .

وفى الاحتجاج : عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام فى أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل اليهودى فى فضل محمد صلى الله عليه وآله على جميع الانبياء - إلى أن قال - : قال له اليهودى : فانّ هذا سليمان سخرت له الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل .

قال له على عليه السلام : لقد كان كذلك ولقد اعطى محمد صلى الله عليه وآله أفضل من هذا إن الشياطين سخرت لسليمان ، وهى مقيمة على كفرها ولقد سخرت لنبوّة محمد صلى الله عليه وآله الشياطين بالايمان فأقبل إليه الجن التسعة من أشرافهم من جن نصيبين ، واليمن من بنى عمرو بن عامر (واحد من جن نصيبين والثمان من بنى عمرو بن عامر خط) من الاحجة منهم شضاة ومضاة (شصاه ومصاه خ) والهملكان والمرزبان والمازمان ونضاه وهاصب وهاضب (هاضب وهضب خ) وعمرو وهم الذين يقول الله تبارك اسمه

فيهم : « واذ صرفنا إليك نفراً من الجن » وهم تسعة « يستمعون القرآن » فأقبل اليه الجن والنبى ﷺ ببطن النخل ، فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً .

ولقد أقبل اليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين واعتذروا بأنهم قالوا : على الله شططاً وهذا أفضل مما أعطى سليمان فسبحان من سخرها لنبوة محمد ﷺ بعد أن كانت تتمرد وتزعم أن لله ولداً ولقد شمل مبعثه من الجن والانس ما لا يحصى .

وفى الارشاد : للمفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن عباس قال : لما خرج النبى ﷺ إلى بنى المصطلق جنب عن الطريق وأدركه الليل ، فنزل بقرب واد وعر ـ الوعر : الصعب وزناً ومعنى ـ فلما كان آخر الليل هبط عليه جبرئيل يخبره أن طائفة من كفار الجن قد استبطنوا الوادى يريدون كيده عليه السلام وإيقاع الشر بأصحابه عند سلوكهم إياه .

فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : إذهب إلى هـذا الوادى ، فسيعرض لك من أعداء الله الجن من يريدك فادفعه بالقوة التى أعطاك الله عزوجل إياها وتحصّن منهم بأسماء الله التى خصّك بها وبعلمها ، وأنفذ معه مأة رجل من أخلاط الناس ، وقال لهم : كونوا معه وامتثلوا أمره فتوجّه امير المؤمنين عليه السلام إلى الوادى فلما قرب شفيره أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ولايحدثوا شيئاً حتى يأذن لهم .

ثم تقدّم فوقف على شفير الوادى وتعوّذ بالله من أعدائه وسمى الله تعالى بأحسن أسمائه وأومأ إلى القوم الذين اتبعوه أن يقربوا منه فقربوا وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة ـ الغلوة : رمية سهم أبعد ما تقدر عليه ـ ثم رام الهبوط إلى الوادى فاعترضت ريح عاصف كاد القوم يقعون على وجوههم لشدتها ، ولم تثبت أقدامهم على الارض من هول الخصم ومن هول مالحقهم فصاح أمير المؤمنين عليه السلام : أنا على بن أبيطالب بن عبد المطلب وصىّ رسول الله وابن عمه أثبتوا إن شئتم .

وظهر للقوم أشخاص على صور الزط يخيّل في أيديهم شعل النار قد اطمأنوا بجنبات الوادي فتوغّل أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي، وهو يتلو القرآن ويؤمي بسيفه يميناً وشمالاً فما لبثت الاشخاص حتى صارت كالدخان الأسود، وكبّر أمير المؤمنين عليه السلام ثم صعد من حيث انهبط فقام مع الذين اتبعوه حتى أسفر الموضع عما اعتراه.

فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: مالقيت يا أبا الحسن؟ فلقد كدنا أن نهلك خوفاً وإشفاقاً عليك أكثر مما لحقنا، فقال عليه السلام لهم: إنّه لما تراءى لي العدوّ وجهرت فيهم بأسماء الله فتضاءلوا وعلمت ما حل بهم من الجزع، فتوغلت الوادي غير خائف منهم ولو بقوا على هيأتهم لأتيت على آخرهم وقد كفى الله كيدهم وكفى المسلمين شرهم وسيبقى بقيّتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله فيؤمنون به وانصرف امير المؤمنين عليه السلام بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر، فسرى عنه ودعا له بخير وقال له: قد سبقك يا علي إليّ من أخافه الله بك فأسلم وقبلت إسلامه.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن» الاية قال: يعني مابعث الله نبياً إلاّ وفي امتّه شياطين الانس والجن «يوحي بعضهم إلى بعض» أي يقول بعضهم لبعض: لاتؤمنوا بزخرف القول غروراً فهذا وحي كذب.

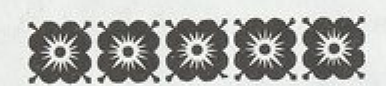
وفيه: في قوله تعالى: «والجان خلقناه من قبل من نار السموم» قال: أبو ابليس وقال: الجن من ولد الجان منهم مؤمنون وكافرون ويهود ونصارى ويختلف أديانهم والشياطين من ولد إبليس، وليس فيهم مؤمنون إلاّ واحد إسمه هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فرآه جسيماً عظيماً وامرءاً مهولاً فقال له:

من أنت؟ قال: أنا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس كنت يوم قتل هابيل غلام ابن أعوام أنهى عن الاعتصام وآمر بافساد الطعام.

فقال رسول الله ﷺ : بئس لعمري الشاب المؤمّل والكهل المؤمّر فقال: دع عنك هذا يا محمد فقد جرت توبتي على يد نوح ولقد كنت معه في السفينة فعاتبته على قومه ، لقد كنت مع ابراهيم حيث القي في النار ، فجعلها الله برداً وسلاماً ولقد كنت مع موسى حين غرق الله فرعون ، ونجى بني إسرائيل ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه ، فعاتبته ولقد كنت مع صالح (ولقد قرأت الكتب مع صالح - خ) فعاتبته على دعائه على قومه ، ولقد قرأت الكتب فكلّها تبشّرني بك والانبياء يقرأونك السلام ويقولون : أنت أفضل الانبياء وأكرمهم ، فعلّمني مما أنزل الله عليك شيئاً .

فقال رسول الله ﷺ لامير المؤمنين عليه السلام : علّمه فقال هام : يا محمد انا لا نطيع إلا نبياً او وصي نبي ، فمن هذا ؟ قال : هذا أخي ووصيي ووزيري ووارثي علي بن أبي طالب قال : نعم نجد اسمه في الكتب « اليا » فعلّمه أمير المؤمنين فلما كانت ليلة الهرير بصفّين جاء إلى أمير المؤمنين .

أقول : قوله ﷺ : « بئس لعمري الشاب المؤمل » أي بئس حالك عند شبابك حيث كانوا يأملون منك الخير « والكهل المؤمر » ، أي وفي حال كونك كهلا حيث أمّروك عليهم .



نياحة الجن فى قتل

سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام

أورد فى ذلك جماعة من أعلام العامة روايات كثيرة باسانيد عديدة فى أسفارهم وما وقفت منها إلى الآن نحو ٧٠ كتاباً على ١٢ سنداً نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ روى الطبرانى فى (المعجم الكبير ص ١٤٧) باسناده عن أمّ سلمة قالت : سمعت الجن تنوح على الحسين بن على رضى الله عنه .

أقول : رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم :

١ ـ محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص ١٥٠ ط القدسى بمصر) .

٢ ـ الذهبى فى كتبه : (تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٣٤٩ ط مصر) و (أسماء الرجال ج ٢ ص ١٤١) و (سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢١٤ ط مصر) .

٣ ـ الزرندى فى (نظم درر السمطين ص ٢٢٣ ط القضاء) .

٤ ـ ابن حجر العسقلانى فى (الاصابة ج ١ ص ٣٣٤ ط مصطفى محمد بمصر) .

٥ ـ ابن كثير الدمشقى فى (البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٣١ ط السعادة بمصر) .

٦ ـ الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٩ ط القدسى بالقاهرة) ثم قال : ورجاله رجال الصحيح .

٧ ـ السّيوطى الشافعى فى (تاريخ الخلفاء ص ٨٠ ط الميمنية بمصر) .

٨ ـ ابن حجر الهيتمى فى (الصّواعق المحرقة ص ١٩٤ ط الميمنية بمصر) .

٢ ـ روى الطبرانى فى (المعجم الكبير ص ١٤٧) باسناده عن أم سلمة قالت :

ما سمعت نوح الجن منذقبض النبي ﷺ الا الليلة وما ارىابنى الا قد قتل يعنى الحسين رضى‌الله عنه ، فقالت لجاريتها : أخرجى فسلى ، فأُخبرت انه قد قتل وإذاً جنّية تنوح :

ألا يا عين فاحتفلى بجهد   ومن يبكى على‌الشهداء بعدى

على رهط تقودهم المنايا   إلى متحيّر فى ملك عبد

أقول : رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم :

١ ـ الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ٢٩٤ ط الغرى) .

٢ ـ الخطيب الخوارزمى فى (مقتل الحسين ج ٢ ص ٩٥ ط الغرى) إلا انّه ذكر بدل (متحيّر) (متجبّر) .

٣ ـ محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص ١٥٠ ط القدسى بمصر) .

٤ ـ الهيثمى فى (مجمع الزوائدج ٩ ص ١٩٩ ط القدسى بمصر) .

٥ ـ سبط ابن الجوزى فى (التذكرة ص ٢٧٩ ط الغرى) .

٦ ـ ابن عساكرالدمشقى فى (تاريخ دمشق ج ٤ ص ٣٤١ ط روضة الشام) .

٧ ـ السيوطى فى (الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٦ ط حيدرآباد) .

٨ ـ ابن العربى فى (محاضرات الابرار ط مصر) .

٣ ـ روى ابن كثير الدمشقى فى (البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٠ ط مصر) بالاسناد عن أمّ سلمة قالت : سمعت الجن ينحن على الحسين وهنّ يقلن :

أيها القاتلون جهلاً حسيناً   أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل‌أهل‌السماء يدعوعليكم   ونبىّ ومرسل وقبيل

قدلعنتم على لسان بن داود   وموسى وصاحب الانجيل

أقول : رواه ابن عساكر الدمشقى فى (تاريخ دمشق ج ٤ ص ٣٤١ ط روضة الشام) .

والكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ٢٩٥ ط الغرى) .

٤ ـ روى سبط ابن الجوزى فى (التذكرة ص ٢٧٩ ط مصر) ما لفظه قال

الزهري : ناحت الجن عليه (أي على الحسين) وقالت :

خير نساء الجن تبكين شجيّات ويلطمن خدوداً كالدنانير نقيّات

ويلبسن ثياب السود بعد القصيّات

٥ ـ روى المقدسي في (البدء والتاريخ ج ٦ ص ١٠ ط الخانجي بمصر) ما لفظه :

وسمع أهل المدينة ليلة قتل الحسين في نهارها هاتفاً يهتف :

مسح الرّسول جبينه فله بريق في الخدود

أبواه من عليا قريش و جدّه خير الجدود

٦ ـ روى الطبراني في (المعجم الكبير ص ١٤٧) باسناده عن أبي خباب الكلبي حدثني الجصاصون قالوا : كنّا اذا خرجنا بالليل إلى الجبانة عند مقتل الحسين رضي الله عنه سمعت الجن ينوحون عليه ويقولون ذكر البيتين .

أقول : رواه جماعة منهم :

١ ـ الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين ج ٢ ص ٩٥ ط مطبعة الزهراء).

٢ ـ سبط ابن الجوزي في (التذكرة ص ٢٧٩ ط الغري) إلا انه زاد بيتاً آخر :

قتلوك يابن الرسول فأسكنوا نار الخلود

٣ ـ محيي الدين بن العربي في (محاضرات الابرار ج ٢ ص ١٥٩ ط مصر) عن عدي بن حاتم .

٧ ـ روى القرماني في (أخبار الدول ص ١٠٩ ط بغداد) ما لفظه : و قد حكى أبو خباب الكلبي وغيره ان أهل كربلاء لايزالون يسمعون نوح الجن على الحسين رضي الله عنه وهم يقولون فذكر البيتين . . .

٨ ـ روى ابو المحاسن اليغموري في (نور القبس المختصر من المقتبس ص ٢٦٣ ط قسياران) مالفظه :

روى عن أبي خباب الكلبي قال : أتيت كربلاء ، فقلت لرجل من أشراف

العرب بما بلغنا انكم تسمعون نوح الجن على الحسين بن على ؟ قال : ماتلقى حراً ولا عبداً إلا أخبرك انه سمع ذلك قلت : فاخبرني ما سمعت أنت ؟ قال : سمعتهم يقول : فذكر البيتين .. وزاد بيتاً آخر :

الجن تنعى كلّهم   لابن السعيدة و السعيد

أقول : رواه جماعة منهم :

١ ـ ابن عساكر الدمشقى فى (تاريخ دمشق ج ٤ ص ٢١٤ ط مصر) .

٢ ـ ابن كثير الدمشقى فى (البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٠ ط القاهرة) .

٣ ـ الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ٢٩٤ ط الغرى) .

٤ ـ الذهبى فى كتابيه فى (تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٣٤٩ ط مصر) و (سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢١٤ ط مصر) .

٥ ـ السيوطى فى (تاريخ الخلفاء ص ٨٠ ط الميمنية بمصر) .

والسيوطى أيضاً فى (الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٦ ط حيدرآباد) .

٦ ـ الزرندى فى (نظم درر السمطين ص ٢٢٣ ط القضاء) .

٧ ـ الشبلى فى (آكام المرجان ص ١٤٧ ط القاهرة) .

٨ ـ الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٩ ط القدسى بالقاهرة) .

٩ ـ البدخشى فى (مفتاح النجا) .

١٠ ـ القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودّة ص ٣٥١ ط اسلامبول) .

وغيرهم تركنا ذكرهم للاختصار .

الجن وكونهم شيعة الامام علي عليه السلام

في بصائر الدرجات: باسناده عن المفضل بن عمر قال: حمل إلى أبي عبد الله عليه السلام مال من خراسان مع رجلين من أصحابه لم يزلا يتفقّدان المال حتى مرّا بالري، فدفع إليهما رجل من أصحابهما كيساً فيه ألفا درهم فجعلا يتفقّدان في كل يوم الكيس حتى دنيا من المدينة، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى ننظر ما حال المال؟ فنظر فاذاً المال على حاله ما خلا كيس الرازي، فقال أحدهما لصاحبه: الله المستعان، ما نقول الساعة لأبي عبد الله عليه السلام؟ فقال أحدهما: انّه عليه السلام كريم وأنا أرجو أن يكون علم ما نقول عنده، فلما دخلا المدينة قصدا إليه، فسلّما إليه المال فقال لهما أين كيس الرازي فأخبراه بالقصة فقال لهما:

إن رأيتما الكيس تعرفانه؟ قال: نعم قال: يا جارية عليّ بكيس كذا و كذا فأخرجت الكيس، فرفعه أبو عبد الله عليه السلام إليهما فقال أتعرفانه؟ قالا: هو ذاك قال: إني احتجت في جوف الليل إلى مال فوجهت رجلاً من الجن من شيعتنا، فأتاني بهذا الكيس من متاعكما.

في دلائل الامامة: للطبري عن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّي لواقف يوماً خارجاً من المدينة، وكان يوم التروية فدنا مني رجل فناولني كتاباً طينه رطب والكتاب من أبي عبد الله عليه السلام وهو بمكة حاج، ففضضته وقرأته فاذاً فيه «إذا كان غداً افعل كذا و كذا» ونظرت الى الرجل لأسئله متى عهدك به فلم أرشيئاً، فلما قدم أبو عبد الله عليه السلام سألته عن ذلك، فقال ذلك من شيعتنا من مؤمني الجن إذا كانت لنا حاجة مهمة أرسلناهم فيها.

وفيه : باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : خرج ابو محمد علي بن الحسين عليهم السلام إلى مكة في جماعة من مواليه وناس من سواهم ، فلما بلغ عسفان ضرب مواليه فسطاطه في موضع منها فلما دنا علي بن الحسين عليه السلام من ذلك الموضع قال لمواليه : كيف ضربتم في هذا الموضع؟ وهذا موضع قوم من الجن هم لنا أولياء ولنا شيعة وذلك يضرّ بهم ويضيق عليهم فقلنا : ما علمنا ذلك وعزموا إلى قلع الفسطاط واذاً هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول : يابن رسول الله لا تحوّل فسطاطك من موضعه فانا نحتمل لك ذلك وهذا اللطف قد أهديناه اليك ونحب أن تنال منه لنتشرف بذلك فاذا جانب الفسطاط طبق عظيم ، وأطباق معه فيها عنب ورمان وموز وفاكهة كثيرة ، فدعا أبو محمد عليه السلام من كان معه ، فأكل وأكلوا من تلك الفاكهة .

وفي الكافي : باسناده عن سعد الاسكاف قال : أتيت أبا جعفر عليه السلام في بعض ما أتيته فجعل يقول : لاتعجل حتى حميت الشمس عليّ وجعلت أتتبّع الافياء فما لبث أن خرج عليّ قوم كأنهم الجراد الصفر عليهم البتوت قد انتهكتهم العبادة قال : فوالله لانساني ما كنت فيه من حسن هيئة القوم فلما دخلت عليه قال لي : أراني قد شققت عليك قلت : أجل والله لقد أنساني ما كنت فيه قوم مروا بي لم أر قوماً أحسن هيئة منهم في زيّ رجل واحد كأن ألوانهم الجراد الصفر قد انتهكتهم العبادة فقال : ياسعد رأيتهم ؟ قلت : نعم قال : اولئك إخوانك من الجن قال : فقلت : يأتونك ؟ قال: نعم يأتونا يسئلونا عن معالم دينهم وحلالهم وحرامهم .

أقول : « البتوت » : الطيلسان .

وفيه : باسناده عن ابن جبل عن أبي عبد الله عليه السلام قال كنا ببابه ، فخرج علينا قوم أشباه الزط ، عليهم ازر وأكسية فسألنا أبا عبد الله عليه السلام عنهم ، فقال : هؤلاء إخوانكم من الجن .

وفي بصائر الدرجات : بأسناده عن عمر بن يزيد بيّاع السابري قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس إذ أتاه رجل طويل كانه

نخلة ، فسلّم عليه فرد ﷺ وقال : بشبه الجن و كلامهم ، فمن أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا الهام بن الهيم بن لافيس بن إبليس فقال له رسول الله ﷺ : ما بينك وبين إبليس الا أبوان فقال : نعم يا رسول الله ﷺ قال :

فكم أتى لك ؟ قال : أكلت عمر الدنيا الا أقلّه أنا أيام قتل قابيل هابيل غلام أفهم الكلام و أنهى عن الاعتصام وأطوف الاجسام و آمر بقطيعة الارحام و أفسد الطعام فقال له رسول الله ﷺ بئس سيرة الشيخ المتأمل والغلام المقبل فقال : يا رسول الله إنّي تائب قال ﷺ على يد من جرى توبتك من الانبياء ؟ .

قال : على يدى نوح و كنت معه في سفينته وعاتبته على دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني ، وقال : لاجرم إنّي على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، ثم كنت مع هود عليه السلام في مسجده مع الذين آمنوا معه ، فعاتبته على دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني ، وقال : لا جرم إني على ذلك من النادمين ، واعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ثم كنت مع ابراهيم حين كاده قومه فالقوه في النار ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً ثم كنت مع يوسف عليه السلام حين حسده إخوته فألقوه في الجب فبادرته إلى قعر الجب فوضعته وضعاً رفيقاً ثم كنت معه في السجن أؤنسه فيه حتى أخرجه الله منه .

ثم كنت مع موسى عليه السلام وعلّمني سفراً من التوراة وقال : إن أدركت عيسى عليه السلام فاقرأه مني السلام فلقيته وأقرأته من موسى عليه السلام و علّمني سفراً من الانجيل وقال : إن ادركت محمداً ﷺ فاقرأه مني السلام فعيسى عليه السلام يا رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام فقال النبي ﷺ وعلى عيسى روح الله وكلمته وجميع أنبياء الله ورسله مادامت السّموات و الارض السلام وعليك يا هام بما بلّغت السلام فارفع إلينا حوائجك .

قال : حاجتي أن يبقيك الله لامتك ويصلحهم لك ويرزقهم الاستقامة لوصيك من بعدك فانّ الامم السالفة إنّما هلكت بعصيان الاوصياء وحاجتي يا رسول الله أن تعلّمني سوراً من القرآن اصلّي بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام

ياعليّ علّم الهام وارفق به ، فقال هام : يارسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الذى ضممتنى إليه ؟ فانّا معاشر الجن قد أمرنا أن لا نطيع الا نبيّاً أو وصى نبى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا هام من وجدتم فى الكتاب وصيّ آدم ؟ قال : شيث بن آدم قال : من وجدتم وصيّ نوح ؟ قال : سام بن نوح قال : فمن كان وصى هود ؟ قال : يوحنّا بن حنان ابن عمّ هود قال : فمن كان وصى ابراهيم ؟ قال : اسحق بن ابراهيم - وفي رواية : انّ وصي ابراهيم اسماعيل وبعده قام اسحق مقامه - قال فمن كان وصى موسى عليه السلام ؟ قال : يوشع بن نون قال :

فمن كان وصى عيسى عليه السلام ؟ قال : شمعون بن حمون الصفا ابن عم مريم .

قال : فمن وجدتم فى الكتاب وصيّ محمد صلى الله عليه وآله ؟ قال : هو فى التوراة « اليا » قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : هذا « اليا » هو عليّ وصيى قال الهام يا رسول الله صلى الله عليه وآله فله اسم غير هذا ؟ قال : نعم هو حيدرة فلم تسئلنى عن ذلك ؟ قال : إنّا وجدنا في كتاب الانبياء أنه فى الانجيل « هيدارا » قال : هو « حيدرة » قال : فعلّمه على عليه السلام سوراً من القرآن فقال هام : ياعليّ ياوصى محمد صلى الله عليه وآله أكتفى بما علّمتنى من القرآن ؟ قال : نعم ياهام قليل من القرآن كثير ثم قام هام إلى النبى صلى الله عليه وآله فودّعه فلم يعد إلى النبى صلى الله عليه وآله حتى قبض صلى الله عليه وآله .

وفيه : باسناده عن أبى حمزة الثماليّ قال : كنت أستأذن على أبى جعفر عليه السلام فقيل : إن عنده قوم أثبت قليلاً حتى يخرجوا ، فخرج قوم أنكرتهم ولم أعرفهم ثم أذن لى فدخلت عليه ، فقلت : جعلت فداك هذا زمان بنى أميّة وسيفهم يقطر دماً فقال لى : ياأباحمزة هؤلاء وفد شيعتنا من الجن جاؤا يسئلوننا عن معالم دينهم .

وفيه : باسناده عن سعد الاسكاف قال : أتيت باب أبى جعفر عليه السلام مع أصحاب لنا لندخل عليه فاذاً ثمانية نفر كأنهم من أب وامّ عليهم ثياب زرابيّ وأقبية طاق طاق وعمائم صفر دخلوا ، فما احتبسوا حتى خرجوا قال لى :

يا سعد رأيتهم ؟ قلت : نعم جعلت فداك قال : اولئك إخوانكم من الجن أتونا يستفتوننا فى حلالهم وحرامهم كما تأتونا وتستفتونا من حلالكم وحرامكم .

أقول : قوله : « زرابى » : جمع زريبة وهي طنفسة ، وقيل : بساط ذوالخمل وقوله عليه السلام : « طاق طاق » أى لبسوا قباء مفرداً ليس معه شيء آخر من الثياب .

وفيه : باسناده عن عمّار السجستاني قال : كنت لأستأذن عليه يعني أبا عبد الله عليه السلام فجئت ذات يوم اوليلة ، فجلست في فسطاطه بمنى قال : فاستوذن لشبّاب كأنهم رجال الزط ، فخرج عيسى شلقان فذكرنا له ، فأذن لي قال : فقال لي: يا أباعاصم متى جئت ؟ قلت : قبيل اولئك الذين دخلوا عليك وما رأيتهم خرجوا قال : اولئك قوم من الجن ، فسئلوا عن مسائلهم ثم ذهبوا .

وفيه : باسناده عن أبي حنيفة سائق الحاج عن بعض أصحابنا قال : أتيت أباعبدالله عليه السلام فقلت له : اقيم عليك حتى تشخص ؟ فقال : لا امض حتى يقدم علينا أبو الفضل سدير فان تهيّأ لنا بعض ما نريد كتبنا اليك قال : فسرت يومين وليلتين قال : فأتاني رجل طويل آدم بكتاب خاتمه رطب والكتاب رطب قال : فقرأته ، فاذاً فيه إن أباالفضل قد قدم علينا ، ونحن شاخصون إنشاء الله فأقم حتى نأتيك قال : فأتاني فقلت : جعلت فداك إنه أتاني الكتاب رطباً والخاتم رطباً قال :

فقال : إن لنا أتباعاً من الجن ، كما أن لنا أتباعاً من الانس ، فاذا أردنا أمراً بعثناهم .



﴿ توالد الجن وتناسلهم وطعامهم وشرابهم ﴾

ويدل على كون الجن صنفين : الذكر والانثى و للذكر غشيان قوله تعالى : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » الجن : ٦) .

وقوله تعالى : « لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان» الرحمن : ٥٦) .

وقد وردت في المقام روايات كثيرة :

في الخصال : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الاباء ثلاثة : آدم ولد مؤمناً والجانّ ولد مؤمناً وكافراً و إبليس ولد كافراً وليس فيهم نتاج إنّما يبيض ويفرخ وولده ذكور ليس فيهم اناث .

وفيه : باسناده عن سهيل بن غزوان البصري قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إن امرأة من الجن كان يقال لها : عفرآء وكانت تنتاب النبي صلى الله عليه وآله فتسمع من كلامه فتأتي صالحي الجن فيسلمون على يديها وانها فقدها النبي صلى الله عليه وآله فسئل عنها جبرئيل فقال : إنّها زارت اختاً لها تحبّها في الله .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : طوبى للمتحابين في الله إن الله تبارك و تعالى خلق في الجنة عموداً من ياقوتة حمراء عليه سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف غرفة خلقها الله عزوجل للمتحابين والمتزاورين في الله ثم قال : يا عفراء أيّ شيء رأيت؟ قالت : رأيت عجائب كثيرة قال : فاعجب مارأيت ؟ قالت : رأيت إبليس في البحر الاخضر على صخرة بيضاء مادّاً يديه إلى السماء وهو يقول :

إلهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نارجهنم فاسألك بحق محمد و علي و فاطمة والحسن والحسين إلا خلّصتني منها وحشرتني معهم .

فقلت : ياحارث ماهذه الاسماء التي تدعو بها ؟ قال لي : رأيتها على ساق العرش من قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة فعلمت أنهم أكرم الخلق على الله عزوجل فأنا أسئله بحقهم فقال النبي صلى الله عليه وآله : و الله لو أقسم أهل الارض بهذه الاسماء لاجابهم .

أقول : قوله عليه السلام : « تنتاب » : تأتي مرّة بعد مرة .

ويدل على كون الجن صنفين : الذكر والانثى :

ما في تفسير العياشي : عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ آدم ولد له أربعة ذكور فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين فزوّج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا ثم إن الله رفعهنّ وزوج هؤلاء الاربعة اربعة من الجن فصار النسل فيهم فما كان من حلم فمن آدم وما كان من جمال فمن قبل الحور العين وما كان من قبح أوسوء خلق فمن الجن :

وفي الدر المنثور : عن أبي الطفيل قال : كانت إمرأة من الجن في الجاهلية تسكن ذا طوى و كان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره فكانت تحبّه حباً شديداً و كان شريفاً في قومه فتزوّج وأتى زوجته فلما كان يوم سابعه قال لامّه : يا امه إني اريد ان أطوف بالكعبة سبعاً نهاراً ، قالت له امّه :

أي بنيّ إني اخاف عليك سفهاء قريش فقال : أرجو السلامة فأذنت له فولّى في صورة جانّ فمضى نحو الطواف فطاف بالبيت سبعاً و صلّى خلف المقام ركعتين ثم أقبل منقلباً فعرض له شابّ من بني سهم فقتله فثارت بمكة غبرة حتى لم تبصر لها الجبال قال أبو الطفيل :

وبلغنا أنه إنّما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن ، قال : فاصبح من بني سهم على فرشهم موتى كثير من قتلى الجن فكان فيهم سبعون شيخاً أصلع سوى الشباب .

و فيه : عن وهب بن منبه أنه سئل عن الجن هل يأكلون و يشربون او يموتون او يتناكحون ؟ قال : هم أجناس اما خالص الجن فهم ريح لايأكلون و

لايشربون ولايموتون ولايتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتنا كحون ويموتون وهي هذه التي منها السعال والغول وأشباه ذلك .

وفي الفقيه : لايجوز الاستنجاء بالروث والعظم لأن وفد الجن جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله متعنا فأعطاهم الروث والعظم ، فلذلك لاينبغي أن يستنجى بهما .

وفي التهذيب : باسناده عن ليث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئلته عن استنجاء الرجل بالعظم أو البعر أو العود قال : أما العظم والروث فطعام الجن ، وذلك مما اشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لايصلح بشيء من ذلك .

وفي الدر المنثور : عن يزيد بن جابر قال : مامن أهل بيت من المسلمين إلاّ وفي سقف بيتهم أهل بيت من الجن من المسلمين إذا وضع غداؤهم نزلوا وتغذوا وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشّوا معهم .

وفي تفسير الطبري : إنّ عمرو بن عيلان الثقفي قال لابن مسعود : حدثت انك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة وفد الجن قال : أجل قال : فكيف كان ؟ ـ فذكر الحديث كله ـ ثم قال : إن النبي صلى الله عليه وآله خط عليه خطاً وقال : لاتبرح منها فذكر ان مثل العجاجة سوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وآله فذعر ثلاث مرّات (أى ابن مسعود) .

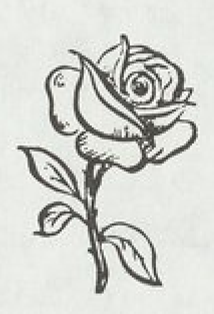
حتى اذا كان قريباً من الصبح أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أنمت ؟ قلت : لا والله ، ولقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول : أجلسوا ، قال : لوخرجت لم آمن أن يختطفك بعضهم .

ثم قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : نعم رأيت رجالاً سوداً مستشعرى ثياب بيض قال : اولئك جن نصيبين سألوني المتاع ، والمتاع الزاد فمتعتهم كل عظم حائل أو بعرة أوروثة ، فقلت : يارسول الله وما يغني ذلك عنهم ؟ قال : انهم لن يجدوا عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبّها يوم أكلت ، فلا يستنقين أحد منكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن الحسين بن علوان عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام قال : كانوا يحبّون أن يكون في البيت الشيء الداجن مثل الحمام أو الدجاج أو العناق ليعبث به صبيان الجن ولا يعبثون بصبيانهم .

وفي طب الائمة : باسناده عن ابراهيم بن أبي يحى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من رمى أو رمته الجن فليأخذ الحجر الذي رمى به ، فليرم من حيث رمى وليقل : « حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى » وقال ﷺ : أكثروا من الدواجن في بيوتكم تتشاغل بها عن صبيانكم .

وفي مكارم الاخلاق : عن إبي جعفر عليه السلام أتاه رجل فشكى إليه فقال : أخرجتنا الجن من منازلنا يعني عمّار منازلهم ، فقال : اجعلوا سقوف بيوتكم سبعة أذرع واجعلوا الحمام في أكناف الدار ، قال الرجل : ففعلنا فما رأينا شيئاً نكرهه .



﴿ كلام فى دخول الجن الجنة والنار ﴾

إن الايات القرآنية تدل على أن الجن يحشرون ويحاسبون يوم القيامة ويجزون بما كانوا يعملون فى الحياة الدنيا فيدخل المؤمنون الصالحون منهم الجنّة ، والكافرون المفسدون النار .

ومن الآيات آيات سورة الرحمن فى قسمى الوعد والوعيد والجنة والنار . .

ومنها قوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ـ «يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا » الانعام : ١٢٨ ـ ١٣٠) .

ومنها قوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » الاعراف : ١٦٩) .

ومنها قوله تعالى : « لأملئنّ جهنم من الجنّة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » السجدة : ١٣ ـ ١٤) .

ومنها قوله تعالى : « وانّا منّا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحرّوا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » الجن : ١٤ ـ ١٦) وغيرها من الايات . . .

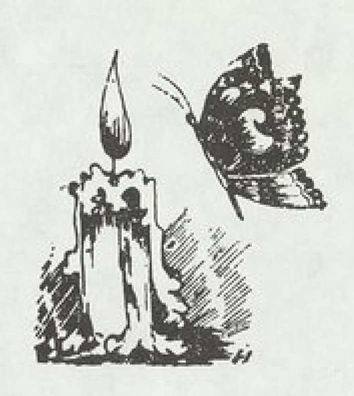
وفى الدر المنثور : عن ابن عباس قال : الخلق أربعة : فخلق فى الجنة كلّهم ، وخلق فى النّار كلّهم وخلقان فى الجنّة والنار ، فأما الذين فى الجنّة كلّهم فالملائكة ، وأما الذين فى النار كلّهم فالشياطين وأما الذين فى الجنّة والنار

فالجن والانس ، لهم الثواب وعليهم العقاب .

وفي البحار : لا خلاف في أن الجن والشياطين مكلّفون وأنّ كفارهم في النار معذّبون وأما أن مؤمنهم يدخلون الجنة فقد اختلف فيه العامة ولم أر لأصحابنا فيه تصريحاً .

وفي تفسير القمي : سئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن يدخلون الجنّة ؟ فقال : لا ولكن لله حظائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنوا الجن وفسّاق الشيعة .

أقول : وقد تقدم في هذا المعنى رواية فراجع .



﴿ كلام فى اللؤلؤ ﴾

قال الله تعالى : ممتناً « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباى آلاء ربكما تكذبان » الرحمن : ٢٢ _ ٢٣) .

اللؤلؤ : جوهر ثمين وهو أجسام مستديرة بيضاء لماعة تتكون من الاصداف من رواسب بعض الحيوانات المائية الدنيا .

وهو مكون من طبقات صدفية متراكزة يظهر أن فى وسطها جسماً غريباً اعتبر بليناس من الاقدمين هذا اللؤلؤ من بادزهر وحصيات ناشئة من طفحان عارضى فى الصدف الذى لا يتميز عنه فى نظر علم الكيمياء لاجل إجتناء اللؤلؤ يغوص الغواصون عليه فى أعماق البحار لتقلع منها الحيوانات الصدفية التى توجد فيها اللآلىء وتلك الحيوانات تكثر بجوار جزيرة سيلان ورأس قوران والخليج الفارسى وهو لاندة الجديدة وخليج المكسيك ولذلك يميز اللؤلؤ إلى شرقى وغربى .

اللؤلؤ كلما كان ماؤه أصفى وحجمه أعظم وشكله أنظم كان أكثر إعتباراً وأجل قيمة وقد ذكر أن اللؤلؤ يفقد لمعانه ولاجل إعادته إليه يعطى للدجاج لتزدرده ثم تذبح بعد دقيقة ويخرج اللؤلؤ من معداتها معلماً لما تأثر حوامض معدتها عليه ، فيعود اليه لمعانه .

فيظهر بذلك ان اللؤلؤ شديد التأثر بالحوامض حتى الضعيفة منها ، ويوجد من اللؤلؤ ما لونه وردى أو أصفر أو سنجابى أو أسود وهو من الاحجار الكريمة وقد يبلغ ثمن الواحدة اذا توفرت فيها شروط النقاء والصفاء والضخامة عشرات من ألوف الفرنكات .

﴿ كلام فى المرجان ﴾

قال الله تعالى : ممتناً على الانس والجن : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان » الرحمن : ٢٢ ـ ٢٣) .

وقد جاء عن الباحثين : إنّ المرجان صنع حيوانات صغيرة تصنعه من مواد كلسيّة ، فتجعلها مساكن لها وتبنى تلك المساكن متلاصقة متلاحمة فتتكون منها تلك الصّخور على اختلاف صورها وأشكالها وهيئة تلك الحيوانات كزهر الاقحوان ومؤخر الواحدة منها داخل فى المسكن والمقدم بارز ، وفى وسطه ثغر صغير وهو فمها يحيط بها غالباً ستة أطراف أو ثمانية كأوراق ذلك الزهر تقبض بها على الفريسة حين تمرّ بها .

ومن هذه الحيوانات ما يلمع لمعاناً شديداً كلمعان المصباح وتلك الحيوانات الصغيرة لاتبنى مساكنها فى مكان عمقه أكثر من مأة وعشرين قدماً ، و كلّما كانت أقرب إلى وجه الماء كانت أكثر عملا وذاك لانّها أقرب إلى ضوء الشمس .

وان المرجان: من أجمل وأبهج وأحسن وأعجب ما نسقته يد القدرة الالهية ولا يكون نباته الحيوانى إلاّ فى البحار الحارة وفى البحر الاحمر ـ منه كما يقال أكثر من مأة نوع مختلفات الصفات ـ وهكذا فى البحر الهندى والمحيط الباسفيكى آلاف من جزائر المرجان وسلاسل الجزائر المرجانيّة البديعة الاوصاف الجميلة الاصناف البهجة المناظر المدهشة لكلّ ناظر .

ألا وإن اولئك الذين نظروا إلى المرجان فى البحر حيث تكون أنواع منه مختلفة الألوان والأشكال قدقالوا : إنّ منظره يفوق الوصف بهجة ويسحر الطرف

زينة ، وتسرّ النفس برؤيته وتدعو إلى الايقان آيته ، وتزين العلم حكمته وتعلو المال قيمته وتشوق للدرس رؤيته .

وقالوا : إذا قطعنا المرجان رأيناه كأنه جسم حي ووجدنا فيه خاصيّة النبات وخاصيّة الحيوان معاً ولذا سميناه (حيواناً نباتيّاً) لانا نجدله (معدة) و (فماً) و (جملة من أنانيب تقوم مقام الايدى لتتناول الطعام من ماء البحر الذى تعيش فيه وتدخله في الفم) هذا من جهة حيوانيّته .

واما من جهة نباتيّته فانّا إذا أخذنا قطعة من مرجان حي وغرسناها فى شاطيء رمل فاننا نراه ينبت كما ينبت غصن قطعناه من النبات و غرسناه فى الارض .

وإن المرجان أشبه بكتلة صغيرة من مادّة هلاميّة ودم هذا الحيوان يشبه اللبن لانّه من المادّة الجيريّة التى استخلصها المرجان من ماء البحر لغذائه .

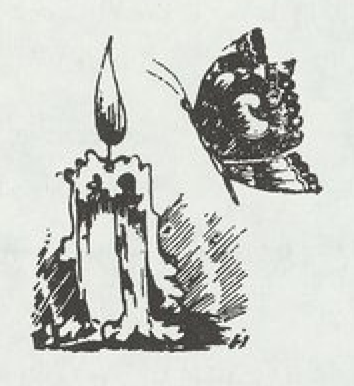
وإن الصخور المرجانية قد يقترب بعضها من بعض ، فتتلاحق و تمتد إلى مسافة أميال كثيرة وتأتيها الامواج بالرّمال و الطين و غثاء مايصب فى البحر من الانهار وتحمل إليها الرّياح كثيراً من البزور وجراثيم الحياة ، متكثر فيهاالتربة وتنبت فيها البزور وتتولّد فيها الحيوانات ، فتمتلىء بالاعشاب و الاشجار و غيرها من الاحياء ،إن بعض المرجان يعيش منفرداً وبعضه يعيش مجتمعاً ويعد بالآلاف و كل منها له جسم مستقل وهو متصل بالباقى اتصال الغصن بالشجرة و النحل على شجرة .

و إذا مات المرجان بقيت هياكله تتلاصق و تتراكم و تكون مهداً و اساساً لجيل جديد من المرجان يخلق ويعيش فوق ذلك ناعم البال في عيش صاف وماء واف فينمو ويتم كماله كالتى كانت من قبل ولقدعرف الناس انّ هذا الحيوان لا يعيش ألبتّة فى عمق يزيد عن ثلاثين متراً و لايعيش اذا تعرض لضوء الشمس و للهواء الجوّى إذن هو محصور فى هذه الثلاثين متراً .

وتوجد حقول من المرجان فى البحر الابيض المتوسط أمام تونس و

الجزائر متى قم* ينعها حصدتها الدولة الفرنسيّة وباعتها للمسلمين وهم لايعلمون شيئاً من أمرها و كأنّهم لم يقرؤا القرآن الكريم و كأنهم لم يخلقوا فى هذه الارض و كأنّهم يقولون : ربنا لانستخرج بل نشترى من المستخرجين من الارض و كانّهم ليسوا مخاطبين بالاستخراج المباح . . .

وقد بلغ ما استخرج من المرجان سنة ١٨٨٦ م (٧٧٨) ألف كيلـو جرام ثمنها خمسة ملايين وسبعمأة وخمسون ألف فرنك .



﴿كلام فى فناء من على وجه الارض﴾

قال الله عزوجل : « كل من عليها فان » الرحمن : ٢٦) .

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « كل معدود منقض و كل متوقّع آت » .

أقول : وقد ذهب جمهور المتكلّمين إلى أن العالم كلّه لابد أن ينقضى ويفنى ولكن العدد ليس علّة فى وجوب الانقضاء ، فحملوا كلام الامام عليه السلام على أنّ كل معدود منقض مجرّداً عن العلّة .

كما لوقيل : زيد قائم ليس يعنى أنه قائم لانه يسمّى زيد .

وقوله عليه السلام : « و كل متوقّع آت » .

وذلك لان العقلاء لاينتظرون ما يستحيل وقوعه وانما ينتظرون مايمكن وقوعه وما لا بدّ من وقوعه فقد صحّ أن كل منتظر فسيأتى .

وفيه : قال عليه السلام : « إن الامور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأوّلها » .

وروى : « إذا استبهمت » والمعنى واحد وذلك أن المقدمات تدل على النتائج والاسباب تدلّ على المسبّباب ، وطالماً كان الشيئان ليسا علّة ومعلولاً وانما بينهما أدنى تناسب فيستدل بحال أحدهما على حال الآخر ، وإذا كان كذلك واشتبهت أمور على العاقل الفطن ولم يعلم إلى ماذا تؤل ، فأنه يستدل على عواقبها بأوائلها وعلى خواتمها بفواتحها كالرّعيّة ذات السلطان الرّكيك الضعيف السياسة إذا ابتدأت أمور مملكته تضطرب واستبهم على العاقل كيف يكون الحال فى المستقبل فانه يجب عليه أن يعتبر أواخرها بأوائلها ، ويعلم أنه سيفضى أمر ذلك الملك

إلى إنتشار وإنحلال في مستقبل الوقت لأنّ الحركات الاولى منذرة بذلك وواعدة بوقوعه وهذا واضح .

وفيه : قال عليه السلام في خطبة : أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سلّماً أو لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذى سخّر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدّته رمته قسيّ الفناء بنبال الموت وأصبحت الديار منه خالية والمساكن معطّلة وورثها قوم آخرون .

وإنّ لكم في القرون السّالفة لعبرة ! أين العمالقة وأبناء العمالقة ! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة ! أين أصحاب مدائن الرّس الذين قتلوا النّبيّين وأطفئوا سنن المرسلين وأحيوا سنن الجبّارين ! أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا بالالوف وعسكروا العساكر ومدّنوا المدائن !

قوله عليه السلام : « الرياش » : اللباس و« أسبغ » : أوسع وإنما ضرب المثل بسليمان عليه السلام لانه كان ملك الانس والجن ولم يحصل لغيره ذلك .

وقوله عليه السلام : « الزلفة » : القرب و« الطعمة » بضمّ الطاء : المأكلة .

وفى المقام كلمات قصار عن الامام على عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١ ـ قال عليه السلام : « عجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء » .

٢ ـ قال عليه السلام : « إنّ الدنيا دار أوّلها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفى حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن » .

٣ ـ قال عليه السلام : « إن الدنيا عيشها قصير وخيرها يسير وإقبالها خديعة وإدبارها فجيعة ولذّاتها فانية وتبعاتها باقية » .

٤ ـ قال : « إن الدنيا دار منها لها الفناء ولاهلها منها الجلاء » .

٥ ـ قال عليه السلام : « إن كنتم في البقاء راغبين فازهدوا فى عالم الفناء إن كنتم للنعيم طالبين فاعتقوا أنفسكم من دار الشقاء » .

٦ ـ قال عليه السلام : « إن رغبتم فى الفوز وكرامة الآخرة فخذوا من الفناء

للبقاء ».

٧ ـ قال عليه السلام : « إنكم إنما خلقتم للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء ».

٨ ـ قال عليه السلام : « إنكم إن زهدتم خلصتم من شقاء الدنيا وفزتم بدار البقاء ».

٩ ـ قال عليه السلام : « حدّ الحكمة الاعراض عن دار الفناء والتولّه بدار البقاء ».

١٠ ـ قال عليه السلام : « رحم الله امرءاً أخذ من حياة لموت ومن فناء لبقاء ومن ذاهب لدائم ».

١١ ـ قال عليه السلام « غاية الدنيا الفناء ، غاية الاخرة البقاء ».

١٢ ـ قال عليه السلام : « لكل شيء من الدنيا انقضاء وفناء ، لكل شيء من الآخرة خلود وبقاء ».



تحقيق كلامي وفلسفي

في الفناء و البقاء

وفي فناء عالم المحسوس المشاهد كلمات من الحكماء والفلاسفة نشير إلى ما يسعه المقام على سبيل الاختصار لمن ارادها :

١ ـ : و من عظماء الحكمة و كبرائها (انباذ قلس) و هو من الخمسة المشهورة ومن رؤساء يونان وكان من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم ، ومفضالا في الاحوال وكان في زمن داود النبي عليه السلام وتلقى منه واقتبس من لقمان الحكمة ثم عاد إلى يونان وأفاد ما استفاد .

وكان هو يقول : إن العالم مركب من الاسطقسّات الاربع وانه ليس ورائها شيء أبسط منها و إن الاشياء كامنة بعضها في بعض ، و أبطل الكون و الفساد والاستحالة والنموّ .

ويقول : إن وجود الاجسام لايمكن بدون النفوس والارواح وترجع الخلائق كلّها إلى المبدأ الخلاّق فتثبت القيامة الكبرى الموجبة بفناء الكل حتى الافلاك والاملاك وبقاء الواحد القهار .

٢ ـ : ومنهم (فيثاغورث) وقد كان هو في زمن سليمان بن داود عليهما السلام وأخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذو الرأى المتين والعقل المنير والفهم الثاقب وكان يدعى أنه شاهد العوالم بحسّه وحدسه و كان يقول : ما سمعت قط شيئاً ألذّ من حركاتها ولارأيت شيئاً أبهى من صورها ولا أحسن من هيأتها .

وقيل له : لم قلت بابطال العالم وفناء الكون ؟ قال : لانه يبلغ العلّة التي من أجلها كان ، فاذا بلغها سكنت حركته .

فأشار بكلامه إلى منشأ حدوث هذا العالم وزواله ونفاده وإلى فناء الكل و وقوع القيامة الكبرى .

وكان يقول : إنّ ما في هذا العالم يشتمل على مقدار يسير من الحس لكونه معلول الطبيعة ومافوقه من العوالم أبهى وأشرف و أحسن من أن يصل الوصف إلى عالم النفس والعقل فيقف فلا يمكن للنطق وصف ما فيها من الشرف و الحسن و البهاء فليكن حرصكم واجتهادكم بذلك العالم حتى يكون بقاؤكم بعيداً عن الفساد والدثور وتصيروا إلى عالم هو حسن كله وبهاء كلّه وسرور كلّه وعز كلّه وحق كلّه ويكون سرور كم ولذّتكم دائمة غير منقطعة .

وإنّ هذا العالم للفساد والزوال غير محتمل للبقاء والدوام و كل ما هو كذلك فابتدائه من عدم وانتهائه الى عدم .

٣ ـ : ومنهم (اسكندر الافرديسي) وهو من كبار أصحاب ارسطو رأياً و علماً .

وكان هو يقول : إن ما يكون تحت الدّهر والزمان فهو من الكوائن و الفواسد ولاشبهة في أنّ جميع الاجرام الفلكية والعنصرية ممايجري عليه الزمان لانها ماديّة فيها جهة القوة والاستعداد فيكون قابلة للكون والفساد :

فحينئذ إن ثبت أن المحيط بجميعها جسم له قوة الحركة والتغيّر فله أيضاً لامحالة صورة متجددة كائنة فاسدة وإن لم يكن كذلك فيكون قوة عقلية تكون إحاطتها بالسماء ليست احاطة وضعيّة مكانية الشهادة والحسّ فكان في ذاتها من جملة ما في علم الله من عالم الغيب وما عندالله باق ببقائه .

قال الله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » النحل : ٩٦) .

٤ ـ : قال الغزالي في (مشكاة الانوار) : إنّ الوجود ينقسم إلى ما للشيء لذاته وإلى ماله من غيره وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لاقوام له بنفسه بل إذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وإنما هو وجود من حيث نسبته إلى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي فالموجود الحق هو الله تعالى كما ان نور الحق هو الله

جل وعلا فليس فى الوجود إلا الله سبحانه « كل شيء هالك إلا وجهه » .

لا انه يصير هالكاً فى وقت من الاوقات بل هو هالك أزلا وأبداً لايتصور إلا كذلك فان كل شيء سواه إذا اعتبر ذاته من حيث هو فهو عدم محض وإذا اعتبر من الوجه الذى سرى إليه الوجود من الاول الحق سبحانه رئى موجوداً لا فى ذاته بل من الوجه الذى يلى موجده فيكون الوجود هووجه الله تعالى فقط فلكل شيء وجهان : وجه إلى نفسه ووجه إلى ربّه فهو باعتبار وجه نفسه عدم و باعتبار وجه الله موجود فاذن لاموجود إلا الله ووجهه فاذن كل شيء هالك أزلا وأبداً .

ومن الفلاسفة : الزّيتون الاكبر بن فارسى قال : إن تلك الصور كلّها بقائها وفنائها فى علم الله تعالى والعلم يقتضى بقائها وإن الله قادر على أن يفنى العالم يوماً إن أراد يوم القيامة ورجوع الكل إليه .

قال الله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم و إليه ترجعون » القصص : ٨٨) .

وقال : إن الموجودات باقية فانية أما بقائها فبتجدّد صورها و أما فنائها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الاخرى وإن الدثور قدلزم الصورة والهيولى .

ومنهم : فلاسفة أفاداميا وانّهم كانوا يقولون : إن كل مركب ينحلّ فلا يجوز أن يكون من جوهرين متفقين فى جميع الجهات و الا فليس بمركب فاذا كان هذا هكذا فلامحالة اذا انحل التركيب حل لكل جوهر فاتصل بالاصل الذى منه كان فما كان منها بسيطاً روحانيّاً لحق بعالمه الروحانى وهو باق غير دائر ، وماكان منها جاسياً غليظاً لحق بعالمه أيضاً .

و كل جاس إذا انحل فانما يرجع حتى يصل إلى ألطف فاذا لم يبق من الكثافة شيء اتحد باللطيف الاول فيتّحد به فيكونان متّحدين الى الابد و اذا اتحدت الاواخر بالاوائل كان الاول هو أول كل مبدع ليس بينه وبين مبدعه جوهر آخر متوسط فلامحالة انّ ذلك المبدع الاول يتعلق بنور مبدعه فبقى خالداً دهر الدهور .

أقول : يشتمل كلام هؤلاء الفلاسفة لأمرين :

أحدهما ـ : دثور العالم المادى ، وفناء صورته ، ونفاد مادته الى الفساد والاضمحلال .

ثانيهما ـ : إتّصال ما صفى ونقى من الصور الحسية الى الصور العقليّة ورجوع ما صفى ونقى منها إلى العلّة الأولى العلّية ، فالكل عائدة إليه راجعة صائرة إيّاه متحدة بوجهه الباقى رجوع النقص إلى التمام ومصيراً لفرع الأصل كما قال تعالى : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » يس : ٨٣) .

وقال : « ألا إلى الله تصير الأمور » الشورى : ٥٣) .

ومنهم : اسنيقورس قال : إن الجسمانيات ، وسائر الصور الحسّية يتجدد وجودها من الصور المفارقة الباقية عند الله تعالى ثم يعود إليها ، فهذه دائرة فاسدة بدثور الهيولى ، وتلك باقية ببقائه لا ببقاء ذواتهم ، لأن كل شيء هالك إلاّ وجهه .

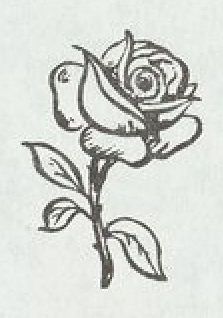
كيف لايكون حقيقة الواجب القيّوم صرف الوجود ومحض التقوّم ، وهو ينبوع كل وجود ومبدأ كل فيض وجود وموجودية المهيات إنما يتصحّ بكونها فائضة عنه فجلّ وجوده عن أن يتعلق بماهيّة أصلاً .

وإن الوجود الحقيقى والوجوب الذّاتى متساوقان ، وإن سكان عالم الامكان طرّاً مفارقاتها وماديات‍ها هالكة الذوات باطلة الحقائق ، وهلاك الذات وبطلان الحقيقة للممكن ثابت أزلاً وأبداً لافى وقت من الأوقات لأن موجودية الممكنات إنما هى باعتبار انتسابها إلى الموجود الحقيقى هو الواجب بالذات . ومنشأ انتزاع الموجوديّة المصدرية ومصحح صدقها عليها ، وأما هى فى حدود ذواتها فلا اتّصاف لهابالموجودية أصلاً، فانك إذانظرت إلى ذاتالممكن من حيث هى هى تحكم بانها من تلك الحيثية لاتكون موجودة وإذانسبتها إلى جاعلها التام تحكم عليها بالوجود.

وفى المبدأ والمعاد : لصدر المتألهين محمّد صدرالدين الشيرازى : قال : ومن تأمّل فى حال بدن الانسان ، ومراتب إنقلاباته وإستحالاته من جهة أنه كلّما أقوى

نفسه ضعف بدنه وأنّه كلّما تدرّجت نفسه في الاستكمال من لدن بلوغه إلى شيخوخته تدرج بدنه في الانتقاص والاضمحلال لعلم يقيناً ان النفوس متوجّه بحسب الغريزة إلى عالم آخر إليه رجوعها ومنتهاها ، وإن غفل عن هذا التوجّه العقلي والسلوك الاخروي أكثر الناس إلاّ انه مركوز في طبيعة الجميع مفطور عليه فطرة الكل كما يدلّ عليه قوله تعالى : « إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم » .

وفي هذا المعنى آيات كثيرة . .



بحث عميق علمي

في بقاء ذات الله تعالى

قال الله عز وجل : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » الرحمن : ٢٧) .

إنّ البحث في البقاء على وجهين :

احدهما ـ : ان البقاء ليس زائداً على الذات خلافاً للاشاعرة ، حيث زعمت أن الباقي إنما يبقى ببقاء زائد على ذاته وإن البقاء عرض قائم بالباقي ، وان الله تعالى باق ببقاء قائم بذاته وقد زعم ابو الحسن الاشعري وأتباعه ان البقاء صفة ثبوتية زائد على الوجود فان الوجود متحقق دونه كما في اوّل الحدوث وان البقاء صفة تتجدّد بعد الوجود .

والصواب : ان البقاء هو نفس الوجود في الزمان الثاني لأمر زائد عليه .

ثانيهما ـ : ان وجود الجوهر في الزمان الثاني لو احتاج إلى البقاء لزم الدور لان البقاء عرض يحتاج في وجوده إلى الجوهر ، فان إحتاج إلى وجود هذا الجوهر الذي فرض باقياً كان كل من البقاء ووجود الجوهر محتاجاً إلى صاحبه وهو عين الدور وإن احتاج إلى وجود جوهر غيره لزم قيام الصّفة بغير الموصوف وهو غير معقول .

والقول بعدم احتياج البقاء إلى الجوهر وأن يكون قيامه بذاته بلا محل يلزم أن يكون البقاء جوهراً مجرّداً لا العرض قائماً بغيره ويلزم أن يكون هو بالذاتيّة أولى من الذات .

فـان الله جل وعلا بـاق لذاته عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية خلافاً للأشاعرة حيث قـالت : إنّه سبحانه باق بالبقاء والبطلان واضح لان البقاء إن قـام بذاته تعالى لزم تكثره ، واحتاج البقاء إلى ذاته تعالى مع أن ذاته محتاجة إلى البقاء ، فيدور وان قام البقاء بغير ذاته كان وصف الشيء حالاً في غيره ، ولان غيره محدث فان قام البقاء بذاته كان مجرّداً ، وأيضاً بقائه تعالى بـاق لامتناع تطرّق العدم إلى صفاته تعالى ولانه يلزم أن يكون محلاّ للحوادث ، فيكون له بقاء آخر ويتسلسل وأيضاً صفاته جل وعلا باقية ، فلو بقيت بالبقاء لزم قيام المعنى بالمعنى .

وقال : « لااله الاّ هو كل شيء هالك الاّ وجهه » القصص : ٨٨) .

إن في الوجه وجوهاً :

أحدها ـ : إن المراد بوجه الله تعالى هو ما يستقبل به خلقه ، ويتوجّهون به إليه جل وعلا ، وهو صفاته الكريمة من حياته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره ، ومايتنتهي إليها من صفات الفعل كالخلق والرزق والاحياء والاماتة والمغفرة والرحمة وكذا آياته الدالّة عليه بما هي آياته .

فكل شيء هالك في نفسه باطل في ذاته لاحقيقة له إلا ما كان عنده مما أفاضه الله تعالى عليه وأما ما لاينسب إليه جل وعلا فليس إلا مااختلقه وهم المتوهم أو سراباً صوّره الخيال ، وذلك كالأصنام ليس لها من الحقيقة إلا أنّها حجارة أو خشبة أو شيء من الفلزاة ، وأما أنها أرباب أو آلهة او نافعة أو ضارة أو غير ذلك فليست إلا أسماء سمّاها عبدتهم وكالانسان ليس له من الحقيقة إلاّ ما أودعه فيه الخلقة من الروح والجسم وما اكتسبه من صفات الكمال والجميع منسوبة إلى الله سبحانه ، وأما ما يضيفه إليه العقل الاجتماعي من قوّة وسلطة ورئاسة ووجاهة وثروة وعزّة وأولاد وأعضاد فليس إلا سراباً هالكاً وأمنيّة كاذبة ، وعلى هذا السبيل سائر الموجودات .

فليس عندها من الحقيقة إلا ما أفاض الله عليها بفضله وهي آياته الدالّة على صفاته الكريمة من رحمة ورزق وفضل وإحسان وغير ذلك .

فالحقيقة الثابتة فى الواقع التى ليست هالكة باطلة من الأشياء هى صفاته الكريمة وآياته الدالة عليها ، والجميع ثابتة بثبوت الذات المقدسة هذا على تقدير كون المراد بالهالك فى الآية الهالك بالفعل .

ثانيهما : إنّ المراد بالوجه ذات الشى كما يقال ، وجه النهار ووجه الطريق لنفسهما، وقيل : أريد بالوجه الذات الشريفة كما يقال : وجوه الناس أى أشرافهم على سبيل المجاز المرسل أو الاستعارة .

وعلى كلا التقديرين فالمراد أن غيره تعالى من الموجودات ممكنة ، والممكن وإنكان موجوداً بايجاده تعالى ولكنّه معدوم بالنظر إلى حدّ ذاته هالك فى نفسه والذى لا سبيل للبطلان والهلاك إليه هو ذاته الواجبة بذاتها .

وعلى تقدير كون الهالك بمعنى ما يستقبله الهلاك والفناء ـ لكون اسم الفاعل ظاهراً فى الاستقبال ـ فظاهر الاية أنّ كل شىء سيستقبله الهلاك بعد وجوده إلاّ وجهه ، وهلاك الاشياء على هذا بطلان وجودها الابتدائى ، وخلو النشأة الاولى عنها بانتقالها إلى النشأة الاخرى ورجوعها إلى الله تعالى ، وإستقرارها عندها.

فكل شىء سيستقبله الهلاك والفناء بالرجوع إلى الله تعالى إذا ذاته الحقّة الثابتة التى لا سبيل للبطلان إليها ، فهو تعالى وحده مرجع كل شىء ، وانّه المنتهى ، وإليه الرجعى ، وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده ، ويؤيد ذلك ذيل الاية الكريمة إذ قال : « له الحكم واليه ترجعون » القصص : ٨٨) .

وبذلك يندفع الاعتراض على عموم الاية بمثل الجنّة والنار والعرش وكون الدار الاخره دار حيوان ، فانّ الجنه والنار والعرش ـ على ما ورد انّ سقف الجنّة هو العرش ـ تبقى إلى غير النهاية وجه الاندفاع أنّ المراد بالهلاك هو تبدل نشأة الوجود ، والرجوع إلى الله تعالى المعبّر عنه بالانتقال من الدنيا الفانية إلى الاخرة الباقية ، والتلبّس بالعود بعد البدء ، وهذا إنّما يكون فيما هو موجود بوجود بدنىّ دنيوى ، وأمّا الدار الاخرة وما هو موجود بوجود أخروى كالجنّة

والنار ، فلايتصف شيء من هذا القبيل بالهلاك بهذا المعنى.

قال الله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عندالله باق » النحل : ٩٦) .

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة : « وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان .

عدمت عند ذلك الاجال والاوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء الا الله الواحد القهار الذى إليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها » .

أقول: ذكر الامام عليه السلام إعدام الله جل وعز الجواهر وما يتبعها ويقوم بها من الاعراض قبل القيامة كما قال تعالى: « كما بدأنا أول خلق نعيده » الانبياء : ١٠٤).

ومعلوم أنه بدأه عن عدم ، فوجب ان تكون الاعادة عن عدم أيضاً .

وقال تعالى : « هو الاول والاخر » الحديد : ٣) .

كان الله تعالى أولاً لانه كان موجوداً ولا شيء من الاشياء بموجود فوجب أن يكون آخراً كذلك .

وفيه : قال عليه السلام في خطبة « الاول الذى لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي » .

وفيه : أيضا قال عليه السلام : « الحمد لله الاول قبل كل اول ، والاخر بعد كل آخر ، وبأوليته وجب أن لا أول له ، وبآخريته وجب ان لا آخر له » .

ثم ذكر الامام عليه السلام انه تعالى يكون وحده بلاوقت ولامكان ولاحين ولازمان وذلك لان المكان إما الجسم الذى يتمكن عليه جسم آخر أو الجهة وكلاهما لاوجود له بتقدير عدم الافلاك ومافى حشوها من الاجسام ، اما الاول فظاهر ، واما الثانى فلان الجهة لاتتحقق الا بتقدير وجود الفلك ، لانها أمر اضافى بالنسبة إليه فبتقدير عدمه لايبقى للجهة تحقق أصلاً وهذا هو القول في عدم المكان حينئذ وأما الزمان والوقت والحين ، فكل هذه الالفاظ تعطى معنى واحداً ولا وجود

لذلك المعنى بتقدير عدم الفلك لان الزمان هومقدار حركة الفلك ، فاذا قدّرنا عدم الفلك ، فلا حركة ولا زمان.

ثم أوضح الامام عليه السلام ذلك ، وأكده بقوله : « عدمت عند ذلك الآجال والاوقات وزالت السنون والسّاعات ».

وذلك لان الاجل هو الوقت الذى يحلّ فيه الدّين اوتبطل فيه الحياة ، وإذا ثبت انه لاوقت ثبت انه لااجل وكذلك لاسنة ولاساعة لانها أوقات مخصوصة .

ثم عاد الامام عليه السلام إلى ذكر الدنيا ، فقال : « بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير إمتناع منها كان فناؤها » يعنى أنّها مسخّرة تحت الامر الالهى .

وقال عليه السلام : « ولوقدرت على الامتناع لدام بقاؤها » لانها كانت تكون ممانعة للقديم سبحانه فيمراده ، وإنما تمانعه فى مراده لو كانت قادرة لذاتها ولو كانت قادرة لذاتها ، وأرادت البقاء لبقيت .

ثالثها ـ : إن المراد بالوجه الجهة المقصودة التى يتوجّه بها إليه تعالى كل شيء فالمعنى : كل شيء هالك الا الجهة المطلوبة له .

رابعها ـ : إن المراد بالوجهالعمل الصالح ، فالمعنى : كل عمل فى حيّز العدم إلا صالح العملالذى يعمله العبد ابتغاءاً لوجه الله فيبقاه الله تعالى فهو باق .

وغيرها من الوجوه المحتملة ..



﴿ القيامة ومواطنها ﴾

قال الله تعالى : « فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جان » الرحمن : ٣٩) .

وقد اختلفت أنظار المفسرين قديماً وحديثاً في الجمع بين الايات القرآنية التى تصرح بنفى السؤال عن الجن والانس يوم القيامة والايات التى تصرح باثباته عنهم فيه . . .

فمنهم : من قال : إن الله تعالى نفى أن يسئلهم سؤال إسترشاد وإستعلام وإنما يسئلهم سؤال توبيخ وتبكيت .

ومنهم : من قال : إن السؤال ينقطع بعد دخولهم فى النار وأما قبل ذلك فيسئلون لقوله تعالى : « وقفوهم انهم مسؤلون » الصافات : ٢٤) .

ومنهم : من قال : إن المراد بالذين لايسئلون فيه الذين اعتدوا على حقوق الناس وحرياتهم ، وأثاروا الفتن والحروب من أجل مصالحهم ومنافعهم فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بلا سؤال عنهم ، فقوله تعالى : « ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون » القصص : ٧٨) .

مخصّص لقوله تعالى : « لنسئلنّهم اجمعين » الحجر : ٩٢) .

ومنهم : من قال : إن ليوم القيامة مواطن ، فمنها يسئل الجن والانس عما كانوا يفعلون ، ومنها لايسئلون عن ذلك وعليه جمهور المحققين ويؤيّد بروايات عديدة .

منها : فى تفسير العياشى عن أبى معمر السعدى قال : أتى علياً عليه السلام رجل فقال : يا أمير المؤمنين إنّى شككت فى كتاب الله المنزل ، فقال له على عليه السلام :

ثكلتك امك ، و كيف شككت فى كتاب الله المنزل ؟ فقال له الرجل : لانّى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً وينقض بعضه بعضاً قال : فهات الذى شككت فيه فقال : لان الله يقول : « يوم تقوم الروح والملائكة صفّاً لا يتكلّمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً » .

ويقول حيث استنطقوا قال الله تعالى : « والله ربنا ما كنامشر كين » ويقول : « يوم تقوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً » ويقول : « إن ذلك لحق تخاصم أهل النار » ويقول : « لا تختصموا لدىّ » ويقول : « اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » .

فمرة يتكلّمون ومرّة لايتكلّمون ومرة ينطق الجلود والأيدى والأرجل ومرة لايتكلّمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً فأنى ذلك يا اميرالمؤمنين ؟!

فقال عليه السلام له : إن ذلك ليس فى موطن واحد وهى فى مواطن فى ذلك اليوم الذى مقداره خمسون ألف سنة فجمع الله الخلائق فى ذلك اليوم فى موطن يتعارفون فيه فيكلّم بعضهم بعضاً ويستغفر بعضهم لبعض اولئك الذين بدت منهم الطاعة من الرّسل والاتباع وتعاونوا على البر والتقوى فى دار الدنيا ويلعن أهل المعاصى بعضهم بعضاً من الذين بدت منهم المعاصى فى دارالدنيا وتعاونوا على الظلم والعدوان فى دار الدنيا والمستكبرون منهم والمستضعفون يلعن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضا .

ثم يجمعون فى موطن يفرّ بعضهم من بعض وذلك قوله تعالى: « يوم يفر المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه » اذا تعاونوا على الظلم والعدوان فى دار الدنيا .

« لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » .

ثم يجمعون فى موطن يبكون فيه فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلائق عن معايشهم وصدعت الجبال إلا ما شاء الله فلا يزالون يبكون حتى يبكون الدّم .

ثم يجتمعون فيموطن يستنطقون فيه فيقولون: « والله ربنا ما كنا مشركين » ولا يقرّون بما عملوا فيختم على أفواههم ويستنطق الأيدى والأرجل والجلود، فتنطق فتشهد بكل معصية بدت منهم ثم يرفع الخاتم عن ألسنتهم فيقولون لجلودهم وأيديهم وأرجلهم لم شهدتم علينا فتقول: انطقنا الله الذى أنطق كل شيء.

ثم يجتمعون فى موطن يستنطق فيه جميع الخلائق فلا يتكلّم احد الاّ من أذن له الرحمن وقال صواباً، ويجتمعون فى موطن يختصمون فيه ويدان لبعض الخلائق من بعض وهو القول وذلك كلّه قبل الحساب فاذا أخذ بالحساب شغل كل امرىء بما لديه نسئل الله بركة ذلك اليوم.

أقول: رواه الطبرسى قدّس سره فيالاحتجاج بأدنى تفاوت ولذلك نوردها والجمع بينهما فباختلاف المورد أو تعدد الراوى. . .

ففيه: جاء بعض الزنادقة الى أميرالمؤمنين على عليه السلام وقال له: لولا ما فى القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت فى دينكم.

فقال عليه السلام له: وما هو؟

قال: قوله تعالى: « يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً لايتكلّمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً » وقوله: « والله ربنا ما كنّا مشركين ».

وقوله تعالى: « يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً » وقوله « ان ذلك لحق تخاصم اهل النار » وقوله: « لاتختصموا لدىّ » وقوله: « اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » ـ الى أن قال ـ على عليه السلام:

وأما قوله عزوجل: « يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً لايتكلّمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً » وقوله: « والله ربنا ما كنّا مشركين »، وقوله عز وجل: « يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً » وقوله عزوجل يوم القيامة: « ان ذلك لحق تخاصم أهل النار »، وقوله: « لاتختصموا لدىّ وقدمت اليكم بالوعيد » وقوله: « اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم

بماكانوا يكسبون » فان ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة المراد : يكفراهل المعاصي بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً ، والكفر في هذه الاية : « البراءة » يقول : فيبرأ بعضهم من بعض ، و نظيرها في سورة ابراهيم قول الشيطان : « إنى كفرت بما أشر كتموني من قبل » و قول ابراهيم خليل الرحمن : « كفرنا بكم » يعنى تبرأنا منكم .

ثم يجتمعون في مواطن اخر يبكون فيها، فلو ان تلك الاصوات فيهابدت لاهل الدنيا لازالت جميع الخلق عن معايشهم وانصدعت قلوبهم إلا ما شاءالله ولا يزالون يبكون حتى يستنفدوا الدموع ويفضوا الى الدماء .

ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه ، فيقولون :

« والله ربنا ما كنا مشركين » وهؤلاء خاصة هم : المقرون في دار الدنيا بالتوحيد ، فلا ينفعهم ايمانهم بالله لمخالفتهم رسله وشكّهم فيما أتوا به عن ربهم ، ونقضهم عهودهم في اوصيائهم واستبدالهم الذى هوادنى بالذى هو خير ، فكذبهم الله فيما انتحلوه من الايمان بقوله : « انظر كيف كذّبوا على انفسهم» فيختم الله على أفواههم ويستنطق الايدى والارجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم ، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء .

ثم يجتمعون فيموطن آخر فيفرّ بعضهم من بعض لهول ما يشاهدونه من صعوبة الامر، وعظيم البلاء فذلك قوله عزوجل : « يوم يفرّ المرء من أخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه » الاية .

ثم يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه أولياءالله وأصفيائه فلايتكلم أحد إلا من اذن له الرحمن وقال صواباً فيقام الرسل فيسئلون عن تأدية الرّسالة التى حملوها إلى اممهم وتسئل الامم فتجحد كما قال الله تعالى : « فلنسئلنّ الذين ارسل اليهم ولنسئلنّ المرسلين » .

فيقولون : « ما جائنا من بشير ولا نذير » فتشهد الرسل رسول الله ﷺ

فيشهد بصدق الرسل ، وتكذيب من جحدها من الامم فيقول ـ لكل أمّة منهم ـ : « بلى قد جائكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير » .

أى مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم ، كذلك قال الله لنبيّه : « فكيف اذا جئنا من كل امّة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيداً » .

فلايستطيعون ردّ شهادته خوفاً من أن يختم الله على أفواههم ، وأن تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون ، و يشهد على منافقى قومه و أمّته و كفارهم بالحادهم وعنادهم ونقضهم عهده وتغييرهم سنّته واعتدائهم على أهل بيته وانقلابهم على أعقابهم وارتدادهم على أدبارهم وإحتذائهم فى ذلك سنّة من تقدمهم من الامم الظالمة الخائنة لانبيائها ، فيقولون بأجمعهم : « ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنّا قوماً ظالمين » .

ثم يجتمعون فى موطن آخر يكون فيه مقام محمد ﷺ و هو (المقام المحمود) فيثنى على الله بما لم يثن عليه أحد قبله ، ثم يثنى على الملائكة كلّهم فلايبقى ملك إلا أثنى عليه محمد ، ثم يثنى على الانبياء بمالم يثن عليهم أحد قبله ثم يثنى على كل مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصديقين والشهداء ثم الصالحين فيحمده أهل السّماوات وأهل الارضين ، فذلك قوله تعالى : «عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً » .

فطوبى لمن كان له فى ذلك المكان حظّ ونصيب ، وويل لمن لم يكن له فى ذلك المقام حظّ ولانصيب .

ثم يجتمعون فى موطن آخر ويزال بعضهم عن بعض ، وهذا كلّه قبل الحساب فاذا أخذ فى الحساب شغل كل انسان بما لديه ، نسئل الله بركة ذلك اليوم .

و فى رواية : إنّ يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ ، واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله قال الله تعالى : « يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية » .

﴿ درر كلم وفرر حكم في الخوف ﴾

قال الله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنّتان » الرحمن : ٤٦) .

وفي المقام كلمات قصار عن الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام نشير إلى مايسعه :

١ ـ قال عليه السلام : « خف ربك وارج رحمته يؤمنك مما تخاف وينلك ما رجوت » .

٢ ـ قال عليه السلام : « خف تأمن ولا تأمن فتخف » .

٣ ـ قال عليه السلام : « خف ربك خوفاً يشغلك عن رجائه وارجه رجاء من لا يأمن خوفه » .

٤ ـ قال عليه السلام : « خف الله خوف من شغل بالفكر قلبه فانّ الخوف مطيّة الامن وسجن النفس عن المعاصى » .

٥ ـ قال عليه السلام : « رحم الله عبداً راقب ذنبه وخاف ربه » .

٦ ـ قال عليه السلام « ربّ خوف يعود بالامان » .

٧ ـ قال عليه السلام : « من خاف ربه كفّ عن ظلمه » .

٨ ـ قال عليه السلام : « من خاف الوعيد قرب على نفسه البعيد » .

٩ ـ قال عليه السلام : « من أمن خائفاً من مخوفة أمنه الله سبحانه من عقابه » .

١٠ ـ قال عليه السلام : « من خاف الله أمنه الله من كل شيء ، من خاف الناس أخافه الله سبحانه من كل شيء » .

١١ ـ قال عليه السلام : « هدى من أطاع ربه وخاف ذنبه » .

١٢ ـ قال عليه السلام : « لايخف خائف الا ذنبه » :

١٣ ـ قال عليه السلام : « لاتخف الا ذنبك ولاترج إلا ربّك » .

١٤ ـ قال عليه السلام : « لاتخافوا ظلم ربّكم ولكن خافوا ظلم انفسكم » .

﴿ جزاء الاحسان بالاحسان ﴾

قال الله تعالى : « هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان » الرحمن : ٦٠) .

في تحف العقول : في وصيّة الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام ـ : يا هشام قول الله : « هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان » جرت في المؤمن والكافر والبرّ والفاجر ، من صنع إليه معروف ، فعليه أن يكافيء به ، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك ، فان صنعت كماصنع فله الفضل بالابتداء .

وفي امالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن نوف البكالي قال : أتيت أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وهو في رحبة مسجد الكوفة ، فقلت : السلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام يا نوف ورحمة الله وبركاته فقلت له : يا أميرالمؤمنين عظني فقال : يا نوف أحسن يحسن اليك ، الحديث . .

وفي نهج البلاغة : قال الامام عليه السلام : من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة .

قال السيّد الرضي رضوان الله تعالى عليه : ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبرّ وإن كان يسيراً ، فان الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً ، واليدان هيهنا عبارتان عن النعمتين ، ففرّق عليه السلام بين نعمة العبد ونعمة الرّب تعالى ذكره بالقصيرة والطويلة ، فجعل تلك قصيرة ، وهذه طويلة لان نعم الله أبداً تضعّف على نعم المخلوقين أضعافاً كثيرة إذ كانت نعم الله أصل النّعم كلّها ، فكلّ نعمة إليها ترجع ومنها تزع .

وفي تفسير العياشي : باسناده عن علي بن سالم قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام

يقول : آية في كتاب الله مسجّلة قلت : ما هي ؟ قال : قول الله تعالى : « هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان » جرت في الكافر والمؤمن والبرّ والفاجر ومن صنع إليه معروف فعليه أن يكافيء به ، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتّى تربى ، فان صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء .

وفي احقاق الحق : عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : ليس في الدنيا شيء أعون من الاحسان إلى الاخوان .

وفي تفسير روح البيان : إنّ إمرأة كانت لها شاة تتعيّش بها وأولادها فجاءها يوماً ضيف فلم تجد شيئاً للأكل ، فذبحت الشاة ثم إن الله تعالى أعطاها بدلها شاة أخرى ، وكانت تحلب من ضرعها لبنا وعسلاً حتى إشتهر ذلك بين الناس فجاءها يوماً ناس سألوها عن سبب ذلك ، فقالت : إن هذه الشّاة جزاء شاة بذلتها عن طيب الخاطر وصفاء البال إحساناً للضيف ، فأظهر الله تعالى ثمرة الاحسان في ضرع بدلها باجراء اللبن والعسل منه ، فليس جزاء الاحسان إلا الاحسان .

أقول : وهذا غير بعيد عند من آمن بالمعجزات والكرامات ...



﴿ احسان ومكافأة ﴾

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة ، وإحسانك إلى النّذل يبعثه على معاودة المسألة .

وفيه : قال عليه السلام : إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر .

وفي الخصال : باسناده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال : من صنع مثل ما صنع إليه فقد كافأه .

وفيه : باسناده عن عبد الله بن بكير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : أربعة أسرع شيء عقوبة : رجل أحسنت إليه ، ويكافيك بالاحسان إليه إساءة ورجل لاتبغي عليه ، وهو يبغي عليك ورجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك ، ورجل يصل قرابته ويقطعونه .

وفي البحار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سئلكم بالله فاعطوه ومن آتاكم معروفاً فكافؤه وإن لم تجدوا ماتكافؤنه فادعوا الله له حتى تظنّوا أنكم قد كافيتموه .

وفيه : قال الامام موسى بن جعفر عليه السلام : المعروف غل ، لا يفكّه إلا مكافأة أو شكر .

وفي تحف العقول : من مواعظ النبي صلى الله عليه وآله قال : من أتى إليكم معروفاً فكافؤه ، فان لم تجدوا فأثنوه ، فان الثناء جزاه .

وفيه: قال صلى الله عليه وآله : الهدية على ثلاثة وجوه : هديّة مكافأة وهديّة مصانعة وهديّة لله .

وفيه : قال صلى الله عليه وآله : من تقدمت إليه يد ، كان عليه من الحق ان يكافيء ،

فان لم يفعل فالثناء ، فان لم يفعل ، فقد كفر النعمة .

وفى الكافى : باسناده عن حمزة بن حمران عن أبيه عن أبى جعفر عليه السلام قال : إن الله عزوجل إذا كان من أمره ـ أى من شأنه وتدبيره ـ أن يكرم عبداً وله ذنب ابتلاه بالسقم ، فان لم يفعل ذلك ابتلاه بالحاجة ، فان لم يفعل به ذلك شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب ، قال : وإذا كان من أمره أن يهين عبداً وله عنده حسنة صحّح بدنه ، فان لم يفعل به ذلك وسّع عليه فى رزقه ، فان هو لم يفعل ذلك به هوّن عليه الموت ليكافيه بتلك الحسنة .

وفى الملل والنحل : وجلس الاسكندر يوماً فلم يسئله أحد حاجة ، فقال لاصحابه : والله ما أعدّ هذا اليوم من أيّام عمرى فى ملكى .

قيل : ولم أيها الملك ؟ قال : لان الملك لا يوجد التلذذ به إلا بالجود على السّائل ، وإغاثة الملهوف ، ومكافأة المحسن والإبانالة الراغب ، وإسعاف الطالب .

وقال فضيل بن عياض : إن الاحسان بعد الاحسان مكافأة والاسائة بعد الاساءة مجازاة ، والاحسان بعد الاساءة كرم وجود ، والاساءة بعد الاحسان لؤم وشوم

وفى البحار : روى أنّ رجلاً مؤمناً من أكابر بلاد بلخ كان يحجّ البيت ، ويزور النبى صلى الله عليه وآله فى أكثر الأعوام ، وكان يأتى علىّ بن الحسين عليه السلام ويزوره ويحمل إليه الهدايا والتحف ويأخذ مصالح دينه منه ، ثم يرجع إلى بلاده ، فقالت له زوجته : أراك تهدى تحفاً كثيرة ولا أراه يجازيك عنها بشىء فقال : إن الرجل الذى نهدى اليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة وجميع ما فى أيدى الناس تحت ملكه لانه خليفة الله فى أرضه ، وحجّته على عباده ، وهو إبن رسول الله صلى الله عليه وآله وإمامنا ، فلما سمعت ذلك منه أمسكت عن ملامته ثم ان الرجل تهيّأ للحجّ مرّة اخرى فى السّنة القابلة وقصد دار على بن الحسين عليه السلام فاستأذن عليه ، فأذن له ، فدخل فسلّم عليه وقبّل يديه ، ووجد بين يديه طعاماً فقرّبه إليه وأمره بالاكل معه فأكل الرجل ثم دعا بطست وابريق فيه ماء فقام الرجل وأخذ الابريق وصبّ الماء على يدى الامام عليه السلام فقال عليه السلام : ياشيخ أنت ضيفنا فكيف تصبّ على يدىّ الماء ؟ فقال : انى احب ذلك ، فقال الامام عليه السلام : لما أحببت ذلك ، فوالله لارينّك

ماتحبّ وترضى وتقرّ به عيناك ، فصبّ الرجل على يديه الماء حتى امتلا ثلث الطست ، فقال الامام عليه السلام : للرجل ما هذا ؟ فقال : مآء .

قال الامام عليه السلام : بل هو ياقوت أحمر فنظر الرجل فاذاً هو قد صار ياقوتاً أحمر باذن الله تعالى .

ثم قال عليه السلام : يا رجل صبّ الماء فصبّ حتى امتلا ثلثا الطست فقال عليه السلام ماهذا ؟ قال : هذا ماء قال عليه السلام : بل هذا زمرّد أخضر فنظر الرجل فاذاً هو زمرد أخضر ، ثم قال عليه السلام : صبّ الماء فصبّه على يديه حتى امتلا الطست فقال : ماهذا ؟ فقال : هذا ماء قال عليه السلام : بل هذا درّ أبيض فنظر الرجل اليه فاذاً هو در أبيض ، فامتلا الطست من ثلاثة ألوان : درّ وياقوت وزمرد فتعجّب الرجل وانكبّ على يديه عليه السلام يقبّلهما فقال عليه السلام :

ياشيخ لم يكن عندنا شيء نكافيك على هداياك إلينا فخذ هذه الجواهر عوضاً عن هديّتك واعتذر لنا عند زوجتك لانها عتبت علينا فأطرق الرجل رأسه وقال : ياسيدى من أنباك بكلام زوجتى ؟ فلا أشكّ أنّك من أهل بيت النبوة ، ثم إنّ الرجل ودّع الامام عليه السلام وأخذ الجواهر ، وسار بها الى زوجته وحدّثها بالقصّة فسجدت لله شكراً وأقسمت على بعلها بالله العظيم أن يحملها معه إليه عليه السلام فلما تجهّز بعلها للحجّ فى السّنة القابلة أخذها معه فمرضت فى الطريق وماتت قريباً من المدينة فأتى الرجل الامام عليه السلام باكياً وأخبره بموتها ، فقام الامام عليه السلام وصلّى ركعتين ودعا الله سبحانه بدعوات ثم التفت إلى الرجل وقال له : ارجع الى زوجتك فانّ الله عزوجل قد أحياها بقدرته وحكمته وهو يحيى العظام وهى رميم فقام الرجل مسرعا ، فلما دخل خيمته وجدزوجته جالسة على حال صحّتها فقال لها : كيف أحياك الله ؟ قالت : والله لقدجاءنى ملك الموت وقبض روحى وهمّ أن يصعد بها فاذا أنا برجل صفته كذا وكذا ـ وجعلت تعدّ أوصافه عليه السلام ـ وبعلها يقول : نعم صدقت هذه صفة سيدى ومولاى على بن الحسين عليه السلام قالت :

فلما رآه ملك الموت مقبلا انكبّ على قدميه يقبلها ويقول : السلام عليك يا حجة الله فى أرضه ، السلام عليك يازين العابدين فردّ عليه السلام وقال له : ياملك الموت أعد روح هذه المرأة إلى جسدها فانّها كانت قاصدة الينا و إنى قد سألت ربّى أن يبقيها ثلاثين سنة اخرى ويحييها حياة طيّبة لقدومها الينا زائرة لنا ، فقال الملك : سمعاً وطاعة لك يا ولىّ الله ثم أعاد روحى إلى جسدى وأنا أنظر إلى ملك الموت قد قبّل يده عليه السلام وخرج عنّى ، فأخذ الرجل بيد زوجته و أدخلها إليه عليه السلام وهو ما بين أصحابه ، فانكبّت على ركبتيه تقبّلهما وهى تقول:

هذا والله سيّدى ومولاى ، وهذا هوالذى أحيانى الله ببركة دعائه قال : فلم تزل المرأة مع بعلها مجاورين عند الامام عليه السلام بقيّة أعمارهما إلى أن ماتا رحمةالله عليهما .



﴿ غرر حكم ودرر كلم في الاحسان ﴾

في المقام كلمات قصار عن الامام علي بن ابيطالب عليه السلام نشير الى مايسعه :

١ ـ الاحسان رأس الفضل .

٢ ـ الفضل مع الاحسان .

٣ ـ رأس الاحسان الاحسان الى المؤمنين .

٤ ـ الكريم من بدأ باحسانه .

٥ ـ الاحسان ذخر والكريم من حازه .

٦ ـ الاحسان غريزة الاخيار والاسائة غريزة الاشرار .

٧ ـ المرؤة اسم جامع لسائر الفضائل والمحاسن .

٨ ـ أحسن تشكر .

٩ ـ أحسن يحسن إليك .

١٠ ـ أنا مخيّر في الاحسان إلى من لم أحسن إليه ومرتهن باتمام الاحسان إلى من أحسنت إليه لاني اذا أتممته فقد حفظته واذا قطعته فقد أضعته وإذا أضعته فلم فعلته ؟

١١ ـ رأس الايمان الاحسان إلى الناس .

١٢ ـ الانسان عبد الاحسان .

١٣ ـ الاحسان يسترق الانسان .

١٤ ـ الناس أبناء مايحسنون .

١٥ ـ أحسن إلى من تملك رقّه يحسن إليك من يملك رقّك .

١٦ ـ أحسن تسترق .

١٧ ـ أحسن إلى من شئت وكن أميره .

١٨ ـ بالاحسان يستعبد الانسان بالمنّ يكدر الاحسان .

١٩ ـ بالاحسان تملك القلوب .

٢٠ ـ بالاحسان تملك الاحرار .

٢١ ـ الصّدقة أفضل الحسنات .

٢٢ ـ الايثار غاية الاحسان .

٢٣ ـ الايثار أفضل الاحسان .

٢٤ ـ تمام الاحسان ترك المنّ به .

٢٥ ـ المنّ ينكد الاحسان .

٢٦ ـ المطل والمنّ منكدا الاحسان .

٢٧ ـ إياك والمنّ بالمعروف فان الامتنان يكدر الاحسان .

٢٨ ـ شرّ المحسنين الممتنّ باحسانه .

٢٩ ـ الاسائة يمحوها الاحسان .

٣٠ ـ بالاحسان تغمد الذنوب .

٣١ ـ وازجر المسيء بفعل الحسن .

٣٢ ـ إنّ مقابلة الاسائة بالاحسان وتغمد الجرائم بالغفران لمن أحسن الفضائل وأفضل المحامد .

٣٣ ـ العفو أحسن الاحسان .

٣٤ ـ العفو أجلّ الاحسان .

٣٥ ـ الاحسان إلى المسيء أحسن الفضل .

٣٦ ـ أحسن الى المسيء تملكه .

٣٧ ـ الاحسان إلى المسيء يستصلح العدوّ .

٣٨ ـ أحسن إلى من أساء اليك .

٣٩ ـ أصلح المسيء بحسن فعالك ودل على الخير بجميل مقالك .

٤٠ ـ التقوى رأس الحسنات .

٤١ ـ إكتساب الحسنات من أفضل المكاسب .

٤٢ ـ أحسن الحسنات حبّنا وأسوأ السيئات بغضنا .

٤٣ ـ أحق الناس بالاحسان من أحسن الله إليه وبسط بالقدرة يديه .

٤٤ ـ المحسن من صدقت أقواله فعاله .

٤٥ ـ المؤمن صدوق اللسان بذول الاحسان .

٤٦ ـ الشرف عندالله سبحانه بحسن الاعمال لابحسن الاقوال .

٤٧ ـ المحسن حي وإن نقل إلى منازل الاموات .

٤٨ ـ اذا أحسنت القول فأحسن العمل لتجمع بذلك بين مزيّة اللسان وفضيلة الاحسان .

٤٩ ـ بحسن الأفعال يحسن الثناء .

٥٠ ـ من منّ باحسانه فكأنّه لم يحسن .

٥١ ـ من قابل الاحسان بأفضل منه فقد جازاه .

٥٢ ـ أحسنوا جوار نعم الدين والدنيا بالشكر لمن دلّكم عليها .

٥٣ ـ أحسن كما تحب أن يحسن اليك .

٥٤ ـ إتباع الاحسان بالاحسان من كمال الجود .

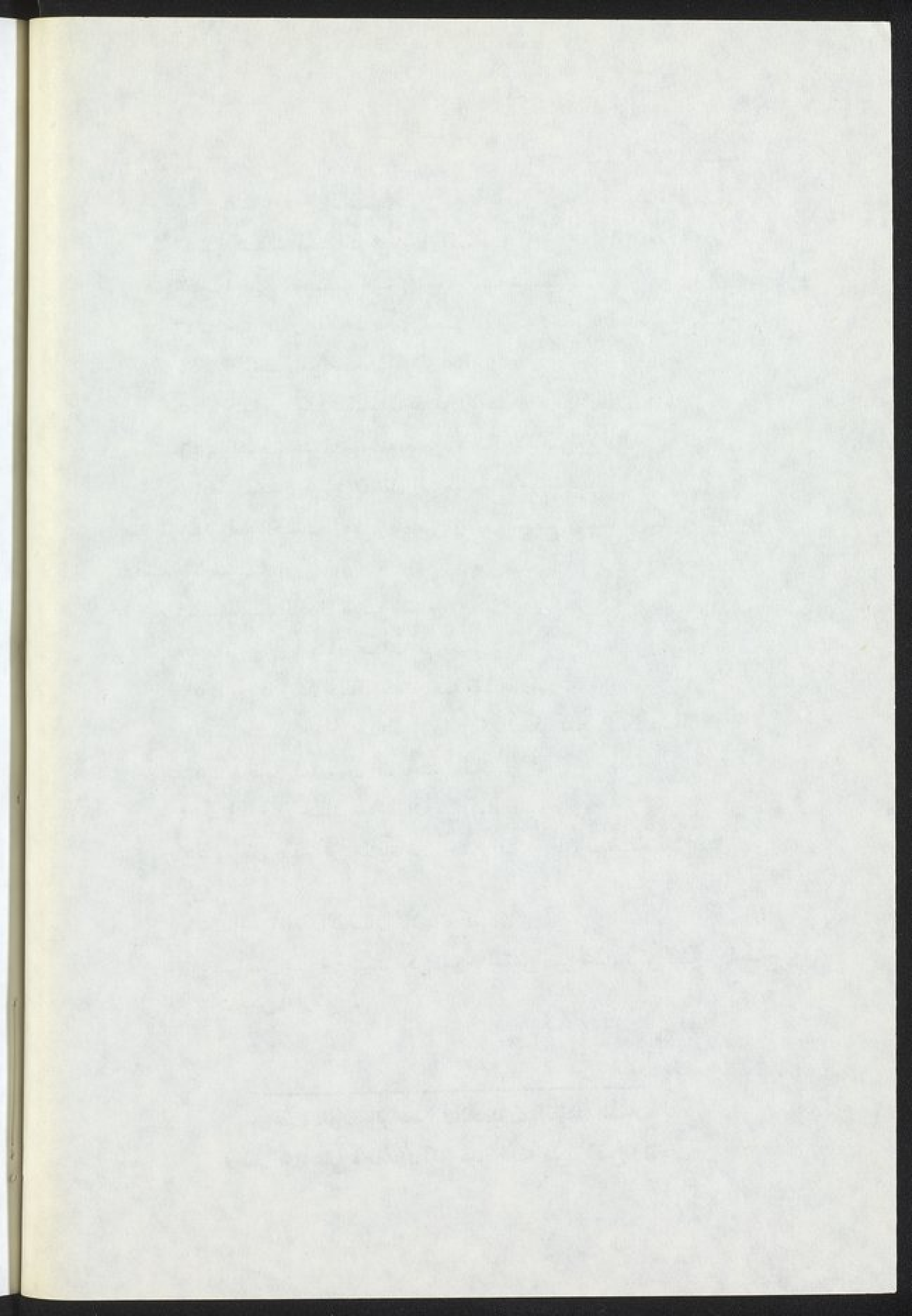
٥٥ ـ اطل يدك في مكافأة من أحسن إليك ، فان لم تقدر فلا اقلّ من ان تشكره .

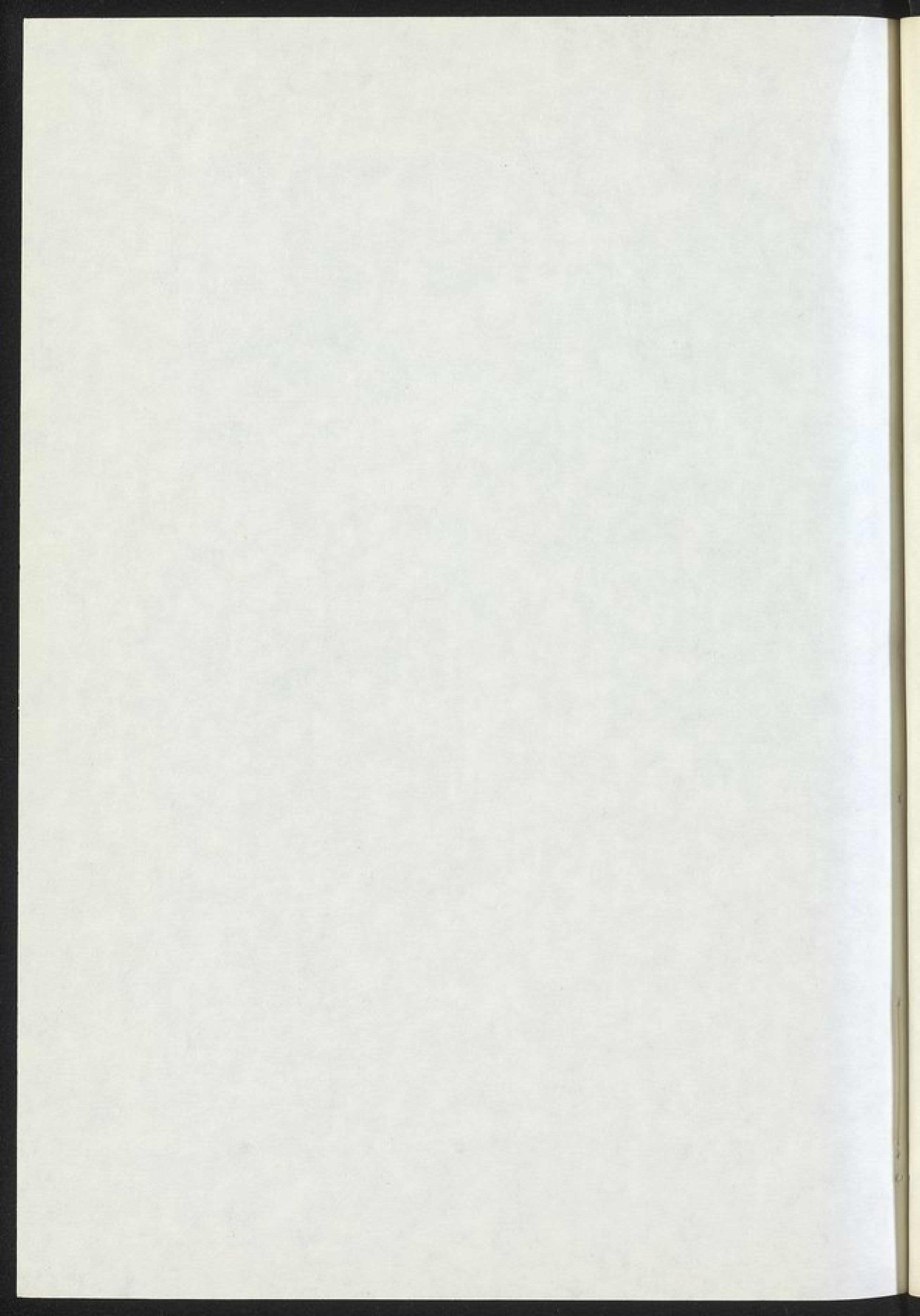
٥٦ ـ الجزاء على الاحسان بالاسائة كفران .

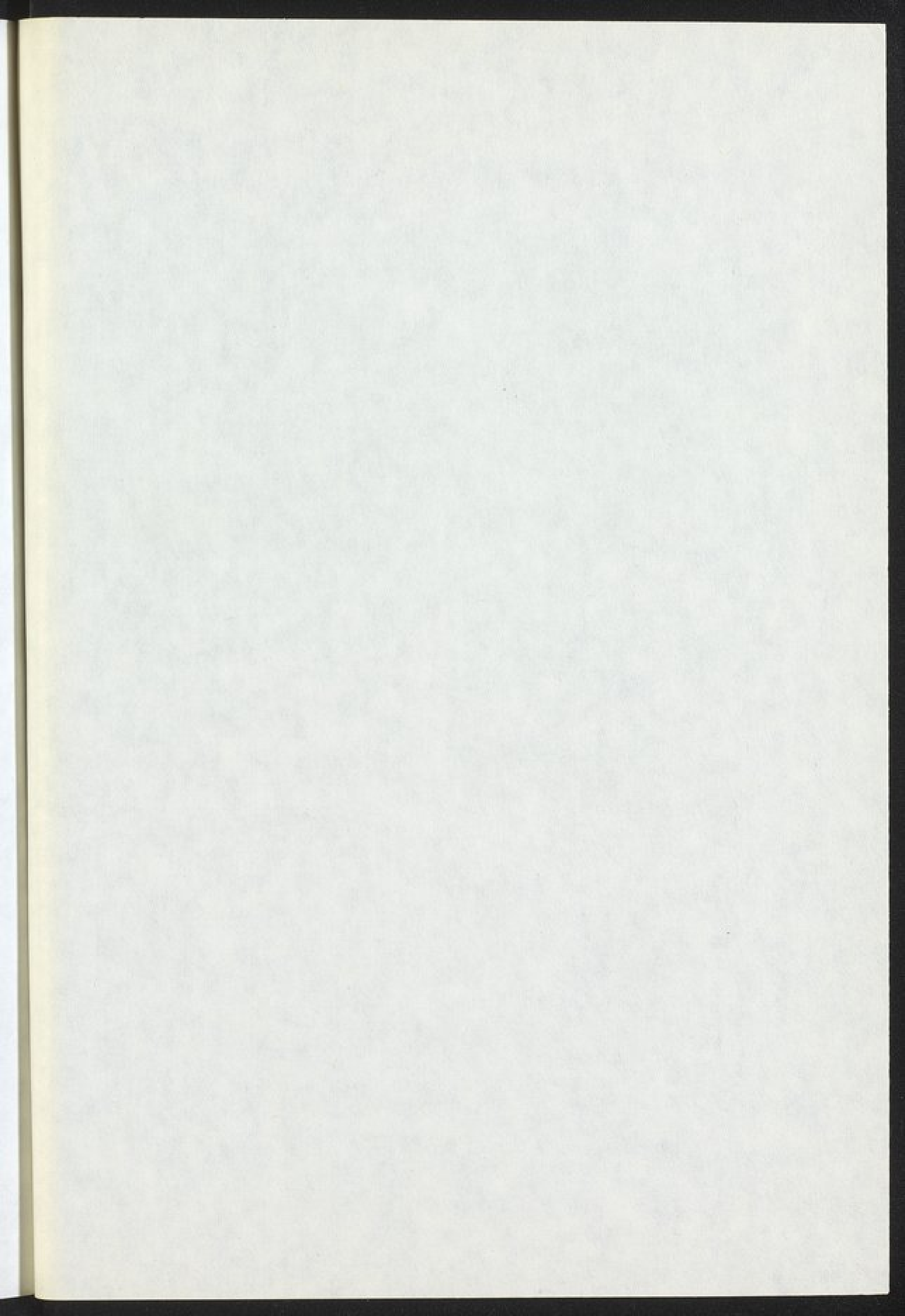
٥٧ ـ أفضل على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره .

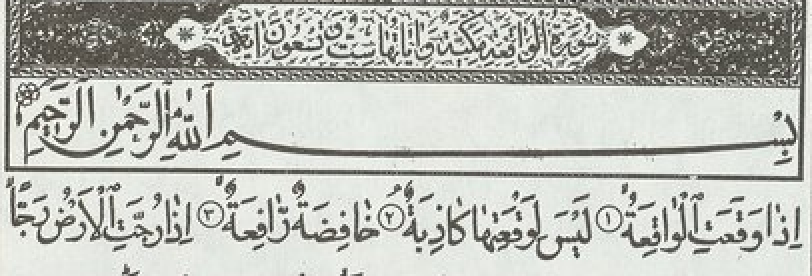
تمت سورة الرحمن والحمد لله القادر المنان

وصلى الله على محمد وآله خير خلقه من الانس والجان









إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا
﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ
السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ
الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ
مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ
﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا

﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ

﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ

إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ

مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾

لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَ

كَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ

الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ

﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾

فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا

تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾

عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ

﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ

أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾

أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ

٧٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِى كِتَٰبٍ
مَّكْنُونٍ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم
مُّدْهِنُونَ ٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ٨٢ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ
تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرْجِعُونَهَآ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ٨٩ وَأَمَّآ
إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ
٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ٩٦

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى الامالى باسناده عن أبى بصيرعن أبى عبد الله عليه السلام قال : من قرأ فى كل ليلة جمعة الواقعة أحبّه الله وأحبه إلى الناس أجمعين ولم يرفى الدنيا بؤساً أبداً ، ولافقراً ولا فاقة ولاآفة من آفات الدنيا ، وكان من رفقاء أميرالمؤمنين عليه السلام وهذه السورة لاميرالمؤمنين عليه السلام خاصّة ، لايشر كه فيها أحد .

و فيه : باسناده عن محمدبن حمزة قال : قال الصادق عليه السلام : من اشتاق إلى الجنّة ، والى صفتها فليقرأ الواقعة ، ومن أحب أن ينظر إلى صفة النار فليقرأ سجدة لقمان .

وفيه : باسناده عن زيد الشحّام عن أبى جعفر عليه السلام قال : من قرأ الواقعة كل ليلة قبل أن ينام لقى الله عزوجل ووجهه كالقمر ليلة البدر .

أقول : روى الطبرسى فى المجمع الرواية الاولى والثالثة وروى البحرانى الثلاث فى البرهان والحويزى فى نور الثقلين والمجلسى فى البحار .

وفي المجمع : وروى أنّ عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له : ماتشتكى ؟ قال : ذنوبى قال : ماتشتهى ؟ قال : رحمة ربى قال : افلاتدعو الطبيب ؟ قال الطبيب أمرضنى ، قال : أفلا تأمر بعطائك ؟ قال : منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وانا مستغن عنه ؟ قال : يكون لبناتك ، قال : لاحاجة لهن فيه فقد أمرتهنّ أن يقرأن سورة الواقعة ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قرأ سورة الواقعة ، كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

رواه القرطبى فى تفسيره .

أقول : إن بالتدبّر فى مقاطع السورة وفى الامرين الاثنين من البحث: الغرض والنزول ، يظهر مساس السّورة بما اوردناه ، ويدفع ما يمكن أن يدخل فى بعض الاذهان الجامدة .

وفى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : من قرأ هذه السّورة لم يكتب من الغافلين ، وإن كتبت وجعلت في المنزل نمى من الخير فيه ، ومن أدمن على قرائتها زال عنه الفقر وفيها قبول ، وزيادة حفظ وتوفيق وسعة في المال .

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كتبها وعلّقها فـى منزلة كثر الخير عليه ، ومن أدمن قرائتها زال عنه الفقر وفيها قبول وزيادة وحفظ وتوفيق وسعة فى المال.

وفى رواية : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله : سورة الواقعة سورة الغنى ، فـاقرؤها وعلّموا أولادكم .

قيل : وذلك لان هـذه السّورة تحث الانسان فى العمل للاخرة والعزوف عن الدنيا ، فتولد بها القناعة والرضا وهما الغنى والسعادة .

وفى الكافى : باسناده عن الحسن بن على بن بنت إلياس عن أبى الحسن عليه السلام قـال : سمعته يقول : إن على بـن الحسين عليهما السلام لمّا حضرته الوفاة أغمى عليه ثم فتح عينيه وقرأ : « إذا وقعت الواقعة » وإنّا فتحنا لك فتحاً مبينا » وقال : « الحمد لله الّذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوّء مـن الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » ثمّ قبض من ساعته ولم يقل شيئاً .

وفى البرهان : وقال الصادق عليه السلام : **إن فيها من المنافع ما لا يحصى ، فمن ذلك إذا قرأت على الميّت غفر الله له ، وإذا قرأت على مـن قرب أجله عند موته سهل الله عليه خروج روحه باذن الله تعالى .**

وفى عيون الاخبار: باسناده عن على بن النعمان عن أبى الحسن على بن موسى الرّضا عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك إنّ بى ثآليل كثيرة ، وقد اغتممت بأمرها ، فاسئلك أن تعلّمنى شيئاً انتفع به قال :

خذ لكل ثالول سبع شعيرات ، واقرأ على كل شعيرة سبع مرّات : « اذا وقعت الواقعة ـ إلى قولـه ـ فكانت هباء منبثاً » وقولـه عزّ وجل : « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربّى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً » طه : ١٠٥ ـ ١٠٧) .

ثم تأخذ الشعيرشعيرة شعيرة ، فامسح بها على كل ثالول ثم صيّرها فى خرقة جديدة واربط على الخرقة حجراً ، وألقها فى كنيف ، قال : ففعلت فنظرت اليها يوم السابع ، فاذا هى مثل راحتى وينبغى أن يفعل ذلك فى محاق الشهر .

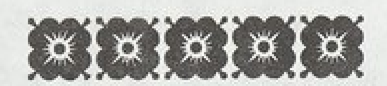
أقول : « ثالول » : خراج يكون بجعد الانسان ناتىء صلب مستدير .

وفى مصباح الكفعمى : عن الامام على عليه السلام يقرأ من به الثالول فليقرأ عليها هذه الآيات فى نقصان الشهر : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار » « وبسّت الجبال بسّاً فكانت هباء منبثاً » .

أقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواصّ السورة للمؤمنين ما جاء فى تلك الروايات وتؤيّده التجارب . .

وليس المراد بالسعة فى الرزق ، ورفع الفاقة أن يجعل المؤمنون أيديهم مغلولة إلى عنقهم فتدبّر جيّداً .

وفى الخصال : عن إبن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله أسرع إليك الشيب ؟ قال : شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون .



﴿ الغرض ﴾

تستهدف السورة تصنيف الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف على طريقي الاجمال والتفصيل فى أوائلها وأواخرها اذ تقول : « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ـ وأصحاب المشئمة ـ والسابقون السابقون اولئك المقرّبون ـ فأمّا إن كان من المقرّبين ـ وأما إن كان من أصحاب اليمين ـ وأمّا إن كان من المكذبين الضّالين » ٧ ـ ٩٤) .

مع كونها تفصيلا لما أجمل فى سورة الرحمن حقيقة من كون الناس يوم القيامة على أصناف ثلاثة : المجرمون والخائفون ومن دونهم أشار إليهم بقوله تعالى : « هذه جهنّم التى يكذّب بها المجرمون ـ ولمن خاف مقام ربّه جنتان ـ ومن دونهما جنتان » الرحمن : ٤٣ ـ ٤٦ ـ ٦٢) .

وافتتحت بمقدمة تمهيديّة لما استهدفته على سبيل التنويه بخطورة القيامة وتوكيد وقوعها دون كذب ، ولا تكذيب ، وسيكون من أعلامها وهولها أن تهزّ الارض هزّاً شديداً وتتفتّت الجبال حتّى تكون كالهباء المنبث فى الهواء .

وتضمّن لوصف المقرّبين واصحاب اليمين وأحوالهم فى الجنّة وتنعّمهم بنعيمها حسب درجاتهم فى التقرّب والايمان والعمل وتحتوى تقريعاً للمكذبين ووصفاً لمنازلهم وعذابهم وأحوالهم يوم القيامة بأسلوب هائل ورائع وتعليلا لمصيرهم الرهيب من كونهم مترفين فى الحياة الدنيا .

وفى السّورة حكاية لاقوال المكذبين ليوم القيامة وردٌ وتحدٍّ وتقريع لهم وبرهنة على عظمة الله وقدرته على بعث الناس ثانية كما خلقهم أولا وتنويه القرآن الكريم وخطورة شأنه .

﴿ النزول ﴾

سورة الواقعة مكيّة ، نزلت بعد سورة طه وقبل سورة الشعراء وهي السورة السادسة والاربعون نزولا والسادسة والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على ستّ وتسعين آية سبقت عليها ١٥٠٠ آية نزولا و ٤٩٧٩ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ٣٧٨ كلمة ، وقيل : ٣٩٨ كلمة ، وعلى ١٧٠٣ ـ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

وسميّت السورة بالواقعة لاشتمالها بوقائع الواقعة التي منها الواقعةالعظمى لوقوعها في أشد الاحوال .

في شواهد التنزيل : للحسكاني الحنفي باسناده عن ابن عباس قال: سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله : « السّابقون السابقون اولئك المقربون » قال : حدثني جبرئيل بتفسيرها قال : ذاك علي وشيعته الى الجنّة .

وفيه : باسناده عن السّدي في قوله تعالى : « والسّابقون السابقون » قال : نزلت في علي عليه السلام .

وفيه : باسناده عن إبن عبّاس في قوله : « والسّابقون السابقون اولئك المقربون » قال : نزلت في علي عليه السلام .

وفي الدر المنثور : أخرج إبن مردويه عن إبن عباس في قوله تعالى : « والسابقون » قال : نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار الذي

ذكر في (يس) وعلى بن إبيطالب عليه السلام وكل رجل منهم سابق امته وعلى عليه السلام أفضلهم سبقاً .

وفي التذكرة : لسبط ابن الجوزى عن إبن عباس قال : أول من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله على عليه السلام وفيه نزلت هذه الاية .

وفي العمدة : لابن بطريق باسناده عن عبد الرحمن بن سعد مولى أبي أيوب الانصارى قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صلّت الملائكة على علىّ عليه السلام سبع سنين ، وذلك انه لم يصل معي أحد غيره .

وفي روضة الاحباب : للدشتكى الشيرازى على ما في (ترجمته التركية ج ٣ ص ١٠ ط العامرة بالآستانة) :

وقال قوم : إن أول من أسلم على بن ابيطالب كرم الله وجهه ، وهذا القول مروى عن أبي ذر الغفارى وسلمان الفارسي والمقداد وخباب وجابر بن عبد الله الانصارى وأبي ايّوب الانصارى وزيد بن أرقم وانس بن مالك .

ثم ذكر رواية إبن عباس ثم قال: وروى عن أبي ذر الغفارى وسلمان الفارسى إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ من يد على بن أبيطالب عليه السلام فقال : إن هذا أول من آمن بى إلى أن قال : قال خزيمة بن ثابت في مديح على المرتضى كرم الله وجهه أبياتاً وهذا منها :

أليس أول من صلّى لقبلتهم واعلم الناس بالقرآن والسنن

ويؤيّد هذا ما روى عن على المرتضى كرم الله وجهه من قوله :

سبقتكم إلى الاسلام كلّاً غلاماً ما بلغت أو ان حلمى

وقال بعض فصحاء العرب :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويلك للاسلام أركاناً

قتلت أفضل من يمشى على قدم وأوّل الناس إسلاماً وايماناً

وفي العيون : باسناده عن الرّضا عن آبائه عن علىّ عليهم السلام قال : « السابقون السابقون » نزلت فيّ (فيّ نزلت - خ) .

و في اسباب النزول : للواحدى النيشابورى : عن الضحاك قال : نظر المسلمون إلى فوج وهو الوادى مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا : ياليت لنا مثل هذا فأنزل الله « فى سدر مخضود » .

و في اسباب النزول : للسيوطى ، و أخرج سعيد بن منصور فى سننه ، والبيهقى فى البعث عن عطاء ومجاهد قالا : لما سئل أهل الطائف الوادى يحمى لهم وفيه عسل ففعل ، وهو واد معجب فسمعوا الناس يقولون: انّ فى الجنة كذاو كذا قالوا : ياليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فأنزل الله : « واصحاب اليمين مااصحاب اليمين فى سدر مخضود » الايات .

وفيه : واخرج البيهقى من وجه آخر عن مجاهد قال :كانوا يعجبون بوج ـ واد فى الطائف ـ وظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله : « واصحاب اليمين مااصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظلّ ممدود » .

وفي اسباب النزول : للواحدى باسناده قال : مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اصبح من الناس شاكر و منهم كافر ، قالوا : هذه رحمة وضعها الله تعالى ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الايات « فلا اقسم بمواقع النجوم ـ حتى بلغ ـ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » .

أقول : رواه السيوطى فى أسباب النزول وفى الدر المنثور .

وفيه : وروى ان النبى صلى الله عليه وآله خرج فى سفر فنزلوا وأصابهم العطش و ليس معهم ماء فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وآله فقال : أرأيتم ان دعوت لكم فسقيتم فلعلّكم تقولون : سقينا هذا المطر بنوء كذا ؟ فقالوا : يا رسول الله ما هذا بحين الانواء ؟ قال : فصلّى ركعتين ودعا الله تبارك وتعالى فهاجت ريح ثم هاجت سحابة ، فمطروا حتى سالت الاودية ، وملأوا الاسقية ثم مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله برجل يغترف بقدح له ويقول : سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله سبحانه ، فأنزل الله سبحانه : ـ وتجعلون رزقكم انّكم تكذّبون ـ .

وفى اسباب النزول : للسيوطى : واخرج ابن أبى حاتم عن أبى حزرة

قال : نزلت هذه الايات فى رجل من الانصار فى غزوة تبوك نزلوا الحجر ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان لايحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل ونزل منزلا آخر وليس معهم ماء ، فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وآله فقام فصلّى ركعتين ثم دعا فارسل الله سبحانه فأمطرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من الانصار لآخر من قومه يتّهم بالنفاق ويحك أما ترى ما دعا النبى صلى الله عليه وآله فأمطر الله علينا السّماء فقال : انّما مطرنا بنوء كذا و كذا .

وفى الفقيه : مرسلا لما أنزل الله سبحانه : « فسبّح باسم ربك العظيم » قال : النبى صلى الله عليه وآله : اجعلوها فى ركوعكم .

و فى المجمع : فقد صحّ عن النبى صلى الله عليه وآله انه لما نزلت هذه الاية قال : اجعلوها فى ركوعكم .

و فى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابى المقدام قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : نزلت هاتان الايتان فى أهل ولايتنا وأهل عداوتنا : « فأمّا ان كان من المقرّبين فروح وريحان » يعنى فى قبره « وجنّة نعيم » يعنى فى الاخرة « وأمّا إن كان من المكذبين فنزل من حميم » يعنى فى قبره « وتصلية جحيم » يعنى فى الاخرة .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن سالم عن أبى جعفر عليه السلام قال : انزل فى الواقعة : « وأمّا إن كان من المكذّبين الضّالين فنزل من حميم وتصلية جحيم » فهؤلاء مشركون .

أقول : ولاتناف بين هذه الرواية وما قبلها فتدبّر جيّداً .

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم وحمزة « ينزفون » من باب الافعال والباقون بفتح الزاء ثلاثياً .

وقرأ حمزة وابو جعفر والكسائى « حور » بالكسر حملا على قوله : « اولئك المقرّبون فى جنّات النعيم » أى وفى حور أى وفى مقاربة أومعاشرة حور على حذف المضاف ، « عين » بالرفع أى هنّ .

و قرأ إبن مسعود « حوراً عيناً » بالنصب اى يمنحون او يملكون ، و الباقون برفعهما أى ولهم فيها حور عين .

وقرأ حمزة « عرباً » بسكون الراء والباقون بضمّها .

وقرأ ابن عامر « أإذا متنا » و « ء إنّا لمبعثون » بهمزتين للاستفهام فيهما ولم يجمع بين إستفهامين الا فى هذا الموضع من القرآن .

وقرأ حمزة وعاصم ونافع « شرب الهيم » بضمّ الشين ، والباقون بفتحها .

وقرأ إبن كثير « قدرنا » بتخيف الدّال والباقون بالتشديد .

وقرأ حمزة والكسائى « بموقع النجوم » بسكون الواو على الافراد ، والباقون بالالف بعد الواو على الجمع .

وقرأ عاصم « تكذبون » بالتخفيف والباقون بالتشديد .

وفى المجمع : قرأ يعقوب « فروح » بضمّ الراء وهو قرائة النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أبى جعفر الباقر عليه السلام .

﴿ الوصل والوقف ﴾

« الواقعة لا » بناء على ان العامل فى الظرف هو « ليس » ولو كان منصوباً باضمار اذكر او كان الجواب محذوفاً أى إذا وقعت الواقعة كان كيت وكيت. « كاذبة م » لئلا يصير مابعدها صفة . « رافعة لا » لتعلّق الظرف بخافضة أو لكونه بدلاً من الاول . « رجاً لا» للعطف « بساً لا» للتفريع الآتى . « منبثاً لا» « ثلاثة ط » « الميمنة ط » لتناهى استفهام التعجب . « المشئمة ط » « السّابقون لا » بناء على أن « السابقون » تأكيد والجملة بعده خبر . « المقرّبون ج » لاحتمال أن مابعده خبر مبتدأ محذوف أى هم فى جنّات . « الاولين لا » للعطف . « الاخرين ط » « موضونة لا» للحال . « مخلّدون لا » « معين لا » « ينزفون لا » « يتخيّرون لا » « يشتهون ط » لمن قرأ وحور عين بالرفع ، و « عين لا» للوصف الآتى « المكنون ج » « تأثيما لا» للاستثناء « اليمين ط » « مخضود لا» للعطف « منضود لا » « ممدود لا » « مسكوب لا » للعطف « كثيرة لا » « ممنوعة لا » « مرفوعة ط» « انشاء لا » « ابكاراً لا » « اترابا لا» « اليمين ط» « الاولين لا » « الاخرين ط » « الشمال ط » « حميم لا » « يحموم لا » « مترفين ج » « لمبعوثون لا» « الاخرين لا » « المكذبون لا» « زقوم لا » « البطون ج» « الحميم ج » « الهيم ط » « الدّين ط » « تصدّقون ج » « تمنون ط» « بمسبوقين لا » « تحرثون ط» « لمغرمون لا » « تورون ط » « للمقوين ج » « النجوم لا » « عظيم لا » « كريم لا » « المطهّرون ط » « الحلقوم لا» « تنظرون لا» « مدينين لا » « المقربين لا» « اليمين لا» الاول « الضالين لا » « حميم لا » « اليقين ج » .

﴿ اللغة ﴾

١٣ - الرج - ٥٤١

رجّ الشيء يرجّه رجاً ـ من باب نصر نحو مدّ ـ : حرّكه حركة شديدة وزلزله ، ورجّت الارض : إذا دقّ بعضها على بعض قال الله تعالى : « إذا رجّت الارض رجاً » الواقعة : ٤) .

فارتجّ : إضطرب ، ورجّ البحر : اضطرب ، وارتجّ كلامه : اضطرب والتبس .

وفي الحديث : من ركب البحر حين يرتجّ فقد برئت منه الذمّة » أي اضطرب أمواجه .

وفي الحديث : « ان القلب يرجج فيما بين الصدر والحنجرة حتى يعقد على الايمان فاذا عقد على الايمان قرّ » أي يتحرّك ويتزلزل .

وفي حديث نفخ الصور : « فترتجّ الارض باهلها » اى تضطرب رجّة القوم : اختلاط أصواتهم ، ورجّة الرعد : صوته .

وفي الحديث : « لما قبض رسول الله ﷺ ارتجّت مكة بصوت عال » أرض مرتجّة : كثيرة النبات ، والرجرجة : ماء قليل في مقرّه يضطرب ، فيتكدّر ، والرجرجة : الماء الذى قد خالطه اللعاب والرجرجة : الجماعة الكثيرة في الحرب .

الرجاجة : الضعيفة التى لانقى لها ، وناس رجراج : ضعفاء لا عقول لهم ، والرجاج ـ بالفتح ـ : المهازيل من الناس والابل والغنم ، والرجاج : شيء من الادوية .

٣٥ - البس - ١١٩

بس الشيء يبسّه بسّاً - من باب نصر - : فتته وفرّقه.

قال الله تعالى : « وبسّت الجبال بسّاً » الواقعة : ٥) أى فتتت تفتيتاً حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس أى المبلول ، وبس فلان الماء فى البلاد : أرسله فتفرّق فيها.

يقال : بسست الحنطة والسويق بالماء : فتتّه به.

والبس : السويق اللين ، وبس السويق والدقيق وغيرهما : خلطه بسمن او زيت.

وفى الحديث : « يخرج قوم من المدينة إلى العراق والشام يبسّون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » أى يتفرّقون البس : الدسّ ، ويقال : بس فلان لفلان من يتخبّره له خبره ويأتيه به أى دسّه إليه.

البسبسة : السّعاية بين الناس ، والبسبسة : القفر الخالى.

البس : السير الرقيق ، والبس : الرفيق اللطيف ، والبس : الطلب والجهد ، وبسْ فى معنى : حسب فارسيّة.

١ - الشوم - ٧٦٩

شأم فلان على قومه يشأمهم شأماً فهو شائم - من باب منع نحو سئل - : إذا جرّ عليهم الشوم وأنزله بهم.

المشأمة : الشوم وهو ضدّ اليمن والسعد ، والشؤم - بالضمّ - : ضدّ البركة والسود من الابل.

والمشأمة : ناحية الشمال ، مأخوذة من اليد الشؤمى وهى الشمال وبالمعنيين فسّرت الايات : « وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » الواقعة : ٩) وهم أصحاب

المشئمة » البلد : ١٩) تشاءم القوم به تطيّروا .

تشاءم : انتسب إلى الشأم ومنه : « بلاد اليمن وبلاد الشام » لانهما عن يمين الكعبة وشمالها فسميّت بـه لذلك أو لانّ قوماً من بنى كنعان تشاءموا إليها أى تياسروا أو سمّيت بسام بن نوح ، فانه بالسين سريانيّة أو لان أرضها شامات بيض وحمر وسود .

الشئمة : ـ بالكسر ـ : الخلق والطبيعة والعادة والاكثر الشيمة بلا همزة .

وفى الحديث : « حتّى تكونوا كأنّكم شأمة فى الناس » الشأمة : الخال فى الجسد معروفة ، أراد : كونوا فى أحسن زىّ وهيئة حتى تظهروا للناس ، وينظروا إليكم كما تظهر الشامة ، وينظر إليها دون باقى الجسد .

١٤ - الثلة - ٢٠٧

ثل البئر يثـل ثلّاً ـ من باب نصر نحو مد ـ : أخرج ترابها ، وثل القوم : أهلكهم ، وثل البيت : هدمه « ثل الله عرشهم » أى هدم ملكهم ، ويقال للقوم قد ذهب عزهم ، وثل الشىء : هدمه و كسره ، وأثلّه : أمر باصلاحه .

الثلة ـ بالضم ـ : الجماعة قلّت أو كثرت .

قال الله تعالى : « ثلة من الاولين » الواقعة : ١٣ و١٩) .

وفى كتاب النبى ﷺ لاهل نجران : « لهم ذمّة الله وذمّة رسوله على ديارهم وأموالهم وثلّتهم » .

والثّلة : ما خرج من تراب البئر والكثير من الدراهم و ـ بالكسر ـ : الهلكة ، جمعها : ثلل ، والثلثل ـ كهد هد ـ : الهدم والثليل : صوت الماء أو صوت انصبابه .

وفى المفردات : الثّلة : قطعة مجتمعة من الصوف ، ولذلك قيل للمقيم ولاعتبار الاجتماع ـ والثلل : قصر الاسنان لسقوط لثته ، ومنه أثل فمه : سقطت أسنانه وتثلّلت الركيّة أى تهدّمت .

٤٦ - الوضن - ١٦٧٩

وضن الدرع يضن وضناً - من باب ضرب نحو وعد - : نسجها فأحكم نسجها ويستعار لكل نسج محكم ، ووضن الشيء : ثنى بعضه على بعض وضاعفه .

الوضنة - بالضمّ - : الكرسى المنسوج ، ويقال : درع موضونة ، ويقال : سرير موضون : محكم النسج أو منسوج بالذهب مشبّك بالدر والياقوت ، ويقال : أسرّة موضونة .

قال الله تعالى : « على سرر موضونة » الواقعة : ١٥) .

توضّن لفلان : تذلّل له وتحبّب .

الوضين : محكم المنسوج جمعه وضن ، ويقال للرجل غير الثابت القدم فى الامر : هو قلق الوضين أى مضطرب شاك فيه .

وقال الامام على عليه السلام لبعض أصحابه : « انّك لقلق الوضين » كنّى به عن ضعف رأيه وضعف يقينه ، أراد أنه سريع الحركة يصفه بالخفّة وقلّة الثبات .

٣٣ - الخضد - ٤٢١

خضد الشجر يخضده خضداً - من باب ضوب - : قطع شوكه ، فالشجر مخضود وخضيد ، وخضد العود - رطباً أو يابساً - : كسره ، قال الله تعالى : « فى سدر مخضود » الواقعة : ٢٨) .

وفى الحديث : « تقطع به دابرهم وتخضد به شوكتهم » وخضّده : قطعه ، وتخضد العود ، وانخضد : انكسر .

٢٠ ـ الطلح ـ ٩٣٧

طلح الرجل يطلح طلحاً وطلاحاً وطلوحا ـ من باب منع ـ : فسد لا خير فيه .

وطلح زيد بعيره ـ من باب علم ـ : أعياه و كلّه وأتعبه ، وطلح زيد : خلا جوفه من الطعام ، وطلحت الابل : اشتكت بطونها من أكل الطلح .

الطلح شجرة حجازيّة لها أغصان طوال عظام تنادى السماء من طولها ، ولها ساق عظيمة لا تلتقى عليها يدا الرجل ، ولها نور طيب الرائحة جداً ، وظلّها بارد رطب ، وهى شجرة حسنة اللون لخضرتها .

قال الله تعالى : « وطلح منضود » الواقعة : ٢٩) .

قيل : أعجبهم طلح وجّ وحسنه .

الطالح خلاف الصالح ، والطلاح ـ بالفتح ـ : ضد الصلاح و ـ بالكسر ـ شجر الطلح .

والطلح : ما بقى فى الحوض من الماء الكدر .

٦١ ـ السكب ـ ٧٢٠

سكب الماء يسكب سكباً ـ من باب نصر ـ : صبّ فالماء مسكوب لازم ومتعد قال الله تعالى : « وماء مسكوب » الواقعة : ٣١) أى جار من غير أخاديد أومنصاب حيث شاؤا أو دائم الهطلان .

انسكب الماء : انصبّ ، وماء ساكب : يجرى على وجه الارض من غير حفر ورجل سكب : خفيف الروح نشيط وفرس سكب الجرى : سريعه ، ودمع ساكب جار على الخدين ، وثوب سكب تشبيهاً بالمنصب لدقّته ورقّته كأنّه ماء مسكوب.

الاسكوب ـ بالضم ـ من البرق الذى يمتدّ الى جهة الارض .

والسكب : أحد أفراس النبي ﷺ اشتراه بعشرة أواق ، وهو أول فرس غزا عليه غزوة احد ، ولم يكن للمسلمين يومئذ فرس ، وسمي بذلك أخذاً من سكب الماء كأنه يسيل في جريه .

٣٠ - المزن - ١٤٢٨

مزن الرجل يمزن مزناً ومزوناً - من باب نصر - : مضى لوجهه و ذهب ، ومزن الرجل وجهه : أضاء ، والقربة : ملأها ، وفلاناً : مدحه وفضّله ، و تمزّن على الامر : تمرن ، المازن : بيض النمل وبناته الذر

المزن : السحاب عامة ويخصه بعضهم بالسحاب الابيض ، وهو أعذب ماء .

قال الله تعالى : « ءأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » الواقعة : ٦٩)

المزن : الاسراع في طلب الحاجة ، والمزن - بالفتح محركة - :

العادة والطريقة والحال ، ويقال : « هذا يوم مزن » ، أي يوم فرار من العدو

في المفردات : المزن : السحاب المضيء ، والقطعة منه مزنة - ويقال للهلال الذي يظهر من خلال السحاب: ابن مزنة وفلان يتمزن اي يتسخى ويتشبه بالمزن ومزّنته فلاناً : شبّهته بالمزن .



٦٥ ـ الحلقوم ـ ٣٥٣

حلقم الشاة يحلقمها حلقاماً ـ من باب دحرج ـ : ذبحها و قطع حلقومها ، وحلقم التمر : إذا بلغ الارطاب ثلثيه .

الحلقوم ـ رباعياً ـ : الحلق قال الله تعالى : « فلو لا إذا بلغت الحلقوم » الواقعة : ٨٣) .

وقيل : من الحلق ـ ثلاثياً ـ زيدت فيه الواو والميم . جمعه حلاقم وحلاقيم .

وفى النهاية : فى حديث الحسن : « قيل له : إن الحجّاج يأمر بالجمعة فى الاهواز ، فقال : يمنع الناس فى أمصارهم ويأمر بها فى حلاقيم البلاد » أى فى أواخرها وأطرافها كما ان حلقوم الرجل وهو حلقه فى طرفه والميم أصليّة .



النحو

١ - (اذا وقعت الواقعة)

فى نصب موضع « إذا » وجوه سبعة :

أحدها - أن يكون العامل مقدّراً فهو مفعول فيه أى اذكر .

ثانيها - أن يكون العامل محذوفاً لدلالة الكلام عليه ، فكأنّه قيل : إذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخسر الكافرون .

ثالثها - أى إذا وقعت بانت أحوال الناس فيها .

رابعها - أن يكون العامل فيه « وقعت » وذلك جائز لانّ فى « إذا » معنى الشرط ، فيجوز أن يعمل فيها الفعل الذى بعدها كما يعمل فى « من و ما » الشرطيّتان فى قولك : « من تصنع أصنع » و « ما تضرب أضرب » فلو خرجت عن معنى الشرط مثل أن يدخل عليها حرف الاستفهام ، لم يعمل فيها الفعل الذى بعدها لانّها مضافة إليه كقوله تعالى : « أئذا متنا و كنّا تراباً » الواقعة : ٤٧) ، لخروجها عن حدّ الشرط .

خامسها - أن يكون العامل فيه : « إذا رجّت الارض رجّاً » أى وقوع الواقعة وحدوثها وقت رجّ الارض ، فعلى هذا « إذا » الثانية تكرير للاولى أو بدل منها أو بيان لها .

سادسها - ان يكون العامل فيه « ليس لوقعتها كاذبة » أى ليس فى وقعتها وتحقّقها كذب أى إذا وقعت لم تكذب .

سابعها - أن يكون العامل « خافضة » أو « رافعة » ، أى إذا وقعت خفضت أو رفعت .

أقول : والاوجه الانسب هو الثالث ثم الثانى .

٢ ـ (ليس لوقعتها كاذبة)

ان اللام فى « لوقعتها » للوقت و « كاذبة » مصدر بمعنى كذب كالعاقبة والعافية أو صفة لمحذوف أى قضيّة أو نبأة اوحالة كاذبة ، وقيل : بمعنى تكذيب .

وعلى أىّ تقدير فالجملة فى موضع نصب على الحال اى ولايكون حين تقع نفس تكذب ، وقيل : فى موضع رفع على الصفة للواقعة .

٣ ـ (خافضة رافعة)

خبران لمحذوف أى هى خافضة قوماً ورافعة آخرين . والضمير راجع إلى الواقعة والمراد بها القيامة .

٤ ـ (اذا رجت الارض رجاً)

بدل أو بيان من « إذا وقعت الواقعة » وقيل : « اذا » ظرف لرافعة ، و قيل لمّا دل عليه « فأصحاب الميمنة » وقيل : مفعول لمحذوف أى اذ كر .

و « رجّت » مبنى للمفعول وفاعله النيابى هو « الارض » .

٥ ـ (وبست الجبال بساً)

عطف على « رجّت » والبناء هو البناء .

٦ ـ فكانت هباءاً منبثاً)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من أفعال ناقصة بمعنى صارت إسمه الضمير المستتر فيه الراجع إلى الجبال و « هباءاً » خبره و « منبثاً » نعت من « هباء » أى غباراً متفرقاً .

٧ ـ (وكنتم ازواجاً ثلاثة)

« أزواجاً » خبر لفعل الناقص على قطع الاضافة ، و تقديم المضاف إليه للتأكيد ، ولفظ الماضى لتحقق الوقوع .

٨ ـ (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة)

الفاء للتفريع ومدخولها مبتدأ أول ، و « ما » مبتدأ ثان ، و « أصحاب

الميمنة » خبر للثانى ، والجملة خبر للاول ، وليس فيها عائد يعود على الاولان المعنى : « ما هم » و « هم » عائد على الاول ، فهو كلام محمول على المعنى لا على اللفظ .

٩ - (و اصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة)

عطف على ماتقدم واعرابها ظاهر من المتقدم .

١٠ - (السابقون السابقون)

« السابقون » الاول مبتدأ ، والثانى خبره ، أى السابقون بالايمان و صالح العمل السابقون إلى الجنّة ، وعرف الخبر للمبالغة كقوله : شعرى شعرى يريد والسابقون من عرفت حالهم ، وبلغك وصفهم ، وقيل : الثانى نعت للاول أو تكرير تو كيداً والخبر جملة .

١١ - (اولئك المقربون)

بناءاً على أن « اولئك » مبتدأ ثان ، و « المقربون » خبره و الجملة خبر لقوله : « السابقون » الاول ، وقيل « السابقون » الثانى مبتدأ ثان ، و « اولئك » مبتدأ ثالث ، و « المقربون » خبر الثالث ، و الجملة خبر الثانى ، و الجملة خبر الاول .

١٢ - (فى جنات نعيم)

متعلق بمحذوف أى هم ثابتون مستقرّون فيها على حذف المبتدأ ، وقيل : حال من الضمير فى « المقربون » وقيل : ظرف .

١٣ - (ثلة من الاولين)

« ثلة » خبر لمحذوف أى هم ثلّة ، وقيل : « ثلّة » مبتدأ و «فى جنات النعيم» خبره ، وقد تقدّم عليه ، وقيل : خبره قوله : « على سرر موضونة » .

١٤ - (و قليل من الاخرين)

عطف على ما تقدم والكلام هو الكلام .

١٥ - (على سرر موضونة)

« على سرر » متعلق بمحذوف وهو خبر لمحذوف أى هم ثابتون مستقرون

عليها ، و « موضونة » صفة من « سرر » .

١٦ ـ (متكئين عليها متقابلين)

« متكئين » حال من الضمير المحذوف و « متقابلين » حال من الضمير فى « متكئين » وضمير التأنيث راجع إلى « سرر » .

١٧ ـ (يطوف عليهم ولدان مخلدون)

« يطوف عليهم » حال اخرى و « ولدان » فاعل لفعل الطواف ، و الولدان جمع وليد والاولاد جمع ولد و « مخلّدون » صفة من « ولدان » .

١٨ ـ (باكواب واباريق وكأس من معين)

« بأكواب » : جمع كوب متعلق بقوله : «يطوف» « وأباريق » جمع إبريق عطف على « بأكواب » و « من معين » نعت من « كأس » وتحتمل الحال .

١٩ ـ (لايصدعون عنها ولا ينزفون)

« يصدّعون » فعل مضارع من باب التفعيل مبنى للمفعول منفى بحرف النفى ، و « عنها » متعلق بفعل الصداع ، والضمير راجع إلى « كاس » باعتبار ما فيه من الخمر ، والجملة فى موضع نصب حال اخرى « ولا ينزفون » من باب الافعال عطف على ما قبلها .

٢٠ ـ (وفاكهة مما يتخيرون)

« وفاكهة » عطف على « بأكواب » و « ما » فى « مما » موصولة ، و « يتخيرون » فعل مضارع من باب التفعّل صلة للموصول على حذف العائد .

٢١ ـ (ولحم طير مما يشتهون)

والكلام فيها هو الكلام فيما قبلها .

٢٢ ـ (وحور عين)

« حور » مبتدأ على حذف الخبر أى لهم حور أو فيها أو عندهم أو نساؤهم أو ثم حور و « عين » جمع عيناء صفة من « حور » وقيل : عطف على « ولدان » .

٢٣ - (كامثال اللؤلؤ المكنون)

نعت من « حور » .

٢٤ - (جزاء بما كانوا يعملون)

« جزاء » مفعول له أى فعلنا بهم ما فعلنا ليكون جزاء لهم تجاه ايمانهم وصالح عملهم ، وقيل : على تقدير يجزون جزاء ، وقيل : انه مصدر مؤكّد لما قبله وقيل : إنّه مفعول به .

٢٥ - (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما)

« لا يسمعون » في موضع نصب حال اخرى و « فيها » متعلّق بفعل السمع ، وضمير التأنيث راجع إلى « جنات » و « لغواً » مفعول به « ولا تأثيماً » عطف على « لغواً » .

٢٦ - (الا قيلاً سلاماً سلاماً)

« إلاّ قيلاً » استثناء منقطع أى لكن يقولون قيلاً أو منصوب بفعل السمع أى لكن يسمعون قيلاً والقيل : مصدر كالقول و « سلاماً » بدل أو بيان أو صفة من « قيلاً » وقيل : مفعول به « قيلا » وقيل : مصدر أى يتداعون فيها وسلمك الله سلاماً كقوله تعالى : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » نوح : ١٧) .

٢٧ - (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين)

« أصحاب اليمين » مبتدأ أول ، و « ما » استفهاميّة مبتدأ ثان ، « أصحاب اليمين » خبر الثاني والجملة خبر الاول .

٢٨ - (فى سدر مخضود)

« فى سدر » متعلّق بمحذوف أى هم مستقرون فيه على حذف المبتدأ وقيل : حال من « أصحاب اليمين » وقيل : ظرف و « مخضود » صفة من « سدر » .

٢٩ - ٣٢ (وطلح منضود - وفاكهة كثيرة)

عطف على ما قبلها .

٣٣ - ٣٤ (لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة)

« لا مقطوعة » نعت من « فاكهة » وقيل : عطف عليها .

٣٥ - (انا أنشأناهن انشاء)

« أنشأنا » فعل ماض من التكلم مع الغير من باب الافعال ، والفاعل هو الله تعالى و « هنّ » فى موضع نصب مفعول به وراجع إلى نساء الجنّة يدل عليهنّ الكلام ، وقيل : راجع إلى فروش والمراد بها النساء ، وقيل : راجع إلى « حور عين » المتقدم ذكرهن ، وقيل : راجع إلى القصة و « انشاء » مصدر نوعى .

٣٦ - (فجعلناهن أبكاراً)

« أبكاراً » جمع بكر مفعول ثان .

٣٧ - (عرباً أتراباً)

« عرباً » جمع عروب صفة من « أبكاراً » و « أتراباً » جمع ترب بالكسر فالسكون صفة ثانية .

٣٨ - (لاصحاب اليمين)

اللام متعلق بمحذوف وهو خبر لمقدر أى تلك النعم ثابتة لاصحاب اليمين وقيل : متعلّقة بأنشأناهن وقيل : بجعلناهن إذ هو نعت لاتراب وقيل : خبر لقوله : « ثلّة من الاولين » .

٣٩ - (ثلة من الاولين)

« ثلة » خبر لمحذوف أى هم ثلّة و « من الاولين » متعلق بمحذوف نعت من « ثلّة » أو من « هم » وقيل : حال .

٤٠ - (وثلة من الاخرين)

عطف على ما قبلها ، والكلام فيها هو الكلام فى المتقدم .

٤١ - (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال)

وإعرابها ظاهر من الآية : ٢٧)

٤٢ - (في سموم وحميم)
« في سموم » متعلق بمحذوف وهو خبر لمقدر أي هم مستقرّون في حرّ نار ينفذ في المسام و « حميم » عطف .

٤٣ - (وظل من يحموم)
عطف و « من يحموم » متعلّق بمحذوف وهو صفة من « ظلّ » وقيل : حال .

٤٤ - (لا بارد ولا كريم)
وصفان من « ظلّ » .

٤٥ - (انهم كانوا قبل ذلك مترفين)
الضمير في موضع نصب اسم لحرف التأكيد ، وراجع إلى أصحاب الشمال و« كانوا ـ الخ » في موضع رفع خبرها .

٤٦ - (وكانوا يصرون على الحنث العظيم)
« وكانوا » عطف على « كانوا » و « يصرّون » في موضع نصب خبر لقوله : « كانوا » .

٤٧ - (وكانوا يقولون ءاذا متناوكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعوثون)
عطف و «يقولون» فيموضع نصب على الخبرية لفعل الناقص والاستفهامان مقولان للقول .

٤٨ - (او آبائنا الاولون)
« آبائنا » مبتدأ ، و« الاولون » بيان والخبر محذوف أي او آباؤنا الاولون مبعوثون .

٤٩ - (قل ان الاولين والآخرين)
« قل » فعل أمر خطاب للنبي صلى الله عليه وآله و« إنّ » مع إسمها وخبرها مقول للقول .

٥٠ - (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم)
اللام للتأكيد ومدخولها خبر لحرف التاكيد و «إلى» بمعنى اللام و« ميقات » مصدر ميمي بمعنى وقت اضيف إلى « يوم » باضافة بيانيّة .

٥١ ـ (ثم انكم أيها الضالون المكذبون)

عطف على المتقدم بالتراخي ، وضمير الخطاب في موضع نصب وهو اسم لحرف التأكيد ، والنداء بيان وتقرير للمخاطبين .

٥٢ ـ (لآكلون من شجر من زقوم)

اللام للتاكيد ومدخولها خبر لحرف التأكيد السابق و « من » الاولى للابتداء فالمعنى : انهم مبتدؤن الأكل من شجر هو زقوم وقيل : زائدة ، و« من » الثانية بيانيّة ويحتمل أن تكون الثانية بدلاً من الاولى ، وقيل : « من زقوم » نعت من « شجر » وقيل : نعت من « شيء » وهو محذوف أي لآكلون شيئاً من شجر .

٥٣ ـ (فمالئون منها البطون)

الفاء تفريعيّة ومدخولها إسم فاعل من ملأ وضمير التأنيث راجع الى الشجر أو الى ثمرتها و « البطون » منصوب لكونه مفعولاً به من « مالئون » المعنى الاستقبال فيه .

٥٤ ـ (فشاربون عليه من الحميم)

وضمير المفرد المذكر راجع إلى المأكول المستفاد من سياق الكلام .

٥٥ ـ (فشاربون شرب الهيم)

« شرب » : إسم مصدر منصوب على المصدر على تقدير : فشاربون شرباً مثل شرب الهيم ، فحذف المصدر وصلته وأقيم ما أضيفت الصفة إليه مقام المصدر .

٥٦ ـ (هذا نزلهم يوم الدين)

« هذا » مبتدأ ، و « نزلهم » خبره و « يوم الدين » منصوب على الظرفيّة .

٥٧ ـ (نحن خلقناكم فلولا تصدقون)

« نحن » مبتدأ ، و « خلقنا » فعل ماض للتكلم مع الغير و « كم » لخطاب الجمع في موضع نصب على المفعول به والجملة خبر المبتدأ ، والفاء للتفريع و « لولا » تحضيضيّة و « تصدّقون » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من باب التفعيل.

٥٨ - (أفرأيتم ما تمنون)

الهمزة للاستفهام و « رأيتم » فعل ماض لجمع المخاطب و« ما » موصولة في موضع نصب على مفعول به ، و« تمنون » صلة الموصول على حذف العائد ، وأصل: « تمنون » تمنيون من باب الافعال فنقلت ضمّة الياء الى النون لثقلها عليها فحذفت كسرة النون ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين على غير حدّه .

٥٩ - (ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون)

« أنتم » مبتدأ ، و « تخلقونه » خبر المبتدأ ، والضمير راجع إلى الموصول

٦٠ - (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين)

« نحن » مبتدأ ، و « قدرنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، و « بينكم » ظرف متعلق بالفعل و « الموت » مفعول به ، و« ما » للنفي ، و « نحن » اسمها و« بمسبوقين » خبرها على زيادة الباء للتأكيد .

٦١ - (على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون)

« على ان نبدّل » بعد انسباك الفعل بالمصدر متعلق بقوله : « قدّرنا » على حذف المفعول الاول وحرف الجرّ من المفعول الثاني فالتقدير : نبدّلكم بامثالكم و « ننشئكم » عطف على « أن نبدّل » ، و« ما » موصولة ، و « لاتعلمون » صلته على حذف العائد .

٦٢ - (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون)

واللام للتوطئة و « النشأة » مفعول به و « الاولى » نعت منها و « لولا » تحضيضيّة و « تذكّرون » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من باب التفعل على حذف إحدى التائين .

٦٣ - (أفرأيتم ما تحرثون)

« ما » موصول في موضع نصب ، و « تحرثون » صلة على حذف العائد .

٦٤ - (ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)

« أنتم » مبتدأ ، و « تزرعونه » خبر المبتدأ ، والضمير راجع إلى الموصول

و « نحن » مبتدأ و « الزارعون » خبره .

٦٥ ـ (لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون)

« لو » شرطيّة ، و « نشاء » فعل مضارع للتكلّم مع الغير فعل شرط و « لجعلناه » جواب الشرط واللام تدخل على جواب «لو» تأكيداً والضمير في موضع نصب على مفعول به الاول و «حطاماً» مفعول به الثانى و « فظلتم » أصله : فظللتم على حذف إحدى اللامين للتخفيف و « تفكهون » حذفت منه إحدى التائين في الأصل.

٦٦ ـ ٦٧ ـ (انا لمغرمون بل نحن محرومون)

اللام للتاكيد ومدخولها خبر لحرف التاكيد « انّ » و « بل » للاضراب الانتقالى من غرض إلى آخر ، وقيل : الابطالى ، و « نحن » مبتدأ خبره محذوف أى نحن قوم ، و « محرومون » نعت منه .

٦٨ ـ (أفرأيتم الماء الذى تشربون)

« الماء » مفعول به ، و « الذى » موصول ، و « تشربون » صلته على حذف العائد ، والجملة نعت من « الماء » .

٦٩ ـ (ء أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)

« أنتم » مبتدأ ، و « أنزلتموه » فعل ماض لجمع الخطاب المذكر والضمير في موضع نصب مفعول به راجع إلى « الماء » والجملة خبر المبتدأ ، و « من المزن » متعلق بفعل الانزال ، و « ام » للاضراب الابطالى ، و « نحن » مبتدأ ، و « المنزلون » خبره .

٧٠ ـ (لو نشاء جعلناه اجاجاً فلو لا تشكرون)

إعرابها ظاهر من المتقدم .

٧١ ـ (أفرأيتم النار التى تورون)

« النار » مفعول بها و « التى » موصولة و « تورون » فعل مضارع من باب الافعال لجمع الخطاب المذكر صلة الموصول على حذف العائد أى توروnها ، والجملة نعت من « النار » وأصل « تورون » توريون ، فنقلت الضمّة على الياء ،

فنقلت إلى الراء بعد حذف الكسرة منها ، ثم حذفت لالتقاء الساكنين على غير حده .

٧٢ - (ء أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن)

وضمير التأنيث راجع إلى النار .

٧٣ - (نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين)

وضمير التأنيث فى موضع نصب مفعول به الاول ، و « تذكرة » مفعول به الثانى .

٧٤ - (فسبح باسم ربك العظيم)

الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل أمر من باب التفعيل ، والباء للاستعانة أو الملابسة ، وقيل : للتعدية ، و« العظيم » صفة الرب أو الاسم .

٧٥ - ٧٧ (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم)

فيها تقديم وتأخير من وجهين : أحدهما - انه فصل بين القسم والمقسم عليه بقوله : « لو تعلمون عظيم » فقدمه على المقسم عليه ، وتقديره ، « اقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم » إلى قوله : « تنزيل من رب العالمين » ثانيهما - أنه فصل بين الصفة والموصوف ، بقوله : « لو تعلمون » وتقديره ، وانه لقسم عظيم لو تعلمون فقدمه على الصفة .

« لا اقسم » قسم ، وقيل : « لا » زائدة و « اقسم » هو القسم ، وقيل : « لا » نافية و « اقسم » هو القسم ، و « مواقع » جمع موقع و « النجوم » جمع النجم أى منازل النجوم .

و « انه لقسم » الضمير راجع إلى القسم المستفاد من الكلام ، و « انه لقرآن كريم » الضمير راجع إلى القرآن المستفاد من السياق السابق ، والجملة جواب للقسم و « كريم » نعت من « قرآن » .

٧٨ - (فى كتاب مكنون)

« فى كتاب » متعلق بمحذوف وهو صفة ثانية من « قرآن » وقيل : حال

من ضمير فى « كريم » وقيل : خبر لمحذوف .

٧٩ - (لا يمسه الا المطهرون)

« لا » نافية والجملة خبريّة أريد بها الانشاء والضمير فى موضع نصب مفعول به وراجع إلى القرآن والاستثناء منقطع و« المطهرون » اسم مفعول من باب التفعيل ، والجملة صفة ثالثة من « القرآن » وقيل : إن الاستثناء متصل ، وقيل : « لا » ناهية ، والضمير راجع إلى « كتاب » فالجملة نعت من الكتاب .

٨٠ - (تنزيل من رب العالمين)

صفة رابعة للقرآن ، وقيل : خبر لمحذوف أى هو تنزيل و« تنزيل » مصدر من باب التفعيل بمعنى اسم المفعول أى منزّل ، فالجار والمجرور متعلق به .

٨١ - (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون)

الهمزة للاستفهام التوبيخى ، واسم الاشارة مبتدأ يشير إلى القرآن و« أنتم » مبتدأ ثان و« مدهنون » إسم فاعل من باب الافعال خبر للثانى ، والجملة خبر للاول .

٨٢ - (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون)

الواو حاليّة و« رزقكم » مفعول ثان لفعل الجعل أى والحال انّكم تجعلون هذا الحديث حظّكم و« انكم تكذبون » حال اخرى على حذف المفعول ، أى تكذّبونه أو به .

٨٣ - (فلولا اذا بلغت الحلقوم)

الفاء تفريعيّة و« لولا » تحضيضية ، والتقدير : فهلا ترجعون إليه إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت ، وقد كنتم تكذّبون به .

٨٤ - (وانتم حينئذ تنظرون)

الواو حالية و « انتم » مبتدأ ، و« حينئذ » متعلق بمحذوف خبر المبتدأ و« تنظرون » نعت أى حالكونكم مستقرين عند النزع تنظرون إلى ملك الموت .

٨٥ - (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون)

الواو حاليّة ، و« نحن » مبتدأ و « اقرب اليه منكم » خبره وضمير الغائب راجع إلى ملك الموت يعلم من السياق ، وفى الاخير حذف مفعول أى لاتبصرونه .

٨٦ - (فلولا ان كنتم غير مدينين)

على تقدير: فلولا ترجعون أنفسكم إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مجزيين بأعمالكم ثواباً وعقاباً بالبعث.

٨٧ - (ترجعونها ان كنتم صادقين »

الجملة الاولى جواب « لولا » وأغنى ذلك عن جواب الثانية وقيل: عكس ذلك، وقيل: « لولا » الثانية تكرير لطول الكلام.

٨٨ - (فاما ان كان من المقربين)

« اما » حرف تفصيل تفيد معنى الشرط بمنزلة « مهما » و« إن » شرطيّة و «كان » من أفعال الناقصة، إسمه ضمير راجع إلى المتوفّى المعلوم من السّياق أو إلى كل مكلّف و « من المقربين » متعلّق بمحذوف وهو خبره.

٨٩ - (فروح وريحان وجنت نعيم)

الفاء جواب لامّا و«روح» مبتدأ محذوف الخبر أى فله روح والابتداء بالنكرة لمقام التفصيل واستغنى بجواب « أما » عن جواب « إن » لتقدم « أما » عليها قيل: « أما » مع جوابها فى موضع جواب « إن » وان كانت متقدّمة عليها كقولهم: أنت ظالم إن فعلت كذا.

و «ريحان» : ريوحان على فيعلان قلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف مثل سيّد وقيل: هو فعلان قلبت الواو ياء وان سكنت وانفتح ماقبلها.

٩٠ - ٩١ (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين)

« سلام » مبتدأ و« لك » متعلق بمحذوف وهو خبر المبتدأ واللام للاختصاص الملكى، وقيل: بمعنى على.

٩٢ - ٩٣ (واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم)

« نزل » مبتدأ محذوف الخبر أى فثابت له نزل و « من حميم » نعت أو حال.

٩٤ - (وتصلية جحيم)

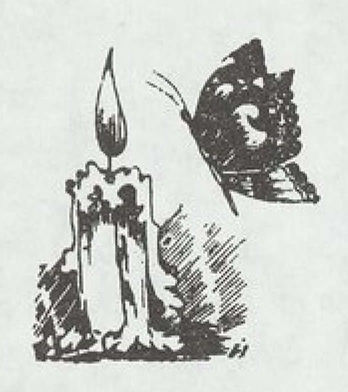
عطف على « نزل ».

٩٥ - (ان هذا لهو حق اليقين)

« هذا » في موضع نصب إسم لحرف التأكيد وإشارة إلى ما ذكر، و « لهو » اللام للتأكيد ومصحوبها مبتدأ و « حق » خبره ، والجملة في موضع رفع خبر لحرف التأكيد ، وإضافة « حق » الى « اليقين » من إضافة بيانية نحو : خاتم فضّة ، جيء بها للتأكيد وقيل : من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقيل : من إضافة البعض إلى الكل .

٩٦ ـ (فسبح باسم ربك العظيم)

الفاء للتفريع والباء للاستعانة أو للملابسة ، و «العظيم» صفة من « اسم »، وقيل : من « ربّك » .



﴿ البيان ﴾

١ ـ (اذا وقعت الواقعة)

هذه جملة شرطية من غير ذكر الجزاء إعظاماً وتفخيماً لامره وهو امر مفهوم تصفه السورة من حال الناس يوم القيامة .

والواقعة : كلمة وصف للحادث الخطير ، وهي كناية عن يوم القيامة لما تقع فيها حادثة خطيرة .

وفي التعبير عن القيامة بالواقعة إيذان بتحقق وقوعها لا محالة كأنّها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيّز الشرط ، كأنه قيل : كانت الكائنة و حدثت الحادثة ، ولانها تقع فجأة من غير إنتظار . .

و كل شيء يحمل نذر الشرّ يعبّر عن مجيئه بالوقوع كأنه يسقط على الناس من فوق ، فلايملكون له دفعاً كقوله تعالى : «ولما وقع عليهم الرجز» الاعراف : ١٣٤) .

وفي وقوع يوم القيامة إيذان بدخول الناس في تجربة قاسية ، في امتحان عسر كما قال تعالى : « إن زلزلة الساعة شيء عظيم ـ وترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » الحج : ١ ـ ٢) .

وانتصاب « اذا » بمضمر ينبيء عن الهول والفظاعة كأنّه قيل : اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لايفي به البيان و المقال ، و في الاية حثّ على الاستعداد لها ، وانّها إلى قوله تعالى : « فكانت هباءاً منبثّاً » مقدمة تمهيدية لما بعدها على سبيل التنويه بخطورة القيامة ، وتوكيد وقوعها دون كذب ولاتكذيب

وسيكون من أعلامها وهولها أن تهزّ الارض هزّاً شديداً و تتفتت الجبال حتى تكون كالهباء المنبث في الهواء .

٢ ـ **(ليس لوقعتها كاذبة)**

وهذه استعارة والمراد انّ الواقعة إذا وقعت لم ترجع عن وقوعها ، ولم تعدل عن طريقها ، كما يقولون : قد صدق فلان الجملة و لم يكذب أي لم يرجع على عقبيه ، ويقف عن وجهة عزمه جبناً وضعفاً ووجلا وخوفاً .

فالكاذبة مصدر كالعافية ، والمعنى ليس لوقعتها كذب ولاخلف .

٣ ـ **(خافضة رافعة)**

تقرير لعظمة الواقعة وتهويل لامرها ، فان الوقايع العظام شأنها الخفض للمخالفين والرفع للموافقين كما يشاهدان عند غلبة قوم على الاخرين .

فينحط يومئذ الاشقياء إلى الدركات ويرفع السعداء إلى الدرجات ، فينقلب يومئذ نظام الدنيا المشهود وتظهر السرائر وهي محجوبة اليوم ، و تحجب آثار الاسباب وروابطها ، وهي ظاهرة اليوم ، فتذلّ الاعزّة من أهل الكفر و الفجرة ، ويعزّ أهل الايمان والبررة .

٤ ـ **(اذا رجت الارض رجاً)**

تقرير لما يقع يوم القيامة من أحداث و كأنّها جواب عن سؤال هو متى تقع الواقعة ؟ فجاء الجواب لا لبيان وقتها ، و إنّما لبيان الاهوال التي تطالع على الناس منها ، فذلك هو المهم في هذا الامر ، وهو الذي ينبغي الالتفات اليه ، و الاعداد له والعمل على النجاة منه . . .

أما الوقت الذي تقع فيه الواقعة ، فليس بالامر المهمّ ، بعد أن تأكد أنّ وقوعها آت لاشك فيه ، وإنّما المهم هو الاستعداد للقاء هذا اليوم ، الذي لا مفر منه .

وفي تنكير الرجّ توكيد في شدّته أي رجّاً لايوصف شدّته .

٥ ـ **(وبست الجبال بساً)**

تهويل شديد آخر من أهوال الواقعة و أحداثها .

٦ ـ (فكانت هباءاً منبثاً)

تفريع على إزالة الجبال عن أماكنها وتفتتها تفتيتاً وصيرورتها كثيباً مهيلا بعد أن كانت شامخة ، فتنتشر ذراتها في الفضاء كالغبار المتطاير مع الرياح .

٧ ـ (وكنتم أزواجاً ثلاثة)

إشارة الى تصنيف الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : أصحاب اليمين وهم المؤمنون الناجون ، وأصحاب الشمال وهم الكفار المجرمون ، والسابقون وهم أصحاب الدرجات العالية من المؤمنين .

ولا يخفى ان صحّة التقسيم باب من أبواب علم البيان ، ومنه قوله تعالى : (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » فاطر : ٣٢) .

وهذه قسمة صحيحة لان المكلّفين : إما كافر عاص ظالم لنفسه ، أو مؤمن مطيع مبادر إلى الخير او ذوالمنزلة بين المنزلتين ومقتصد بينهما .

ومن هذا التقسيم قوله تعالى : (وكنتم ازواجاً ثلاثة ـ إلى قوله ـ والسابقون السابقون) .

٨ ـ (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة)

تفصيل وتنويع وتقرير للازواج الثلاثة بعد الاشارة الاجماليّة إليها ، وفي الاستفهام إلفات الانظار إلى أصحاب الميمنة وإشارة إلى مكانهم الذي ينعمون هم فيه وتعجيب لحالهم وتعظيم لشأنهم في دخولهم الجنة وتنعمهم من نعيمها وانهم بلغوا حداً لايقدر قدره من السعادة وسمّوا بأصحاب الميمنة لانهم الذين يؤتون يوم القيامة صحائفهم بأيمانهم ومايظلّهم في الجنة من أمن وسكينة ويدلّ على ذلك قوله تعالى : « لأصحاب اليمين واصحاب الشمال » الواقعة : ٣٨ ـ ٤١) .

٩ ـ (واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة)

إلفات إلى أصحاب المشئمة واشارة إلى مكانهم وما يغشاهم فيه من همّ وبلاء وشؤم ومايؤتون يوم القيامة من صحائفهم بشمائلهم وتعجيب لحالهم من دخولهم النار

وعذابهم فيها ، وانهم بلغوا الغاية فى سوء الحال ، وتحقير لشأنهم يومئذ .

١٠ - (والسابقون السابقون)

هم قسم ثالث من أصناف ثلاثة ، وفى تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق ممن سواهم وأقدمهم فى الفضل لاقتران ذكرهم ببيان محاسنهم ومحاسن أفعالهم وأحوالهم بلا فصل بين ذكرهم وذكر محاسنهم تفخيماً لشأنهم وإيذاناً بشيوع فضائلهم واستغنائهم عن الوصف الجميل وفى تعريف طرفى الجملة - المبتدأ والخبر - مايفيد المبالغة والقصر: قصر السبق عليهم وحدهم وانهم كما سبقوا إلى الايمان بالله تعالى فى الحياة الدنيا سبقوا إلى الله سبحانه فى الآخرة وكانوا أول من ينزل ساحة فضله ورضوانه .

وفى تكرار « السابقون » إشارة إلى هذا المقام المكين الذى لهم عند ربهم وانهم فى هذا المقام لا يتحولون عنه ، وهو مقام السبق أبداً وقيل : على حذف « ما » الاستفهامية فالتقدير : السابقون ما السابقون لدلالة ما قبله عليه .

١١ - (اولئك المقربون)

إشارة إلى السابقين ، والى مقامهم الرفيع عند الله تعالى لا يكشف عنه المقال ، ومعنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار إليه إيذان ببعد منزلتهم فى الفضل والجمال لاينالها كل أحد ، وتقرير لوصف السابقين وأحوالهم وصفاً رائعاً يبعث الغبطة والرضا فى النفوس ، ويثير الرغبة الشديدة فى إحرازه .

١٢ - (فى جنات النعيم)

بيان للحال التى يكون عليها هؤلاء المقربون ، وفى الاخبار بكونهم فى الجنات واستقرارهم فى نعيمها بعد الاخبار بكونهم مقربين لمزيد مزيّتهم ، وفى إضافة « جنات » إلى « النعيم » مالا يخفى على المتدبر الخبير

١٣ - ١٤ (ثلة من الاولين وقليل من الاخرين)

تقرير لتحديد المقربين فى طوال الاعصار ، وهم الذين سبقوا إلى الايمان فكانواهم أشبه بالاعلام المنصوبة ينبغى أن يقتدى بهم الناس ويأخذون طريقهم . .

فانهم الذين ارتادوا لاقوامهم الطريق إلى الايمان واحتملوا مع الرسل سفه السفهاء وجهل الجاهلين من أقوامهم، فكان لهم بهذا مزيد فضل لايشاركهم فيه أحد غيرهم.

فالاولون هم السابقون المقرّبون من الامم السابقة والاخرون هم السابقون المقرّبون من الامّة المحمديّة ﷺ وهم على ما سيأتي انشاء الله تعالى ثلاثة: يوشع بن نون سبق إلى موسى عليه السلام وصاحب ياسين سبق إلى عيسى عليه السلام وعلى ابن ابيطالب عليه السلام سبق إلى محمد رسول الله الاعظم ﷺ في الايمان، واتّبعوهم خطوة خطوة.

وهم أهل لكل تكريم وتنويه لسبقهم في الايمان وتوطين أنفسهم على كلّ مكروه في ظرف وقف فيه الزعماء الاقوياء البغاة الذين يصدّون الناس عن الايمان والاستجابة، ويؤلبونهم عليها، ويتناولون المستجبين إليها بالاذى، ويقفون من صاحب الدعوة مواقف التكذيب والتعجيز والتحدّي.

١٦ - ١٥ (على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين)

وصف لحال المقربين في الجنة وتنعمهم من نعيمها، وتقابلهم كناية عن بلوغ أنسهم وحسن عشرتهم وصفاء باطنهم من غير رقابة وحسادة ومغالبة ومتعالية بينهم، ولا ينظرون في قفاء صاحبهم، ولا يعيبونه ولا يغتابونه.

١٧ - (يطوف عليهم ولدان مخلدون)

قيل: طوافهم عليهم كناية عن خدمتهم لهم باحضار الاطعمة والاشربة لهم بما تشتهيه أنفسهم.

ان قلت: كيف قال الله تعالى: «يطوف عليهم ولدان مخلّدون» مع أن التخليد ليس صفة مخصوصة بالولدان في الجنّة، بل كل أهل الجنّة مخلدون فيها، لا يشيبون ولا يهرمون، بل يبقى كل واحد أبداً على صفته الّتي دخل الجنّة عليها؟.

قلت: معناه أنّهم لا يتحوّلون عن شكل الولدان وهي الوصافة، وقيل: مقرطون، أي تزين آذانهم بقروط من كريم المعادن ونفيس الجواهر،

وقيل : مسورون .

١٨ - (بأكواب وأباريق وكاس من معين)

في جمع الاكواب والاباريق وإفراد الكأس إشارة إلى أنّ الاكواب والاباريق هي التي تحمل الشراب لاهل المجلس ، فاذا انتهى الولدان إليهم ملؤا لكل كأسه الذي يشرب منه ، ولم يجيئوا إليهم بها مملوءة جميعها مرّة واحدة .

١٩ — (لا يصدعون عنها ولا ينزفون)

إيماء إلى الفرق فيما بين الخمر الدنيويّة والخمر الاخرويّة اذ يصيب شاربي خمر الدنيا صداع وهو لا يصيب شاربي خمر الاخرة مهما شربوا منها ، وإن تذهب عقول شاربيها في الدنيا بالسكر ، ولا تذهب من شاربيها في الجنة إذ لا سكر فيها ، بل فيها لذّة فحسب .

٢٠ - (وفاكهة مما يتخيرون)

في تنكير الفاكهة من الدلالة على الكثرة والتنويع ، وفي ايثار الفعل من باب التفعل دون الافتعال ما لا يخفى على المتدبّر الخبير .

٢١ - (ولحم طير مما يشتهون)

في تنكير الطير من الدلالة على الكثرة والتنويع ، وفي إيثار الفعل من باب الافتعال دون التفعل مالا يخفى على المتدبّر الخبير .

٢٢ - (وحور عين)

وصف لعيون النساء ، فالحور : هي العيون التي تبدو مكحلة أو ناصعة بياض الحدقة ، والعين : العيون النجلاء الواسعة ، وفيه إلفات الانظار وترغيب وحثّ إلى ما يوجب النيل بهن .

٢٣ - (كامثال اللؤلؤ المكنون)

مبالغة في التشبيه أي متشابهات في حسنهنّ وكما لهنّ حتى لكأنّهن حباب اللؤلؤ المصون الذي لم يتغيّر لونه بالتعرض للشمس أو الهواء . .

٢٤ - (جزاء بما كانوا يعملون)

تقرير لما استحقّه اولئك المقربون من الجنّات ونعيمها .

٢٥ - (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً)

تنزيه لمجلس المقرّبين فى الجنّة ، وحفظ أسماعهم من أن يطوف بها شىء مما لا فائدة له ولا ينسب أحدهم صاحبه إلى الاثم فمجلسهم خالص من بغيضة ومؤلمة .

٢٦ ـ (الا قيلاً سلاماً سلاماً)

فى تكرار السلام دلالة على تكرر الوقوع .

٢٧ ـ (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين)

عرض لحال الفريق الثانى ، وتفصيل لما اجمل عند التقسيم من شئونهم الفاضلة إثر تفصيل شئون السابقين المقرّبين ، وفى تبديل أصحاب الميمنة بأصحاب اليمين دلالة على وحدتهم وهم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم ، وهم الذين ينزلون الدرجة الثانية من الجنة .

وجملة الاستفهاميّة سيقت لتفخيمهم ، والتعجيب من حالهم وعلوّ شأنهم ، والاخبار عن مكانتهم عندالله تعالى بصورة الاستفهام ، وقد جاء هذا الاسلوب فى كلام العرب لافادة المبالغة فى مدح اوذمّ فيقولون : فلان مافلان .

٢٨ ـ (في سدر مخضود)

مستأنف بيانى سيق لتقرير الحال التى يكون عليها أصحاب اليمين ووصف للجنّة المعدّة لهم بانها لاشوك لسدرها وإشارة إلى منازلهم وإستقرارهم فيها .

٢٩ ـ ٣٤ (وطلع منضود ـ وفرش مرفوعة)

تقرير لما يتنعم به أصحاب اليمين فى الجنة من الاطعمة والاشربة والامكنة وتطمينهم بعدم انقطاعها ، وفى الايات من الحثّ والترغيب إلى ما يوجبها مالايخفى .

٣٥ ـ (انا أنشأناهن انشاء)

فى التعبير عن خلقهنّ بالانشاء المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة ، والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينهنّ وبين سائر النساء .

٣٦ ـ ٣٨ (فجعلناهن أبكاراً عرباً اترابا لاصحاب اليمين)

فى الاية الاولى تلويح إلى انهنّ لايختلف خالص بالشباب والشيب وصباحة

المنظر وخلافها أى أبدعنا وأوجدناهن عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً.

ولم يقل فى حق أصحاب اليمين ان تلك النعم كانت جزاءاً بماكانوايعملون كما قال ذلك فى حق المقربين تنبيهاً إلى أن عملهم لقصوره عن عمل المقربين لم يعتبر اعتباره

٣٩ ـ ٤٠ (ثلة من الاولين وثلة من الاخرين)

تقرير لكون أصحاب اليمين هم السواد الاعظم من المؤمنين فى جميع الاوقات ، وانّهم فى الاخرين جمع كثير كالاوّلين بخلاف السابقين المقربين فى الاخرين ، فانهم اقل جمعاً منهم فى الاولين إذ قال : « وقليل من الاخرين ».

٤١ ـ (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال)

شروع فى تفصيل أحوال أصحاب المشئمة التى أشير إليهم عند التنويع والتقسيم وهم زوج ثالث من الازواج الثلاثة ، وفى تبديل أصحاب المشئمة إلى أصحاب الشمال دلالة علىوحدتهم وانهم الذين يؤتون كتابهم بشمالهم يوم القيامة .

وفى الاستفهام تعجيب وتهويل وتحقير لشأنهم ، وسوء حالهم يوم القيامة لا يقدر قدرها من نكال ووبال .

٤٢ ـ ٤٤ (فى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم)

فى الايات تقريع لاصحاب الشمال ووصف لمنازلهم وعذابهم بأسلوب هائل ورائع ، فهم معرضون للريح الشديدة الحرارة واللفح فاذا عمدوا الى اطفاء حرّهم بالماء فهو حميم شديد الحرارة أيضاً، واذا عمدوا الى رواق يترآى لهم كأنّه ظل فهو ظل من يحموم دخان شديد السواد لا يمنح برودة ، ولا يمنع أذى الحرّ ، وفى هذا الوصف اثارة الفزع ، والرهبة فى النفوس ، والتنوين فى الايات للتهويل والتنديد والتنويع فيساق اليهم فى جهنم ألواناً من العذاب .

٤٥ ـ (انهم كانوا قبل ذلك مترفين)

تعليل لمصير أصحاب الشمال وابتلاءهم بماذكر من العذاب واستقرارهم فى النار على سبيل تعليق الحكم على الوصف .

وإن الكلام منصرف فى الدرجة الاولى إلى الزعماء والاغنياء فانهم الذين يكونون عادة مستغرقين فى حياة الترف ، وهم يقودون حملة التكذيب والمناوأة لدعوة الله تعالى فى كل وقت وزمان وإلى أحزابهم فى الدرجة الثانية باتباعهم فى التكذيب والعصيان .

٤٦ ـ (وكانوا يصرون على الحنث العظيم)

فى توصيف الحنث بالعظيم مع كون معنى العظمة فى لفظ الحنث للمبالغة .

٤٧ ـ (وكانوا يقولون ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعوثون)

تقرير لمستبعداتهم ومنكراتهم وفى تكرير الهمزة الانكاريّة تاكيد للنكير ، وتأكيد الجملة الاخيرة بحرف التاكيد « إن » للتأكيد لا لانكار التاكيد حيث إن غرضهم إنكار البعث بعد تلك الحالة ، وفيه دلالة على غاية غلوّهم فى الكفر ، وتماديهم فى الضلال .

٤٨ ـ (أو آباؤنا الاولون)

تكرير الهمزة لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى « لمبعوثون » وحسن ذلك الفصل بالهمزة إنهم يعنون ان بعث آبائهم الاولين أبعد من الوقوع .

٤٩ ـ (قل ان الاولين والاخرين)

ردّ لاستبعادهم وانكارهم وتحقيق للحق وتقرير لما كانوا هم فيه يشكّون وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرّدّ حيث كان انكارهم لبعث آبائهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى .

٥٠ ـ (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم)

تأكيد ربّانى بأنّ جميع الناس من جميع الاجيال سيبعثون ويجمعون الى موعد معلوم عند الله تعالى .

٥١ ـ (ثم انكم أيها الضالون المكذبون)

عطف على « الاولين » داخل تحت القول و « ثم » للتراخى زماناً أورتبة وفى الاية إلتفات إلى أصحاب الشمال وهم فى موقف التكذيب والضلال : التفات اليهم ، ومواجهة لهم بكل ما يسوؤهم ويلبسهم الشقاء الابدى لملاك الشقاء فيهم

بالضلال والتكذيب .

٥٢ – (لآكلون من شجر من زقوم)

إستطراد إنذارى شديد لاصحاب الشمال بماسوف يلقونه من المصير الوخيم يوم القيامة حيث يأكلون من شجر الزّقوم على سبيل التأكيد والتحقيق .

٥٣ – (فمالئون منها البطون)

فى إرجاع ضمير التأنيث إلى الشجر مع كونه مذكّراً لفظاً إشارة إلى أنّه أشبه بشجرة واحدة فى طبيعتها ، وفى شؤم الثمر الذى يخرج منها . . فكأنهم يأكلون جميعاً من شجرة واحدة حتى تمتلىء بطونهم .

٥٤ - ٥٥ (فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم)

فى عطف أحدهما على الاخر دلالة على اختلافهما اعتباراً بأنّ شرب الماء المتناهى الحرارة عجيب جداً وشربه كشرب الهيم أعجب حيث يقبل عليه أصحاب الشمال بعد أكلهم الطعام الزقومى كما تقبل الابل المريضة بالهيام التى تظل تشرب ولا ترتوى حتى تموت .

وفى إقبال أهل هذا الطعام الزقومى على هذا الشراب الهيمى إشارة إلى أن ما فى بطونهم من لهيب أشد من هذا الحميم ، فهم يستشفون من داء إلى داء ويستجيرون من بلاء ببلاء ويطفؤن النار بالنار .

٥٦ – (هذا نزلهم يوم الدين)

النزل : مايقدّم للضيف النازل من طعام وشراب إكراماً له ، ففى تسميّة ما أعدّلهم بالنزل نوع تهكّم .

وفى الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة إشارة إلى أنّهم فى حال من الهول والبلاء بحيث لايعقلون معها حديثاً ، ولا يسمعون قولاً . . فكان أن اتّجه الحديث إلى من يشهدون هذا المشهد ، ليكون لهم فيه عبرة ومزدجر .

٥٧ – (نحن خلقناكم فلولا تصدقون)

تلوين للخطاب وتوجيه إلى أصحاب الشمال الكفرة الضالة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ماقبلها أى فهلاّ تصدقون بالخلق فان

ما لايحققه العمل ، ولايساعده بل ينبيء عن خلافه ليس من التصديق في شيء .

وفي الخطاب تنبيه وتقرير وتنديد بسبيل البرهنة على قدرة الله تعالى على البعث الذي ينكرونه ويكذبونه .

وهذه قضية لا تحتاج إلى برهان وحكم لا يقبل جدلاً . .

ان قلت : كيف قال تعالى : « نحن خلقناكم فلو لا تصدّقون » أى فهلا تصدقون مع انّهم مصدقون أنه خلقهم لقوله تعالى : « ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله » الزخرف : ٨٧) ؟

قلت : انهم وإن كانوا مصدقين بألسنتهم إلا أنهم لما كان مذهبهم على خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به .

ومن المحتمل ان يكون هذا تخصيصا على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الاول فكأنه تعالى قال : هوالذى خلقكم أولاً باعترافكم على ذلك ، فلا يمتنع عليه أن يعيد كم ثانياً فهلاّ تصدقون بذلك وفى الاية وما يتلوها من الآيات التفات من الغيبة إلى الخطاب لان السّياق سياق التوبيخ والمعاتبة وذلك بالخطاب أوقع وآكد .

٥٨ ـ ٥٩ (افرايتم ما تمنون ء انتم تخلقونه ام نحن الخالقون)

توبيخ . بعد توبيخ ثم تحقيق للحق .

٦٠ ـ (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين)

تقرير لما حققه من ان تدبير أمر الخلق بجميع شئونه وخصوصياته ومنه أمر الموت بتقدير من الله تعالى .

٦١ ـ (على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون)

بيان لكون الناس كافة تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم كما انهم تحت ملكوته جل وعلا من حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم كما ستقف عليه.

٦٢ ـ (ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون)

تحضيض على التذكر فى النشأة الاولى لتثبت حتميّة وقوع البعث .

٦٣ - ٦٤ (أفرايتم ما تحرثون ء أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون)

توبيخ بعد توبيخ ثم تقرير لحقيقة أمر ، وهي صورة اخرى من صور الخلق تدل على كمال عنايته تعالى ورحمته بعباده وعلى كمال قدرته .

٦٥ - (لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون)

إمتنان ومبالغة في التهديد .

ان تسئل : كيف جاء قوله تعالى في الزرع : « لو نشاء لجعلناه حطاماً » باللام وفي الماء : « لو نشاء جعلناه اجاجاً » بغيرها ؟

تجيب : الاصل أن تذكر اللام في الموضعين إذ لابد منها في جواب «لو» إلا أنها حذفت في الثاني إختصاراً ، وهي مؤدّية لدلالة الاولى عليها .

مع أن اصل هذه اللام للتأكيد ، فذكرت مع المطعوم دون المشروب لان المطعوم مقدّم وجوداً ورتبة ، لانه إنما يحتاج إلى الماء تبعاً له ، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب ، فلما كان الوعيد بفقد المطعوم أشدّ و أصعب أكّد تلك الجملة مبالغة في التهديد .

٦٦ — ٦٧ (انا لمغرمون بل نحن محرومون)

تسليم وإقرار منهم على تأكيد بعد تأكيد بأن الله تعالى قادر على مايهدده وتقرير لعاقبة وقوع مايهدّده من الخسارة والحرمان .

٦٨ - ٦٩ (أفرايتم الماء الذى تشربون ء أنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون)

توبيخ بعد توبيخ ثم تقرير لحقيقة أمر ، وهي صورة اخرى من صور الخلق وتقديره وتدبيره ، وهي تدل على شمول رحمة الله تعالى على عباده و كمال عنايته بهم وعظيم قدرته .

٧٠ - (لو نشاء جعلناه اجاجاً فلو لا تشكرون)

امتنان عليهم بالنعمة وتهديد بسلبها عنهم وتحضيض على شكرها .

٧١ — ٧٢ (أفرأيتم النار التى تورون ء أنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون)

توبيخ بعد بيخ ثم بيان لحقيقة أمر ، وهي صورة اخرى وهي صورة رابعة من صور الخلق وتقديره وتدبيره وشمول الرحمة وكمال العناية بهم ، وفي التعبير عن خلق الشجرة بالانشاء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التي لاتخلو عن النار .

٧٣ - (نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين)

مستأنف لبيان منافع النار أي جعلنا الشجرة تذكيراً لنار جهنّم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ، ويذكروا ما أوعدوا بـه من نار جهنم أو تذكرة وانموذجاً من نار جهنم .

٧٤ - (فسبح باسم ربك العظيم)

الفاء لترتيب مابعدها على ما عدّد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبه لتسبيحه جل وعلا إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيّته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها ، وإمّا تعجباً من أمرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهورها ، أو شكراً على تلك النعم السابقة ، أي فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره .

٧٥ - (فلا اقسم بمواقع النجوم)

جملة قسمية جائت بالنفي تنزيهاً للمقسم به وإجلالاً لقدره أن يقسم به على امور واضحة لاتحتاج إلى سند يسندها من قسم ونحوه . .

وإن القسم يجيء لاثبات أمر من الامور التي يستبعدها المخاطب وقوعها أو لتقرير حقيقة من الحقائق وتوكيدها وإزالة الشبهة عنها عند المقسم له حتى يقبلها ويطمئنّ إليها .

وإن القسم في المقام تعريض وتلويح بمواقع النجوم دون القسم بها ، لانّها ذات شأن عظيم ، فلا يقسم بها إلا لتقرير الحقائق المشكوك فيها ، والمرتاب في أمرها . .

وأما جليّات الامور وبدهيّاتها فلا يقسم لها ، لان القسم لها ، هو تشكيك

فيها ووضعها موضع ما يكون من شأنه أن يثير المماراة والخلاف . .

وقد كثر في القرآن الكريم هذا النوع من التلويح بالقسم عن طريق النفى وذلك إذا كان المقسم هو الله تعالى والمقسم به ذات من ذوات المخلوقات العظيمة المكرمة عند الله جل وعلا وكان المقسم عليه أمراً جلياً لايحتاج إلى بيان .

ومن هذا القبيل من القسم قوله تعالى : « فلا اقسم بالشفق ـ لتركبنّ طبقاً عن طبق » الانشقاق : ١٦ ـ ١٩) .

وقوله تعالى : « لااقسم بيوم القيامه ـ بل قادرين على أن نسوّى بنانه » القيامة ١ ـ ٤) .

وقوله : « فلا اقسم بالخنّس ـ ذى قوة عند ذى العرش مكين » التكوير : ١٥ ـ ٢٠) .

وهذه الاقسام واقعة على أمور عظيمة ، محققة الوقوع على الصورة المعروضة فيها ، وعلى الصفة الموصوفة بها ، بحيث لا يصح أن تقع موقع الانكار ، من ذى مسكة من عقل أو فهم . .

فاذا كان هناك من يشك أو يرتاب ، فانّه لا معتبر لشكّه أو إرتيابه ، ولا جدوى من وراء القسم له بأىّ مقسم به ، إذ كان لا يجدى معه ـ فى هذا الصبح المشرق بين يديه ـ أن تضاء له المصابيح ، وتقام له الحجج والبراهين . .

وإن الاقسام هنا واقعة على أحوال الانسان ، وتنقله من حال إلى حال ، ومن وجود إلى وجود أو على قدرة الله تعالى على بعث الموتى من القبور ، وعلى إعادة هذه العظام البالية ، وإلباسها لباس الحياة من جديد ، أو على قول الله تعالى وما تحمل كلماته من أخبار صادقة محققة الوقوع . .

وهذه كلّها أمور لا تحتاج إلى قسم ، وفى القسم لها ـ كما مرّ ـ تشكيك فيها ، وفتح لباب الجدل والمماراة فى شأنها . .

أما هذا التلويح بتلك الاقسام ، فيما يبدو من نفى القسم ـ فهو وضع الامر المقسم عليه فى ضمانة حقيقة من الحقائق الكبرى حيث يعتدل ميزانه مع ميزانها

في مقام الاعظام والاجلال ، بمعنى أنّه لو احتاج هذا الامر الى قسم لما أقسم له الا بهذه الحقائق العظيمة الجليلة ، المناسبة لعظمته وجلاله . .

فانّ العظائم كفؤها العظماء كما يقولون .

٧٦ - « انه لقسم لو تعلمون عظيم »

تعظيم للقسم المتقدم ، وتأكيد بعد تأكيد .

٧٧ - « انه لقرآن كريم »

تقرير لما لا يحتاج إلى قسم لوضوحه ، وهذه هى الحقيقة التّى لا تحتاج الى تبرير وتوكيد . .

وهذا هو الذى يتلوه رسول الله الاعظم ﷺ على الناس جهاراً ، ويبيّنه مرئى أعينهم ، وفي وصف القرآن بالكرم اشارة الى ما ينال الذين يمدّون أيديهم اليه من عطايا ومنن به ، وهى أصول المعارف والحكم التى فيها سعادتهم فى الدنيا والاخرة وانه كريم عند الله تعالى .

٧٨ - (فى كتاب مكنون)

وصف ثان للقرآن ، سيق لتعظيم أمره وتجليله ، ولتقرير كونه مصوناً عن التغيير والتبديل .

٧٩ - (لا يمسه الا المطهرون)

وصف ثالث للقرآن وايثار الجملة بالخبريّة دون الانشائيّة لمنع وقوع الجملة الانشائيّة صفة لشيء ، فلا يقال : مررت برجل اضربه أو لا تضربه أو هل تضربه ... وفيها من تقديس القرآن وتنزيهه عن مالا يليق به ما لا يخفى .

وانّ النفى أبلغ من الانشاء وآكد منه فى منع تحقق المنفى .

٨٠ - (تنزيل من رب العالمين)

وصف رابع للقرآن الكريم ، وردّ على الذين يقولون : انّه من تلقاء نفس محمد ﷺ فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر ولا من تلقاء نفسه ولا من أساطير الاولين .

وكلمة « ربّ » واضافتها الى « العالمين » تنبيء على أن انزال الوحى من لوازم التربية التى انبسطت على الجن والانس خاصّة وعلى الخلق عامّة .

٨١ - (افبهذا الحديث انتم مدهنون)

استفهام انكارى توبيخى تفريع على ماتقدم فيوبخ الله تعالى أصحاب الشمال بما كانوا يكذبون بما جاءهم الرسول صلى الله عليه وآله .

٨٢ - (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون)

تقرير لما انتهى إليه هذا الموقف الادهان وهو التكذيب بما يلقى إليهم من هذا الحديث الذين هم لا يعطونه أذناً ولا يفتحون له سمعاً ولا قلباً .

٨٣ - ٨٤ (فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون)

تفريع على تكذيبهم بالقرآن الكريم وماأخبرهم الرسول صلى الله عليه وآله بهمن البعث والجزاء و « لولا » للتحضيض تعجيزاً وتبكيتاً لهم ، وبلوغ النفس الحلقوم كناية عن الاشراف التامّ للموت ، وهو حال الاحتضار .

وفي الاية ومابعدها تنديد وتحدّى واستدعاء لهولاء المكذبين بالبعث والجزاء والموت المقدر الذى نطق به القرآن في قوله تعالى : « نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين » إلى هنا من القوارع التى تدلّ على كونهم تحت ملكوته جل وعلا من حيث ذواتهم ، ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم ، فلولا للتحضيض لاظهار عجزهم .

٨٥ - (ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون)

تقرير لمايعلمه الله تعالى ويجهله هؤلاء المكذبون فيكذبون بما لاعلم لهم به

٨٦ - ٨٧ (فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين)

« فلولا » توكيد لما قبلها من قوله تعالى : « فلولا إذا بلغت الحلقوم . . » قيل : « إن كنتم غير مدينين » جملة معترضة تكشف عن حال هؤلاء الذين شهدوا محضر هذا المحتضر و « ترجعونها » جواب « فلولا » الاولى أى فهلا اذا بلغت النفس او الروح الحلقوم ترجعونها ، وقوله : « إن كنتم صادقين » تكذيب لتكذيبهم بما جاءهم الرسول صلى الله عليه وآله .

٨٨ - (فاما ان كان من المقربين)

شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أي فامّا ان كان هذا الميت من الذين بيّن حالهم من السابقين المقرّبين من الازواج الثلاثة ..

٨٩ - (فروح وريحان وجنت نعيم)

عبّر عنهم بأحسن أحوالهم وأجل أوصافهم ، وفي تنكير الامور من التفخيم والتعظيم لها مالا يخفى .

٩٠ - ٩١ (واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين)

تقرير لوصف الطائفة الثانية من الازواج الثلاثة بعد موتهم بانهم يهدون التحيّة إلى النبي الكريم ﷺ ، ففي الالتفات من الغيبة الى الخطاب دلالة على انه ﷺ يخاطب بهذا الخطاب يوم القيامة : سلام لك من أصحاب اليمين ، أو يبعث كل واحد تحيّة إلى صاحبه المؤمن .

٩٢ - (واما ان كان من المكذبين الضالين)

تفصيل لاحوال الطائفة الثالثة بعد موتهم .

وفي الميزان : وقد وصفهم الله بالمكذبين الضالين ، فقدم التكذيب على الضلال لان مايلقونه من العذاب تبعة تكذيبهم وعنادهم للحق ، ولو كان ضلالاً بلا تكذيب وعناد كانوا مستضعفين غير نازلين هذه المنزلة ، وأما قوله سابقاً : « ثم انكم أيها الضالّون المكذبون » فاذ كان المقام هناك مقام الردّ لقولهم : « إذا متنا و كنّا ترابا وعظاماً ءإنا لمبعوثون » الخ كان الانسب توصيفهم أوّلاً بالضلال ثم بالتكذيب .

٩٣ - ٩٤ (فنزل من حميم و تصلية جحيم)

تفريع على التكذيب والضلالة ، وفي تنكير الامور من التهويل ، وفي تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى .

٩٥ - (ان هذا لهو حق اليقين)

تأكيد بعد تأكيد ، وإضافة الحق إلى اليقين ليست من إضافة الشيء إلى نفسه لان الحق هو غير اليقين ، وانما هو خالصه وأصحّه ، فجرى مجرى إضافة

البعض إلى الكل .

٩٦ - (فسبح باسم ربك العظيم)

تفريع على ما أخبر به مما تقدم ذكره فى السورة وتقديس الله تعالى وتنزيهه عما يقوله المكذبون الضالّون ، وشكر له على هذا الهدى الذى يهدى الله به من جاهد فيه .

ان تسئل : لم قال الله تعالى هنا : « فسبّح باسم ربك » متعدّياً بالباء وفى سورة الاعلى بلا تعدية إذ قال : « سبح اسم ربك الاعلى » ؟

تجيب : إن الفعل إذا كان تعلّقه بالمفعول ظاهراً غاية الظهور لايتعدّى إليه بحرف ، فلا يقال : ضربت بزيد بمعنى ضربت زيداً ، وإذا كان فى غاية الخفاء لايتعدّى إليه إلا بحرف ، فلا يقال : ذهبت زيداً بمعنى ذهبت بزيد ، وإذا كان بينهما جاز الوجهان ، فتقول : سبحته وسبحت به وشكرته وشكرت له .

ان تسئل : لم وصف الله تعالى نفسه هنا بالعظيم ، وهناك بالاعلى وما الفرق بين العظيم والاعلى ؟

تجيب : إن الفرق بين العظيم والاعلى انّ العظيم يدل على القرب والاعلى يدلّ على البعد ، لان ما عظم من الاشياء المدركة بالحس قريب من كل ممكن لأنه لو بعد عنه لخلا عنه موضعه .

وأما العلى فهو البعيد عن كل شيء ، لانّ ماقرب من شيء من جهة فوق يكون أبعد منه وكان أعلى ، فالعلى المطلق بالنسبة إلى كل شيء هو الذى فى غاية البعد عن كل شيء ، والمعنى الذى بيّناه فى معنى العظيم ، والاعلى هو السبب فى ذكر العظيم هنا والاعلى هناك .

﴿الاعجاز﴾

ومن الاتفاق أن النظم القرآنى هو الصورة المحسوسة التى يبدو فيها وتفرد القرآن الكريم بهذا الوضع بين صور الاداء القولى وإن هذا النظم كان أبين وجه من وجوه الاعجاز فى نظر الباحثين عن إعجاز القرآن لما فى هذا النظم من عجائب وروائع وأسرار وفوائد ..

وان القرآن الكريم جاء منفرداً بنظمه بهذا الاسلوب الفريد العجيب من النظم الذى نظمت فيه المعانى الرفيعة القرآنية التى عرف بها القرآن ..

وان الصدق الذى بنى عليه القرآن كله .. لفظة لفظة، وآية آية .. وعلو الجهة التى جاءت منها هذه الالفاظ والايات محملة بالصدق ـ هذا الصدق وعلو جهته قد جاءت فى أروع صورة من صور الاداء، وفى أكمل وضع من أوضاع نظم الكلام على وجه لم تعرفه العرب، ولم تتعامل به شعراً أو نثراً ..

وقد كانت العرب تعرف الشعر الموزون المقفى، وتعرف النثر المرسل كما تعرف النثر المسجوع ـ طبعاً لا تكلفاً ـ فى خطب الخطباء ومحاورة الحكماء أو متكلفا فى سجع العرافين والكهان .. ولكنها لم تعرف هذا النظم العجيب، هذا الاسلوب المعجز وهذا الأداء الحسن الذى يأخذ فيه الكلام هذه الصورة التى يقيم منه آيات تختتم فيه كل آية بفاصلة ذات نغم ورنين، فيجد الصدر لذلك راحة عند الوقوف على الفاصلة كما تجد النفس إسترواحاً لهذا النغم المرجع منها ..

وهذا الاسلوب البديع هو الذى أنزل الله تعالى كتابه الكريم به، وهو الذى مزج المقاصد والاغراض والأسرار والمعارف والحكم بعضها ببعض بعبارات بليغة مؤثرة فى القلوب محركة للشعور، وبنغمها الخاص به التى تحدث فى القلب

وجدان الخشوع وخشية الاجلال للرب المعبود ، والرجاء فى رضوانه ورحمته ، والخوف من عقوبته ، والاعتبار بسننه فى خلقه بما لانظير له فى كلام البشر من خطابة ولا شعر ولا رجز ولا سجع .

وأما هذه السورة التى نحن فيها فتدبر فى تفصيل الازواج الثلاثة بما جائت من عجيب النسق وغريب الاسلوب وبديع النظم وحسن الأداء . .

وذلك انه لم يورد فى التفصيل إلاّ ذكر صنفين : أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ، ثم بعد ما عجب منهما بيّن حال الثلاثة : السابقين المقربين ، وأصحاب اليمين المؤمنين وأصحاب الشمال المكذبين الضالّين على سبيل الايجاز الاعجاز . .

وفيها من اللطائف الكثيرة ما لا يخفى على القارىء المتدبّر .

منها : انه طوى ذكر السابقين فى أصحاب الميمنة لانّ كلاً من السابقين المقربين وأصحاب اليمين أصحاب يمن وبركة بحسبه ، كما أن أصحاب الشمال أهل شوم ونكد .

فكأنه تعالى أشار فى هذا الطىّ إلى الحديث القدسى : « أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى » .

ومنها : أن ذكر السابقين المقربين وقع الوسط باعتبار : « وخير الامور أوسطها » وفى الاول باعتبار والاشراف بالتقديم أولى وفى الاخر باعتبار ليكون إشارة إلى قول النبى الكريم ﷺ : « نحن الآخرون السابقون » .

ومنها : أن مفهوم السابق متعلّق بمسبوق فما لم يعرف ذات المسبوق لم يحسن ذكر السابق من حيث هو سابق وغيرها من اللطائف . . .

«التكرار»

تشير في المقام إلى صيغ عشر لغات - أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جائت في هذه السورة وفي غيرها من السّور القرآنيّة :

١ ـ جائت كلمة (الرّجّ) في القرآن الكريم على صيغها نحو: مرتين :
الواقعة : ٤) .

٢ ـ » » (البسّ) » . » » » : مرتين :
الواقعة : ٥) .

٣ ـ » » (الشؤم) » » » : ثلاث مرات:
١ ـ ٢ ـ الواقعة : ٩) ٣ ـ البلد : ١٩) .

٤ ـ » » (الثلّة) » » » : » »
الواقعه : ١٣ ـ ٣٩ ـ ٤٠) .

٥ ـ » » (الوضن) » » » : مرة واحدة:
الواقعه : ١٥) .

٦ ـ » » (الخضد) » » » » » »
الواقعه : ٢٨).

٧ ـ » » (الطلح) » » » » » »
الواقعه : ٢٩) .

٨ ـ » » (السكب) » » » » » »
الواقعه : ٣١) .

٩ ـ » » (المزن) » » » » » »
الواقعه : ٦٩) .

١٠ ـ » » (الحلقوم) » » » » » »
الواقعه : ٨٣) .

﴿ التناسب ﴾

انّ البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ : التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فانّ هذه السوّرة نزلت بعد سورة طه ، فلمّا انتهت الى ايعاد الكفّار وانذارهم وانظارهم الى اليوم الذي يعلمون فيه علم اليقين من هو المهتدى ومن هو الضّال فجائت هذه السورة تصف ذلك اليوم وتصف مصائر الناس فيه حسب مواقفهم وأعمالهم في الدنيا وتصنيفهم باصناف ثلاثة في الاخرة .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السوّرة لسورة الرحمن فبوجوه :

أحدها ـ ان الله تعالى لمّا عدّ نعمه في سورة (الرحمن) على الجن والانس وطلب منهما الشكر تجاهها ومنعهما من التكذيب والكفران أشار في هذه السورة الى طوائف المكلّفين وأصنافهم في مقابل الطلب والمنع اذ صاروا أزواجاً ثلاثة : السابقين المقرّبين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال .

ثانيها ـ ان الله تعالى لمّا نبّه في سورة (الرحمن) عباده بآلائه في الحياة الدنيا أشار الى جزاءهم في سورة (الواقعة) في العقبى .

ثالثها ـ انّ الله تعالى لما أظهر رحمته في سورة (الرحمن) بيّن هيبته في سورة (الواقعة) .

رابعها ـ ان الله تعالى وصف في كلتا السورتين القيامة والجنّة والنار فاتصلت

احداهما بالاخرى اتّصال النظير للنظير .

خامسها - أن اللهُ عزّ وجل لما ذكر في سورة (الرحمن) عذاب المجرمين ونعيم المتقين الخائفين وفاضل بين جنتي أصحاب الجنّة أشار في هذه السورة الى أصناف المكلفين : المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فبذلك يظهر اختلاف درجات أصحاب الجنّة بسبب اختلاف درجات ايمانهم وصالح عملهم ، وسبق بعضهم على بعض في ذلك .

سادسها - ان الله تعالى لما أشار في سورة (الرحمن) الى انشقاق السماء بيّن في هذه السورة رجّ الارض وبسّ الجبال فكانهما لتلازمهما واتحادهما موضوعاً سورة واحدة مع عكس في الترتيب اذ ذكر في أول هذه السورة مافي آخر ماقبلها وفي آخر هذه ما في أول ماقبلها إذ ذكر شأن القرآن في ثلث الاخير من هذه السورة في قوله تعالى : « انّه لقرآن كريم » الخ . .

واما الثالثة : فلما بدئت السورة بذكر القيامة ، وحتميّة وقوعها وصفتها بأنها تخفض قوماً ، وترفع آخرين مع الاشارة الى علائم وقوعها من إضطراب الارض ، وإندكاك الجبال وتفتتها وصيرورتها كالغبار المنتشر في الفضاء أخذت بما تدور عليه من الغرض من تصنيف الناس يومئذ على أصناف ثلاثة : من أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقين المقربين .

وأخّرت السابقين في الذكر لعدم الفصل بينهم وبين صفاتهم بكونهم من أولين وآخرين وبين أحوالهم وتمتّعاتهم يوم القيامة وقدّمت ذكر مساكنهم على طعامهم وشرابهم ، وقدّمتها على نساءهم وجلساءهم إذ من لا مسكن له فلا يكون الطعام والشراب هنيئاً له ومن لا سكنى والطعام والشراب فليس له لذة في النساء والمجالسة.

وقدّمت أحوال السابقين وتمتّعاتهم على أحوال أصحاب اليمين لسبقهم في الايمان والعمل .

ثم أخذت بذكر تنعم أصحاب اليمين من نعيم الجنّة على الترتيب المتقدم وبذكر أحوالهم من كونهم ثلّة من الاولين وثلّة من الاخرين وفي تقديم « ثلّة من

الاولين وقليل من الاخرين » فى المقربين وتأخيرها فىأصحات اليمين مالا يخفى على القارىء الخبير المتدبر .

ثم أشارت إلى أصحاب الشمال ، وعذابهم فى جهنّم وإلى ما استحقّوا بههذا العذاب الاليم من إترافهم وإصرارهم على الحنث العظيم وتكذيبهم بيوم القيامة وضلالتهم .

ثم اخذت بذكر إقامة الادلة القاطعة والبراهين الساطعة من الخلق والرزق وإنزال الماء والزرع على أن الله تعالى قادر على ماأخبره من البعث والحساب والجزاء وصيرورة الناس أزواجاً ثلاثة فيجزون بما عملوا فاستبعده أصحاب الشمال وكذّبوه ، وكل ذلك تذكرة لمن تذكّر .

ثم ذكرت تقديس الله تعالى وتنزيهه عن العجز على ما اخبره وتقديس القرآن الكريم عن الكذب فى الخبر . .

ثم وبّخت مرّة بعد مرة من كذّب بالخبر واستبعده وتحدّتهم .

ثم أشارت إلى الازواج الثلاثة اجمالا ومآل أمرهم على سبيل تعليق الحكم على الوصف للاشعار بالعلّيّة .

فختمت بتنزيه الخبر عن الكذب ، والوعد والوعيد عن الخلاف ، وبتنزيه المخبر عن العجز عن ذلك كلّه .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

عن أبي هريرة ومقاتل بن سليمان انّهما قالا : قوله تعالى : « ثلّة من الاولين وقليل من الآخرين » : ١٣ _ ١٤) منسوختان بقوله تعالى : « ثلة من الاولين وثلة من الاخرين » : ٣٩ _ ٤٠) .

أقول : انما النسخ هو في الاحكام ولا نسخ في الاخبار ، وان الايات الكريمة اخبار عن واقعيّة لا تتغيّر بالوجوه والاعتبار فانها في جماعتين مختلفتين .

وذلك لان موضوع الآيتين الاولـيين هم السابقون المقربـون من الأمم السابقة ومن هذه الامّة المسلمة ، وموضوع الآيتين الاخيرتين هم المؤمنون وهم أصحاب اليمن بازاء أصحاب الشمال كذلك .

فاذا قيس حواريو الانبياء والاوصياء الماضين عليهم السلام _ وهم السابقون المقرّبون _ إلى حواريي نبينا محمد وأوصيائه صلوات الله عليهم أجمعين ، فاولئك عدد جم وهؤلاء عدد ضئيل، و كذلك إذا قيس مؤمنو هذه الامة المسلمة في طوال الاعصار إلى يوم القيامة مع مؤمني الامم السالفة ، فقد تكون الفئتان متساويتين من حيث الكم والمقدار ، أو متقاربتين ، ويصحّ إطلاق « كميّة كبيرة » على كلتا الفئتين .

في الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال : لمّا نزلت « ثلّة من الالين وقليل من الاخرين » حزن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا : إذن لايكون من امّة محمد الا قليل فنزلت نصف النهار : « ثلة من الاولين وثلة من الاخرين » تقابلون الناس فنسخت الاية « وقليل من الاخرين » .

وفى تفسير الكشاف : قال الزمخشرى فى تفسير الاية : فان قلت : فقد روى أنّها لما نزلت شق ذلك على المسلمين ، فما زال رسول الله ﷺ يراجع ربه حتى نزلت « ثلة من الاولين وثلّة من الاخرين » قلت : هذا لايصح لامرين : أحدهما : ان هذه الاية واردة فى السابقين وروداً ظاهراً ، وكذلك الثانية فى أصحاب اليمين ألاترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم ؟
الثانى : أن النسخ فى الاخبار غير جائز ، انتهى كلامه .

وفى الجامع لاحكام القرآن : رواه أبو هريرة ـ ومعناه ثابت فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكأنّه ـ أبا هريرة ـ أراد انّها منسوخة والأشبه انها محكمة لانها خبر ، ولان ذلك فى جماعتين مختلفتين .

وفى تفسير النيسابورى قال : على فرض خطاب « وكنتم أزواجاً ثلاثة » لامة محمد ﷺ ، فالأوّلون منهم هم الصحابة والتابعون ، كقوله : « والسابقون الاولون » والاخرون منهم هم الذين يلونهم إلى يوم الدين ، ولاريب انّ السابقين يكونون فى الاولين أكثرمنهم فى الاخرين ، وأما أصحاب اليمين ، فيوجدون فى كلا القبيلين كثيراً ، وعلى هذا يكون الترتيب المذكور ساقطاً ، ولا نسخ لامكان اجتماع مضمونى الخبرين فى الواقع .

أقول : وأما التشابه فلم أجد من الباحثين كلاماً يدل على ذلك فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ - (اذا وقعت الواقعة)

فى الواقعة اقوال :

١ - عن الضحاك : أى قامت الهائلة أى وقوع الحادثة الهائلة من الصيحة الثانية لقيام الساعة او النفخة الاولى للبعث والنشر .

٢ - عن إبن عباس : الواقعة : القيامة وسمّيت بالواقعة لتحقق وقوعها ، فهى التى تقع لامحالة .

٣ - قيل : الواقعة : المجازاة فى يوم القيامة بالاعمال الحسنة والسيئة .

اقول : والثانى هو المروى عن أئمة اهل بيت الوحى عليهم السلام وفى تسمية القيامة بالواقعة أقوال :

١- قيل : سمّيت بها لانها تقع عن قرب.

٢- قيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد.

٣ - عن إبن عباس : الواقعة و الطامّة والصاخة والازفة ونحوها من اسماء القيامه عظّمها الله تعالى وحذرها عباده وسمّيت بها لشدة وقعها .

٤ - قيل : لانها تقع فجأة من غير انتظار .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

٢ - (ليس لوقعتها كاذبة)

فيها أقوال :

١ - قيل : أى لا ريب فى وقوع القيامة و لا فى الاخبار بوقوعها كذب ، فقيامها جدّ لا هزال فيه ، فتقع صدقاً وحقاً .

٢ ـ قيل : أى تكذّب بها نفس حين وقوعها واستدل على ذلك بقوله تعالى: « لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ـ إلى ـ هذا نزلهم يوم الدين » الواقعة : ٥٠ ـ ٥٦) .

فلا مكذّب لها حينما تقع كما كان في الحياة الدنيا . فان المكذب حينئذ يكون أمام واقع مشهود لا سبيل له إلى إنكاره والمكابرة فيه .

٣ ـ قيل : اى لن يكذّب بها أحد إذا حضره الموت كما أن أكثر الناس يكذّبون بها قبل ذلك ، واستدل عليه بقوله تعالى : « وتجعلون رزقكم ـ إلى ـ إن كنتم صادقين » الواقعة : ٨٢ ـ ٨٧) .

٤ ـ عن الزجاج والحسن وقتادة : أى لايردّها شيء ولا يرجعها .

٥ ـ عن الثورى : أى ليس لوقتها أحد يكذب بها .

٦ ـ عن الكسائى : أى ليس لها تكذيب أى ينبغى ألاّ يكذّب بها أحد .

اقول : وعلى الاول اكثر المحققين والايات المستدلة لاتدل على المدّعى فى الموردين فتدبّر جيّداً .

٣ ـ (خافضة رافعة)

فيها اقوال :

١ ـ عن إبن عباس : تخفض القيامة طائفة ، وترفع الاخرين ، تخفض الذين كانوا مرتفعين فى الحياة الدنيا ، فيجعلون يوم القيامة اذلة ، و ترفع الذين كانوا فى الدنيا اذلّة ، فيجعلون أعزّة فيها ، فان الوقايع شأنها الخفض و الرفع كما يشاهد فى تبدّل الدول من ذل الاعزّة وعز الاذلّة .

وقال السدى : خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين .

٢ ـ قيل : إن الخفض والرفع كناية عن تقليب نظام الدنيا المشهود فتظهر السرائر وهى محجوبة اليوم ، وتحجب وتستر آثار الاسباب وروابطها ، وهى ظاهرة اليوم ، فتذل الاعزّة من اصحاب الشمال المكذبين الضالّين ، و تعز أصحاب اليمين المؤمنين .

٣ ـ عن عكرمة ومقاتل والسدى وقتادة وإبن عباس والضحاك : أى خفضت الصوت ، فأسمعت من دنا ورفعت من نأى يعنى أسمعت القريب والبعيد .

٤ ـ عن قتادة أيضاً : أى خفضت القيامة أقواماً فى عذاب الله ورفعت أقواماً إلى طاعة الله .

٥ ـ عن عثمان بن عبدالله بن سراقة والحسن والجبائى : أى خفضت أعداء الله فى النار ورفعت أولياء الله فى الجنّة ، فالقيامة مظهرة لخفض أقوام بدخولهم فى النار ، ولرفع آخرين بدخولهم فى الجنة ، فهى تخفض وترفع لاقدار الناس ومنازلهم حيث ينزل كل انسان منزله فى هذا اليوم . . فريق فى الجنّة وفريق فى السعير .

٦ ـ عن محمد بن كعب : أى خفضت أقواماً كانوا فى الدنيا مرفوعين ورفعت أقواماً كانوا فى الدنيا مخفوضين .

٧ ـ عن إبن عطاء : أى خفضت أقواماً بالعدل ورفعت آخرين بالفضل .

وإنّ الخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة والعزّ والمهانة ونسب الله تعالى الخفض والرفع إلى القيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب فى إضافة الفعل إلى المحلّ والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون : ليل نائم ونهار صائم .

وفى التنزيل : « بل مكر الليل والنهار » والخافض والرافع على الحقيقة إنّما هو الله وحده ، فرفع أوليائه فى أعلى الدرجات ، وخفض أعداءه فى أسفل الدركات .

٨ ـ قيل : لانّ للاشقياء الدركات وللسعداء الدرجات ، وامّا لانّ زلزلة السّاعة تنزيل الاشياء عن مقارّها فتنتثر الكواكب وتسير الجبال فى الجو .

اقول: والخامس هو المروى عن طريق أئمّة أهل بيت الوحى عليهم السلام وانّ التداخل فى بعض الاقوال غير خفىّ على القارىء الخبير .

٤ ـ (اذا رجت الارض رجاً)

فيها أقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة : أى زلزلت الارض زلزالا شديداً حتّى يسمع لها صوت .

٢ ـ قيل : أى رجفت باماتة من على ظهرها من الاحياء .

٣ ـ عن الربيع بن أنس : أى رجّت بما فيها كما يرجّ الغربال بما فيه ، فيكون المراد ترج باخراج من فى بطنها من الموتى .

٤ ـ قيل : أى هزّت بشدّة .

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

٥ ـ (وبست الجبال بساً)

فيها أقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وعكرمة وأبى صالح : اى وفتتت الجبال فتتاً فتصير كالسويق .

٢ ـ عن الحسن : أى قلعت من أصلها فذهبت .

٣ ـ عن السدى وسعيد بن المسيّب : أى كسرت كسراً .

٤ ـ عن الكلبى ومحمّد بن كعب : أى سيقت وسيّرت عن وجه الارض تسييراً من بسّ الغنم اذا ساقها .

٥ ـ عن ابن عطيّة : أى بسطت بسطاً كالرّمل والتراب .

٦ ـ عن ابن كيسان وابن زيد : أى جعلت كثيباً مهيلا ، بعد ان كانت شامخة طويلة .

٧ ـ عن مجاهد : أى سالت سيلا .

٨ ـ عن عكرمة : هدّت هداً .

اقول: والانسب هو الاول بمعناه اللغوى من غير منافاة بينه وغيرها لانّها من اللوازم .

٦ ـ (فكانت هباء منبثاً)

فيها اقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : الهباء هو الشعاع الذى

يكون فى الكوة كهيئة الغبار ، وليس بشيء .

٢- عن إبن عباس أيضا وعطية : الهباء هو ما تطاير من النار إذاً اضطربت يطير منها شرر ، فاذا وقع لم يكن شيئاً .

٣ - قيل : الهباء المنبث الرهج - بالتحريك - الذى الغبار التى يتصعّد إلى الجو عند حركة الدوابّ .

٤ - عن قتادة : الهباء ما تذروه الريح من حطام الشجر .

أقول : والثالث هو المروىّ .

٧ - (وكنتم ازواجاً ثلاثة)

فى الخطاب أقوال :

١ - قيل : خطاب لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيشمل للامم السابقة بالتغليب .

٢ - قيل : خطاب للأمّة النبى الكريم صلى الله عليه وآله فقط .

٣ - قيل : خطاب لعموم الناس فيشمل لعامة البشر فى طوال الاعصار .

اقول : والاخير هو المؤيّد بالروايات الآتية .

٨ - (فأصحاب الميمنة مااصحاب الميمنة)

فيها اقوال : ١ - عن السدى : هم أصحاب اليمين وأهل التقوى واليقين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة .

٢ - عن عطاء ومحمد بن كعب والضحاك والجبائى : هم أصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم .

٣ - قيل : هم أصحاب يمن وبركة وخير فى الدنيا ، وهم كذلك فى الاخرة .

٤ - عن إبن عباس والسدى : هم الذين أخرجوا من شق الكتف اليمنى من آدم عليه السلام حين أخرج الله تعالى ذرّيّته من صلبه .

وقال زيد بن أسلم : أصحاب الميمنة هم الذين اخذوا من شق آدم الايمن يومئذ.

٥ - عن المبرّد : هم أصحاب التقدم فى الطاعة وصالح العمل .

٦ - عن إبن جريج : هم أصحاب الحسنات .

٧-عن الحسن والربيع: هم الميامين على أنفسهم والتابعون باحسان وأعمال صالحة.

اقول : وعلى الثاني أكثر المفسّرين وهو المؤيّد بما يأتي من قوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ـ وأما إن كان من أصحاب اليمين » : ٢٧ـ٩٠).

٩ ـ (وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة)

فيها أقوال : ١ ـ قيل : هم أهل الهوى والظنين وأهل الريب والتخمين .

٢ ـ قيل : هم أهل الشوم ، شوم ونكد لانفسهم وللناس في الدنيا فكذلك في الاخرة .

٣ ـ قيل : هم الذين يأخذون صحائف أعمالهم بشمالهم يوم القيامة .

٤ ـ عن إبن عباس والسدى وزيد بن أسلم : هم الذين خرجوا من شقّ الكتف اليسرى من آدم عليه السلام .

٥ ـ قيل : هم أصحاب الشمال ، وذلك لظهور السيّئة من القوة التي في ناحية الشمال كقول الشاعر :

السمّ والشرّ في شومي يديك لهم وفي يمينك ماء المزن والضرب

الضرب : العسل الابيض .

٦ ـ عن السدى : هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، ومنه الشؤم واليمين فهم في شمال مركز الاخرة كما أن اصحاب اليمين في يمين مركز الاخرة فالشمال جهنم واليمين الجنة .

وان اليمين والشمال يقاسان بالنسبة إلى المركز ، إذ لكل شيء مركز ينتسب أجزائه إليه باحدى الجهات الأربعة مثلاً مركز الارض الكعبة فلها جهات أربع : الجنوب والشمال واليمين واليسار ، فأجزاء الارض تنتسب إلى الكعبة بما وقعت في إحدى الجهات .

وكذلك اليمين والشمال بالنسبة إلى الانسان ، فمركز الاجزاء الانسانيّة هو القلب ، فاليد اليمنى لوقوعها في يمين القلب سميت اليمنى ، واليد اليسرى لوقوعها في يسار القلب سميت الشمال .

ولاريب في أن للاخرة جهات ، فأصحاب اليمين هم أصحاب يمين الجنة ،

وأصحاب الشمال هم أصحاب شمال الجنة وهي جهنم بعد ما وقع السور بينهما كما قال الله تعالى : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » الحديد : ١٣) .

٧ ـ عن المبرد : هم أصحاب التأخّر لان العرب تقول : اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين .

٨ ـ عن الحسن والربيع : هم المشائيم على أنفسهم والاشقياء بالقبائح من الاعمال والسيئات من الأفعال وفساد العقيدة .

أقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين ، وهو المويّد بسياق السورة .

١٠ ـ (والسابقون السابقون)

فيها أقوال :

١ ـ عن محمد بن كعب : هم أنبياء الله تعالى والاوصياء ، فانهم مقدموا أهل الايمان .

٢ ـ قيل : أي هم الذين سبقوا في طاعة الله تعالى فيدخلون الجنة طائرين بلا حساب ، وهم الذين كانوا يسبقون في كل خير ويسرعون إلى مغفرة من ربّهم « فاستبقوا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » .

٣ ـ قيل : أي هم الذين إذا اعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ، وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله .

٤ ـ قيل : هم أعلى عليّين وأصحاب الدرجات العالية من المؤمنين .

٥ ـ عن الحسن وقتادة وعكرمة : هم أهل ايمان من كل أمة .

٦ ـ قيل : أوّلهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله .

٧ ـ قيل : هم الذين يبادرون إلى فعل الخيرات سابقين على غيرهم فيها ، وهم الذين اشتهرت أحوالهم ، وعرفت فخامة أمورهم ، فمن سابق في الحياة الدنيا إلى الايمان والطاعة وفعل الخيرات ، كان في الاخرة من السابقين إلى الكرامة ، فانّ الجزاء من جنس العمل كما تدين تدان ، ولهذا قال تعالى : « اولئك المقرّبون في

جنات النعيم ».

٨ ـ قيل : اريد بالسابقين الاول السابقون في الايمان وبالثاني السابقون في الطاعة والعمل من غير توان .

٩ ـ قيل : هم أفراد مخصوصون وهم ثلاثة : مؤمن آل فرعون وحبيب النجار وعلى عليه السلام .

١٠ ـ قيل: أي هم السابقون في الهجرة.

١١ ـ قيل : هم السابقون إلى الصلوات الخمس .

١٢ ـ عن محمد بن سيرين: هم الذين صلّوا إلى القبلتين لقوله تعالى: «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار »

١٣ ـ عن مجاهد والضحاك : هم السابقون في الجهاد وأول الناس رواحاً إلى الصلاة .

١٤ ـ قيل : هم الذين سبقوا إلى حيازة الفضائل .

١٥ ـ قيل : هم أهل القرآن .

١٦ ـ عن الجبائي : هم السابقون إلى اتباع الانبياء الذين صاروا أئمّة الهدى ، فهم السابقون إلى جزيل الثواب عند الله تعالى.

١٧ ـ عن سعيد بن جبير: أي هم السابقون إلى التوبة وأعمال البرّ قال تعالى: « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » ثم أثنى عليهم ، فقال : « اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » .

أقول : إن الاول والتاسع والسادس عشر بلا تناف بينها مؤيّدة بالروايات الآتية . . .

١٢ ـ (في جنات النعيم)

فيها قولان : أحدهما ـ : أي كل واحد من المقربين في جنّة النعيم ، فالكل في جنات النعيم .

ثانيهما ـ : أي كل واحد منهم في جنات النعيم .

قال السيد الطباطبائي : يبعّد الاخيرقوله تعالى في آخر السورة : « فامّا ان كان من المقرّبين فروح وريحان وجنة نعيم »

١٣ - (ثلة من الاولين)

فيها أقوال : ١ - عن مقاتل : هم الذين كانوا قبل رسالة محمد صلى الله عليه وآله وهم الجماعة الكثيرة من امة الرسل السابقة .

٢ - عن إبن عباس ومجاهد : هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار فهم جماعة من أوائل هذه الامة .

٣ - قيل : هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنفسهم .

٤ - قيل : هم أصحاب اليمين ، وهم جماعة كثيرة .

أقول : والاول هوالمروى عن طريق أئمة أهل بيت الوحى عليهم السلام .

١٤ - (وقليل من الاخرين)

فيها أقوال : ١ - قيل : هم مخصوصون من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ - قيل : هم الذين لم يلحقوا بالمهاجرين والانصار من خلفهم ، فالاخرون هم أواخر هذه الامة كما ان الاولين من أوائل هذه الامة فهم يسارعون في الطاعات والاعمال الصالحات حتى يلحقوا درجة الاولين .

قال تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنابهم ذريتهم » .

٣ - قيل : هم امة محمد صلى الله عليه وآله وسموا قليلا بالاضافة إلى من كان قبلهم لان الانبياء المتقدمين كثيرون ، فكثر السابقون إلى الايمان منهم فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من امتنا وجميعهم .

أقول : والاول هوالمروى .

١٧ - (يطوف عليهم ولدان مخلدون)

في الولدان وخلودهم أقوال :

١- عن الحسن : هم أولاد الصغار من أهل الدنيا من المسلمين والكافرين الذين ماتوا صغاراً فلا حسنة لهم فيثابوا عليها ولا سيئة فيعاقبوا عليها .

٢ ـ عن سلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه : هم أولاد الكفار والمشركين الذين ماتوا قبل البلوغ ، وهم خدم أهل الجنة أبداً .

٣ ـ قيل : هم ولدان على سن واحد أنشأهم الله تعالى لأهل الجنة من غير ولادة منهم وهم باقون أبداً على هيئتهم من حداثة السّن والطراوة ، فلا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيّرون .

٤ ـ عن مجاهد : هم وصفاء غلمان لخدمة أهل الجنة وهم مع مولاهم فيها فيدمون على أعمالهم من غير غفلة ولا كسل وتوان وملال .

٥ ـ عن سعيد بن جبير والفراء : أي هم مسوّرون بكريم المعادن ، ونفيس الجواهر ومقرطون والقرط الخلد يقال : خلّد جاريته : إذا حلاّها وزيّنها بالقرطة

٦ ـ عن الفرّاء أيضاً : هم مستورون .

٧ ـ عن عكرمة : أي هم منعّمون .

أقول : إن الاول والثاني هما المرويان بلا تناف بينهما وبين غيرهما إلاّ الثالث الا أن يقال : إنّ بعضهم من أهل الدنيا ، والاخرون نشأوا في الجنة بلا ولادة فتدبّر .

٢٥ ـ (لايسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً)

فيها أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أي لايسمعون في الجنة باطلاً ولا كذباً واللغو مايلغى من الكلام .

٢ ـ عن محمد بن كعب : أي لا يؤثّم بعضهم بعضاً .

٣ ـ عن مجاهد : شتماً ولا مأثماً .

٤ ـ قيل : أي لا يتخالفون على شرب الخمر ، كما يتخالفون في الدنيا ولا يأثمون بشربها كما يأثمون في الحياة الدنيا .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

٢٨ ـ (في سدر مخضود)

فيها أقوال :

١ ـ عن إبن عباس وعكرمة وقتادة : أى فى نبق قد قطع شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فانها تنبت ثمراً يفتق الثمر منها عن إثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيه لون يشبه الاخر.

٢ ـ عن الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان وسعيد بن جبير أى : فى ثمر سدر موقر حملاً ثمره أعظم من القلال وأحلى من العسل .

٣ ـ قيل : هو الذى خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٢٩- (وطلح منضود)

فيها أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أى هو شجر الموز .

٢ ـ عن الحسن : أى هو شجر له ظل بارد رطب .

٣ ـ قيل : هو شجر يكون باليمن ، وبالحجاز من أحسن الشجر منظراً ، وإنما ذكر هاتين الشجرتين لأن العرب كانوا يعرفون ذلك ، فان عامّة أشجارهم أمّ غيلان ذات أنوار ورائحة طيبة .

٤ ـ عن الفرّاء وأبى عبيدة : هو شجر عظام له شوك .

أقول : والاول هو المروى من غير تناف بينه وبين غيره .

٣١ ـ (وماء مسكوب)

فيها أقوال :

١ ـ عن سفيان الثورى : أى يصبّ الماء فى مجاريه ، ويجرى ليلاً ونهاراً فى غير اخدود بلا إنقطاع .

٢ ـ قيل : أى يصبّ ويجرى لاهل الجنة أينما شاؤا أو كيفما أرادوا ومتى شاؤا ليشرب على ما يرى من حسنه وصفائه بلا تعب فى استقائه .

٣ ـ قيل : يصبّ الماء على الخمر ليشرب بالمزاج

أقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين .

٣٤ - (وفرش مرفوعة)

فيها أقوال :

١ - قيل : أى فرش رفيعة القدر والبهاء .

٢ - قيل أى منضدة مرتفعة .

٣ - قيل : أى مرفوعة على الاسرة .

٤ - قيل : الفرش ههنا النساء فكنّى بالفراش عن المرأة وإرتفاعها على الارائك ، قال الله تعالى : « هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متّكئون » ولم يذكرن بل اكتفى بذكر أوصافهنّ لمناسبة ذكر الفرش المرفوعة التى يضطجع عليها الرجال والنساء معاً .

ويدل عليه قوله تعالى : « انّا أنشأناهنّ إنشاء » .

٥ - عن الحسن والفراء : أى مرفوع بعضها فوق بعض .

٦ - عن الجبائى : أى نساء مرتفعات القدر فى عقولهن وحسنهن و كمالهن .

أقول: والثالث هو المروى بلا تناف بينه وبين أكثر الاقوال الاخر .

٣٥ - (انا أنشاناهن انشاء)

فيها قولان : عن إبن عباس : هن النساء الادميات والعجز الشمط ، فيخلقهن بعد الكبر والهرم فى الدنيا خلقاً جديداً ، فيعدن إلى حال الشباب ، و كمال الجمال والطراوة .

٢ - قيل : أى ابدعناهنّ ابداعاً من غير ولادة ، وهن الحور العين ، فلا ينتقلن من حال إلى حال بل ثابتات على هيئاتهنّ على ما خلقن .

اقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق من الفرق بين مستمتعات المقربين إذ قال : « وحور عين » ومستمتعات اصحاب اليمين من النساء المستحدثة المنشآت .

٣٧ - (عرباً أتراباً)

فيها اقوال :

١ - عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : أى عاشقات لازواجهن ، وهم

لهن عاشقون فى سنّ واحد من عرب الناقة التى تشتهى الفحل يقال لها : عربة فهنّ امثال ازواجهن فى السّن .

٢ ـ عن السدى وإبن زيد : العربة حسنة التبعّل والكلام والاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد .

٣ ـ قيل : اى متحنّنات على ازواجهن متحببات إليهم .

٤ ـ قيل : العروب اللعوب مع زوجها انساً به كأنس العرب بكلام عربى .

٥ ـ قيل : متماثلات حسناً وجمالا وشباباً ، ويتكلمن بالعربيّة .

أقول: والاخير مروى .

٤٠ ـ ٣٩ (ثلة من الاولين وثلة من الاخرين)

فيهما قولان :

احدهما ـ عن عطاء ومقاتل : اى جماعة كثيرة من الامم السابقة ، وجماعة كثيرة من هذه الامّة .

ثانيهما ـ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والزجاج وابى العالية : انّ ثلّتين جميعاً من هذه الامّة جماعة من سابقى هذه الامة وجماعة من آخريها .

أقول : والاول هو المروى ، وعليه أكثر المحققين .

٤٤ ـ (لا بارد ولا كريم)

فيها أقوال : ١ ـ عن إبن عباس وقتادة وسعيدبن المسيّب : أى لابارد المنزل والمدخل ولا كريم المنظر .

٢ ـ قيل : أى لابارد يستراح إليه لانه دخان شفير جهنم وسعيرها ولا كريم فيشتهى مثله لانه مؤلم من استظل به .

٣ ـ عن الفرّاء : أى لا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب إذا أرادت نفى صفة المدح عن شىء نفت عنه الكرم ، فتجعل الكريم تابعاً لكل شىء نفت عنه وصفاً تنوى به الذمّ ، وتقول : ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة .

٤ ـ عن الضحاك وقتادة أيضاً : لا كريم أى لاعذب .

أقول : والثاني هوالمؤيدبما يأتى من الايات من غيرتناف بينهوبين غيرهأيضاً .

٤٥ - (انهم كانوا قبل ذلك مترفين)

فى المترفين أقوال :

١ - عن إبن عباس : المترفين : المتوسّعين فى النعم الظاهرة الدنيويّة .

٢ - عن السدى : المترفين : المشركين ضعفاءهم وأقوياءهم .

٣ - قيل : المترفين : المبطرين والطاغين بالنعم الظاهرة ، والمشتغلين بما عندهم من نعم الدنيا ، وما يطلبونه منها سواء كانت قليلة ، أو كثيرة ، والغافلين عما وراءها .

فالضعفاء داخلون فى المترفين من حيث ان الانسان محفوف بالنعم سواء كانت متصلة أم منفصلة ، ظاهرة أوباطنة اذليست النعمة هى المال فحسب .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين وهو الانسب بمعناه اللغوى وهو المؤيد بالآيات الكريمة ، وبظاهر سياق قوله تعالى : « أفرايتم ما تحرثون - إلى - ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن » الواقعة : ٦٣ - ٧٢) .

٤٦ - (وكانوا يصرون على الحنث العظيم)

فى الحنث العظيم أقوال :

١ - عن الحسن والضحاك وإبن زيد وقتادة : الحنث العظيم هنا الشرك بالله سبحانه ، فكانوا هم مقيمين عليه .

٢ - قيل : الحنث العظيم نقض العهد المؤكّد الذى أخذه الله على فطرة العباد أن يؤمنوا به ويوحّدوه .

٣ - عن مجاهد وقتادة أيضاً وإبن زيد أيضاً : الحنث الذنب العظيم ، وتوصيفه بالعظيم مبالغة على مبالغة .

٤ - قيل : الحنث العظيم : جنس المعاصى الكبيرة ، والاصرار على الصغائر من غير توبة وإنابة .

٥ - قيل : الحنث العظيم اليمين الفاجرة .

٦ ـ عن الشعبى والاصم : الحنث هو القسم على إنكار البعث ، وتكذيب الحساب والجزاء المشار إليه بقوله تعالى : « وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ائنا لمبعوثون » وقوله تعالى : « واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت » وكانوا يقسمون ان لابعث وان الاصنام أنداد الله فذلك حنثهم .

أقول : والاخير مؤيد بظاهر السياق من قوله تعالى: « وكانوا يقولون ـ إلى ـ فلولا تذكّرون » السورة : ٤٧ ـ ٦٢) فتدبّر ولا تردّد .

٥٥ ـ (فشاربون شرب الهيم)

فيها قولان : أحدهما ـ عن إبن عباس وقتادة وعكرمة والسدى والضحاك : أى كشرب الهيم وهى الابل التى أصابها الهيام وهو شدّة العطش ، فلا تزال تشرب الماء حتى تموت .

ثانيهما ـ عن الضحاك أيضاً وابن عيينة والاخفش وابن كيسان : الهيم : الارض السهلة الرمليّة التى لاتروى بالماء .

وقال إبن عباس أيضاً : فيشربون شرب الرمال التى لا تروى بالماء .

أقول : والاول هو المروى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام .

٥٩ ـ (نحن خلقناكم فلولا تصدقون)

فيها أقوال :

١ ـ قيل : أى فلولا تصدقون بالخلق .

٢ ـ قيل : أى فهلا تصدقون بالبعث استدلالاً عليه بالانشاء فانّ من قدر على الانشاء قدر على الاعادة والبعث حتماً .

٣ ـ قيل : أى فلم لاتصدقون بالخلق والبعث .

٤ ـ قيل : أى نحن خلقنا رزقكم ، فهلا تصدقون ان هذا طعامكم وشرابكم ونزلكم فى جهنم إن لم تؤمنوا .

اقول : والثانى هو ظاهر السياق ، وعليه جمهور المفسرين .

٦٠ ـ (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين)

فى التقدير أقوال :

١ - عن مقاتل : أى نحن اجرينا الموت بين العباد على مقدار تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صبياً ، ومنهم من يموت شاباً ، ومنهم من يموت كهلا وشيخاً وهرماً فعجّلناه لبعض وأخّرناه عن بعض إلى أجل مسمّى .

٢ - عن الضحاك : أى قدرنا الموت بأن سوّينا فيه بين المطيع والعاصى ، وبين أهل السماء ، وأهل الارض فلا فرق فى تقدير الموت بين أهلها وأهلها .

٣ - قيل : أى قدرنا الموت بين أهل الارض من غير فرق بين وضيع وشريف ، وعالم وجاهل وذكر وانثى ، وأسود وأبيض وقيل : أى كتبنا ، وقيل : قضينا .

٤ - قيل : أى نحن قدّرنا بينكم الموت على أن نبدّل أمثالكم بعد موتكم آخرين من جنسكم ، وما نحن بمسبوقين فى آجالكم أى لايتقدم متأخّر ولا يتأخر متقدم .

أقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « وما نحن بمسبوقين » قولان : أحدهما - انّه من تمام ما قبله أى لايسبقنا أحد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد فى مقدار حياته ، فلسنا بمغلوبين فى عروض الموت عن الاسباب المقارنة له بأن نفيض عليكم حياة نريد أن يدوم ذلك عليكم ، فتسبقنا الاسباب ، وتغلبنا بالموت الحياة التى كنا نريد دوامها ، وكذلك فى جانب الزيادة .

ثانيهما - انه ابتداء كلام يتصل به مابعده والمعنى : وما نحن بمغلوبين عاجزين على اهلاككم ، وابدالكم بأمثالكم .

أقول : إن استمرار الآية يؤيد الاول ، فتدبّر .

٦١ - (على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون)

فيها أقوال :

١ - عن الزجاج : أى لايغلبنا أحد لو أردنا أن ننشئكم فى خلق آخر مما لاتعلمونه من إعادتكم فى الوقت الذى اريده وعلى الوجه الذى اريده .

فنحن قادرون على احياءكم وانشاءكم ثانياً ، وإن كنتم لاتعلمون النشأة الثانية فلقد علمتم النشأة الاولى ، فننشأكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفة

فان المؤمن يخلق على أحسن هيئة وأجمل صورة ، والكافر على أقبح صورة .

٢ ـ قيل : أى لوأردنا أن نخلق خلقاً غيركم ، فنذهبكم ونأتى مكانكم بأشباهكم بجنسكم من الخلق والاطوار ، فلسنا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلاً منكم ، فنميت طائفة ونبدّلها بطائفة اخرى قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ولا يمنعنا أحد .

٣ ـ عن الحسن : أى لوأردنا تغيير صوركم وأشكالكم وإنشاءكم فى حالة اخرى ، أو أوصاف اخرى ، أو أماكن اخرى لاتعلمونها كما فعلنا باليهود فمسخناهم قردة وخنازير بسبب كونهم « يحرّفون الكلم عن مواضعه » ويغيّرون كل آن حكم الله تعالى كما غيّروا حكم الزنا من الرجم إلى أربعين جلدة ، وحكم القود من القتل إلى الدية حتى كثر فيهم القتل ، وغير ذلك من الاحكام التى غيّروها واحداً بعد واحد لم نسبق ولا فاتنا ذلك .

٤ ـ قيل : أى فكما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لانعجز عن أحوالكم بعد موتكم .

٥ ـ قيل : أى ننشئكم فى عالم لاتعلمون ، وفى مكان لاتعلمون .

٦ ـ عن مجاهد : أى فى أىّ خلق شئنا .

٧ ـ عن سعيد بن جبير : أى فيما لاتعلمون يعنى فى حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف ، وبرهوت واد فى اليمن .

٨ ـ قيل : انما قيل ذلك لانّهم علموا حال النشأة الاولى كيف كانت فى بطون الامهات ، وليست الثانية كذلك لانها تكون فى وقت لايعلمه العباد .

أقول : والاول هو المؤيد بالرواية الآتية مع التقارب بينه وبين الخامس والثامن معنى فتدبّر .

٦٢ ـ (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون)

فى النشأة الاولى أقوال :

١ ـ عن قتادة والضحاك : النشأة الاولى هى خلق آدم عليه السلام من تراب وطين .

٢ ـ عن مجاهد : النشأة الاولى : هى فى بطون الامهات من كون الانسان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة ولم يك شيئاً .

٣ ـ قيل : النشأة الاولى : نشأة الدنيا من مرحلة الرحم والولادة الى الموت .

أقول: والاخير هو المروى ، وعليه أكثر المفسرين .

٦٥ ـ (لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون)

فيها أقوال :

١ ـ عن عكرمة وقتادة والحسن : أى تندمون وتتأسفون على نفقاتكم وبذر كم كقوله تعالى : « فاصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها » .

٢ ـ عن إبن عباس ومجاهد وعطاء والكلبى ومقاتل : أى تتعجّبون مما نزل بكم فى زرعكم

٣ ـ عن عكرمة : أى يلوم بعضكم بعضاً على التفريط فى طاعة الله ، وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التى أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم فى زرعكم .

٤ ـ عن إبن كيسان : أى تحزنون وتتحسّرون مما وقع عليكم .

أقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين .

٦٦ ـ ٦٧ (انا لمغرمون بل نحن محرومون)

فيهما أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة : أى انّا لمعذّبون مجدودون عن الحظ .

٢ ـ عن الضحاك وابن كيسان : أى انّا قد ذهب ما لنا كلّه ونفقتنا ، وضاع وقتنا ، فلم نحصل على شيء .

٣ ـ قيل : أى أنتم تقولون . غرمنا اموالنا ، والحب الذى بذرناه فخسرنا اتعابنا ونفقاتنا إذ صار ما انفقنا فى حراثنا غرماً علينا بل نحن ممنوعون عن الرزق والخير اذ حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع .

٤ ـ عن عكرمة ومجاهد أيضاً : أى انّا لمولع بنا .

٥ ـ عن مجاهد ايضاً : اى انّا لملقون فى الشرّ .

٦ ـ عن قتادة ايضاً : اى انا لمحارفون ، ومبخوسون من الحظ ، وممنوعون

من الخير والرزق .

٧ ـ عن مقاتل بن حيان والنحاس : أى انّا لمهلكون .

٨ ـ عن مرّة الهمدانى : اى انّا لمحاسبون .

اقول : وعلى الثالث أكثر المحققين .

٧٢ ـ (ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)

فى الشجرة قولان :

احدهما ـ انها شجرة رطبة خضرة ، وهى المرخ والعفار والكلخ تقدح منهـا النار .

ثانيهما ـ اريد بها جميع الاشجار التى توقد منها النار .

وان العرب تقدح بالزند والزندة وهى خشب يحك بعضها ببعض ، فتخرج منها النار .

وفى المثل : « فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » أى استكثرا منها كأنّهما اخذا من النار ما هو حسبهما .

أقول: وعلى الاول اكثر المفسرين .

٧٣ ـ (نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين)

فى قوله تعالى : « نحن جعلناها تذكرة » اقوال :

١ ـ عن مجاهد وقتادة وعكرمة : اى نحن جعلنا نار الدنيا تذكرة للنار الكبرى فى الاخرة ، وتبصرة للناس من الظلام ، فتتعظون بها ولا تنسون نارجهنم .

٢ ـ قيل : أى جعلنا تلك النعم التى تقدّم ذكرها تذكرة لحقّ الله تعالى فيتعظون بها ويشكرون له جلّ وعلا .

٣ ـ قيل : اى انّها تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها ، فيعلم انّ من قدر عليها وعلى إخراجها من الشجر الاخضر الرطب قدر على النشأة الثانية .

أقول: وعلى الاول اكثر المفسرين والاخير غير بعيد .

وفى « متاعاً للمقوين » اقوال :

١ ـ عن مجاهد : اى منفعة و بلغة للمستمتعين بالنار من الناس اجمعين من

المسافر والحاضر والغني والفقير في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة فيتذكرون بها نار جهنم، فيستجيرون بالله تعالى منها.

وقال قطرب والمهدوى : المقوين: الاغنياء والفقراء وذلك لان المقوى من الاضداد فيكون بمعنى الفقير والغني، فالآية تصلح للجميع حيث ان النار يحتاج إليها المسافر، والمقيم والغني والفقير.

٢ ـ عن ابن زيد : أى للجائعين في إصلاح طعامهم، يقال : بات فلان القواء اذا بات جائعاً على غير طعم.

٣ ـ عن إبن عباس والسدى والربيع : المقوين : المنزلين لازناد معهم يعني ناراً يوقدون، فيختبزون بها.

وقال الضحاك : النار منفعة للمسافرين وسمّوا بذلك لنزولهم القوى وهو القفر.

وقال الفرّاء : يقال للمسافرين السائرين : مقوين إذا نزلوا القيء وهي الارض القفر التي لاشيء فيها.

أقول : ولا منافاة بين الاقوال فتدبّر.

٧٥ ـ (فلا اقسم بمواقع النجوم)

في « فلا اقسم » أقوال : ١ ـ عن أبي مسلم الاصبهاني والقشيري : أى لااقسم على تلك الامور، وهذه الاشياء فان أمرها أظهر وآكد من أن يحتاج فيه إلى الحلف واليمين.

٢ ـ عن سعيدبن جبير : « لا » زائدة والمعنى : فاقسم بدليل قوله : « وانه لقسم » كأنه ينفي ماسوى المقسم عليه، فيفيد التأكيد.

٣ ـ عن الفراء : « لا » للنفي والمعنى : ليس الامر كما تقولون ثم استأنف « اقسم » وقد يقول الرجل : لا والله ماكان كذا فلا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدم أى ليس الامر كما ذكرت بل هو كذا.

٤ ـ قيل : « لا » بمعنى « ألا » للتنبيه فنبّه تعالى بهذا على فضل القرآن الكريم ليتدبّروا فيه، وانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا.

أقول : والثاني هو المروى وعليه أكثر المفسرين.

وفى « بمواقع النجوم » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس والسدى وعكرمة : اريد بالنجوم نجوم القرآن وسوره فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متفرّقاً نجوماً .

فكأنه تعالى اقسم بنزول القرآن نجوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اللوح المحفوظ ، فنزله نحو بضع وعشرين سنة على الاحداث من امّته .

٢ ـ قيل : أقسم الله تعالى بقلب رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه محل وقوع نزول القرآن الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ قيل : مواقع النجوم : قلوب العلماء والمؤمنين وموضع نزول الملائكة .

٤ ـ عن مجاهد وقتادة : مواقع النجوم : مغارب الكواكب ومشارقها .

٥ ـ قيل : مغارب النجوم وحدها ، فان عندها سقوط النجوم .

٦ ـ عن عطاء وقتادة أيضاً : مواقع النجوم : منازلها وبروجها ، فكأنه تعالى أقسم بقدرته على مساقطها ومجاريها فى أفلاكها .

٧ ـ عن الحسن وقتادة أيضاً : مواقع النجوم : هى التى تسقط عليها الكواكب وتتناثر ليوم القيامة .

٨ ـ قيل : أى مواقع الرجوم وزمانه لانها حدثت عند مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحين بعثته .

٩ ـ قيل : أى رجومها للشياطين عند المزاحمة وتسمّعهم إلى الملأ الاعلى كما فى أوائل سورة الصافات .

١٠ ـ عن الضحاك : مواقع النجوم : هى الانواء التى كان أهل الجاهليّة إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا ، وكان المشركون يقسمون بها ، فقال الله تعالى : « فلااقسم بها »

١١ ـ عن إبن مسعود ومجاهد أيضاً : مواقع النجوم : محكمات القرآن ، وعن إبن عباس : أى مستقرّ الكتاب أوّله وآخره .

أقول : والعاشر هو المروىّ وإن كان السادس والخامس والرابع غيربعيد .

٧٧ ـ (انه لقرآن كريم)

فيها أقوال :

١ ـ قيل : كريم أى غير مخلوق .

٢ ـ قيل : كريم أى لما فيه من كريم الاخلاق ومعالى الامور .

٣ ـ قيل : لانّه يكرّم حافظه ، ويعظم قارئه والعامل باحكامه .

٤ ـ قيل : أى كريم على أهل السماء وأهل الارض ، وليس بسحر ولا كهانة وليس بمفترى .

وقيل : لانه جليل القدر بين الكتب السماويّة .

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

٧٨ ـ (فى كتاب مكنون)

فيها أقوال :

١ ـ عن إبن عباس وجابربن زيد : الكتاب هنا كتاب فى السماء وهذا فى الصحف التى بأيدى الملائكة ، فالمعنى : انّ القرآن فى صحف مستور عن عيون الناس .

٢ ـ قيل : أى مصون عند الله تعالى ، وهو اللوح المحفوظ اثبت الله تعالى فيه القرآن .

٣ ـ عن مجاهد وقتادة : هو المصحف الذى بأيدينا محفوظ عن الباطل .

٤ ـ عن عكرمة : التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن ، ومن ينزل عليه .

٥ ـ عن السدى : أى الزبور .

أقول : والثالث هو الانسب بظاهر السياق وخاصة التنزيل فى قوله تعالى : « تنزيل من رب العالمين » .

٧٩ ـ (لايمسه الا المطهرون)

فيها أقوال :

١ ـ عن سعيد بن جبيرومجاهد وجابربن زيد وانس والكلبى : المطهرون

هم الملائكة الذين في السماء ، فلا يطلع على اللوح إلاّ المطهرون عن الكدورات الجسمانيّة .

٢ - عن إبن عباس وأبي العالية وإبن زيد والربيع بن أنس والكلبي أيضاً : أي هم الذين قد طهروا من الذنوب من الملائكة والمرسلين والانبياء عليهم السلام فهم يتلونه على الناس ، وهم مطهرون من أرجاس الشرك والمعصية .

٣ - عن عكرمة وقتادة : أي لايمسّه عند الله الا المطهرون وأما عند الناس فيمسّه المشرك والمجوسي والمنافق مع كون المشرك ظاهر النجاس والثاني باطن النجاسة .

٤ - عن طاووس وعطاء وسالم وقتادة وهذا مذهب مالك و الشافعي : هذا إخبار بمعنى الانشاء أي لايمس القرآن إلا من كان طاهراً عن قذارة باطنية ، ولم يكن محدثاً اما بالوضوء واما الغسل لايحتاج الانسان بعده إلى الوضوء مالم يحدث فلا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث : الصغيرة والكبيرة ، فلا يمسه كافر ولا جنب ولامحدث من الحدث الاصغر والاكبر لقول رسول الله ﷺ : « لايمس القرآن الاّ طاهر » يشمل الطهارة من الاصغر والاكبر .

٥ - قيل : لايمسّ القرآن الا من كان طاهراً من الحدث : الاصغر والاكبر والمراد بمسّه مسّ كتابته .

٦ - قيل : لا يمسه ، أي لا ينزل به إلا الملائكة على الانبياء والمرسلين عليهم السلام .

٧ - قيل : أي لا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلاّ الملائكة المطهرون .

٨ - عن محمد بن فضيل وعبيدة : أي لايقرؤه الا الموحدون .

٩ - عن الفراء : أي لايجد طعمه ونفعه وبركته إلا المؤمنون بالقرآن .

١٠ - عن الحسين بن الفضل أي لايعرف تفسيره ولا تأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق .

١١ ـ عن إبي بكر الورّاق : أي لا يوفق للعمل بالقرآن إلا السعداء .

١٢ ـ عن إبن العربي : أي لايمسّ ثوابه الا المؤمنون .

١٣ ـ عن عكرمة : أي لايمس القرآن الا حملة التوراة والانجيل .

أقول : والخامس هو المؤيد بالروايات الآتية .

٨١ ـ (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون)

١ ـ عن إبن عباس والضحاك وعطاء : أي مكذّبون بما أخبرناكم من أمر البعث والحساب والجزاء ، وتصنيف الناس بأصناف ثلاثة .

٢ ـ عن مجاهد : أي ممالئون للكفار على الكفر به ، ومن يتكلم منه ، فتركنوا إليهم وتهاونوا ، فلا تظهرون لهم المخالفة وعدم الرضا ؟ .

٣ ـ قيل : أي منافقون على التصديق به فتقولون آمنّا به ظاهراً وتدهنون فيما بينكم ، وبين المشركين خفاء ، فقلتم إنا معكم .

والمدهن : الذى ظاهره خلاف باطنه كأنّه شبه بالدهن فى سهولة ظاهره ، والادهان والمداهنة : التكذيب والكفر والنفاق .

٤ ـ عن قتادة ومقاتل : أي كافرون نظير قوله تعالى : « ودّوا لو تدهن فيدهنون » .

٥ ـ عن الضحاك : أي معرضون .

٦ ـ عن إبن كيسان : هم الذين لايعقلون ما حق الله عليهم فيدفعون بالتعلل .

٧ ـ عن بعض اللغويين : أي تاركون للجزم فى قبول القرآن .

٨ ـ قيل : أي مترددون .

أقول: والاول هو المؤيّد بظاهر السياق .

٨٢ ـ (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون)

فيها أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد والضحاك : أي وتجعلون شكر رزقكم التكذيب على حذف المضاف ، فالمعنى : وضعتم التكذيب موضع الشكر ، وانما صلح أن يوضع إسم الرزق مكان شكره لان شكر الرزق يقتضى الزيادة فيه ، فيكون الشكر رزقاً

على هذا المعنى .

وذلك كقول القائل لاخر: جعلت احساني إليك إساءة منك إلى" بمعنى جعلت شكر إحساني أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إلى .

وقال إبن عباس : أصاب الناس عطش في بعض اسفاره ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله فسقوا ، فسمع رجلا يقول : مطرنا بنوء كذا فنزلت الاية .

فالمعنى : وتجعلون شكر ما رزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى ، وتنسبونه إلى النجوم .

٢ ـ عن قتادة والحسن : اى وتجعلون حظكم من القرآن الذى رزقكم الله تعالى التكذيب به .

والمعنى : وتجعلون التكذيب مكان هذا الرزق الذى رزقناكم .

٣ ـ قيل اى وتجعلون حظكم من الخير الذى لكم ان تنالوه بالقرآن انكم تكذبون به .

٤ ـ قيل : اى وتجعلون كل همكم تكذيب ما يؤكد الله وقوعه .

أقول: والاول هو المروى .

٨٤ـ (وأنتم حينئذ تنظرون)

فيها اقوال :

١ ـ عن إبن عباس : اى ترون ايها الاقرباء والاحباء للميت الذين حوله تلك الحال إلى ان تخرج نفسه .

فالمعنى : فهلا إذا بلغت نفس احدكم الحلقوم عند النزع ، وانتم حاضرون عنده امسكتم روحه في جسده مع حرصكم على إمتداد عمره ، وحبكم لبقائه ، وهذا رد" لقولهم : « نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » الجاثية : ٢٤) .

فلولا تردون عن ميتكم ملائكة الموت إن كنتم غير مقهورين تحت قدرتنا وإرادتنا ، وحين بين انه لاقدرة لهم على رجع الحياة والنفس إلى البدن .

٢ ـ قيل : أى تنظرون لايمكنكم الدفع ولا تملكون له شيئاً ، فهل ردوا روح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم ، فهذا رد" عليهم في قولهم لاخوانهم : « لو

كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا »

فالخطاب لمن حضر الميت من أهله وغيرهم ، فيشمل الغائب والحاضر وذلك إذ ربما يخاطب الجماعة بالفعل كأنهم أهله وأصحابه ، والمراد به بعضهم غائباً كان أم حاضراً ، فيقول : قتلتهم فلاناً والقاتل منهم واحد إما غائب واما حاضر .

٣ ـ قيل : أى وأنتم أيها المحتضرون تنظرون ملك الموت وترون أمرى وسلطانى .

فالخطاب لمن هو فى النزع أى إن لم يك ما بك من الله تعالى فهلا حفظت على نفسك الروح .

أقول : والاخير هو المروى ، والمؤيد بظاهر سياق الخطاب .

٨٥ ـ (ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون)

فيها أقوال :

١ ـ قيل : أى نحن أقرب إلى الميت علماً وقدرة وتصرّفاً منكم ، حيث لا تعرفون من حاله إلاّ ما تشاهدونه من آثار الشدّة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيّتها وأسبابها .

٢ ـ قيل : أى لاتدركون الله تعالى بالبصر لقوله تعالى : « وما تدركه الابصار وهو يدرك الابصار »

٣ ـ قيل : أى نحن أقرب إلى الموت الذى يقبض أرواحكم منكم ، ولكن لاتدركون حقيقته ولا تتصورونها .

اقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٨٦ ـ (فلولا ان كنتم غير مدينين)

فيها أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة وإبن زيد والحسن : أى غير محاسبين فى حياتكم ومماتكم .

٢ ـ عن الحسن أيضاً : أى غير مبعوثين يوم القيامة للجزاء .

٣ ـ قيل : أى غير مربوبين ومملوكين ولا مقهورين لاحد .

٤ - قيل : أي غير مجزيّين بأعمالكم لقوله تعالى: « مالك يوم الدين » وقول النبى الكريم ﷺ : « كما تدين تدان »

اقول : والاخير هو الظاهر المؤيّد بالايات والروايات الآتية .

٨٩ - (فروح وريحان وجنت نعيم)

فى « فروح وريحان » أقوال :

١ - عن ابن عباس ومجاهد : كلاهما بمعنى الراحة من الدنيا ، والاستراحة من تكاليفها ومشاقّها .

٢ - عن سعيد بن جبير : الروح : الفرح والسرور والريحان : الرزق .

وقال مجاهد ايضا ومقاتل : الروح : الاطمينان للنفس، والريحان : الرزق الواسع الحسن . فالمعنى : إن كان المتوفى من المقرّبين ، فله أوفجزائه راحة من كل هم وغمّ وألم ورزق من رزق الجنة فتخرج روحه فى ريحانه .

٣ - قيل : الروح : البقاء والخلود فى الجنة والريحان الرزق فيها .

٤ - عن الحسن : الروح : الرحمة لانّها كالحياة للمرحوم ، والريحان : كل نباهة وشرف .

٥ - عن الضحاك : الروح : الرحمة والمغفرة والريحان : الاستراحة .

٦ - قيل : الروح : روح الانسان والريحان : الشجر المعروف فى الدنيا يلقى المقرّب فى الجنة .

٧ - قيل : الروح : النسيم الذى تستريح لديها النفس والريحان : ظرف كل بقلة طيبة فيها أوائل النور .

٨ - قيل : الروح : السلام والريحان مما تنبسط به النفوس .

٩ - عن الحسن وأبى العالية وقتادة : الروح : الراحة والريحان هو الذى يشمّ الميت حين الاحتضار من ريحان الجنة وبشمّه يتوفى .

١٠ - قيل : الروح هى فى الدنيا أن ينظر الله تعالى بروحه وبنوره إلى قلب المؤمن ، فيعرف به الحق والباطل كما قال : « وأيّد بروح منه » والريحان هذا فى العقبى .

١١ ـ قيل معناهما حياة دائمة لا موت بعدها .

١٢ ـ عن قتادة: الروح النجاة من النار والريحان الدخول فى دار القرار.

١٣ ـ عن الربيع بن خثيم والقتبى: روح فى القبر وريحان فى الجنة ، وقيل ريحان يوم القيامة .

١٤ ـ عن أبى العباس بن عطاء : الروح النظر إلى وجه الله والريحان الاستماع بكلامه ووحيه .

١٥ ـ قيل: أى فللمقربين استراحة وهذه أمر يعمّ الروح والبدن إذ يطيب به ، ويسعد فيه والريحان هو الرزق وهذا للبدن .

اقول: والثالث عشر هو المروى من غير تناف بينه وبين أكثر الاقوال الاخر .

٩١ ـ (فسلام لك من اصحاب اليمين)

فيها أقوال:

١ ـ عن إبن مسعود وقتادة والضحاك اى تقول الملائكة للمتوفى : السلام عليك هذا عند قبض الروح .

وذلك إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرءك السلام قال الله تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ».

٢ ـ قيل: أى فترى أيها النبى صلى الله عليه وآله فيهم ماتحب لهم من السلامة من المكاره والخوف ، فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من العذاب .

٣ ـ عن الفراء أى فسلام لك انك من أصحاب اليمين على حذف « انك » .

٤ ـ قيل : أى فسلام لك منهم فى الجنّة لانّهم يكونون معك ويكون لك بمعنى عليك .

٥ ـ قيل: أى سلام لك منهم أى أنت سالم من الاغتمام لهم وهذا عند مسئلته فى القبر ، فيسلّم عليه منكر ونكير .

٦ ـ قيل : أى ان أصحاب اليمين يدعون لك يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بأن يصلّى الله تعالى عليك ، وهم يصلّون ويسلّمون .

٧ ـ عن ابن زيد : أى سلمت ايها العبد مما تكره فانك من أصحاب اليمين

وهذا عنه بعثه يوم القيامة فتسلّم عليه الملائكة .

٨ ـ قيل : فسلام لك ايها النبى ﷺ من أصحاب اليمين اى انت سالم من شفاعتهم .

٩ ـ عن الزمخشرى : اى فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك اصحاب اليمين كقوله تعالى « وتحيّتهم فيها سلام » إذا استقبل بعضهم إلى بعض .

اقول: والسادس هو المروى من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

٩٥ - (ان هذا لهو حق اليقين)

فيها أقوال :

١ ـ قيل : أى هذا الذى قصصناه محض وخالصه ، وجاز إضافة الحق إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما.

٢ ـ عن المبرد : حق اليقين هـو عين اليقين ومحض اليقين وهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه .

٣ ـ قيل : أى حق الامر اليقين على حذف الموصوف كما يقال : ذلك دين القيمة أى ذلك الملّة القيّمة وذلك حق الامر اليقين .

٤ ـ عن مجاهد : أى الخبر اليقين .

٥ ـ قيل : أصل اليقين أن يكون نعتاً للحق فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز كقوله تعالى : « ولدار الاخرة » .

٦ ـ عن قتادة : أى ان الله تعالى ليس بتارك أحداً من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن ، أما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة ، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لاينفعه اليقين .

أقول : والمعانى متقاربة فتدبّر .

٩٦ ـ (فسبح باسم ربك العظيم)

فيها أقوال :

١ ـ قيل : فنزّهه تعالى عن السوء والشرك وعظّمه بحسن الثناء عليه على

زيادة الباء ، فالمعنى : سبّح اسم ربك ، والاسم المسمى .

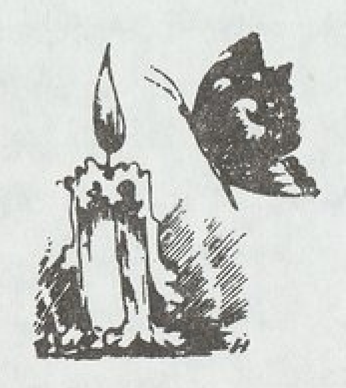
٢ ـ قيل : أى نزّهه عما لايليق به ، فلا تضف إليه صفة أو عملاً قبيحاً .

٣ ـ قيل: أى قولوا : سبحان ربى العظيم ، والعظيم فى صفة الله تعالى معناه : ان كل شيء سواه يقصر عنه ، فانه القادر العالم الغنى الذى لا يساويه ، ولا يخفى عليه شيء جلّت آلاءه وتقدست أسماءه .

٤ ـ قيل : أى فصلّ بذكر ربك وبأمره .

٥ ـ قيل : أى فاذكر اسم ربك العظيم وسبّحه .

اقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق والمقام .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (اذا وقعت الواقعة)

إذا حدثت الحادثة الهائلة ، وجائت القيامة فجأة ، شديدة وقعها وعظيمة شدائدها ، وما فيها من الاهوال . .

قال الله تعالى : « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فد كتا دكّة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » الحاقة : ١٣ ـ ١٥) .

وقال: « يسئلونك عن الساعة أيّان مرسيها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم إلا بغتة » الاعراف : ١٨٧) .

وقال : « إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة مما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » الحج : ١ ـ ٢) .

وقال : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ » القمر : ٤٦) .

٢ - (ليس لوقعتها كاذبة)

ليس لوقوع القيامة ريب ، ولا فى وعدها خلف ولا فى الاخبار بوقوعها كذب ، فقيامها جد لاهزل فيه فتقع صدقاً وحقاً .

قال الله تعالى : « وأن الساعة آتية لاريب فيها » الحج : ٧) .

وقال : « وإذا قيل انّ وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ما الساعة إن نظن إلا ظنّاً وما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٣٢) .

وقال :« إن الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون » غافر: ٥٩)

٣ـ (خافضة رافعة)

تخفض القيامة أصحاب الشمال المكذبين الضالين فانهم « فى نزل من حميم وتصلية جحيم » وترفع المقربين وأصحاب اليمين فانهم « على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ـ فى سدر مخضود وطلح منضود ـ وفرش مرفوعة » .

٤ ـ (اذا رجت الارض رجاً)

إذا حركت الارض حركة شديدة فدقت دقاً عنيفاً ، فينهدم كل شيء فوقها من الانسان والحيوان والنبات والجماد من البحر والبرّ والسهل والجبل ، ومن فيها من الموتى للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « كلا إذا دكّت الارض دكّاً دكّاً » الفجر : ٢١) .

وقال : « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحمّلت الارض والجبال فدكّتا دكّة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » الحاقة : ١٣ ـ ١٥) .

وقال : « يوم تشقّق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير » ق : ٤٤) .

وقال: « وماقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويّات بيمينه ـ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون» الزمر: ٦٧ـ٦٩)

٥ ـ (وبست الجبال بساً)

وقلعت الجبال من أصلها وسيّرت عن وجه الارض تسييراً وفتتت فتتاً فتصير كالسويق

قال الله تعالى : « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً » طه : ١٠٥ ـ ١٠٧) .

وقال : « وتنشقّ الارض وتخرّ الجبال هدّاً » مريم : ٩٠).

وقال : « ويوم نسيّر الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » الكهف : ٤٧)

٦ ـ (فكانت هباءاً منبثاً)

فصارت الجبال كالذرّات الخفيفة المنتشرة فى الفضاء فتكون كالعهن المنفوش

نظير ما يرى فى شعاع الشمس إذ دخل من الكوة .

قال الله تعالى : « يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا » المزمل : ١٤)

وقال : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » القارعة : ٥) .

٧ - (وكنتم ازواجاً ثلاثة)

وكنتم يوم القيامة أصنافاً ثلاثة وكل صنف منها يشاكل ما هومنه قال الله تعالى : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم » الصافات : ٢٢ - ٢٣) .

وقال : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الاخرة أعمى وأضل سبيلا » الأسراء : ٧١ - ٧٢) وقال : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » فاطر : ٣٢) .

٨ - (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة)

هم أصحاب اليمين ، وهم المؤمنون الناجون يؤتيهم كتابهم بيمينهم يوم القيامة ، فيحاسبون حساباً يسيراً ، وينقلبون إلى أهلهم مسرورين .

قال الله تعالى : « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك أصحاب الميمنة » البلد : ١٧ - ١٨) .

وقال : « فأما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً » الانشقاق : ٧ - ٩) .

وقال : « فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلا » الأسراء : ٧١)

٩ - (واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة)

وهم أصحاب الشمال المكذبون الضالون يوتيهم كتابهم بشمالهم يوم القيامة فيحاسبون حساباً شديداً فيغلّون فيسلكون الى الجحيم .

قال الله تعالى : « واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه

ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » الحاقة : ٢٥ ـ ٣٢)

١٠ ـ (والسابقون السابقون)

هم انبياء الله تعالى ونبينا محمد صلى الله عليه وآله أفضلهم وهم أوصياء الله جل وعلا الذين اختصّهم بالخلافة أفضلهم الامام على بن أبيطالب عليه السلام وهم خيرة الله تعالى الذين أيدهم بخمسة ارواح : الروح القدس ، روح الايمان ، روح القوّة ، روح الشهوة ، وروح المدرج .

قال الله تعالى : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » ص : ٤٧) .

وقال : « وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » الانبياء : ٧٣) .

وقال : « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين» الانبياء : ٩٠)

وقال : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » فاطر : ٣٢) .

١١ ـ (اولئك المقربون)

وهم السابقون الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعلت مراتبهم إلى ماليس ورائه علوّ إلا الله تعالى ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكيّة .

وهم الذين يقربون من رحمة الله فى أعلى المراتب وإلى جزيل ثواب الله جل وعلا فى أعظم الكرامة لكمالهم فى الايمان والطاعة وصالح العمل يدور عليها ايمان سائر الناس وطاعتهم وصالح عملهم ، وهم يشهدون عليها .

قال الله تعالى : « كلا ان كتاب الابرار لفى علّيّين وما أدراك ما علّيون كتاب مرقوم يشهده المقرّبون » المطففين : ١٨ ـ ٢١).

١٢ ـ (فى جنات النعيم)

كل واحد من السابقين المقربين فى جنة النعيم يتنعّمون فيها بما لا عين

رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر .

١٣ - (ثلة من الاولين)

ان جماعة من المقربين هم أخصّاء من الامم الماضية للانبياء السابقين ويعبّر في القرآن عن الامم السالفة بالاولين إطلاقاً : سواء ذكروا بالاخرين معاً أم لا .

قال الله تعالى : « وانه لفي زبر الاولين » الشعراء : ١٩٦) .

وقال : « فهل ينظرون الا سنّة الاولين » فاطر : ٤٢) .

وقال : « هذا يوم الفصل جمعنا كم والاولين » المرسلات : ٣٨) .

وقال « : إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » المطففين : ١٣) .

١٤ - (وقليل من الاخرين)

وهؤلاء الاخصّاء السابقون المقربون قليل من أمّة محمد ﷺ ولا يخفى ان تقسيم السابقين المقربين بجماعتين : جماعة كثيرة من أخصّاء الانبياء السابقين ، وجماعة قليلة من أخصاء نبينا محمد ﷺ غير تقسيم أصحاب اليمين بقسمين : جماعة كثيرة من الامم السابقة ، وجماعة كثيرة من هذه الامة المسلمه إذ قال : « لاصحاب اليمين ثلّة من الاولين وثلة من الاخرين » الواقعة : ٣٨ - ٤٠) .

فالسابقون المقربون يكونون في الامم السابقة أكثر منهم في هذه الامة وأما اصحاب اليمين فيوجدون في كلا القبيلين كثيراً .

١٥ - (على سرر موضونة)

وهؤلاء السابقون المقربون في الجنة مجالسهم على سرر منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر .

١٦ - (متكئين عليها متقابلين)

وهم في حال من الطمأنينة والامن والرضوان مستندين على تلك السرر إتكاء إسترواح واسترخاء متحاذين كل واحد منهم بازاء الاخر ، وذلك أعظم في باب السرور ، فينظر بعضهم إلى وجه بعض لحسن معاشرتهم وتهذيب أخلاقهم ، ولاينظر في قفاه لعيب وحقد وعداوة . قال الله تعالى : « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين » الحجر : ٤٧) .

١٧ - (يطوف عليهم ولدان مخلدون)

يطوف على هؤلاء السابقين المقربين غلمان وخدم ، وهم اولاد الصغار من أهل الدنيا الذين ماتوا صغاراً ، فلا حسنة لهم ، فيثابوا بها ، ولا سيئة فيعاقبوا عليها وهم يخدمون لمولاهم في الجنة من غير غفلة و كسل ولا توان وملال وهم باقون على هيئتهم من حداثة السّن فلا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيّرون ، وهم دائماً على الصفة التي تسرّ المخدوم إذا راى الخادم عليها .

قال الله تعالى : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً » الانسان : ١٩) .

١٨ - (بأكواب وأباريق وكأس من معين)

بالقداح الواسعة الرؤوس لاخراطيم لها ، وبالقداح التي لها خراطيم وعرى وهي التي تبرق من صفاء لونها ، وبكأس ممتلاء من خمر ظاهرة للبصر ، جارية من العيون ، فلا تعصر عصراً صافية نقية رقيقة ، فلا تنقطع أبداً ، فيطلبون منها ما يريدون ، وحيثما يشاؤن .

قال الله تعالى : « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديراً ويسقون فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمى سلسبيلاً » الانسان : ١٥ - ١٨) .

١٩ - (لايصدعون عنها ولا ينزفون)

لايأخذهم من شرب الخمر الاخروية صداع ، ولا يعرضهم وجع في رؤسهم ، ولا يصرفون عنها ولا تذهب عقولهم بالسكر ، ولا تستهلك لذّتها بسرعة ففيها لذة بلا أذى : أذى في جسمهم ولا في عقلهم بخلاف شراب الدنيا إذ فيها صداع وجنون ووطأة شيطان . . .

قال الله تعالى في وصف خمر الاخرة : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » الصافات : ٤٧) .

وقال : « وأنهار من خمر لذة للشاربين » محمد صلى الله عليه وآله : ١٥) .

وفي مضرات خمر الدنيا : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

٢٠ - (وفاكهة مما يتخيرون)

ويطوف الولدان المخلّدون على هؤلاء السابقين المقرّبين بفاكهة كثيرة : كثيرة الانواع مختلفة الالوان والمطاعم مما يشاؤنه ويختارونه ماتميل إليه أنفسهم. قال الله تعالى: « وأنهم عندنا لمن المصطفين الاخيار - يدعون فيها بفاكهة كثيرة » ص : ٤٧ - ٥١) .

وقال : « يدعون فيها بكل فاكهة آمنين » الدخان : ٥٥) .

٢١ - (ولحم طير مما يشتهون)

ويطوف عليهم الولدان بأنواع لحوم الطير مما تشتهيه أنفسهم وتطلبه ، فان أهل الجنة إذا اشتهوا لحم طير خلق الله تعالى لهم الطير نضيجا مقلياً مشوياً لديهم فلا تحتاج إلى الذبح والطبخ .

٢٢ - (وحور عين)

لهؤلاء السابقين المقربين في جنات النعيم نساء شديدات سواد العيون وبياضها تزيدهن جمالا ، وفتنة فيبدون مكحلة واسعة العيون النجلاء في جمال باهر وسحر آسر .

٢٣ - (كامثال اللؤلؤ المكنون)

وهم يتمتعون بنساء بيض مشرقات الوجوه ، وهن في تشاكل أجسادهن في الحسن والصفاء من جميع جوانبهن كالدر المصون المخزون في الصدف الذى لم يتغيّر لونه بالتعرض للشمس أو الهواء ولم تمسّه يد ، ولم يقع عليه غبار ، فهو أشدّ ما يكون صفاء وتلألأ ، فهن غير مبتذلات باللمس وطلاقة العنان في الطرقات مرئى كلّ عين . . قال الله تعالى : « وعندهم قاصرات الطرف عين كأنّهن بيض مكنون » الصافات : ٤٨ - ٤٩) .

٢٤ - (جزاءاً بما كانوا يعملون)

ان كل تلك النعم الاخروية التي تساق إلى هؤلاء المقربين إنما هي جزاء سبقهم في الايمان والطاعات وصالح الاعمال وتقربهم إلى الله تعالى في الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين » الزمر : ٣٣ - ٣٤) .

وقال : « ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون » المطففين : ٢٢ - ٢٨) .

٢٥ - (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً)

لا يسمع هؤلاء المقربون في الجنة ما لا فائدة فيه من الكلام ، ولا يقول بعضهم لبعض : أثمت اذ لا تخالف ولا اثم هناك .

قال الله تعالى : « يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم » الطور : ٢٣) .

وقال : « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية » الغاشية : ٨ - ١١) .

٢٦ - (الا قيلا سلاماً سلاماً)

لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلمك الله سلاماً بدوام النعمة وكمال العطية أو يتداعون بالسلام على حسن الاداب ، وكريم الاخلاق اللذين يوجبان التواد .

قال تعالى : « وتحيتهم فيها سلام » يونس : ١٠) .

ومن غير بعيد أن يكون السلام من أصحاب اليمين لهؤلاء المقربين قال الله تعالى : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » الفرقان : ٧٤ - ٧٦) .

٢٧ - (وأصحاب اليمين ما اصحاب اليمين)

وهم أصحاب الميمنة الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين الذين اعطوا

كتابهم بايمانهم يا محمد ﷺ ماهم ، وأى شىء هم ومالهم وماذا أعد لهم من الخير والنعيم فى الجنة ، وهم الذين ينزلون الدرجة الثانية من الجنة العالية بعد أن ظفر السابقون المقربون بالمنزلة الاولى الاعلى منها .

قال الله تعالى : « فأما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية » الحاقة : ١٩-٢٤) .

٢٨ - (فى سدر مخضود)

أصحاب اليمين هم الذين يتمتعون يوم القيامة بجنات فيها السدر الذى قطع شوكه ، فسدر الاخرة غير ذى شوكة ، فليس كسدر ذى الشوكة الدنياوية .

٢٩ - (وطلح منضود)

وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة له ثمر أحلى من العسل لاتهاج ولا تحول وهو شجر الموز .

٣٠ - (وظل ممدود)

وهؤلاء فى الجنة فى ظل ممتد منبسط لاينقلص ولايتفات كظل مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، والهواء فى هذه الساعة أطيب من سائر الاوقات وهوائها ، وهذا ظل دائم لايزول كماورد إن أوقات الجنة كغدوات الصيف لايكون فيه حر ولا برد .

قال الله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً » النساء : ٥٧)

وقال : « مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها » الرعد : ٣٥)

٣١ - (وماء مسكوب)

وفى الجنة ماء غدق لاصحاب اليمين يصب كيفما أرادوا ويجرى أينما شاؤا بلاتعب وملال ونصب فى حصوله واستسقائه .

قال الله تعالى : « وأن لـو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقـاً » الجن : ١٦) .

٣٢ - (وفاكهة كثيرة)

ولهم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس والالوان .

قـال الله تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها بمـا كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون » الزخرف : ٧٢ - ٧٣) .

٣٣ - (لامقطوعة ولا ممنوعة)

لا ينقطع شيء من فواكه الجنة عن أصحابها بوجه من الوجوه متى أرادوا وحيثما شاؤا ، فلا تنقطع فى وقت من الاوقات كانقطاع فواكه الصيف فى الشتاء ، ولايحول بينهم وبينها شوك على أشجارها او بعدها عن متناوليها بل هم إذا اشتهوها دنت منهم حتى يأخذوها بلا منع وتعب فى قطفها .

قال الله تعالى : « فأمّا من اوتى كتابه بيمينه - فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية » الحاقة : ١٩ - ٢٤) .

وقال : « ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلا » الانسان : ١٤) .

٣٤ - (وفرش مرفوعة)

ولاصحاب اليمين بساط فى الجنة من الحرير والديباج بألوان مختلفة بعضها فوق بعض حشوها المسك والكافور والعنبر فيجلسون هم وأزواجهم بلا تعب بالجلوس عليها .

قال الله تعالى : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » الرحمن : ٧٦)

٣٥ - (انا انشأناهن انشاءاً)

انا أوجدنا لاصحاب اليمين نساء آدميّة فى الجنة وأعدناهن إلى حال الشباب وكمال الجمال والطراوة بعد الكبر والهرم والكدارة .

٣٦ - (فجعلناهن ابكاراً)

فجعلناهؤلاء النسوة يوم القيامة عذارى لاصحاب اليمين فكلّما أتاهن أزواجهن وجدوهنّ أبكاراً .

٣٧ - (عرباً اتراباً)

هؤلاء الابكار يتكلّمن بالعربيّة ، ومتماثلات حسناً وجمالا وشباباً ، من غير تباغض ولاتحاسد بينهنّ وهن عاشقات لازواجهن .

٣٨ - (لاصحاب اليمين)

هذه النعم الاخرويّة المذكورة لاصحاب اليمين جزاء وثواباً على طاعاتهم وصالح أعمالهم .

٣٩ - (ثلة من الاولين)

ان أصحاب اليمين منهم جماعة كثيرة من الامم السابقة الذين آمنوا بالله تعالى وبمن أرسلهم الله اليهم من الانبياء والمرسلين عليهم السلام وعملوا الصالحات.

٤٠ - (وثلة من الاخرين)

ومن أصحاب اليمين جماعة كثيرة من هذه الامة المسلمة الذين آمنوا بالله جلّ وعلا وبنبيه محمد صلى الله عليه وآله وبما جاء بهم من الله تعالى ، وبجميع انبياء الله ورسله ، وبكتبه وملائكته ، وبيوم الحساب وعملوا الصالحات ، واهتدوا إلى صراط مستقيم وهم أكثر جمعاً من السابقين المقربين من هذه الامة .

٤١ - (واصحاب الشمال ما أصحاب الشمال)

وهم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم تحمل تلك الصحائف مشائيمهم ، وسوء مصيرهم شؤمهم على أنفسهم وشؤمهم على غيرهم إذ كانواهم فى الحياة الدنيا أينما يضعون أقدامهم تذهب البركات بكفرهم وعصيانهم - كما ان أصحاب اليمين أينما يضعون أقدامهم تكثر البركات بايمانهم وصالح أعمالهم - وهم يوم القيامة فى حال لا يستطيع أحد من وصفها ولا يقدر قدرها من نكال ووبال وسوء منقلب وعذاب فى النار ، قال الله تعالى : « وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين » الحاقة : ٢٥ - ٣٤) .

٤٢ - (فى سموم وحميم)

السموم : الريح الشديدة الحرارة تدخل فى مسام البدن ، والمراد منها هنا

حرّ نار جهنم ينفذ فى المسام ، وتلفح به وجوههم وأبدانهم .

فاصحاب الشمال فى حر نار جهنم ينفذ فى مسامهم وخروقهم وفى ماء مغلى إنتهت حرارته .

٤٣ - (وظل من يحموم)

ويفزع هؤلاء أصحاب الشمال من السموم إلى الظلّ - كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلا من دخان سواد ضار لا منفعة فيه ، ولا روح لمن يأوى إليه - فهم فى ظلّ من دخان نار جهنم أسود شديد السواد .

وقيل : اليحموم جبل فى جهنم يستغيث أصحاب الشمال إلى ظلّه .

قال الله تعالى : « قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل » الزمر : ١٥ - ١٦) .

٤٤ - (لا بارد ولا كريم)

لا يمنح هذا الظل برودة ولا يمنع أذى وليس بطيّب الهبوب ولا حسن المنظر فانّه لهيب يشوى الوجوه ويهرأ الاجسام لانه دخان من سعير جهنم فيولم من استظل به

قال الله تعالى : « انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولايغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كانّه جمالت صفر » المرسلات : ٣٠ - ٣٣) .

٤٥ - (انهم كانوا قبل ذلك مترفين)

ان أصحاب الشمال كانوا فى الحياة الدنيا متوسّعين متنعمين بأنواع من المآكل والوان الملابس والمساكن بلا شكر متكبرين بغير حق معرضين عن الحق والطاعة بلا تفكر وتأمل وهم الرؤساء وأهل الجاه وأصحاب المقام وذو الثراة الطاغية والاموال البطرة يصرفونها فى اللهو واللعب ومستلذاتهم ومتمتعاتهم ، منهمكين فى الشهوات ولا يقصدون إلا ظاهر الحياة الدنيا ، ويرون سعادتهم والكمال منها وفيها .

وأما كون الضعفاء من أصحاب الشمال ، ودخولهم فى زمرة المترفين ،

فلاتباعهم بهم فى الكفر والطغيان والشراد .

قال الله تعالى : « وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر أموالاً و أولاداً وما نحن بمعذبين » سباء : ٣٤ ـ ٣٥) .

وقال : « وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا انّا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا ـ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » ابراهيم : ٢١) .

وقال : « وإذ يتحاجّون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنّا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا انّا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد » غافر : ٤٧ ـ ٤٨) .

٤٦ ـ (وكانوا يصرون على الحنث العظيم)

الحنث : هو النكث بالعهد والذنب والاثم ، والمراد به هنا تكذيب أصحاب الشمال بما كانوا يوعدون به من بعثهم وبعث آباءهم ، واستبعادهم وقوع يوم الحساب والجزاء بعد أن ماتوا واُصبحوا ترابا وعظاماً ، فكانوا يصرون على تكذيبهم واستبعادهم ذلك بالحلف واليمين .

قال الله تعالى: « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت » النحل:٣٨).

٤٧ ـ (وكانوا يقولون ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعثون)

وكانوا يقولون منكرين مستبعدين لغاية عتوّهم وعنادهم ولجاجهم : ائذا متنا وصرنا تراباً أى صار بعض أجزائنا من اللحم والجلد وما إليهما تراباً ، وبعضها الاخرى عظاماً نخرة ءانّا نبعث وصرنا أحياء بل إن هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين .

قال الله تعالى : « وقالوا ءاذا كنا عظاماً ورفاتاً ءانا لمبعون خلقاً جديداً » الاسراء : ٩٨) .

وقال : « وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » الانعام : ٢٩) .

٤٨ - (أو آبائنا الاولون)

ولو سلّم أن نبعث نحن بعد موتنا لقرب عهدنا ، ولان الارض تحتفظ بقية منا أو يبعث آبائنا الذين ماتوا قبلنا ، ولا اثر لهم حتى إن عظامهم قد أبلاها البلى والتراب أكلها أهم يحشرون وهذا أبعد مما تقدّم .

وقد ذكروا لاستبعادهم البعث أسباباً :

١ - الحياة بعد الموت .

٢ - طول العهد بعد الموت حتى صارت اللحوم تراباً والعظام رفاتاً .

٣ - تعجبهم من بعث آبائهم الاولين ، فردّ الله تعالى عليهم كل ذلك وأمر رسوله الكريم صلى الله عليه وآله أن يجيبهم فقال :

٤٩ - (قل ان الاولين والاخرين)

قل يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله لهؤلاء منكرى البعث ردّاً عليهم وتحقيقاً للحق : إن الاولين من الامم السابقة ومن جملتهم آبائكم الذين تستبعدون بعثهم أشد الاستبعاد والاخرين الذين تظنون أن لن يبعثوا من هذه الامة ومن جملتهم أنتم .

٥٠ - (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم)

انكم لمجموعون فى صعيد واحد عند البعث والنشور للحساب والجزاء قال الله تعالى : « ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً » الكهف : ٩٩)

وقال : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » التغابن : ٩)

وقال : « هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين » المرسلات : ٣٨)

وقال : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » هود : ١٠٣)

٥١ - (ثم انكم ايها الضالون المكذبون)

ثم إنكم ايها الذين ، ضللتم عن طريق الهدى ، واعرضتم عن الحق ، فكفرتم بالله تعالى وبرسوله وبما جاء بهم المكذبون بالبعث والحساب والجزاء .

٥٢ - (لاكلون من شجر من زقوم)

لاكلون يوم القيامة بعد دخولهم فى جهنم من شجرة كثيرة الشوك ومرارة الثمرة ، وهى شجرة تنبت فى أصل الجحيم .

قال الله تعالى : « انها شجرة تخرج في أصيل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لاكلون منها » الصافات : ٦٤ ـ ٦٦)

وقال : « ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى في البطون كغلى الحميم » الدخان : ٤٣ ـ ٤٦) .

٥٣ ـ (فمالئون منها البطون)

فيأكلون من شدة الجوع من هذا الشجر الزقومي حتى تمتلىء بطونهم .

٥٤ ـ (فشاربون عليه من الحميم)

فشاربون على الاكل من الشجر الزقومي ، وامتلأ بطونهم لغلبة العطش من الحميم ، وهو الماء المغلي قد اشتد غليانه ، وهو صديد أهل النار .

قال الله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا ـ لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » الانعام : ٧٠)

وقال : « وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ » ابراهيم : ١٥ ـ ١٧) ،

٥٥ ـ (فشاربون شرب الهيم)

فهم شاربون بعد الاكل من شجرة زقومية من ماء حار جهنمي لغلبة العطش عليهم ـ ولكنه شرب لا يشفى الغليل ولا يروى الظمـاء ـ كشرب الابل العطاش المريضة بداء الهيام الذى يدفعها إلى الاكثار من الشرب من غير الري .

٥٦ ـ (هذا نزلهم يوم الدين)

هذا الذى ذكر من أنواع العذاب من الطعام الزقومي والشراب الجحيمي نزل الضالين المكذبين يوم الجزاء في جهنم .

قال الله تعالى : « انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا » الكهف ١٠٢) .

وقال : « وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم » الواقعة : ٩٢ـ ٩٤) .

٥٧ ـ (نحن خلقناكم فلو لا تصدقون)

نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئاً ، وأنتم تعلمون ذلك ، فهلا تصدقون بالبعث والحساب والجزاء ، لان من قدر على الانشاء والابداع فهو قادر على البعث والاعادة بلا مراء .

قال الله تعالى : « ويقول الانسان ءاذا ما مت لسوف اخرج حياً أو لا يذكر الانسان انّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً فوربّك لنحشرنهم » مريم : ٦٦ـ٦٨) .

وقال : « ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن ّ الله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » لقمان : ٢٥ ـ ٢٨) .

وقال : « أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » يس : ٨١) .

وقال : « أو لم يروا انّ الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ، بلى انه على كل شىء قدير » الاحقاف : ٣٣) .

٥٨ ـ (أفرايتم ما تمنون)

أفرأيتم أيها الضالون المكذبون بيعثكم من بعد مماتكم النطف التى تنزلونها وتصبونها فى أرحام النساء ، فكيف تصير أولاداً ؟ !

٥٩ ـ (ءأنتم تخلقون أم نحن الخالقون)

ءأنتم تخلقون هذا المنى الذى صببتموه فى الارحام ، فتصيرون منه بشراً سوياً ، فهل تقدرون على ذلك أم نحن الخالقون له من غير دخل شىء فيه الا كونه نطفة صبّت فى الارحام .

قال الله تعالى : « أو لم ير الانسان انّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » يس : ٧٧) .

وقال : « وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى » النجم : ٤٥ـ٤٦) .

وقال : « ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين

الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » القيامة : ٣٧ ـ ٤٠) .

وقال : « من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسّره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » عبس : ١٩ ـ ٢٢) .

ولا يخفى ان الأب للولد والزارع للزرع والبنّاء للابنية ليست هى عللاً موجدة فى الحقيقة ، بل انما هى معدات من جهة تسببها ، والمعطى للوجود فى الجميع هو الله تعالى وإلى ذلك أشار بقوله تعالى : « أفرايتم ما تمنون ـ إلى ـ أم نحن المنشؤن » أشار إلى أن الأب والزارع والبناء ليست مباشر الحركات ومحرك المواد .

وانما فاعل الصور هو الحى القيوم جل وعلا وقال : « هوالذى يصوّركم فى الارحام كيف يشاء » آل عمران : ٦) .

وقال : « هو الله الخالق البارىء المصوّر » الحشر: ٢٤) .

وقال : « الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صورة ما شاء ركبك » الانفطار : ٧ ـ ٨) .

وان المنى اذا استقرّ فى رحم المرأة بمشيئة الله تعالى انقطع عمل الرجل وعمل المرأة ، فتأخذ يد القدرة الكاملة الالهية فى العمل وحدها فى هذا الماء المهين كالبذر الذىاذا بذره الحارث في الارض ، فتعمل اليد وحدها فى خلق المنى وتنميته وبناء هيكله ونفخ الروح فيه ، وفى كل لحظة من استقراره إلى ولادته معجزة خارقة لايصنعها إلا الله تعالى لايدرى البشر كنهها ولا طبيعتها ولاوقوعها .

وهذا القدر من التأمل يمكن لكل انسان ، ويكفى له بانّه مخلوق ومن حوله مخلوق وما يرى حوله مخلوق ، وما يرى من السماء والارض مخلوق لخالق، هوالمبدع ، هو المدبّر، هوالحكيم ، هوالخبير، هو اللطيف ، وهو القادر.

وليس ليد الانسان فيه دخل إلا بالبذر ثم ينبغى أن ينظر إلى هذه الخلية الواحدة هى مادّة الحياة بانها تبدأ فى الانقسام والتكاثر، فاذا هى بعد فترة ملايين الملايين من الخلا يا كل مجموعة من هذه الخلايا الجديدة الناشئة من هذه

الخلية الواحدة كلها ذات خصائص تختلف عن خصائص المجموعات الاخرى لانها مكلفة أن تنشىء جانباً خاصاً من المخلوق البشرى ، فهذه خلايا عظام وهذه خلايا عضلات ، وهذه خلايا جلد وهذه خلايا أعصاب . . .

ثم هذه خلايا لعمل عين ، وهذه خلايا لعمل لسان وهذه خلايا لعمل اذن ، وهذه خلايا لعمل غدد ، وهى أكثر تخصصاً من المجموعات السابقة ، وكل منها تعرف مكان عملها ، فلا تخطىء خلايا العين مثلاً فتطلع فى البطن أو فى القدم مع انها لو اخذت أخذاً صناعياً ، فزرعت فى البطن مثلاً صنعت هنالك عيناً ، ولكنها هى بالهامها لاتخطىء ، فتذهب إلى البطن لصنع عين هناك ولا تذهب خلايا الاذن إلى القدم لتصنع اذناً هناك . . .

انها كلها تعمل وتنشىء هذا الكيان البشرى فى أحسن تقويم تحت عين الخالق حيث لاعمل للانسان فى هذا المجال .

٦٠ ـ (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين)

نحن قسمنا الموت بينكم ، ووقتنا موت كل واحد بميقات معين لايعدوه بحسب ما اقتضته مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة ، وما نحن بعاجزين عن ذلك فلم نترككم سدى فى الآجال والاعمار والحياة والممات .

فوجود الانسان المحدود بأول كينونته إلى آخر لحظة من حياته فى الدنيا بجميع خصوصياته التى تتحول عليه بتقدير من الله تعالى ، فموته كحياته بتقدير منه جل وعلا .

فلايعترى الموت أحداً لنقص من قدرة الله سبحانه أن يخلقه بحيث لايعتريه الموت اومن جهة أسباب وعوامل تؤثر فيه بالموت ، فتبطل الحياة التى أفاضها عليه الخالق المتعال ، فان لازم ذلك أن تكون قدرته جل وعلا محدودة ناقصة ، وأن يعجزه بعض الاسباب وتغلب إرادته ، وهو محال كيف ؟ والقدرة مطلقة والارادة غير مغلوبة .

قال الله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا » آل عمران : ١٤٥) .

٦١ - (على أن نبدل امثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون)

نحن قدرنا بينكم الموت ، وانتم في عرضة تبديل الامثال والانشاء فيما لا تعلمون ، فنوجدكم في خلق آخر لاتعلمونه ، وهو الوجود الاخروي الباقي غير الوجود الدنيوي الفاني ، وهو الذي تعلمونه .

قال الله تعالى : « كلا انّا خلقناهم مما يعلمون - انا لقادرون على أن نبدّل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين » المعارج : ٣٩ - ٤١) .

وقال : « فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير » العنكبوت : ٢٠) .

٦٢ - (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون)

ولقد علمتم ايها المكذبون بالبعث والجزاء ، والضالّون عن طريق الهدى ان الله تعالى خلقكم ولم تكونوا شيئاً وأنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة ، فهلاّ تذكرون على اني قادر على بعثكم واعادتكم بعد الموت كما اني قادر على خلقكم وإبداعكم أول مرة ، فمن كان قادرا على هذه النشأة الاولى والبداية ، فهو قادر على النشأة الاخرى والاعادة بطريق أولى .

قال الله تعالى : « وهو الذى أنشألكم السمع والابصار والافئدة - وهو الذى ذرأكم في الارض وإليه تحشرون - قالوا ءاذامتناو كناترابا وعظاماً ءانا لمبعوثون - قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكّرون » المؤمنون :٧٨- ٨٥) .

وذلك لان العلم بنشأة الدنيا ، وخصوصيّاتها يستلزم الاذعان بنشأة الاخرة فيها الحساب والجزاء ، إذمن المعلوم البديهي من النظام الكوني انه ليس في هذا الوجود لغو ولاباطل ، فلهذه النشأة الفانية لابد من غاية باقية .

قال الله تعالى : « وماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٧ - ٢٨) .

وقال : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون » المؤمنون : ١١٥)
وأيضاً من ضروريات هذا النظام هداية كل شيء إلى كمال نوعه إذ قال تعالى :
« الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠) .

وهداية الانسان تحتاج إلى بعث الرسل وتشريع الشرائع ، وتوجيه الامر والنهى والجزاء على عمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، قال تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات ـ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانّا له كاتبون » الانبياء : ٧٣ ـ ٩٤) .

وليس هذا الجزاء فى الحياة الدنيا إذ فيها عمل بلاحساب فلابدّ من دار فيها حساب بلاعمل وهى النشأة الاخرة .

وان الانسان يشاهد النشأة الاولى ، ويعرفها فلابدّ له من العلم بالنشأة الاخرى وهذا هو العلم بمبادى البرهان على امكان البعث ، فيرتفع به استبعاد البعث ، فلا استبعاد مع الامكان ، وذلك لانه إن جاز البدن الدنيوى واحيائه فليجر صنع البدن الاخروى واحيائه ، لانه مثله وحكم الامثال فيما يجوز ، وما لا يجوز فى شرع سواء .

قال الله تعالى : « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرّة » الاسراء : ٥١)

٦٣ ـ (أفرأيتم ما تحرثون)

أرايتم الذى تلقونه فى الارض من البذر ، وتثيرونها وما تعملون فيها .

٦٤ ـ (ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)

ءأنتم تنبتون هذا البذر أم نحن المنبتون أتجعلونه زرعاً وتوجدون فيه سنبلا وحباً وتحفظونه من الآفات ولستم إلا كالادوات التى تلقى الحب فى الارض كما تقذفون المنىّ فى الارحام ، والله يصوّره بشراً سوياً ، فمن يخلق هذا الزرع ؟ ومن يخرج من هذا البذر تلك السنبلات والحبوبات ؟ فلا محالة تقولون : إن الله تعالى يخلقه ويخرجها منه .

فمن كان قادراً على انبات الزرع من البذر الصغير وأن يجعله حبوباً كثيرة ، فهو قادر على البعث واعادة الخلق للحساب والجزاء ، وقد سمّى الحارث زارعاً على انه فعل أسباب الزرع والانبات .

قال الله تعالى : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكّرون » النحل : ١٠ ـ ١١) .

وقال : « اولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا تبصرون » السجدة : ٢٧) .

٦٥ ـ (لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون)

لو نشاء لجعلنا زرعكم او بذركم تبنا لاحبّ فيه ، ولاقمح ، فجعلناه هشيماً بابساً متكسّراً متفتّتا لاينتفع به فى مطعم ولاغذاء بعدخضرته بآفة تصيبه حتى لا يكون فيه الحب اوجعلنابذركم باليا لاينبت ولايخضر ، فصرتم تتعجّبون لهلاكه ويبسه بعد خضرته او عدم خضرته .

قال الله تعالى : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرّاً ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب » الزمر : ٢١) .

٦٦ ـ ٦٧ (انا لمغرمون بل نحن محرومون)

فتتحدّثون بماجرى بينكم مما اصيب به زرعكم قائلين : انا لموقعون فى الغرامة والخسارة إذ ذهب بذرنا ، وضاع وقتنا وخاب سعينا بل نحن ممنوعون من الرزق والخير .

قال الله تعالى : « انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة إذاقسموا ليصرمنها مصبحين ـ إلى ـ بل نحن محرومون » القلم : ١٧ ـ ٢٧) .

٦٨ ـ (افرايتم الماء الذى تشربون)

أفرايتم ـ أيها الضالون عن طريق الهدى والمكذبون بالبعث والجزاء ـ الماء العذب الذى تشربونه ، فتحيى به أنفسكم ، ويسكن به عطشكم فان الشراب يكون

تبعاً للمطعوم ، ولهذا قدجاء ذكر الطعام قبل ذكر الشراب ألا ترى انك تسقى ضيفك بعد أن تطعمه .

أفلا تتفكرون من أين جاء هذا الماء العذب الفرات ؟

٦٩ ـ (ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)

ءأنتم أنزلتم هذا الماء العذب الفرات من السحاب أم نحن المنزلون بمشيئتنا وقدرتنا نعمة منّا عليكم ورحمة بكم ؟ ولا جواب لكم إلا التسليم والاقرار بانّ الله تعالى هو الذى ينشىء السحاب الثقال ، وينزل من السّماء ماء ليطهر الانسان ويحيي الارض بعد موتها ، ويخرج به من الثمرات رزقاً لهم ويسلكه ينابيع في الارض ، ويخضرها بعد همودها كل ذلك يدل على انّه تعالى قادر على البعث والاعادة بعد الموت .

قال الله تعالى : « ولئن سئلتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله » العنكبوت : ٦٣) .

وقال : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به » الانفال : ١١) .

وقال : « وأنزلنا من السماء ماءاً طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً واناسى كثيراً » الفرقان : ٤٨ ـ ٤٩) .

وقال: « وأنزلنامن السماء ماءاً فأخرج بهمن الثمرات رزقاًلكم » البقرة:٢٢) .

وقال : « وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيي به الارض بعد موتها » الجاثية : ٥) .

وقال : « ألم تر انّ الله يزجي سحاباً ثمّ يؤلّف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزّل من السّماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء » النور : ٤٣) .

وقال : « وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى اذا اقلّت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كلّ الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه » الاعراف : ٥٧ ـ ٥٨)

وقال : « ألم تر ان ّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم ّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان ّ في ذلك لذكرى لاولى الالباب » الزمر : ٢١) .

وقال : « وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان ّ الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور » الحج : ٥ ـ ٦) .

٧٠ ـ (لو نشاء جعلناه اجاجاً فلولا تشكرون)

لو نشاء جعلنا هذا الماء العذب الفرات ملحاً شديد الملوحة أو مرّاً شديد المرارة بحيث لاتنتفعون به في شرب ولا في زرع ، فهل أنتم قادرون على تغييره فهلا تشكرون أيها الضالون المكذبون على عظيم نعمتي التي هي ملاك حياتكم وحيوانكم وزروعكم ، وهي الماء الذي شرب لكم ولانعامكم ، وفيه منافعكم وصلاح معايشكم .

قال الله تعالى : « قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين » الملك : ٣٠) .

وقال : « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان ّ في ذلك لاية لقوم يتفكرون » النحل : ١١) .

٧١ ـ (أفرأيتم النار التي تورون)

أفرأيتم النار التي تستخرجونها وتقدحونها بزنادكم من الشجر الرطب الاخضر قال الله تعالى : « الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون » يس : ٨٠) .

٧٢ ـ (ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)

ءأنتم أوجدتم شجرة النار ، وانبتّموها واخضرتموها ونميتموها التي تقدح منها النار ، وهي المرخ والعفار والكلخ ، وهي أشجار رطبة تقدح منها النار ؟ أم نحن المنشئون تلك الاشجار ؟ ! .

فتقولون : الله جل وعز هو الذى أنشأها وأنماها وأنبتها واخضرها ، إذ لا يمكن لاحد أن يقول : انى أنشأت تلك الاشجار وأنميتها وأخضرتها . . .

قال الله تعالى : « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيابه الارض من بعد موتها ليقولن الله » العنكبوت : ٦٢) .

وقال : « ان الله فالق الحب والنوى ـ وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا نبات كل شيء فاخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ـ ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٥ ـ ٩٩) .

٧٣ ـ (نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين)

نحن جعلنا نار الدنيا تذكرة للنار الكبرى فى الاخرة ، وتبصرة فى أمر البعث فان الرائى اذا راى هذه النار الدنياوية ذكر بها نار جهنم ، فيخشى الله تعالى ، ويخاف عقابه .

وان هذه النار علقنا بها أسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا بها ما أوعدوا به لان من أخرج النار من الشجر الاخضر المضاد لها ، فهو قادر على إعادة ما تفرقت مواده ، وهذه النار منفعة للناس ، وخاصة للمسافرين السائرين الذين ينزلون القواء ، وهو المفاز لانبات فيها ولا ماء وكم من قوم سافروا وجاعوا ثم أرملوا ، فأججوا ناراً فاستدفئوا وانتفعوا بها .

فمن رحمة الله تعالى على عباده ولطفه على خلقه أن أودعها فى الاحجار وخالص الحديد ، فيتمكن المسافر من حملها فى متاعه وجيبه اذا احتاج اليها فى منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناراً فطبخ بها واصطلى واشتوى واستأنس وانتفع بها فى وجوه المنافع المختلفة .

قال الله تعالى : « وهل أتاك حديث موسى اذ رآى ناراً فقال لاهله امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » طه : ٩ ـ ١٠) .

٧٤ ـ (فسبح باسم ربك العظيم)

فبرئه الله تعالى ونزهه عما يقول هؤلاء الضالون المكذبون فى وصفه سبحانه بالعجز عن البعث وهو الله الذى خلق هذه الاشياء من الماء العذب الفرات

البارد لو شاء لجعله ملحاً اجاجا كالبحار ، ومن خلق النار التى جعل فيها منافع للناس فى معايشهم ، وجعلها تبصرة لهم فى معادهم .

٧٥ - (فلا اقسم بمواقع النجوم)

فلا اقسم بمحال النجوم ومشارقها ومغاربها اجلالا لقدرها بان يقسم بهاعلى أوضح الامور وأبينها لاتحتاج إلى سند يسند من قسم او نحوه . .

ونظير الاية فى إجلال المقسم به قوله تعالى : « فلا اقسم بالشفق » الانشقاق : ١٦) . وقوله : « والفجر - هل فى ذلك قسم لذى حجر » الفجر : ١ - ٥) .

وقوله تعالى : « لا اقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » البلد : ١ - ٢) .

٧٦ - (وانه لقسم لو تعلمون عظيم)

وان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون : عظيم قدره ، وشأنه أو شخصه لما فيه من الدلائل الواضحة على عظيم القدرة ومن البراهين الساطعة على كمال الحمكة ، ومن الآثار على فرط الرحمة على العباد ولو يعلم الناس اسرار كون الله تعالى بان يتلى عليهم من الايات المحتوية تلك الوعود والبراهين القاطعة على قدرة الله تعالى وعظمته وحقيقة البعث والجزاء الاخروية .

٧٧ - (انه لقرآن كريم)

ان ماتلوناه - من الوعد والوعيد وذكر المقربين وأصحاب اليمين ومآل أمرهم وذكر الضالين المكذبين ومصيرهم وموقفهم - هو قرآن كريم ليس بسحر ولا كهانة وليس بشعر ولا بمفترى بل هو كريم محمود جعله الله تعالى معجزة خالدة لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وهو كريم على المؤمنين لانه كلام ربهم وشفاء صدورهم ، كريم على أهل السماء لانه تنزيل ربهم ووحيه وهو كريم لاشتماله على ما فيه صلاح البشر وسعادتهم فى دنياهم وآخرتهم ، ولما فيه من الهدى والبيّنات والعلم والحكمة والمعارف والاصول والفروع ولما فيه تبيان كل شيء .

فاذا دعوت نفسك إليه ، ومددت يدك إلى فضله وبرّه . . يفيض الخير غدقاً على من يدنو منه او يلم به ، فلك أن تدخل فى ساحة « القرآن الكريم » فى ثقة واطمئنان ، فتجد فوق ما تطمع وتنال اكثر مما تؤمل من خير ورفد . .

ولا يمكن ذلك إلا بقلب سليم ونفس مطمئنة اليه واثقة به مؤملة فيه . .

قال الله تعالى : « فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة » عبس : ١٣ ـ ١٦) .

٧٨ ـ (فى كتاب مكنون)

ان هذا القرآن الكريم فى مصحف مصون عن التغيير والتبديل ومحفوظ عن دس التحريف لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا هو الكتاب الذى ضمن الله تعالى بحفظه .

قال الله تعالى : « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤١ ـ ٤٢) .

وقال : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر : ٩) .

٧٩ ـ (لا يمسه الا المطهرون)

لا يمس القرآن الا من كان طاهراً من الحدث : الاصغر و الاكبر ، والمراد بمسه مس كتابته ، فتدل الآية على تحريم مس كتابة القرآن على غير طهارة .

٨٠ ـ (تنزيل من رب العالمين)

هذا القرآن منزل نجوماً على الاحداث من عند الله تعالى الذى خلق العباد ، ورباهم ودبرهم ومنهم الانسان فلهم أن يؤمنوا به جل وعلا وبما جاء به نبيه محمد صلى الله عليه وآله .

قال الله تعالى : « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » الاسراء : ١٠٦) .

٨١ ـ (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون)

أفبهذا القرآن الذى أخبرناكم فيه عن أمر البعث والحساب والجزاء ، وتصنيف الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف مكذبون ؟ .

قال الله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » الزمر : ٢٣) .

وقال : « فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث » القلم : ٤٤) .

وقال : « ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون » المرسلات : ٤٩ _ ٥٠) .

٨٢ _ (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون)

وتجعلون شكركم تجاه الخير ، وهو القرآن الذى أنزله الله تعالى إليكم فيه خيركم وصلاح أمركم وسعادتكم فى الدنيا والاخرة ، انكم تكذبونه .

٨٣ _ (فلولا اذا بلغت الحلقوم)

فهلاّ إذا بلغت هذه النفس التى زعمتم ان الله تعالى لايبعثها الحلقوم عند النزع ، وخروجها من أجسادكم .

٨٤_ (وأنتم حينئذ تنظرون)

وأنتم ايها المكذبون حين النزع والاحتضار تنظرون ملك الموت ، وترون أمرى وسلطانى إلى أن تخرج أنفاسكم ، وأنتم تمنّون رجوعها فلا ترجع .

قال الله تعالى : « وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون _ حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا انّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » المؤمنون : ٩٥ _ ١٠٠) .

٨٥ _ (نحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون)

ونحن أقرب إلى قابض الارواح منكم وانكم وإن كنتم تنظرونه حين النزع ولكن لاتدركون حقيقته وهو يضرب وجوههم وأدبارهم او ولكنكم لاتبصروننا .

قال الله تعالى : « فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم » محمد صلى الله عليه وآله : ٢٧) .

وقال : « ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون» الانعام : ٩٣) .

وقال : « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار » الانعام : ١٠٣) .

٨٦ _ (فلولا ان كنتم غير مدينين)

لو كان الامر تزعمونه من انه لابعث ولاحساب ولاجزاء ، وأنتم غير محاسبين لأعمالكم وغير مجزيين بثواب وعقاب فهلا ترجعون أنفاسكم اذا بلغت الحلقوم

فتردّونها إلى موضعها .

وقال الله تعالى حكاية عن المكذبين بالبعث والجزاء : « ءاذا متنا و كنا تراباً وعظاماً ء انا لمدينون » الصافات : ٥٣) .

٨٧ ـ (ترجعونها ان كنتم صادقين)

ترجعون تلك الانفاس إلى موضعها إن كنتم صادقين فى إدعائكم حيث كنتم تدعون بامتناع الموت والفرار عنه .

فاذا لم تقدروا على ذلك ولن ترجعوها ، فبطل زعمكم : أنكم غير مبعوثين ولا محاسبين ولا مجزيين فاعلموا انه من تقدير مقدر حكيم وتدبير مدبّر عليم .

قال الله تعالى: « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين » السورة : ٦٠)

٨٨ ـ (فاما ان كان من المقربين)

فاما ان كان هذا المتوفّى من المقربين ، وهم السابقون من الازواج الثلاثة وهم الذين تقربوا إلى الله تعالى ، فقربهم الله جل وعلا من جواره فى جنانه بغير حساب .

٨٩ ـ (فروح وريحان وجنت نعيم)

فله روح فى القبر وريحان فى الجنة يدخلها يتنعم من نعيمها .

قال الله تعالى : « ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نظرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقرّبون » المطففين : ٢٢ ـ ٢٨) .

٩٠ ـ (وأما ان كان من أصحاب اليمين)

وأما إن كان هذا المتوفى من أصحاب اليمين وهم اصحاب الميمنة من الازواج الثلاثة ، وهم الذين يؤتيهم كتابهم بيمينهم يوم القيامة فيحاسبون حساباً يسيراً .

٩١ ـ (فسلام لك من أصحاب اليمين)

فسلام لك يا محمد ﷺ من أصحاب اليمين ، فيصلّون عليك ويسلمون فى الاخرة كما كانوا هم يصلون عليك ، ويسلمون فى الحياه الدنيا .

قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » الاحزاب : ٥٦) .

٩٢ - (وأما ان كان من المكذبين الضالين)

واما ان كان المتوفّى من المكذبين بالبعث والحساب والجزاء ، والضالّين عن طريق الحق والهدى ، وهم أصحاب الشمال الذين يؤتيهم كتابهم بشمالهم .

٩٣ - (فنزل من حميم)

فنزل أصحاب الشمال الذى أعدّ لهم من الطعام والشراب من حميم جهنم قد أغلى حتى انتهى حرّه ، فهو شرابهم يصهر به ما فى بطونهم وجلودهم .

قال الله تعالى : « ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه مـن الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين » السورة : ٥٢ - ٥٦) .

٩٤ - (وتصلية جحيم)

وإدخالهم فى النار التى تغمرهم من جميع جهاتهم فيقامون فيها ويقاسون لانواع عذابها . قال الله تعالى : « ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار » ابراهيم : ٢٨ - ٢٩) .

٩٥ - (ان هذا لهو حق اليقين)

هذاالذى أخبرنا بهمن تصنيف الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف ، وبعثهم ومواقفهم فيها حق لامرية فيه ، ويقين لايعتريه ريب من المؤمنين فى الحياةالدنيا ومن المكذبين فى الاخرة .

قال الله تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فىسقر قالوا لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنّا نخوض مع الخائضين وكنّا نكذّب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » المدّثر : ٣٨ - ٤٧) .

٩٦ - (فسبح باسم ربك العظيم)

فنزّه ربك عما لايليق به مماينسبهإليه جلوعلا هؤلاء المكذبون منعجزه عن البعث والحساب والجزاء .

﴿ جملة المعانى ﴾

٤٩٨٠ - (اذا وقعت الواقعة)

إذا حدثت الحادثة الهائلة ، وجائت القيامة فجأة شديدة وقعها .

٤٩٨١ - (ليس لوقعتها كاذبة)

ليس فى الاخبار بوقوع القيامة كذب ولا لوقوعها ريب .

٤٩٨٢ - (خافضة رافعة)

تخفض القيامة قوماً ، وترفع الاخرين .

٤٩٨٣ - (اذا رجت الارض رجا)

اذا حرّكت الارض حركة شديدة ، فدقّت دقّاً عنيفاً .

٤٩٨٤ - (وبست الجبال بسا)

وقلعت الجبال من أصلها ، وسيّرت تسيراً .

٤٩٨٥ - (فكانت هباء منبثاً)

فصارت الجبال كالذرّات الخفيفة المنتشرة فى الفضاء .

٤٩٨٦ - (وكنتم أزواجا ثلاثة)

وصرتم حينئذ أصنافاً ثلاثة .

٤٩٨٧ - (فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة)

فمن الازواج الثلاثة أصحاب اليمين الذين يوتيهم يومئذ كتابهم بيمينهم .

٤٩٨٨ - (وأصحاب المشئمة ماأصحاب المشئمة)

ومنهم أصحاب الشمال الذين يؤتيهم كتابهم بشمالهم .

٤٩٨٩ - (والسابقون السابقون)

ومنهم انبياء الله تعالى وحواريهم .

٤٩٩٠ - (اولئك المقربون)

الذين تقرّبوا إلى الله تعالى ، فقرّبهم منه ، وأعلى مراتبهم ودرجاتهم .

٤٩٩١ - (في جنات نعيم)

هم في جنات يتنعمون بنعيمها .

٤٩٩٢ - (ثلة من الاولين)

جماعة من اولئك المقربين هم من أخصّاء الامم السابقين .

٤٩٩٣ - (وقليل من الاخرين)

وقليل من هؤلاء المقربين من أخصّاء هذه الامة المسلمة .

٤٩٩٤ - (على سرر موضونة)

مجالسهم على سرر منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر .

٤٩٩٥ - (متكئين عليها متقابلين)

حال كونهم مستندين على تلك السرر ، فينظر بعضهم إلى وجه بعض .

٤٩٩٦ - (يطوف عليهم ولدان مخلدون)

حالكونهم يطوف على المقربين غلمان باقون على حداثة سنّهم ونضرتهم .

٤٩٩٧ - (باكواب وأباريق وكأس من معين)

بقداح واسعة الرؤوس بلاخراطيم ، وقداح لها خراطيم ، وكأس من خمر ظاهرة للبصر جارية من العيون .

٤٩٩٨ - (لايصدعون عنها ولاينزفون)

لايأخذهم من شربها صداع ، ولايصرفون عنها .

٤٩٩٩ - (وفاكهة مما يتخيرون)

ويطوف عليهم الولدان بفاكهة كثيرة مما يشاؤنه .

٥٠٠٠ - (ولحم طير مما يشتهون)

وبانواع لحوم طيور الجنة مما تشتهيه انفسهم .

٥٠٠١ - (وحور عين)

ولهم فيها نساء سواد العيون وبياضها : سواد في سواد وبياض في بياض .

٥٠٠٢ ـ (كامثال اللؤلؤ المكنون)

وهن كاللؤلؤ المخزون فى الحسن والصفاء .

٥٠٠٣ ـ (جزاء بماكانوا يعملون)

كل ذلك النعم جزاء لهم بماكانوا يعملون فى الحياة الدنيا .

٥٠٠٤ ـ (لا يسمعون فيها لغواً ولاتأثيما)

لايسمعون فى الجنة ما لافائدة فيه من كلام ولاينسب بعضهم بعضاً إلى إثم .

٥٠٠٥ ـ (الاقيلا سلاماً سلاماً)

إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية : سلمك الله سلاما بالسلامة ودوام النعمة.

٥٠٠٦ ـ (واصحاب اليمين ماأصحاب اليمين)

ومن الازواج الثلاثة هم أصحاب اليمين الذين يؤتيهم يوم القيامة كتابهم بيمينهم ماأدراك يامحمد ﷺ ماهم ومالهم وماذا أعد لهم فى الجنة .

٥٠٠٧ ـ (فى سدر مخضود)

لهم فى الجنة سدر مقطوع شوكه .

٥٠٠٨ ـ (وطلح منضود)

ولهذا السدر أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة له ثمر لذيذ .

٥٠٠٩ ـ (وظل ممدود)

وهم فى الجنة فى ظل منبسط لاينقلص .

٥٠١٠ ـ (وماء مسكوب)

ولهم فيها ماء عذب غدق يصب كيفما أرادوا وأينما شاؤا .

٥٠١١ ـ (وفاكهة كثيرة)

ولهم فيها فاكهة كثيرة الانواع والاجناس والالوان .

٥٠١٢ ـ (لامقطوعة ولاممنوعة)

لاتنقطع عن أصحابها ، ولاتمنع منهم أبداً .

٥٠١٣ ـ (وفرش مرفوعة)

ولهم فيها بساط من الحرير والديباج بعضها فوق بعض .

٥٠١٤ ـ (اناانشأناهن انشاء)

نحن أوجدنا لهم نساء ذات طراوة وجمال .

٥٠١٥ - (فجعلناهن أبكاراً)

فجعلناهن لهم عذارى ، فكلّما أتاهن ازواجهن وجدوهن أبكاراً .

٥٠١٦ - (عرباً اتراباً)

متماثلات حسناً وجمالاً وشباباً من غير تباغض بينهن ، ويتكلّمن بالعربيّة .

٥٠١٧ - (لاصحاب اليمين)

كل ذلك النعم جزاء لهم على ايمانهم وطاعتهم وصالح أعمالهم .

٥٠١٨ - (ثلة من الاولين)

جماعة من أصحاب اليمين هم من الامم الماضية .

٥٠١٩ - (وثلة من الاخرين)

وجماعة من أصحاب اليمين ، هم من هذه الامة المسلمة .

٥٠٢٠ - (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال)

ومن الازواج الثلاثة أصحاب الشمال الذين يؤتيهم يوم القيامة كتابهم بشمالهم ، وما أدراك يا محمد ﷺ ماهم ومالهم من نكال وعذاب فيها .

٥٠٢١ - (فى سموم وحميم)

هم فى جهنم تهب إليهم الريح الشديد الحرارة تدخل فى مسام أبدانهم ، وهم فيها فى ماء مغلى إنتهت حرارته .

٥٠٢٢ - (وظل من يحموم)

وهم فيها فى ظل من دخان سواد ضار لا روح لمن يأوى إليه .

٥٠٢٣ - (لا بارد ولا كريم)

لايمنح هذا الظل برودة لمن استظل به ، ولا يمنع أذى منه .

٥٠٢٤ - (انهم كانوا قبل ذلك مترفين)

وذلك العذاب ان أصحاب الشمال كانوا فى الحياة الدنيا متوسعين .

٥٠٢٥ - (وكانوا يصرون على الحنث العظيم)

وكانوا يصرون على تكذيب ما يوعدون به من البعث والحساب والجزاء .

٥٠٢٦ - (وكانوا يقولون ء اذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ء انا لمبعوثون)

وكانوا يقولون مستبعدين للبعث : ء اذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً ء انّا نبعث وقد صرنا أحياء .

٥٠٢٧ - (أو آبائنا الاولون)

ولو سلم أن نبعث نحن بعد موتنا أو يبعث آبائنا الذين ماتوا قبلنا .

٥٠٢٨ - (قل ان الاولين والاخرين)

قل ياأيها الرسول صلى الله عليه وآله لهم : ان الاولين من الامم الماضية والاخرين كلهم .

٥٠٢٩ - (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم)

لمجموعون فى صعيد واحد عند البعث للحساب والجزاء .

٥٠٣٠ - (ثم انكم ايها الضالون المكذبون)

ايها الضالون عن طريق الهدى ، والمكذبون بالبعث والجزاء .

٥٠٣١ - (لاكلون من شجر من زقوم)

لا يكون بعد دخولهم فى جهنم من شجرة كثيرة الشوك تنبت فى أصل الجحيم .

٥٠٣٢ - (فمالئون منها البطون)

فيملؤن من هذه الشجرة بطونهم .

٥٠٣٣ - (فشاربون عليه من الحميم)

فشاربون على الاكل من الشجر الزقومى ، من ماء شديد الحرارة لغلبة العطش عليهم .

٥٠٣٤ - (فشاربون شرب الهيم)

فشاربون كشرب الابل العطاش لا يروى قط .

٥٠٣٥ - (هذا نزلهم يوم الدين)

هذا الذى ذكرناه من أنواع العذاب نزلهم يوم الجزاء .

٥٠٣٦ - (نحن خلقناكم فلولا تصدقون)

نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا ، فهلا تصدقون بالبعث والجزاء .

٥٠٣٧ - (افرأيتم ما تمنون)

أفرأيتم أيها المكذبون النطف التى تصبّونها فى أرحام النساء كيف تصير أولاداً ؟ .

٥٠٣٨ - (ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون)

ءأنتم تخلقون هذا المنى أم نحن خلقناه ، وجعلناه بشراً سوياً .

٥٠٣٩- (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين)

نحن وقّتنا موت كل واحد منكم بميقات معين لا يعدوه، وما نحن بعاجزين عن ذلك.

٥٠٤٠ - (على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون)

نحن قادرون على ان نبدل صوركم ونوجدكم فى خلق آخر لا تعلمونه.

٥٠٤١- (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون)

واقسم بالله تعالى انكم قد علمتم خلق الانسان فى الحياة الدنيا، فهلا تذكرون بالبعث والحياة بعد الموت.

٥٠٤٢- (أفرأيتم ما تحرثون)

أفرايتم البذر الذى تبذرون فى الارض.

٥٠٤٣- (ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)

ءأنتم تنبتون هذا البذر أم نحن منبتونه.

٥٠٤٤- (لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون)

لو نشاء لجعلنا زرعكم يابساً فصرتم تتعجبون لهلاكه ويبسه بعد خضرته.

٥٠٤٥ - (انا لمغرمون)

فتتحدثكم بينكم : انا الموقعون فى الغرامة والخسارة.

٥٠٤٦- (بل نحن محرومون)

بل نحن ممنوعون من الرزق والخير.

٥٠٤٧- (افرايتم الماء الذى تشربون)

أفرأيتم ايها المكذّبون الماء العذب الذى تشربونه.

٥٠٤٨- (ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون)

ءأنتم أنزلتم هذا الماء من السحاب أم نحن منزلونه.

٥٠٤٩- (لو نشاء جعلناه اجاجاً فلولا تشكرون)

لو نشاء جعلنا هذا الماء ملحاً شديد الملوحة، فهلا تشكرون أيها المكذبون.

٥٠٥٠- (أفرايتم النار التى تورون)

افرأيتم النار التى تقدحونها بزنادكم من الشجر الرطب الاخضر.

٥٠٥١ - (ءانتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن)

ءأنتم أوجدتم شجرة النار أم نحن أوجدناها .

٥٠٥٢ - (نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين)

نحن جعلنا نار الدنيا تذكرة للنار الكبرى فى الاخرة ومنفعة للناس، وخاصة للمسافرين السائرين الذين ينزلون المفاز .

٥٠٥٣ - (فسبح باسم ربك العظيم)

فنزّه الله تعالى عما يقول هؤلاء المكذبون فى وصفه سبحانه بالعجز عن البعث .

٥٠٥٤ - (فلا اقسم بمواقع النجوم)

فلا اقسم بمحال النجوم ومشارقها ومغاربها .

٥٠٥٥ - (وانه لقسم لو تعلمون عظيم)

وان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ذلك .

٥٠٥٦ - (انه لقرآن كريم)

ان ماتلوناه هو قرآن كريم ليس بسحر ولا كهانة ولابشعر ولابمفترى .

٥٠٥٧ - (فى كتاب مكنون)

فى مصحف مصون عن التغيير ، ومحفوظ عن التحريف .

٥٠٥٨ - (لايمسه الا المطهرون)

لايمس هذا القرآن الا من كان طاهراً من الحدث إطلاقاً .

٥٠٥٩ - (تنزيل من رب العالمين)

هذا القرآن منزل متفرقاً على الاحداث والوقايع من عند الله تعالى ، خالق الكون ومافيه ، ومربيهم ومدبّرهم .

٥٠٦٠ - (أفبهذا الحديث انتم مدهنون)

أفبهذ القرآن الذى أخبرناكم فيه أنتم مكذبون به ؟

٥٠٦١ - (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون)

وتجعلون شكركم إزاء الخير ، وهو القرآن الذى أنزله الله تعالى إليكم فيه خيركم وصلاح دنياكم ، وآخرتكم تكذبون به .

٥٠٦٢ - (فلولا اذا بلغت الحلقوم)

فهلا اذا بلغت انفاسكم حلقومكم .

٥٠٦٣ - (وأنتم حينئذ تنظرون)

وانتم ايها المكذبون حين النزع تنظرون ملك الموت ، وخروج الانفاس من حلقومكم .

٥٠٦٤ - (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون)

ونحن أقرب الى قابض الارواح منكم ، ولكنكم لاتبصروننا .

٥٠٦٥ - (فلولا ان كنتم غير مدينين)

فهلا إن كنتم غير مجزيّين .

٥٠٦٦ - (ترجعونها ان كنتم صادقين)

فهلا ترجعون انفاسكم إن كنتم صادقين فى إدّعاكم بامتناع الموت والفرار وعجز الله سبحانه عن البعث والحساب والجزاء .

٥٠٦٧ - (فاما ان كان من المقربين)

فاما إن كان هذا المتوفى من المقربين .

٥٠٦٨ - (فروح وريحان وجنت نعيم)

فلهروح فى القبر وريحان فى الجنة ، ويدخل فيها ويتنعم من نعيمها .

٥٠٦٩ - (وأما ان كان من أصحاب اليمين)

واما ان كان المتوفى من أصحاب اليمين ، وهم الذين يؤتيهم كتابهم بيمينهم .

٥٠٧٠ - (فسلام لك من اصحاب اليمين)

فسلام لك يا محمد صلى الله عليه وآله منهم ، فيصلّون عليك ويسلّمون .

٥٠٧١ - (واما ان كان من المكذبين الضالين)

وأما إن كان المتوفى من المكذبين بالبعث ، والضالين عن طريق الهدى .

٥٠٧٢ - (فنزل من حميم)

فنزلهم من حميم جهنم قد أغلى مائه ، فانتهى حرّه .

٥٠٧٣ - (وتصلية جحيم)

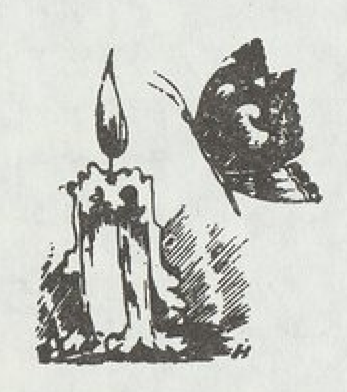
وإدخالهم فى نارجهنم ، فيقامون فيها .

٥٠٧٤ - (ان هذا لهوحق اليقين)

ان هذا الذى أخبرنا به لهوحق لامرية فيه ، ويقين لاتعتريه شبهة .

٥٠٧٥ - (فسبح باسم ربك العظيم)

فنزه ربك عمالايليق بهمما ينسبه إليه تعالى هؤلاء المكذبون مـن عجزه سبحانه عن البعث والحساب والجزاء .



﴿ بحث روائي ﴾

في الخصال : باسناده عن الزهري قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول : من لم يتعزّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، والله ما الدنيا والاخرة الا ككفّتي ميزان ، فأيهما رجح ذهب بالاخر ثم تلا قوله عز وجل : « إذا وقعت الواقعة » يعني القيامة « ليس لوقعتها كاذبة خافضة » خفضت والله بأعداء الله في النار « رافعة » رفعت والله أولياء الله إلى الجنة .

وفي تفسير القمي : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعها كاذبة » قال : القيامة هي حق ، وقوله : « خافضة » قال : بأعداء الله « رافعة » لاولياء الله « إذا رجّت الارض رجا » قال : يدق بعضها على بعض « وبسّت الجبال بسا » قال : قلعت الجبال قلعا « فكانت هباء منبثاً » قال : الهباء الذي في الكوة من شعاع الشمس .

وقوله : « و كنتم أزواجاً ثلاثة » قال : يوم القيامة « فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون » الذي سبقوا إلى الجنّة .

وفي الدر المنثور : عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : الهباء المنبث : رهج الذرات والهباء المنثور : غبار الشمس الذي تراه في شعاع الكوة .

وفي الجامع لاحكام القرآن : قال علي رضي الله عنه : الهباء المنبث : الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب .

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عزّ وجل قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً ، وذلك قوله عز وجل في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وأنا من

أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً ، وذلك قوله عزّ وجل وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون وأنا من السابقين وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله عز وجل : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فأنا اتقى ولد آدم وأكرمهم على الله جلا ثناؤه ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، وذلك قوله عزّ وجل : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

وفي الكافي : باسناده عن جابر الجعفي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ياجابر إنّ الله خلق الناس ثلاثة أصناف ، وهو قول الله تعالى : « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقربون » فالسابقون هو رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصة من خلقه جعل فيهم خمسة أرواح أيّدهم بروح القدس ، فبه عرفوا الاشياء (فبه بعثوا انبياء ـ خ) وأيدهم بروح الايمان ، فبه خافوا الله عز وجل وأيّدهم بروح القوة ، فبه قدروا على طاعة الله وأيدهم بروح الشهوة ، فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته ، وجعل فيهم روح المدرج الذى به يذهب الناس ويجيئون ، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الايمان ، فبه خافوا الله وجعل فيهم روح القوة ، فبه قدروا على طاعة الله وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله وجعل فيهم روح المدرج الذى به يذهب الناس ويجيئون .

أقول : قوله عليه السلام : « وخاصّة الله » أي سائر الانبياء وجميع الاوصياء الذين اختصّهم الله تعالى بالخلافة .

وفي كنز الفوائد للكراجكي : باسناده عن محمد بن زيد عن أبيه قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزوجل : « فاما إن كان من المقرّبين فروح وريحان وجنّة نعيم » فقال : هذا في أمير المؤمنين والائمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين .

وفيه : باسناده عن محمد بن حمران قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : فقوله

عزوجل : « فاما إن كان من المقرّبين » قال : ذاك من كانت له منزلة عند الامام قلت : « واما إن كان من أصحاب اليمين » قال : ذاك من وصف هذا الامر قلت : « وأما إن كان من المكذبين الضالّين » قال : الجاحدين للامام .

أقول : هذا من باب ذكر بعض الافراد من كل زوج .

وفى الكافى : باسناده عن إدريس بن عبدالله عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن تفسير هذه الاية : « ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلّين » قال : عنى بها لم يك من أتباع الائمة الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم : « والسابقون السابقون اولئك المقربون » اما ترى الناس يسمّون الذى يلى السابق فى الحلبة مصلّى ، فذلك الذى عنى حيث قال : « لم نك من المصلّين » ألم نك من أتباع السابقين .

وفى تفسير البرهان : بالاسناد عن داود بن كثير الرقى قال : قلت لابى عبدالله جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله جعلت فداك أخبرنى عن قول الله عزوجل : « والسابقون السابقون اولئك المقرّبون » قال : نطق الله بهذا يوم ذرء الخلق فى الميثاق قبل ان يخلق الخلق بألفى سنة ، فقلت : فسّر لى ذلك ، فقال : ان الله عزوجل لما أراد أن يخلق الخلق من طين رفع لهم ناراً وقال لهم : ادخلوها ، فكان اول من دخلها محمد ، واميرالمؤمنين والحسن والحسين وتسعة من الائمّة إماماً بعد إمام ثم اتبعهم شيعتهم ، فهم والله السابقون .

وفى مجالس الشيخ : باسناده عن على بن الحسين عن الحسن بن على عليهم السلام فى حديث صلحه عليه السلام بمعاوية عليه الهاوية فقال الامام الحسن بن على عليه السلام فى خطبة له : « فصدق أبى رسول الله صلى الله عليه وآله سابقاً ووقاه بنفسه ثم لم يزل لرسول الله صلى الله عليه وآله فى كل موطن يقدمه ولكل شديدة يرسله ثقة منه به ، وطمأنينة إليه لعلمه بنصيحته لله عزوجل : « والسابقون السابقون اولئك المقربون » فكان أبى سابق السابقين الى الله عزوجل وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأقرب الاقربين . الخطبة .

وفى رواية سليم بن قيس : قال عليه السلام : أبى أسبق السابقين إلى الله عزوجل وإلى رسوله وأقرب الاقربين الى الله ورسوله .

وفى روضة الكافى : باسناده عن عمرو بن أبى المقدام قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال أبى لاناس من الشيعة : أنتم شيعة الله ، وأنتم أنصارالله وأنتم السابقون الاولون والسابقون الاخرون ، والسابقون فى الدنيا والسابقون فى الاخرة إلى الجنّة . الحديث .

وفى روضة الواعظين للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه قال أبو عبدالله عليه السلام زرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم وبريد من الذين قال الله : « والسابقون السابقون اولئك المقرّبون » وقال عليه السلام : ما أحد أحيى ذكرنا وأحاديث أبى عليه السلام إلا زرارة وأبو بصير ليث المرادى ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلى لولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا ، هؤلاء حفّاظ الدين وأمناء أبى على حلال الله وحرامه ، وهم السابقون إلينا فى الدنيا ، والسابقون إلينا فى الاخرة قال أبو عبدالله عليه السلام : قال أبى لاناس من الشيعة : أنتم شيعة الله وأنتم انصارالله ، وانتم السابقون الاخرون الينا السابقون فى الدنيا الى ولايتنا ، والسابقون فى الاخرة الى الجنّة قد ضمنّا لكم الجنّة بضمان الله وبضمان رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفى رواية : قال ابو الحسن موسى عليه السلام : اذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين حوارى محمد بن عبدالله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه ؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبوذر ثم ينادى : أين حوارى على بن أبى طالب وصىّ محمد بن عبدالله رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعى ومحمد بن أبى بكر وميثم بن يحيى التمار مولى بنى أسد وأويس القرنى قال : ثم ينادى المنادى : أين حوارى الحسن بن على بن فاطمة بنت محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فيقوم سفيان بن ليلى الهمدانى وحذيفة بن أسد الغفارى قال : ثم ينادى : أين حوارى الحسين بن على ؟ فيقوم من استشهد معه ولم يتخلّف عليه قال : ثم ينادى أين حوارى على بن الحسين ؟

فيقوم جبير بن مطعم ويحيى بن ام الطويل وأبو خالد الكابلى وسعيد بن المسيّب ثم ينادى ؟ أين حوارى محمد بن على وحوارى جعفر بن محمد ؟ فيقوم عبدالله

بن شريك العامري ، وزرارة بن أعين ، وبريد بن معاوية العجلي ، ومحمد بن مسلم وأبو بصير ليث بن البختري المرادي ، وعبدالله بن أبي يعفور ، وعامر بن عبدالله بن جذاعة ، وحجر بن زائدة ، وحمران بن أعين ، ثم ينادى سائر الشيعة مع سائر الائمة عليهم السلام يوم القيامة فهؤلاء اول السابقين واول المقربين وأول المتحورين من التابعين .

وفى تفسير القمى : عن سالم بياع الزطي قال : سمعت أبا سعيد المداينى يسئل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : ثلة من الاولين وثلة من الاخرين » قال : ثلة من الاولين : حزقيل مؤمن آل فرعون ، وثلة من الاخرين على بن أبيطالب عليه السلام ثم قال على بن ابراهيم : « ثلة من الاولين » هم أتباع الانبياء « وقليل من الاخرين » : هم أتباع النبى صلى الله عليه وآله .

وفى البرهان : بالاسناد عن محمد بن الغراب عن جعفر بن محمد عليه السلام فى قوله عز وجل : « ثلة من الاولين وقليل من الاخرين » قال : ثلة من الاولين ابن آدم الذى قتله أخوه ، ومؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار صاحب يس ، وقليل من الاخرين على بن أبى طالب عليه السلام .

وفى الدر المنثور : عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت إذا وقعت الواقعة ذكر فيها « ثلة من الاولين وقليل من الاخرين » قال عمر : يا رسول الله ثلة من الاولين ، وثلة من الاخرين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تعال واستمع ما قد أنزل الله : « ثلة من الاولين وثلة من الاخرين » .

ألا وإن من آدم إلى ثلة وامتى ثلة ، ولن نستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان رعاة الابل ممن يشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » قال : واختلف فى هذه الولدان : فقيل : انهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات ، فيثابوا عليها ولاسيئات ، فيعاقبوا عليها ، فانزلوا هذه المنزلة عن على عليه السلام .

وفيه : وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه سئل عن أطفال المشركين ؟ فقال :

هم خدم أهل الجنة .

وفى البرهان : عن الامام امير المؤمنين عليه السلام قال : حوضنا فيه منبعان (شعبان - خ) ينصبان من أحدهما من تسنيم ، والاخر من معين .

وفى الكافى : باسناده عن عبدالله بن سنان قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن سيد الآدام فى الدنيا والآخرة فقال : اللحم أماسمعت قول الله عزوجل : « ولحم طير ممايشتهون » .

وفى الدر المنثور : عن عبدالله بن مسعود قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله : انك لتنظر إلى الطير فى الجنّة ، فتشتهيه فيخرّ بين يديك مشويّاً .

وفى البرهان : عن عوف بن عبدالله الازدى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما من مؤمن يدخل الجنّة الا كان له من الازواج خمسمأة حوراء مع كل حوراء سبعون غلاماً وسبعون جارية كأنّهن اللؤلؤ المنثور وكأنهن اللؤلؤ المكنون وتفسير المكنون بمنزلة اللؤلؤ فى الصدف ، ولم تمسه الايدى ولم تره الاعين .

وأما المنثور فيعنى فى الكثرة وله سبعة قصور فى كل قصر سبعون بيتاً ، وفى كل بيت سبعون سريراً وعلى كل سرير سبعون فراشاً عليها زوجة من الحور العين تجرى من تحتهم الانهار : أنهار من ماء غير آسن صاف ليس بالكدر ، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه ولم يخرج من ضروع المواشى ، وأنهار من عسل مصفّى لم يخرج من بطون النحل وأنهار من خمر لذّة للشاربين لم يعصره الرجال بأقدامهم فاذا اشتهوا الطعام جائتهم طيور بيض يرفعن أجنحتهن فيأكلون من أى الالوان إشتهوا جلوساً إن شاؤا أو متكئين وان اشتهوا الفاكهة سعت اليهم الاغصان فاكلوا من أيها اشتهوا قال : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » قال : على بن أبى طالب عليه السلام واصحابه شيعته .

اقول : ولعلّ الرواية مبنيّة على ماورد فى ذيل قوله تعالى : « يوم ندعو كل

اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه » الاسراء : ٧١) .

على ان اليمين هو الامام الحق ، ومعناها ان اليمين هو علي عليه السلام واصحاب اليمين شيعته ، فالرواية من باب الجرى والانطباق .

وفيه : في قوله تعالى : « في سدر مخضود » شجر لايكون له ورق ولاشوك فيه ، وقرء أبوعبدالله عليه السلام « وطلع منضود » قال : بعضه على بعض .

وفي الدر المنثور : عن ابي أمامة قال : كان اصحاب رسول الله ﷺ يقولون : ان الله ينفعنا بالاعراب ومسائلهم .

أقبل اعرابي يوماً فقال : يارسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة موذية وما كنت أرى ان في الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، فقال رسول الله ﷺ : وماهي ؟ قال : السدر فان لها شوكاً ، فقال رسول الله ﷺ : أليس يقول الله : « في سدر مخضود » يخضده الله من شوكه ، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة إنها تنبت ثمراً تفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ، مافيها لون يشبه الآخر .

وفي المجمع : وروت العامة عن علي عليه السلام انه قرء رجل عنده « وطلح منضود » فقال : ماشأن الطلح انما هو « وطلع » كقوله : « ونخل طلعها هضيم » فقيل له : الا تغيره ؟ قال : ان القرآن لايهاج اليوم ولايحرك ، رواه عنه ابنه الحسن عليه السلام وقيس بن سعد .

وفي الدر المنثور : عن علي بن ابيطالب عليه السلام في قوله : « وطلح منضود » قال : هو الموز .

وفي المجمع : ورد في الخبر : أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مأة سنة لايقطعها اقرؤا إن شئتم « وظل ممدود » وروى أيضاً أن أوقات الجنة كغدوات الصيف لايكون فيها حر ولابرد .

وفي رواية : عن النبي ﷺ انه قال في قوله تعالى : « وظل ممدود » : وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا ، ومافيها واقرؤا إن شئتم « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ومالحياة الدنيا الامتاع الغرور » .

وفى روضة الكافى : باسناد عن محمد بن إسحق المدنى عن أبى جعفر عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله فى حديث يصف فيه الجنة وأهلها : ويزور بعضهم بعضاً ، ويتنعمون فى جناتهم فى ظل ممدود فى مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وأطيب من ذلك .

وفيه : باسناده عن محمد بن اسحق المدنى عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال على : يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عزوجل : « غرف من فوقها غرف » بماذا بنيت يارسول الله ؟ فقال ياعلى تلك غرف بناها الله عزوجل لاوليائه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الزبرجد محبوكة بالفضة ، لكل غرف منها ألف باب على كل باب ملك موكل به فيها « فرش مرفوعة » بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة ، حشوها المسك والكافور والعنبر وذلك قوله عز وجل : « وفرش مرفوعة » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : إنا أنشأناهن إنشاء » قال : الحور العين فى الجنة « فجعلناهن أبكاراً عرباً » قال : لايتكلمون إلا بالعربية و « أتراباً » قال : مستويات الاسنان .

وفى الدرالمنثور : عن الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى قوله « عربا » قال : كلامهن عربى .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « لاصحاب اليمين » قال : لاصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام « وأصحاب الشمال » قال : أصحاب الشمال : أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله وأصحابهم الذين والوهم .

وفى الدر المنثور : عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنى لارجو أن يكون من اتبعنى من امتى ربع أهل الجنة ، فكبرنا ثم قال : إنى لارجو أن يكون من امتى الشطر ثم قرأ : « ثلة من الاولين وثلة من الاخرين » .

وفى الخصال : باسناده عن سليمان بن يزيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله أهل الجنة مأة وعشرون صفاً ، هذه الامة منها ثمانون صفاً .

وفي تفسير العياشي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال : والكتاب الامام ، ومن أنكره كان من اصحاب الشمال الذين قال الله : « ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم » .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « في سموم وحميم » قال : السموم اسم النار و « حميم » ماء قد حمي « وظل من يحموم » قال : ظلمة شديدة الحر « لابارد ولا كريم » قال : ليس بطيب .

وفي روضة الواعظين : عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث يذكر جبرئيل النار وأهلها ، فيقول فيه مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وآله : ولو أن قطرة من الزقوم والضريع قطرت في شراب أهل الدنيا مات أهل الدنيا من نتنها .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « فشاربون شرب الهيم » قال : من الزقوم ، والهيم الابل .

وفي المحاسن : باسناده عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن الشرب بنفس واحد ، فكرهه ، وقال : ذلك شرب الهيم قلت : وما الهيم ؟ قال : الابل .

وفي البرهان : بالاسناد عن سليمان بن خالد قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام الرجل يشرب بالنفس الواحد ؟ قال : يكره ذلك ، وذلك شرب الهيم قلت : وما الهيم ؟ قال : الابل .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « هذا نزلهم يوم الدين » قال : هذا شرابهم يوم المجازات .

وفي الكافي : باسناده عن أبي حمزة قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول : عجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة ، والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الاخرى ، وهو يرى النشأة الاولى .

وفيه : باسناده عن إبن بكير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا أردت أن تزرع زرعاً ، فخذ قبضة من البذر ، واستقبل القبلة وقل : « أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم

تزرعونه أم نحن الزارعون » ثلاث مرّات ثمّ تقول : بل الزارع ثلاث مرّات ثمّ قل : اللهمّ اجعله مباركاً وارزقنا فيه السلامة ثمّ انشر القبضة الّتى فى يدك فى القراح .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » قال : وروى عن النبى صلى الله عليه وآله قال : لايقولن أحدكم : زرعت وليقل : حرثت .

وفى تفسير المراغى : أخرج إبن أبى حاتم عن أبى جعفر رضى الله عنه : « ان النبى صلى الله عليه وآله كان اذا شرب الماء قال : الحمد لله الذى سقانا عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً اجاجاً بذنوبنا » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : ءأنتم أنزلتموه من المزن » قال : من السحاب « نحن جعلناها تذكرة » لناريوم القيامة « ومتاعاً للمقوين » قال : المحتاجين .

وفى نور الثقلين : وروى عن جويرية بن مسهر فى خبر ردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام ببابل انه قال : فالتفت إلىّ وقال : يا جويريّة بن مسهر ، ان الله عز وجل يقول : « فسبّح باسم ربك العظيم » وانى سئلت الله عز وجل باسمه العظيم ، فردّ علىّ الشمس .

وفى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : انزل القرآن فى ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا جملة واحدة ثمّ فرّق فى السنين ، وفى لفظ ثمّ نزّل من السماء الدنيا إلى الارض نجوماً ثم قرء : « فلا اقسم بمواقع النجوم » .

أقول : والظاهر انه تفسير لمواقع النجوم بأوقات نزول نجوم القرآن .

وفى الكافى : باسناده عن مسعدة بن صدقة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام فى قول الله عز وجل : « فلا اقسم بمواقع النجوم » قال : كان أهل الجاهلية يحلفون بها فقال الله عزوجل : « فلا اقسم بمواقع النجوم » قال : عظم أمر يحلف بها قال : وكانت الجاهلية يعظمون الحرم ، ولايقسمون به ولاشهر رجب ، ولا يتعرّضون فيهما لمن كان فيها ذاهباً أو جائياً ، وإن كان قتل أباه ولا لشىء من الحرم دابة أو شاة أو بعيراً أو غير ذلك ، فقال الله عز وجل لنبيّه : « لا اقسم بهذا البلد وأنت

حلّ بهذا البلد » قال : فبلغ من جهلهم انهم استحلّوا قتل النبي صلى الله عليه وآله ، وعظموا أيام الشهر حيث يقسمون به .

وفي الدر المنثور : عن إبن عباس : إن النبي صلى الله عليه وآله قال : يوماً لاصحابه هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : انه يقول : انّ الذين يقولون : نسقى بنجم كذا و كذا فقد كفر بالله وآمن بذلك النجم والذين يقولون سقانا الله فقد آمن بالله و كفر بذلك النجم .

وفيه: عن عبد الله بن محيريز انّ سليمان بن عبد الملك دعاه فقال : لو تعلّمت علم النجوم ، فازددت إلى علمك ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ أخوف ما أخوف على امتي ثلاث : حيف الائمة وتكذيب بالقدر وايمان بالنجوم .

وفيه: عن رجاء ابن حياة : ان النبي صلى الله عليه وآله قال : مما أخاف على امتّي : التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وظلم الائمة .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « فلا اقسم بمواقع النجوم » قال : معناه اقسم بمواقع النجوم .

وفي التهذيب : باسناده عن ابراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن عليه السلام قال : المصحف لاتمسه على غير طهر ولاجنباً ولاتمس خيطه ولاتعلقه ان الله يقول : لايمسه إلا المطهّرون .

وفي الدر المنثور : عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله : انه لقرآن كريم في كتاب مكنون » قال : عند الله في صحف مطهرة « لا يمسه الا المطهرون » قال : المقرّبون .

وفي المجمع : في قوله تعالى : « لايمسّه الاالمطهّرون » قال : وقالوا : لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مسّ المصحف عن محمد بن علي عليه السلام .

وفي الكافي : باسناده عن داود بن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن التعويذ يعلّق على الحائض قال : نعم لابأس ، وقال : تقرؤه وتكتبه ولاتصيبه يدها .

في الدر المنثور : في كتاب النبي صلى الله عليه وآله لعمرو بن حزم : ولاتمس القرآن الا عن طهور .

أقول : ان المراد بمس المصحف مس كتابته لما ورد عليه روايات كثيرة . .

وفي تفسير المراغي : عن عبد الرحمن بن زيد قال : كنّا مع سلمان الفارسي فانطلق إلى حاجة ، فتوارى عنا ثم خرج الينا ، فقلنا : لو توضأت فسئلناك عن أشياء من القرآن ، فقال : سلوني فاني لست أمسّه انما يمسّه المطهرون ثم تلا « لا يمسّه الا المطهرون » .

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « وتجعلون رزقكم انّكم تكذبون » قال : بل هي : « وتجعلون شكركم انكم تكذبون » .

وفي الكافي : باسناده عن أبي بصير قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام قوله عز وجل : « فلولا إذا بلغت الحلقوم » إلى قوله : « إن كنتم صادقين » فقال : اذا بلغت الحلقوم ثم راى منزله في الجنة ، فيقول : ردّوني إلى الدنيا حتى أخبر إلى أهلي بما ارى ، فيقال له : ليس إلى ذلك سبيل .

وفي البرهان : بالاسناد عن أبي بصير قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : ما معنى قال الله تبارك وتعالى : « فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين » قال : إن النفس المحتضر إذا بلغت الحلقوم وكان مؤمناً راى منزله في الجنّة ، فيقول : ردوني إلى الدنيا حتى أخبر أهلها بما أرى فيقال له ليس إلى ذلك سبيل .

وفي تفسير القمي : في قوله : « فلولا إذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون » يعني النفس قال : معناه : « فاذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين » قال : معناه فلو كنتم غير مجازين على افعالكم ترجعونها ، يعني الروح إذا بلغت الحلقوم تردونها في البدن إن كنتم صادقين

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام في خطبة : « عباد مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً ومقبوضون احتضاراً ومضمّنون أجداثاً وكائنون رفاتاً ومبعوثون

أفراداً ومدينون جزاء ومميّزون حساباً ».

أقول: قوله عليه السلام: « مربوبون » مملوكون و « اقتساراً »: غلبة وقهراً، « احتضاراً »: حضور الملائكة عند الميت وهو حينئذ محتضر وكانت العرب تقول: لبن محتضر: أى فاسد ذو آفة يعنون ان الجن حضرته يقال: اللبن محتضر فغطّ إناءك و « أجداثا »: جمع جدث وهو القبر، و « رفاتاً »: حطاماً و « مدينون »: مجزيّون وقوله عليه السلام: « مبعوثون أفراداً » مأخوذ من قوله تعالى: « ولقد جئتمونا فرادى » الانعام: ٩٤).

وقوله عليه السلام: « مميّزون حساباً » مأخوذ من قوله تعالى: « وامتازوا اليوم أيها المجرمون » يس: ٥٩).

ومن قوله جل وعلا: « وكنتم أزواجاً ثلاثة »

وفى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الامام موسى بن جعفر عن أبيه الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال: إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فاذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه، ويقولان له من ربك؟ ومادينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربى الله ومحمد نبيى والاسلام دينى، فيفسحان له فى قبره مدّ بصره ويأتيانه بالطعام من الجنة ويدخلان عليه الروح والريحان وذلك قوله عزوجل:

« فاما إن كان من المقربين فروح وريحان » يعنى فى قبره وجنّة نعيم يعنى فى الاخرة ثم قال عليه السلام: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزبانيّة الى قبره وانه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كل شئ إلا الثقلان ويقول: لو ان لى كرّة فأكون من المؤمنين ويقول: ارجعونى لعلّى اعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانيّة كلا انها كلمة انت قائلها ويناديهم ملك ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه فاذا أدخل قبره، وفارقه الناس أتاه منكر ونكير فى أهول صورة فيقيمانه (فيضمانه) ثم يقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه ولايقدر على الجواب فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كل شىء، ثم يقولان له: من ربك؟ وما

دينك ؟ ومن نبيّك ؟ فيقول : لاادرى ، فيقولان له : لادريت ولاهديت ولا افلحت ثم يفتحان له باباً إلى النار وينزلان اليه الحميم من جهنم وذلك قول الله عزوجل : « واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم » يعنى فى القبر وتصلية جحيم يعنى فى الاخرة .

وفى الدر المنثور : عن سلمان قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : ان أول مايبشر به المؤمن عند الوفاة بروح وريحان وجنّة نعيم ، وان اول مايبشّر به المؤمن فى قبره أن يقال : أبشر برضا الله تعالى والجنة ، قدمت خير مقدم ، قدغفر الله لمن شيّعك الى قبرك ، وصدق من شهد لك ، واستجاب لمن استغفر لك .

وفى تفسير البحر المحيط : لابى حيّان الاندلسى : عن أبى العالية وقتادة والحسن : الريحان هذا الشجر المعروف فى الدنيا يلقى المقرّب ريحاناً من الجنة وقال الخليل : هوظرف كل بقلة طيّبة فيها أوائل النور .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فى الحسن والحسين عليهما السلام هما ريحانتاى من الدنيا .

وفى روضة الكافى : باسناده عن عنبسة بن بجاد عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « فاما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » فقال : قال رسول صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام هم شيعتك فسلم ولدك منهم ان يقتلوهم .

وفى كنز الفوائد : باسناده عن جابر بن يزيد عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزّوجل : « فسلام لك من أصحاب اليمين » قال : هم الشيعة ، قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله : « فسلام لك من أصحاب اليمين » يعنى إنك تسلم منهم لايقتلون ولدك .

وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزّوجل : « وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » قال أبو جعفر عليه السلام : هم شيعتنا محبّونا .

وفيه : باسناده عن محمد بن زيد عن أبيه قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : « فاما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنّة نعيم » فقال :

هذا فى أمير المؤمنين والائمة من بعده صلوات الله عليهم .

وفيه: باسناده عن محمد بن حمران قال : قلت لابى جعفر عليه السلام : فقوله عزوجل : « فأما إن كان من المقرّبين » قال : ذلك من منزله عند الامام قلت : « وأما إن كان من أصحاب اليمين » قال : ذلك من وصف بهذا الامر قلت : « وأما ان كان من المكذبين الضالين » قال : الجاحدين للامام .

وفى الكافى : باسناده عن سويد بن غفلة قال : قال امير المؤمنين عليه السلام : إن ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الاخرة مثّل له ماله وولده وعمله ، فيلتفت إلى عمله فيقول : والله انى كنت فيك لزاهد وإن كنت على لثقيلا فماذا عندك ؟ فيقول : أنا قرينك فى قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وانت على ربك قال : فان كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً فيقول :

أبشر برواح وريحان وجنّة نعيم ومقدمك خير مقدم ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة .

وإذا كان لربّه عدوّاً فانه يأتيه أقبح من خلق الله زياً ورؤياً وأنتنه ريحاً ، فيقول له : أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم . الحديث .

وفى نهج البلاغة : قال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام فى خطبة : وأعظم ما هنالك بليّة نزول الحميم وتصلية جحيم .

بحث فقهي

في النهي عن مس كتابة القرآن من غير طهارة

وقد استدلّ المحققون من المفسّرين على عدم جواز مسّ كتابة القرآن المقدس بقوله تعالى: «لا يمسّه إلا المطهّرون» الواقعة: ٧٩).

وذلك لامور:

الاول: إنّ المراد بالنفي هو النهي عن مسّه، وفي ايثار الانشاء بصورة الاخبار تأكيد في معناه، ولكونه أبلغ فلا بدّ من حمله عليه، وظاهر النهي هو التحريم.

الثاني: ليس المراد بالنفي نفي المسّ الذي هو خبر للزوم الكذب فيه لانّا نعلم بالضرورة انّه يمسّه من ليس بمطهّر.

الثالث: لحمل المسّ على معناه الحقيقي.

الرابع: لانّ الضمير عائد إلى القرآن كما هو ظاهر سياق الكلام لاظهار شرف القرآن، وفضيلته لا إلى الكتاب المكنون كما زعمه بعض للزوم المجاز في معنى المسّ إذ المعنى: لايمس الكتاب في اللوح المحفوظ إلا الملائكة المطهّرون.

الخامس: انّ «لايمسه الا المطهّرون» صفة من القرآن بالاجماع، وهي متصلة بما بعدها من قوله: «تنزيل من رب العالمين» وهي صفة اخرى أيضاً منه.

وذهب إلى ذلك فقهاء الشيعة الامامية الاثنيعشرية قديماً وحديثاً وتؤيّده الروايات الواردة عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقول بعض الفقهاء : « ان الظاهر من قوله تعالى : « لايمسه إلا المطهرون » كونه حكاية وصف خارجي لا انشاء حكم تشريعي لا سيما مع ظهور المطهر - بالفتح - في المعصوم عليه السلام لا ما يعم المتطهر فالمستند الاقوى للحكم الروايات والاجماع المدعى في كلمات القوم » خارج عن فهم القرآن الكريم جداً .

واما الرويات ففي ابوابها

منها ما في (وسائل الشيعة : في أبواب قراءة القرآن من كتاب الصلاة وأبواب الوضوء من كتاب الطهارة) .

وفيه : بالاسناد عن ابراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن عليه السلام قال : المصحف لاتمسه على غير طهر ولا جنباً ، ولا تمسه خطه ولا تعلقه ان الله تعالى يقول : « لايمسه إلا المطهرون » .

وفيه : بالاسناد عن أبي بصير قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عمن قرء في المصحف ، وهو على غير وضوء ؟ قال : لابأس ولا يمس الكتاب .

وفيه : عن حريز - مرسلاً - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان اسمعيل بن أبي عبد الله عنده ، فقال : يابني إقرأ المصحف فقال : إني لست على وضوء فقال : لاتمس الكتابة ومس الورق واقرأه .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال : سئلته اقرأ المصحف ثم يأخذني البول فاقوم ، فأبول واستنجي وأغسل يدي واعود إلى المصحف فأقرأ فيه ؟ قال : لاحتى تتوضأ للصلاة .

وفيه : في حديث الاربعمأة عن الامام علي عليه السلام قال : لايقرأ العبد القرآن إذا كان على غير طهور حتى يتطهر .

اقول . وظاهر الروايتين الاخيرتين كراهة القراءة على غير وضوء ، فالوضوء لقرائة القرآن شرط لكمالها لالجوازها كما يدل على ذلك رواية ابن فهد الحلي رضوان الله تعالى عليه في (عدة الدعى) قال : قال عليه السلام : لقارىء القرآن بكل حرف يقرأه في الصلاة قائماً مأة حسنة وقاعداً خمسون حسنة ومتطهراً في غير

صلاة خمس وعشرون حسنة وغير متطهر عشر حسنات أما انى لا أقول: «المر» بل بالالف عشر وباللام عشر وبالميم عشر وبالراء عشر .

وفي المقام مسائل :

مسئلة ١- لايجوز للمحدث ـ من الحدث الاصغر والاكبر ـ مس كتابة القرآن المقدس حتى المد والتشديد وأعاريبه ، فانها جزء من الكتابة عرفاً من غير فرق في الماس بين ما تحلّه الحياة وغيره .

مسئلة ٢- لايجرى الحكم في المس بالشعر إذا كان الشعر غير تابع للبشرة ، ولكن الاحوط تركه به أيضا .

مسئلة ٣- لافرق بين المس ابتداء أو استدامة لاطلاق المس عليهما فلو كانت يد الماس على الخط ، فأحدث يجب عليه رفعها بلا مكث ، وكذا لو مس غفلة ثم التفت انه محدث .

مسئلة ٤- المس الماحي للخط أيضاً حرام لصدق المس عليه اذ المحو انما يكون بالمس ، فلا يجوز له أن يمحوه باللسان او باليد الرطبة وهو على غيرطهر.

مسئلة ٥- لا فرق بين أنواع الخطوط حتى المهجور منها كالكوفي لصدق نقوش القرآن على الجميع ، وكذا لافرق بين أنحاء الكتابة من الكتب بالقلم او الطبع او القص بالقرطاس او الحفر او العكس لصدق الخط على ذلك كله .

مسئلة ٦- لافرق بين ما كان في القرآن أو في كتاب بل لو وجدت كلمة من القرآن في خطبة اوحديث او شوهدت في كلام او كانت في قرطاس مع ثبوت العنوان فيحرم مسّها .

مسئلة ٧- ان الالفاظ المشتركة من القرآن وغيره مثل : قال وموسى وعيسى وداود وسليمان ونحوها . .

فلولم يقصد بكتابتها القرآن لما كانت قرآنا قطعاً ، فيعتبر فيها قصد الكاتب لعدم صدق كتابة القرآن بلا قصد الا إذا صارت آية او سورة قرآنية بالانضمام ، فيصدق عليها القرآن سواء قصد أم لا .

مسئلة ٨- لافرق فيما كتب عليه القرآن بين القرطاس واللوح والارض والجدار والثوب والجسد ، فاذا كتب على يده فلا يجوز مسه عند الوضوء بل يجب محوه اولا ثم الوضوء لصدق القرآن ، واطلاق دليل حرمة مسّه الشامل للجميع.

مسئلة ٩- اذا كتب القرآن على الكاغذ بلا مداد ، فالظاهر عدم المنع من مسه لعدم كونه خطاً نعم لو كتب بما يظهراثره بعد ذلك فالظاهر حرمته لانّه خط موجود واقعاً ، وان لم يدركه الحس بعد فيشمله اطلاق حرمة المس كماء البصل فانه لاأثر له ولكنّه اذا حمى على النار يظهر .

مسئلة ١٠- لا يحرم المسّ من وراء الزجاجة وان كان الخطّ مرئيّاً ، وكذا اذا وضع قرطاس رقيق يرى الخط تحته لعدم صدق المس حقيقة لحيلولة الزجاجة او القرطاس بينه وبين الماس ، واما المنطبع في المرآت فان انطبع على سطحها فيحرم المس عليه ، وان انطبع على حاقّها فلا ، نعم لو نفذالمداد في القرطاس حتى ظهر الخط من الطرف لايجوز مسه للاطلاق الشامل للكتابة المقلوبة خصوصاً اذا كتب بالعكس ، فظهر من الطرف الاخر طرداً .

مسئلة ١١- في مس المسافة الخالية التي يحيط بها بعض الحروف كالهاء والحاء والعين والدال والسين - مثلا - اشكال لخروجه عن الكتابة ، ولكن الاحوط هو الترك .

مسئلة ١٢- الاحوط عدم جواز كتابة المحدث آية من القرآن باصبعه على الارض اوغيرها لمساس الماس بجزء المكتوبة عند الكتابة ، واما الكتب على بدن المحدث وان كان الكاتب على وضوء فالظاهر حرمته ، خصوصاً اذا كان بما يبقى أثره .

مسئلة ١٣- لا يجب منع الصبيّ والمجنون من المس لرفع القلم عنهم ، واما تمكينهم بالمس ، فان كان بامساس أيديهم بالقرآن بحيث يكون مس الصبي مثلا من المكلف نظير تولّي الغير في الوضوء فلا يجوز لانه مس من المكلف واقعاً أي ايجاد مسّ الصبيّ منه ، وإن كان على سبيل المناولة ، فلا يجب المنع

لقيام السيرة القطعية على مناولتهم القرآن من الاعصار الماضية إلى اليوم بحيث يفتتح لهم بالقرآن فى اول تعاليمهم ، إلا إذا كان هتكاً ، ولو توضأ الصبى المميز فلا إشكال فى مسه بناء على الاقوى من صحة وضوئه وسائر عباداته .

مسئلة ١٤- لايحرم على المحدث مس غير خط القرآن من ورقه لماجوّزه الامام فى روايتى حريز وأبى بصير المتقدمتين ، ويدل ذلك على جواز المسّ ما بين السطور وجلد القرآن وغلافه .

وأما الحمل والتعليق فيكرهان بناء على حمل قول الامام عليه السلام : « ولاتعلقه » على الكراهة .

مسئلة ١٥- ترجمة القرآن ليست منه بأى لغة كانت ، فلابأس بمسّها على المحدث لان القرآن الكريم عبارة عن الالفاظ المخصوصة ، فلايعمّ كل لفظ حاك عن المعنى ، وقال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربياً » الزخرف : ٣) .

وأما اسم الله تعالى فلا فرق بين اللغات لصدق اسمه تعالى على كل ما كان حاكياً عن الذات الاحدية بأى لغة كان .

قال الله تعالى : « أيّاما تدعوا فله الاسماء الحسنى » الاسراء : ١١٠) .

مسئلة ١٦- لايجوز وضع الشيء النجس والمتنجس على القرآن وإن كان يابساً لانه هتك ، فلا يجوز للمتوضيء أن يمس القرآن باليد المتنجّسة .

مسئلة ١٧- اذا كتبت آية من القرآن على لقمة خبز لا يجوز للمحدث أكله لاستلزام الاكل لمس المكتوبة ، وقد تقدم من عدم الفرق بين الظاهر والباطن ويجوز للمتطهر ، وخصوصاً إذا كان بنيّة الشفاء أو التبرك .

﴿ بحث علمي مذهبي ﴾

تستدلّ الفلاسفة الاسلاميّة على تبدّل الجواهر الطبيعية من حيث وجودها المادّي واستقرارها من حيث وجودها العقلي بقوله تعالى: «على أن نبدّل امثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون» الواقعة: ٦١).

ومنهم صدر المتألّهين في «الرسائل» فقال: «انّ كل شخص جوهري له طبيعة سيّالة متجدّدة وله أيضاً امر ثابت مستمرّ نسبته اليها نسبة الروح الى الجسد فانّ الروح الانساني لتجرّده باق وطبيعة البدن أبداً في التجدد والسيلان والذوبان وانما هو متجدّد الذات الباقية بورود الامثال والخلق لفي غفلة عنه، بل هم في لبس من خلق جديد.

وكل حال الصور الطبيعة فانّها متجدّد من حيث وجودها المادي الوضعي الزماني فلها كون تدريجي متبدّل غير مستقر الذات ومن حيث وجودها العقلي وصورتها المفارقة الافلاطونية باقية ازلا وابداً في علم الله تعالى فالاول وجود دنيوي بائد دائر لاقرار له والثاني وجود ثابت غير دائر لاستحالة أن يزول شيء من الاشياء من علمه أو يتغيّر علمه تعالى ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين.

ثم قال: ومما يشير إلى تبدّل الطبيعة قوله تعالى: «يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» ابراهيم: ٤٨).

وقوله تعالى: إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» فاطر: ١٦).

وقوله تعالى: «كل الينا راجعون» الانبياء: ٩٣).

وقوله تعالى: «على أن نبدّل أمثالكم وننشأكم فيما لاتعلمون».

وغيرها من الايات الكثيرة التي تشير الى ثبوت الحركة الجوهرية في

الاجسام السمويّة والارضيّة .

وقال السيد الطباطبائي في «الميزان» : فان قلت : لو كان البدن الاخروى مثلا للبدن الدنيوى ومثل الشيء غيره كان الانسان المعاد في الاخرة غير الانسان المبتدء في الدنيا لانّه مثله لاعينه .

قلت : قد تقدّم في المباحث السابقة غير مرّة انّ شخصية الانسان بروحه لابيدنه ، والروح لاتنعدم بالموت وانّما يفسد البدن وتتلاشى أجزائه ثم إذا سوّى ثانياً مثل ما كان في الدنيا ثم تعلّقت به الروح كان الانسان عين الانسان الذى في الدنيا كما كان زيد الشائب مثلا عين زيد الشاب لبقاء الروح على شخصيتها مع تغيّر البدن لحظة بعد لحظة . انتهى كلامه رفع مقامه .

واستدلّ الزمخشري في الكشاف على صحّة القياس بقوله تعالى : « ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكّرون » السورة : ٦٢) .

حيث جهّلهم في ترك قياس النشأة الاخرى بالاولى .

اقول: وهذا مردود فان قياسه قياس مع الفارق فان الذى في الاية الكريمة قياس برهانيّ منطقيّ وذلك لانّ الانسان اذا شاهد النشأة الاولى وعرفها وعلم أن الذى أوجدها عن كتم العدم هوالله القادر المتعال واذ قدر عليها أوّلا فهو قادر على ايجاد مثلها ثانياً .

قال الله تعالى : « فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشأ النشأة الاخرة »
العنكبوت : ٢٠) .

وهذابرهان على الامكان فيرتفع به استبعادهم للبعث اذ يحصل بالعلم بالنشأة الاولى علم بمبادى البرهان على امكان البعث فلا استبعاد مع الامكان .

والذى يستدل بها قياس فقهيّ مفيد للظنّ على ظنّهم فأين أحدهمامن الاخر.

الامام علي عليه السلام

وسباق الامة المسلمة

وقدجاءت روايات كثيرة باسانيد عديدة عن طريق العامة :

إن الامام علي بن أبيطالب عليه السلام هو المعني به في قوله تعالى: « السابقون السابقون اولئك المقربون » الواقعة : ١٠ ـ ١١) .

وقد وقفت الى الآن في ذلك نحو مأة مجلدة من كتبهم المعتبرة عندهم نشير إلى مايسعه المقام :

١ ـ روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٢١٣ ط بيروت) باسناده عن إبن عباس في قوله تعالى: «والسابقون السابقون اولئك المقربون» قال : السبّاق ثلاثة : سبق يوشع بن نون الى موسى ، وسبق صاحب ياسين إلى عيسى وسبق علي إلى النبي صلى الله عليه وآله .

رواه جماعة منهم :

١ ـ محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ص ١٥٨ ط محمد أمين الخانجي بمصر) .

٢ ـ ابن كثير الدمشقي في (تفسيره ج ٤ ص ٢٨٣ ط مصر)

٣ ـ السيوطي في (الدر المنثور ج ٦ ص ١٥٤ ط مصر)

٤ ـ الشوكاني في (فتح القدير ج ٥ ص ١٤٨ ط مصطفى الحلبي بمصر)

٥ ـ محمود الآلوسي في (روح المعاني ج ٢٧ ص ١١٤ ط المنيرية بمصر)

٦ ـ الفخر الرازي في (تفسيره ج ٢٧ ص ٥٧ ط الجديد)

٧ ـ إبن المغازلي في (المناقب في الحديث ٣٦٨)

٨ ـ إبن بطريق في (العمدة ص ٣٢)

٩ ـ الطبراني في (المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٢)

١٠ ـ الخوارزمي في (المناقب ص ١٩)

١١ ـ الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢)

١٢ ـ إبن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ١٢٣ ط المحمدية بمصر)

١٣ ـ ميرمحمد صالح الكشفي في (مناقب مرتضوى ص ٤٩ ط بمبئي بمطبعة محمدي)

١٤ ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ٦٠ ط اسلامبول)

٢ـ روى الحاكم الحسكاني باسناده عن إبن عباس ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السبّاق أربعة : سبق يوشع إلى موسى ، وسبق صاحب ياسين إلى عيسى ، وسبق علي إلى محمد ، وسبق ابراهيم .

وفي رواية : وشمعون بن يوحنا إلى عيسى .

٣ ـ روى الكنجي في (الكفاية ص ٤٦) بلفظ : سبّاق الامم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين : علي بن أبيطالب وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون وعليّ أفضلهم .

ثم قال : هذا سند إعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به .

٤ ـ روى المحدث الشيخ أبومحمد عبد الله بن الحسن الهروي في (شرح المصابيح) مالفظه : روى الجمهور بهذه العبارة : سبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبيطالب ، وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون ، وهم الصدّيقون ، وأفضلهم علي عليه السلام .

٥ ـ روى إبن هشام الحميري المصري في (السيرة النبويّة ج ١ ص ١٧٦ ط القاهرة) : سباق الامة ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس ، وعلي بن أبيطالب رضي الله عنهم.

٦ ـ روى إبن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان ج ١ ص ٤٩ ط حيدر آباد الدكن) عن إبن عباس فى قوله تعالى : « السابقون السابقون » قال : سابق هذه الامة على بن أبيطالب عليه السلام .

٧ ـ روى الحافظ أبو بكر البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥٥ ط السعادة بمصر) بالاسناد عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثلاثة لم يكفروا بالوحى طرفة عين : مؤمن آل ياسين ، وعلى بن أبى طالب وآسية إمرأه فرعون .

٨ ـ روى الحافظ احمد بن حنبل فى (فضائل الصحابة ص ١٥٦) باسناده عن أبى ليلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الصديقون ثلاثة : حبيب النجار ، وهو مؤمن آل ياسين وحزقيل ، وهو مؤمن آل فرعون وعلى بن ابيطالب وهو أفضلهم .

٩ ـ روى الاربلى فى (كشف الغمة ص ٩٢) عن المحدث الحنبلى فى قوله تعالى : « والسابقون السابقون اولئك المقربون » قال : هو على عليه السلام وكان ينشد :

سبقتكم إلى الاسلام طراً صغيراً مابلغت أوان حلمى

١٠ ـ روى ابن كثير الدمشقى فى (تفسيره ج ٤ ص ٢٨٣ طمصر) عن ابن عباس فى قوله تعالى : «والسابقون السابقون» قال : يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلى بن أبيطالب سبق الى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفيه : عن ابن سيرين قال : هم الذين صلوا الى القبلتين .

في فضل الحرث

وبيع الزرع الاخضر

قال الله تعالى : « أفرايتم ماتحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » الواقعة : ٦٣ ـ ٦٤).

وقد جائت روايات كثيرة في المقام تحت عناوين عديدة نشير إلى ما يسعه :

في الكافي : باسناده عن محمد بن عطيّة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل إختار لانبيائه الحرث والزرع كيلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء.

وفيه : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله جعل أرزاق أنبيائه في الزرع والضرع لئلاّ يكرهوا شيئاً من قطر السماء .

وفيه : باسناده عن سيّابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئله رجل فقال له : جعلت فداك اسمع قوماً يقولون : إن الزراعة مكروهة فقال له : ازرعوا واغرسوا فلا والله ما عمل الناس عملاً أحل ولا اطيب منه ، والله ليزرعن الزرع ، وليغرسنّ النخل بعد خروج الدجال .

وفيه : عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان ابي يقول : خير الاعمال الحرث تزرعه ، فيأكل منه البر والفاجر أما البر فما اكل من شيء استغفر لك واما الفاجر فما أكل منه من شيء لعنه وتأكل منه البهائم والطير .

وفيه : باسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل النبي صلى الله عليه وآله أي المال خير ؟ قال : الزرع زرعه صاحبه وأصلحه وأدّى حقّه يوم حصاده ، قال: فأي المال بعد الزرع خير ؟ قال : رجل في غنم له قد تبع بها مواضع القطر يقيم

الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، الحديث ...

وروى أن أبا عبد الله عليه السلام قال : الكيمياء الاكبر الزراعة .

وفيه : باسناده عن يزيد بن هارون قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الزارعون كغوور الانام يزرعون طيباً أخرجه الله عز وجل وهم يوم القيامة أحسن الناس مقاماً وأقربهم منزلة يدعون المباركين .

وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام انه مرّ بناس من الانصار ، وهم يحرثون فقال لهم : احرثوا فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ينبت الله بالريح كما ينبت بالمطر ، قال : فحرثوا ، فجادت زروعهم .

أقول : وفي مرآت العقول : هذا مجرب في كثير من البلاد كقزوين وأمثالها مما يقرب إلى البحر .

وفيه : باسناده عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال : مكروه قطع النخل ، وسئل عن قطع الشجرة ، قال : لا بأس ، قلت : فالسدر قال : لابأس انما يكره قطع السدر بالبادية لانه بها قليل ، واما هيهنا فلا يكره .

وفيه : باسناده عن ابن مضارب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تقطعوا الثمار ، فيبعث الله عليكم العذاب صبّاً .

وفيه : باسناده عن الحلبي قال : قال ابو عبد الله عليه السلام : لابأس بأن تشتري زرعاً اخضر ثم تتركه حتى تحصده إن شئت ، او تعلفه من قبل أن يسنبل وهو حشيش وقال : لابأس ايضا ان تشتري زرعاً قد سنبل وبلغ بحنطة .

وفيه : باسناده عن بكير بن اعين قال : قلت: لابي عبدالله عليه السلام : أيحلّ شراء الزرع اخضر ؟ قال : نعم لابأس به .

وفيه : عن زرارة مثله وقال : لا بأس بأن تشتري الزرع و القصيل اخضر ثم تتركه إن شئت حتى يسنبل تحصده ، وإن شئت ان تعلف دابّتك قصيلاً ، فلا بأس به قبل ان يسنبل فأما إذا سنبل ، فلا تعلفه رأساً ، فانه فساد .

﴿ الدعاء و الزراعة ﴾

في الكافي : باسناده عن مسمع عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لما هبط بآدم إلى الارض احتاج الى الطعام والشراب فشكى ذلك الى جبرئيل عليه السلام فقال له جبرئيل : يا آدم كن حرّاثاً قال : فعلّمني دعاء قال : قل : « اللّهم اكفني مؤونة الدنيا وكل هول دون الجنة ، وألبسني العافية حتى تهنئني المعيشة » .

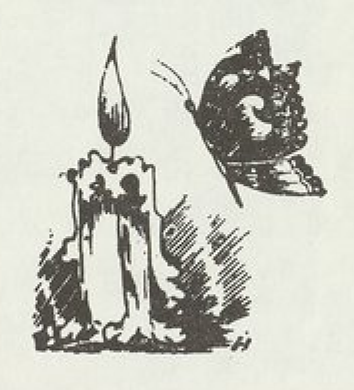
وفيه : باسناده عن ابن بكير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أردت أن تزرع زرعاً ، فخذ قبضة من البذر ، واستقبل القبلة وقل : « افرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » ثلاث مرّات ثم تقول : « بل الله الزارع » ثلاث مرات ثم قل : « اللهم اجعله حبّاً مباركاً وارزقنا فيه السلامة » ثم انتثر القبضة التي في يدك في القراح .

القراح : الارض التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر .

وفيه : باسناده عن سدير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن بني اسرائيل أتوا موسى عليه السلام فسئلوه أن يسئل الله عز وجل ان يمطر السماء عليهم إذا أرادوا ، ويحبسها إذا أرادوا ، فسئل الله عز وجل ذلك لهم ، فقال الله عزوجل : ذلك لهم يا موسى فأخبرهم موسى فحرثوا ولم يتركوا شيئاً إلا زرعوه ثم إستنزلوا المطر على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم ، فصارت زروعهم كأنها الجبال والاجام ثم حصدوا وداسوا وذرّوا فلم يجدوا شيئاً فضجّوا الى موسى عليه السلام وقالوا : انما سئلناك أن تسئل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا ثم صيّرها

علينا ضرراً فقال :

يا رب ان بنياسرائيل ضجّوا مما صنعت بهم ، فقال : ومم ذاك يا موسى ؟ قال : سألوني أن أسئلك أن تمطر السماء اذا أرادوا وتحبسها اذا أرادوا ، فأجبتهم ثم صيّرتها عليهم ضرراً ، فقال : ياموسى أنا كنت المقدّر لبنياسرائيل فلم يرضوا بتقديري ، فأجبتهم الى إرادتهم فكان ما رأيت .



﴿ كلام فى المزارعة ﴾

فى الكافى : باسناده عن الحلبى عن أبى‌عبد الله عليه السلام قال : لاتقبّل الارض بحنطة مسمّاة ، ولكن بالنصف والثلث والربع والخمس لاباس به ، وقال : لابأس بالمزارعة بالثلث والربع والخمس.

وفيه : باسناده عن سليمان بن خالد قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يزرع أرض آخر ، فيشترط عليه للبذر ثلثاً ، وللبقر ثلثاً ، قال : لا ينبغى أن يسمى بذراً ولا بقراً فانما يحرّم الكلام .

وفيه : عن عبدالله بن سنان أنه قال فى الرجل يزارع فيزرع أرض غيره فيقول : ثلث للبقر وثلث للبذر وثلث للارض قال : لايسمّى شيئاً من الحبّ والبقر ولكن يقول : ازرع فيها كذا و كذا ان‌شئت نصفاً وإن شئت ثلثاً .

وفيه : باسناده عن الحلبى قال : أخبرنى ابوعبد الله عليه السلام أن اباه عليه السلام حدّثه ان رسول الله صلى الله عليه وآله اعطى خيبر بالنصف أرضها ونخلها ، فلما ادركت الثمرة بعث عبدالله بن رواحة ، فقوّم عليهم قيمة فقال لهم : اما ان تأخذوه وتعطونى نصف الثمن واما أن اعطيكم نصف الثمن و آخذه ، فقالوا : بهذا قامت السموات والارض .

اى بالعدل قامت السموات والارض .

وفيه : باسناده عن ابراهيم الكرخى قال : قلت لابى عبد الله عليه‌السلام : اشارك العلج فيكون من‌عندى‌الارض والبذروالبقر ويكون على‌العلج القيام والسقى والعمل فى الزرع حتى يصير حنطة وشعيراً ويكون القسمة ، فيأخذ السلطان حقه ويبقى مابقى على ان للعلج منه‌الثلث ولى الباقى قال : لابأس بذلك قلت : فلى‌عليه

ان يردّ عليّ مما أخرجت الارض البذر ويقسّم الباقي ؟ قال : انما شاركته على ان البذر من عندك وعليه السقي والقيام .

وفيه : باسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئلته عن الرجل يكون له الارض من أرض الخراج فيدفعها إلى الرجل على ان يعمرها ويصلحها ويؤدّي خراجها وما كان من فضل فهو بينهما قال: لا بأس قال: وسئلته عن الرجل يعطي الرجل أرضه ، وفيها رمّان أو نخل أو فاكهة ، فيقول : اسق هذا من الماء واعمره ولك نصف ماالخرج ، قال : لابأس ، قال : وسئلته عن الرجل يعطي الرجل الارض ، فيقول : اعمرها وهي لك ثلاث سنين او خمس سنين او ماشاء الله ، قال : لابأس ، قال : وسئلته عن المزارعة فقال : النفقة منك والارض لصاحبها فما اخرج اللهمنها من شيء قسم على الشطر و كذلك اعطى رسول الله ﷺ أهل خيبر حين أتوه ، فأعطاهم إيّاها على ان يعمروها ، ولهم النصف مما اخرجت .



﴿ الماء وحقيقته ﴾

قال الله تعالى ممتناً على عباده : « أفرأيتم الماء الذى تشربون ءانتم أنزلتموه من المزن ام نحن المنزلون » الواقعة : ٦٨ ـ ٦٩)

فلابدلنا من البحث حول الماء في امور اجمالاً :

والماء هو السائل اللطيف الشفاف من غير طعم ولارائحة ولون له .

وان للماء في القرآن الكريم موارد من الاستعمال والاطلاق :

١ ـ يطلق على مبدء حياة كل حي ودابة كقوله تعالى: « وجعلنا من الماء كل شيء حي » الانبياء : ٣٠)

وقوله : « والله خلق كل دابة من ماء » النور : ٤٥)

٢ ـ يطلق على النطفة الانسانية كقوله تعالى : « وهو الذى خلق من الماء بشراً » الفرقان : ٥٤) يعني من النطفة

٣ ـ يطلق على مايشربه الانسان وغيره كآية الواقعة .

وقوله تعالى : « فلم تجدوا ماءاً فتيمموا صعيداً طيباً » المائدة : ٦)

٤ ـ يطلق على المطر كقوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماءاً فاسقيناكموه » الحجر : ٢٢)

وقوله تعالى : « وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماءاً طهوراً لنحيي بـه بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا انعاماً واناسي كثيراً » الفرقان : ٤٨ ـ ٤٩) .

في الكافي : باسناده عـن محمدبن مسلم قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعـالى : « ونزلنا من السماء مـاء مباركاً »

قال : ليس من ماءٍ في الارض الا وقد خالطه ماء السماء .

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اشربوا ماء السماء فانه يطهّر البدن ويدفع الاسقام قال الله عزوجل : « وينزّل عليكم من السماء ماءاً ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبّت به الاقدام »

أقول : ان الروايتين من الادلة التي استدل بها على ان المطر ليس من ماء الارض خلافاً لمن زعم ان المطر هو ماء الارض بعد ماصار بخاراً فتصاعد إلى الجو.

وان التحقيق في ذلك في بحث المطر فراجع .

٥ - يطلق على الثلج كقوله تعالى : « وانزلنا من السماء ماءاً بقدر فاسكنّاه في الارض » المؤمنون : ١٨) أي الثلج .

٦ - يطلق على ماء الجنة كقوله تعالى : « وماء مسكوب » الواقعة : ٣١) وقوله تعالى : « فيها انهار من ماء غير آسن » محمد صلى الله عليه وآله : ١٥)

٧ - يطلق على مستقره حيث يستقي الناس وتشرب السائمة كالبئر والنهر وتقول العرب : نزلت على ماءِ بني فلان أي على بئرهم .

كقوله تعالى : « ولما ورد ماء مدين » القصص : ٢٣) ، يراد البئر التي يستقون منها .

وقد ورد كثيراً ان للماء أهلا وسكاناً سيجيء مايسعه المقام ، وقال بعض المحققين : وفي الروايات مايدل على تركيب الماء أخبر به المعصوم عليه السلام ، وقد بقي الماء زمناً طويلا وهو معدود من الاجسام البسيطة مع ان العلامة (كافنديف) شاهد تكوّنه عند احتراق الايدروجين ، واستمرّ تركيبه مجهولا حتى أبان لافوازييه انه مركب من اوكسيجين وايدروجين وعيّن نسبة مقدارهما .

وتوصّل لمعرفة تركيب الماء بطريق التحليل اى بفصل عناصره بعضها عن بعض ، وبطريق التأليف اى بتكوينه من عناصره التي دل التحليل عليها .

وقد اثبتت التجربة ان حجم الايدروجين ضعف حجم الاوكسيجين اى ان

الماء مكوّن من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبما ان كثافة هذين الغازين معلومة فيستدل منها على الوزن النسبى لهما .

فكثافة الاوكسيجين ١,١٠٥٦ وكثافة الايدروجين ٠,٠٦٩٢٦ ، اى ان الحجم الواحد من الجسم الاول يزن قدر مايزن حجم مساوله من الثانى ١٦ مرة .

فالماء اذاً مكون من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبالوزن من ٢ من الايدروجين و ١٦ من الاوكسيجين ، وبعبارة اخرى ان ١٨ جزءاً من الماء النقى تحتوى على غرامين من الايدروجين و١٦ غراماً من الاوكسيجين .

فالماء مكوّن بالوزن من :

ايدروجين : ١١ و ١١

اوكسيجين : ٩٩ و ٨٨

١٠٠و٠٠

أى ان نسبة مقدار الايدروجين للاوكسيجين فى الماء هى كنسبة ١ : ٨ أو ٢ : ١٦ .

﴿ الماء وحاجة الانسان اليه اطلاقاً ﴾

قال الله عزوجل : « أفرايتم الماء الذى تشربون ءانتم انزلتموه من المزنام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجاً فلولاتشكرون » الواقعة : ٦٨ ـ ٧٠)

ان الماء من أعظم نعم ربانيّة يحتاج إليه الانسان فى حدوثه وبقائه ، إذ به وجوده وحياته وطهارته ، وبه تحيى الارض وتنبت النبات وتخضر الاشجار وتجرى العيون . . .

فلولاه لما كان له حياة ولاعيش هنيىء فى الحياة الدنيا فلا بد له من الحمد والشكر تجاه هذه النعمة الالهية .

قال الله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » الانبياء : ٣٠) .

وقال : « والله خلق كل دابة من ماء » النور : ٤٥)

وقال : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق » الطارق : ٥ ـ ٦) .

وقال : « وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ـ الم تر ان الله انزل من السماء ماءاً فتصبح الارض مخضرة » الحج: ٥ ـ ٦٣) .

وقال : « الم تر ان الله انزل من السماء ماءاً فاخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها » فاطر : ٢٧)

وقال: « هو الذى انزل من السماء ماءاً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون » النحل : ١٠ ـ ١١) .

وقال : « وانزل من السماء ماءاً فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتّى كلوا

وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى » طه : ٥٣ ـ ٥٤) .

وقال : « وينزّل عليكم من السماء ماءاً ليطهّركم به » الانفال : ١١) .

وقال : « وهو الذى انزل من السماء ماءاً فاخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ـ ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٩) وقال : « وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها » البقرة : ١٦٤) .

وقال : « ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماءاً فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لايعقلون » العنكبوت : ٦٣) .

ان الماء من أهم مواد الطعام طرّاً ، وان الانسان صحيح الجسم يحتاج فى كل يوم إلى (٧٠) اوقية إلى (١٠٠) أوقية من الماء ، وان ثلث هذا القدر من الماء يحصل من الطعام الذى نأكله ، فان الاثمار والبقول تحتوى على مقدار عال من الماء بالنسبة إلى قيمها الغذائية واما الثلثان الباقيان فيحصل بالشرب من الماء او بالسوائل الاخرى .

فكل انسان بالغ صحيح الجسم يحتاج فى كل يوم إلى نحو ستة أرطال ماء وان وظيفة الماء بناء انسجة الجسم وتحليل الطعام ، ويساعد على حمله إلى الدم وتنظيف الامعاء ، ومنع تجمّع الفضول فيها مما يفضى تجمعه إلى تسمّم الجسم ، وينبه غدد اللعاب فى الفم على الافراز واللعاب يساعد على هضم المواد النشوية فى الطعام ، ويحل المواد الملحية والسكرية . .

وان الانسان لايستطيع أن يعيش بلاماء الا نحو ثلاثة ايام ، وهذا يكفى فى الدلالة على انه من اكبر الضروريات لاقامة الحياة بعد الهواء ولهذا السبب كانت حاجة الجسم إلى الماء شديدة جداً ، فلابد للانسان الذى يريد أن تكون صحته تامة أن يتعاطى من الماء جملة مرّات فى اليوم .

وقد قال بعض أخصّاء الاطباء : ان الجسم المحروم من الماء كالآلة المحرومة من الشحم.

في اهل الماء

والنهي عن البول فيه

وقدجائت روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في النهي عن البول في الماء لمافيه من الاهل والسكان ، وقدثبت ذلك بعد اختراع المناظر المكبرة حين مضى نحو ثلاثة عشر قرناً من الاخبار به . .

في الخصال : باسناده عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال اميرالمؤمنين عليه السلام : لايبولن* الرجل من سطح في الهواء ، ولايبولن* في ماء جار ، فان فعل ذلك فأصابه شيء فلا يلومن* الا نفسه ، فان للماء أهلا وللهواء أهلا .

وفي دعائم الاسلام : وان بعضهم صلوات الله عليهم نزل إلى الماء وعليه إزار ولم ينزعه ، فقيل له : قد نزلت في الماء واستترت به فانزعه ! قال : فكيف بساكن الماء .

وفيه: وعنهم صلوات الله عليهم أن رسول الله ﷺ قال : البول في الماء القائم من الجفاء ، ونهى عنه وعن الغائط فيه ، وفي النهر ، وعلى شفير البئر يستعذب من مائها . الحديث . .

وفي البحار: أن رجلا جاء الى النبي ﷺ وشكى إليه الشدة والعسر والحزن في جميع الاحوال و كثرة الهموم ، وتعسّر الرزق ، فقال ﷺ : لعلك تستعمل ميراث الهموم ؟ فقال : ومامیراث الهموم ؟ قال : لعلك تتعمّم من قعود ، اوتتسرول من قيام ، اوتقلّم أظفارك بسنّك ، اوتمسح وجهك بذيلك ، او تبول في ماء راكد ،

اوتنام منبطحا على وجهك . الخبر . .

وفي الكافي : باسناده عن أبي سعيد عقيصا التميمي قال : مررت بالحسن والحسين صلّى الله عليهما ، وهما في الفرات مستنقعان في إزارين فقلت لهما : يا ابني رسول الله أفسدتما الازارين فقالا لي : يا أباسعيد فساد الازارين أحب الينا من فساد الدين ان للماء أهلا وسكاناً كسكان الارض .

وفي المناقب لابن شهر آشوب قدس سره عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : دخل الحسن بن علي عليه السلام الفرات في بردة كانت عليه ، قال : فقلت له : لو نزعت ثوبك فقال لي : يا أبا عبد الرحمن ان للماء سكّاناً .

وفي امالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه في مناهي النبي صلى الله عليه وآله : انه نهى أن يبول أحد في الماء الراكد فانه منه يكون ذهاب العقل .

أقول : وقد ورد النهي عن البول في الماء الجاري ، فقيد « الراكد » فلشدة الكراهة .

وفي العلل : باسناده عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا تشرب وانت قائم ولاتطف بقبر ولاتبل في ماء نقيع ، فانه من فعل ذلك فاصابه شيء فلا يلومن الا نفسه ، ومن فعل فاصابه شيء من ذلك لم يكد يفارقه الا أن يشاء الله .



في فضل الماء وطعمه

وماء الفرات

في الكافي : باسناده عن عيسى بن عبدالله بن محمدبن عمربن على عن ابيه عن جدّه قال : قال امير المؤمنين صلوات الله عليه : الماء سيد الشراب في الدنيا والاخرة .

وفيه : باسناده عن عبيد بن زرارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : اللهم انك تعلم انه أحبّ إلينا من الاباء والامهات والماء البارد .

وفيه : باسناده عن عبدالرحمن بن الحجاج عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اول مايسئل الله جل ذكره العبد أن يقول له : أولم أروك من عذب الفرات .

وفيه باسناده عن على بن الريان بن الصلت يرفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيد شراب الجنة الماء .

وفيه : باسناده عن ابن فضال عمن أخبره عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال : من تلذّذ بالماء في الدنيا لذّذه الله عزوجل من أشربة الجنة .

أقول : أى من عرف قدر نعمة الماء وقدر انعام الله تعالى به عليه . ويحتمل أن يكون المراد بالتلذذ : التأمل في لذة الماء ، والشكر عليه او شربه بالتأني وبثلاثة انفاس تكون الاستلذاذ أى ادراك لذة الماء فيه اكثر .

وفيه : باسناده عن الحسين بن علوان قال : سئل رجل أباعبدالله عليه السلام عن طعم الماء فقال : سل تفقّهاً ولاتسئل تعنّتاً طعم الماء طعم الحياة .

أقول : التعنت : طلب الزلّة كانه عليه السلام استفرس من الرجل انه يريد

تخجيله وافحامه عن الجواب ، وقوله عليه السلام : « وطعم الماء طعم الحياة » أى كما انه لاطعم للحياة يدرك بالذوق مع كمال التلذذ بها كذلك الماء .

وفى رواية : سئل حسين بن علوان أباعبدالله عليه السلام عن طعم الماء فقال عليه السلام : طعم الماء طعم الحياة قال الله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي »

وفى رواية اخرى : قيل لامير المؤمنين عليه السلام : ماطعم الماء ؟ فقال : طعم الحياة .

وفى قرب الاسناد : عن الحسين بن علوان عن جعفر عليه السلام قال : كنت عنده جالساً إذ جاء رجل فسئله عن طعم الماء ، وكانوا يظنّون انه زنديق ، فاقبل أبوعبدالله عليه السلام يضرب فيه ويصعد ثم قال له : ويلك طعم الماء طعم الحياة ان الله عزوجل يقول : « وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون » .

ان الماء لالون له اذا نظر لقليل منه ، ويظهر له لون ازرق جميل اذا نظر لمقدار عظيم منه ، واللون الاحمر اوالاخضر اللذان يشاهدان في مياه الانهار يأتيان من المواد المعلقة فيها ، كما لاطعم ولارائحة للماء .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن أبى حمزة عمن ذكره عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما اخال أحداً يحنّك بماء الفرات الا أحبّنا أهل البيت وقال عليه السلام : ما سقى أهل الكوفة ماء الفرات الا لأمرما ، وقال : يصبّ فيه ميزابان من الجنة .

وفيه : باسناده عن الحسين بن سعيد رفعه قال ـ ابوعبدالله عليه السلام ـ : قال أمير المؤمنين : نهر كم هذا يعنى ماء الفرات يصبّ فيه ميزابان من ميازيب الجنة ، قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام : لو كان بيننا وبينه أميال لآتيناه نستسقى به

وفيه : عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : أما إن أهل الكوفة لو حنكوا اولادهم بماء الفرات لكانوا شيعة لنا .

وفيه : باسناده عن حكيم بن جبير قال : سمعت سيدنا على بن الحسين عليه السلام يقول : ان ملكا يهبط من السماء فى كل ليلة معه ثلاثة مثاقيل مسكاً من مسك الجنة فيطرحها فى الفرات وما من نهر فى شرق الارض ولاغربها أعظم بركة منه .

﴿ في آداب شرب الماء ﴾

وقد جاءت روايات كثيرة في آداب شرب الماء قياماً وقعوداً ، وفي كثرة الشرب وقلّته ، وفي أواني الماء التي يشرب منها ، وفي الدعاء حين الشرب وبعده . . نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في الكافي باسناده عن أبي القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مصّوا الماء مصّاً ولا تعبّوه عبّاً فانه يوجد منه الكباد .

قوله صلى الله عليه وآله : « عبّاً » العب : الشرب بلا مص ، و« الكباد » بضم الكاف : وجع الكبد .

٢ ـ وفيه : باسناده عن أبي طيفور المتطبب قال : دخلت على أبي الحسن الماضي عليه السلام فنهيته عن شرب الماء فقال عليه السلام : وما باس بالماء ، وهو يدير الطعام في المعدة ، ويسكن الغضب ، ويزيد في اللب ويطفي المرار .

٣ ـ وفيه : عن ياسر قال : قال أبو الحسن عليه السلام عجباً لمن أكل مثل ذا ـ أي التمر ـ وأشار بيده ولم يشرب عليه الماء كيف لا تنشق معدته .

٤ ـ وفيه : باسناده عن هشام بن الحكم قال : قال أبو الحسن عليه السلام : ان شرب الماء البارد أكثر تلذذاً .

٥ ـ وفيه : باسناده عن ياسر الخادم عن الرضا عليه السلام قال: لا باس بكثرة شرب الماء على الطعام ولا تكثر منه على غيره ، وقال : أرايت لو أن رجلا أكل مثل ذا وجمع يديه كلتيهما لم يضمّهما ولم يفرّقهما ثم لم يشرب عليه الماء كان ينشق معدته .

٦ ـ وفيه : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : شرب الماء من قيام بالنهار أقوى وأصح للبدن .

٧- وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : شرب الماء من قيام بالنهار يمرىء الطعام وشرب الماء من قيام بالليل يورث الماء الاصفر .

٨ - وفيه : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ثلاثة انفاس فى الشرب أفضل من نفس واحد .

٩ - فى قرب الاسناد باسناده عن الامام الحسين بن على عليه السلام عن أبيه على ابن ابيطالب عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا أكل اللحم لايعجل بشرب الماء فقال له بعض أصحابه من أهل بيته : يارسول الله صلى الله عليه وآله ما اقلّ شربت للماء على اللحم ؟ فقال : ليس أحد يأكل هذا الورك ثم يكفّ عن شرب الماء إلى آخر الطعام الا استمرأ .

١٠ - وفيه باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه عليه السلام قال : تفقّدت النبى صلى الله عليه وآله غير مرة وهو اذا شرب تنفّس ثلاثاً مع كل واحدة منها تسمية اذا شرب ويحمد إذا انقطع فسئلته عن ذلك فقال: ياعلى شكر الله تعالى بالحمد وتسمية من الداء .

١١ - وفيه بهذا الاسناد قال عليه السلام : ان النبى صلى الله عليه وآله مرّ على رجل وهو يكرع الماء بفمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله تكرع ككرع البهيمة ؟ اشرب بيديك فانهما من أطيب آنيتكم .

١٢ - وفيه بهذا الاسناد قال عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياعلى اشرب الماء قائماً فانه اقوى لك وأصح .

١٣ - فى الكافى باسناده عن ابن القداح عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا شرب الماء قال : الحمد لله الذى سقانا عذبا زلالا ولم يسقنا ملحاً اجاجاً ولم يؤاخذنا بذنوبنا .

١٤ - وفيه : باسناده عن بنت عمر بن يزيد عن أبيها عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اذا شرب أحدكم الماء فقال : بسم الله ثم شرب ثم قطعه ، فقال : الحمدلله ، ثم شرب ، فقال : بسم الله ثم قطعه فقال : الحمدلله ، ثم شرب فقال : بسم الله ثم قطعه فقال : الحمدلله ، سبّح ذلك الماء له مادام فى بطنه إلى أن يخرج .

قال الله تعالى : «أفرأيتم الماء الذى تشربون - لو نشاء جعلناه اجاجاً فلولا

تشكرون » الواقعة : ٦٨ ـ ٧٠) .

١٥ ـ وفيه : باسناده عن سماعة بن مهران عن أبى عبدالله عليه السلام قال : لاينبغى الشرب فى آنية الذهب ولا الفضة .

أقول : وقد حمل الخبر على حرمة الشرب من أوانى الذهب والفضة للاجماع .

١٦ ـ وفيه : باسناده عن غياث بن ابراهيم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لاتشربوا الماء من ثلمة الاناء ، ولا من عروته فان الشيطان يقعد على العروة والثلمة .

١٧ ـ وفيه : باسناده عن ابن القداح عن أبى عبدالله عليه السلام قال : مرّ النبى صلى الله عليه وآله بقوم يشربون الماء بافواههم فى غزوة تبوك ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وآله : اشربوا بايديكم فانها خير أوانيكم .

١٨ ـ وفيه : باسناده عن على بن أسباط عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : وذكر مصر فقال : قال النبى صلى الله عليه وآله : لا تأكلوا فى فخّارها ، ولا تغسلوا رؤوسكم بطينها ، فانه يذهب بالغيرة ويورث الدياثة .

أقول : ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله اذ من أراد بذهاب غيرة أحد أو بالدياثة يشربه أو يأكله من فخّار مصر ويغسل رأسه بطينها .

وفى المثال يقال لمن لاغيرة له : فلان أكل من فخّار مصر ، ويقال للديوث: فلان غسل رأسه من طين مصر .

١٩ ـ وفيه : عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام قال : ماء نيل مصر يميت القلوب.

٢٠ ـ وفيه : باسناده عن داود الرقى قال : كنت عند أبى عبدالله عليه السلام اذا استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ثم قال لى: ياداود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام وأهل بيته ولعن قاتله الا كتب الله عزوجل له مأة ألف حسنة وحطّ عنه مأة ألف سيئة ورفع له مأة ألف درجة ، وكانما أعتق مأة ألف نسمة وحشره الله عزوجل يوم القيامة ثلج الفؤاد . أى مطمئنة الفؤاد .

اقسام المياه

وما يصلح للشرب وما لا يصلح له

وقد ورد كثير من الروايات في النهي عن شرب بعض المياه، وفيما يصلح للشرب ومالايصلح له فنشير إلى مايسعه المقام منها ومن التحقيق.

في الكافي: باسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الاستشفاء بالحميّات وهي العيون الحارة التي تكون في الجبال التي توجد فيها رائحة الكبريت، قيل: أنها من فيح جهنم.

أقول: الفيح: الغليان أي من شدة غليانها وحرّها.

اعلم ان المياه تنقسم إلى مايصلح للشرب وهي مياه الامطار والانهار والينابيع وإلى ما لا يصلح للشرب وهي مياه البحار والمياه المعدنية، واما المياه الصالحة للشرب فتحتوي على العناصر الداخلة في البنية ولاتحتوي الاغذية على مقدار كاف منها، أما الاجسام التي لادخل لها في البنية فوجودها في مياه الشرب مضرّ بالصحة ومن الاملاح التي يلزم وجودها في المياه الصالحة للشرب ثاني كربونات الكالسيوم وثاني كربونات المغنيسيوم ومقدار قليل من الفلورور والكلورور وآثار من السليس ولاجل أن تكون المياه صالحة للشرب لابدلها من الصفات الآتية:

١ ـ أن تكون صافية باردة لارائحة لها.

٢ ـ ان يكون طعمها خفيفاً ليس بملح ولاحلو ولاتفه.

٣ ـ أن تكون مذيبة لمقدار من الهواء.

٤ ـ أن تذيب الصابون بدون أن يكون حبوباً، وأن تنضج البقول، فيلزم

أن تكون حرارة المياه مابين ٨ و ١٥ والمياه العكرة ، والتى لها رائحة كريهة تكون محتوية فى الغالب على مواد عضوية متعلقة بها أو متعفنة ، ومثل هذه لاتصلح للشرب ، وينبغى أن لا يتعدى مقدار المادة العضوية فى اللتر الواحد من الماء ملليغراماً واحداً .

والمياه المحتوية على مادة عضوية فى حالة تحلل أو على مادة متعفنة تكون مضرة بالصحة .

والمياه المجردة عن الهواء تكون تفهة عسرة الهضم ، ومقدار ما يكون من الهواء فى المياه الصالحة للشرب هو بين ٣٠ و ٨٠ سنتى متر مكعب لكل لتر من الماء .

وليس مقدار الاجسام المكونة للهواء المذاب فى الماء عين مقدار المكونة للهواء الجوّى ، فيكون الاوكسيجين أكثر ذوباناً فى الماء من الازوت ، فمقداره فى هواء الماء أكبر منه فى الهواء الجوى فالمأة الحجم من الهواء الجوى لاتحتوى الا ٢١ ومن هذا تعرف كيف تجد الاسماك التى لا تتنفس الا بالهواء المذاب فى الماء المقدار الكافى من الاوكسيجين لحياتها .

وينبغى أن تكون المياه محتوية على مقدار من الاملاح لايتعدى ٥٠ سنتى غراماً فى اللتر الواحد ، فاذا زادت كمية الاملاح عن ذلك صارت لا تصلح للشرب ولا للاستعمال المنزلى ، فان كان مقدار الاملاح الجيرية فيها عظيماً صارت لا تذيب الصابون من غير أن تكون حبوباً لان الاملاح الجيرية تكون مع الحوامض الدسمة الداخلة فى تركيب الصابون مركبات لاتذوب ولاتنضج البقول كالعدس والفول والبسلة لانها تصير غلافها صعباً لايلين بالطبخ ، لان ما فى الماء من الجير يكون فى غلافها مركباً عديم الذوبان .

ولاتصلح هذه المياه المحتوية على كثير من الاملاح الجيرية للاستعمال فى الآلات البخارية بسبب الرواسب التى تتكون من الاملاح الجيريّة فى قدورها ، فتكون سبباً للاخطار .

المياه المعدنية :

بعض المياه يحتوى على أجسام ملحية بسببها يكون فيها خواص طبية تصيرها نفيسة فى معالجة بعض الامراض فهذه المياه هى المسماة (المياه المعدنية) .

وأحياناً ينتفع بهذه المياه لاستخراج املاح منها نافعة فى الصنائع ، وقد تكون درجة حرارة هذه المياه مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من اغوار عميقة فى الارض اولكونها بالقرب من براكين .

فهذه المياه تسمى بالمياه المعدنية الحارة ، وذلك كمياه فيشى التى تنتهى درجة حرارتها إلى ٤٥ .

وتسمى المياه المعدنية باسماء مختلفة بحسب الاجسام الموجودة فيها ، فمن المياه المعدنية مايكون معظم مافيها من حمض الكربونيك ذائباً ، وتكون أيضاً محتوية على كربونات قلوية وقليل من كلورور الصوديوم ، وأحياناً على كربونات حديد ويحصل منها فوران بتعريضها للهواء .

فهذه المياه تسمى (المياه الغازية والمياه الحمضية) ومثالها ماء سدلتس ، ومنها مايكون معظم مافيها من الكربونات الحمضية القواعد القلوية والترابية وخصوصاً كربونات الصوديوم فهذه تسمى (المياه القلوية) ومثالها ماء فيشى .

ومنها ما يكون معظم ما فيها من الكلورات خصوصاً كلورور الصوديوم مع قليل او كثير من كلورور البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم وهذه المياه تسمى (المياه الكلورورية) ومثالها ماء بلربك .

ومنهامايكون معظم مافيها من الكبريتورات القلوية أو من حمض الكبريت ايدريك ، والاولى تكون فى العادة حارة والثانية باردة ، وهذه تسمى (المياه الكبريتورية) ومثالها مياه حلوان .

ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتات اما من كبريتات الصوديوم كمياه كرلسباد أو من كبريتات المغنيسيوم كمياه بولندا وسدلتس ، وهذه المياه تسمى

(المياه الكبريتائية) كربونات الحديد على الحديد على حالة كربونات الحديد اوعلى حالة كربنات الحديد وهذه تسمى (المياه الحديدية) ومثالها مياه ارتزو منها مايكون محتوياً على برومورات قلوية ، ويودورات قلوية وهذه المياه تسمى (المياه البرومورية واليودرية) .

ومياه كروزناخ ومياه البحر تحتوى على ملح الطعام ، ومقداره يختلف بين ٣٣ و ٣٨ غراماًفياللترمنها ، وتحتوى كذلك على كبريتات وبرومورات ويودورات قلوية واملاح جيرية ومغنيسية .



﴿ المياه ودرس التوحيد ﴾

قال الله عزوجل : « افرأيتم الماء الذى تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون » الواقعة : ٦٨ _ ٦٩) .

وقال : « أمّن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله - أمّن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً ءإله مع الله - امّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءإله مع الله - امّن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ءإله مع الله - أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » النمل : ٦٠ _ ٦٤) .

ان الله تعالى جعل نزول المطر من السماء دليلا واضحاً ، وبرهاناً قاطعاً على التوحيد : من وحدة الرب ، وحدة الخالق ، وحدة الاله ، وحدة التدبير ووحدة الوجود ، وماسواه مخلوق له جل وعلا .

وذلك لان الماء النازل من السماء حقيقة مشهودة يستحيل لاحد انكارها ، ويتعذر تعليلها بغير الاقرار بخالق واحد ، ومدبّر واحد ، وإله واحد الذى فطر السموات والارض على وفق هذا الناموس الذى يسمح بنزول المطر بهذا القدر الذى توجد به الحياة على النحو الذى وجدت به ، فيمتنع أن يقع هذا كله مصادفة ، وأن تتوافق المصادفات بهذا الترتيب الدقيق ، وبهذا التقدير المضبوط المنظور فيه إلى حاجة الاحياء وبخاصة الانسان الذى يعبر عنه القرآن الكريم اذ قال: « وانزل لكم » لتوجيه قلوب الانسان وأبصارهم إلى آثار المحيية لهذا الماء المنزل للناس

وفق حاجة حياتهم منظوراً فيه إلى وجودهم وحاجاتهم وضروراتهم ، توجيه لقلوبهم وأبصارهم ومشاعرهم ومداركهم إلى تلك الآثار الحيّة القائمة حيالهم وهم عنها غافلون .

قال الله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الارض وانّا على ذهاب به لقادرون » المؤمنون : ١٨) .

أنزل الله تعالى ماءاً بقدر الحاجة لا هو بالكثير فيفسد الارض ، ولاهو بالقليل فلا يكفى الزرع والثمار ، حتى ان الارضين التى تحتاج إلى ماء كثير لزرعها ، ولا تحتمل تربتها انزال المطر عليها كارض مصر ولوط كرمان يساق إليها الماء من بلاد اخرى .

« وانّا على ذهاب به لقادرون » بحيث يتعذر استخراج الماء كما كنا قادرين على انزاله ، فلو شئنا ألاّ يمطر السحاب لفعلنا ، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى جهات اخرى لاتستفيد منه كالارضين السبخة والصحارى ، ولو شئنا لجعلناه اذا نزل فى الارض يغور فيها إلى مدى بعيد لاتصلون إليه ، ولاتنتفعون به ، ولكن بلطفنا ورحمتنا نزل عليكم الماء العذب الفرات .

ولعمرى ان الماء النازل من السماء وخلقه فى ذاته خارقة وإن كنّا نمرّ بهذه الخارقة سراعاً لطول الالفة و كثرة التكرار غافلين ومهما عرفنا ان الماء الذى به حياتنا حدوثاً وبقاءاً بتدبير خالق الكون ، وعرفنا انه ينشأ من اتحاد ذرتى ايدووجين بذرة او كسيجين تحت ظروف معيّنة فان هذه المعرفة خليقة بان توقظ قلوبنا إلى رؤية يدالله القادرة التى صاغت هذا الكون بحيث يوجد الايدروجين ، ويوجد الاوكسيجين ، وتوجد الظروف التى تسمح باتحادهما ، وبوجود الماء من هذا الاتحاد بعد أن اوجد المادتين نفساهما ، ومن ثم وجود الحياة فى هذه الارض .

ولولا الماء ماوجدت الحياة ، انها سلسلة من التدبير حتى نصل إلى وجود الماء ، ووجود الحياة ، والله جل وعلا من وراء هذا التدبير و كله مما صنعت يداه .

ثم نزول الماء بعد وجوده وهو الاخر خارقة جديدة ناشئة من قيام الارض

والكون على هذا النظام الذى يسمح بتكون الماء ونزوله وفق تدبير الله تعالى .

ثم ذق ملوحة مياه البحار ، وتدبّر فى حكمها كيف جعلها الله تعالى عذباً فراتاً وملحاً اجاجاً لحفظ مافيه من جثث الحيوانات المائية من ظهور الفساد فلولا الملح لانتن الماء ، وفسد الجو ، ولم تصلح الارض للسكنى ، فالملوحة فى البحار حكمها حكم الملوحة فى ماء العين ، فلولاملوحه ماء العين لانتنت الحدقة وبملاحة مائها تحفظ العين .

ثم تدبر فى مياه مختلفة تحت الارض من ماء العذب والمالح والماء المعدنى . .

لا يختلط بعضها بالاخر ، فانك اذا حفرت جانب البحر الملح قليلا الفيت هناك ماءاً حلواً ، فالجو يحيط بالملح من سائر الجهات ، وترى ايضاً الانهار كالنيل والفرات ودجلة تصبّ فى البحار كالبحر الابيض المتوسط ، والخليج الفارسى ، ونحوها ، ومع ذلك لايطغى البحر الملح عليها ، فيجعل ماءها ملحاً ، ولا الانهار الصابّة فى البحر تجعله حلواً ، فهذه مجامع الحواجز التى دبرها الله تعالى لحفظ البحرين المتجاورين ، فلا يبغى أحدهما على الاخر وكذلك المجارى المعدنية تحت الارض لايختلط احدها بالاخر كما ان الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح الهابة . .

فلا يختلط أحدها بالاخر وكذلك يحمل الهواء انواع الروائح ونجد ذرات اللقاح التى تخرج من الازهار وتسير فى الجو من اعضاء الذكور إلى الاناث تتخذ مجارى لايختلط أحدها بالاخر إلى ان تقع على الازهار التى هى من جنسها ، وأعجب من ذلك كله ان الشمس تحمل صور جميع المخلوقات ، وترسلها فى كل مكان ، ونحن لانراها ، وانما الذى يحسّ بها هى آلة التصوير (الفوتوغرافية) .

فمتى سلطت عدستها على قوم جالسين التقطت تلك الصور وسلمتها إلى لوحة التصوير ورائها فى الخزانة المظلمة ، فهذا دليل على ان صور جميع المخلوقات على الارض سائحة فى الجو الهوائى لا يختلط أحدها بالاخر ، فصور بنى آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طائرات طول النهار لااختلاط فيها .

وفي ذلك كله ادلة واضحة وبراهين قاطعة على يد مدبرة وراء هذا الكون المشاهد، وهي يدالله تعالى فقطرة الماء إلى مجرة هذا الكون تحيل الصدف وتدل على الخالق الواحد المدبر العليم الحكيم.

يعترف بذلك الطبيعيون منهم: سيسل هامان عالم بيولوجي فهو يقول: «عند ماتذهب إلى المعمل، وتفحص قطرة من ماء المستنقع تحت المجهر لكي تشاهد سكانها، فاننا نرى إحدى عجائب هذا الكون فتلك الاميباء تتحرك في بطؤ وتتجه نحو كائن صغير فتحوطه بجسمها - فاذابه داخلها واذا به يتم هضمه وتمثيله داخل جسمها الرقيق، بل اننا نستطيع أن نرى فضلاته تخرج من جسم الاميبا قبل أن نرفع أعيننا عن المجهر، فاذا ما لاحظنا هذا الحيوان فترة أطول فاننا نشاهد كيف ينشطر جسمه شطرين ثم ينمو كل من هذين الشطرين ليكون حيواناً جديداً كاملا، تلك خلية واحدة تقوم بجميع وظائف الحياة التي تحتاج الكائنات الكبيرة الاخرى في أدائها إلى آلاف الخلايا أو ملايينها.

لاشك أن صناعة هذا الحيوان العجيب الذي بلغ من الصغر حد النهاية تحتاج إلى أكثر من المصادفة؟

ولقد كشفت قوانين الكيمياء الحيوية من أسرار الحياة وظواهرها ما لم تكشفه القوانين في أي ميدان آخر من ميادين الدراسات العلمية، لقد كان الناس ينظرون إلى خفايا عمليات الهضم والامتصاص، ويستدلون بها على وجود التدبير المقدس.

أما في الوقت الحاضر فقد أمكن شرح هذه العمليات ومعرفة التفاعلات الكيماوية التي تنطوي عليها، والخميرة التي تقوم بكل تفاعل.. ان نظرة واحدة إلى إحدى الخرائط التي تبين التفاعلات الدائرة العديدة، ومايدور بين كل منها والاخر من تفاعلات اخرى، كفيلة بأن تقنع الانسان بان مثل هذه العلاقات لا يمكن أن تتم بمحض المصادفة.

فاذا رفعنا أعيننا نحو السماء، فلا بد أن يستولي علينا العجب من كثرة ما

نشاهده فيها من النجوم والكواكب السابحة فيها ..

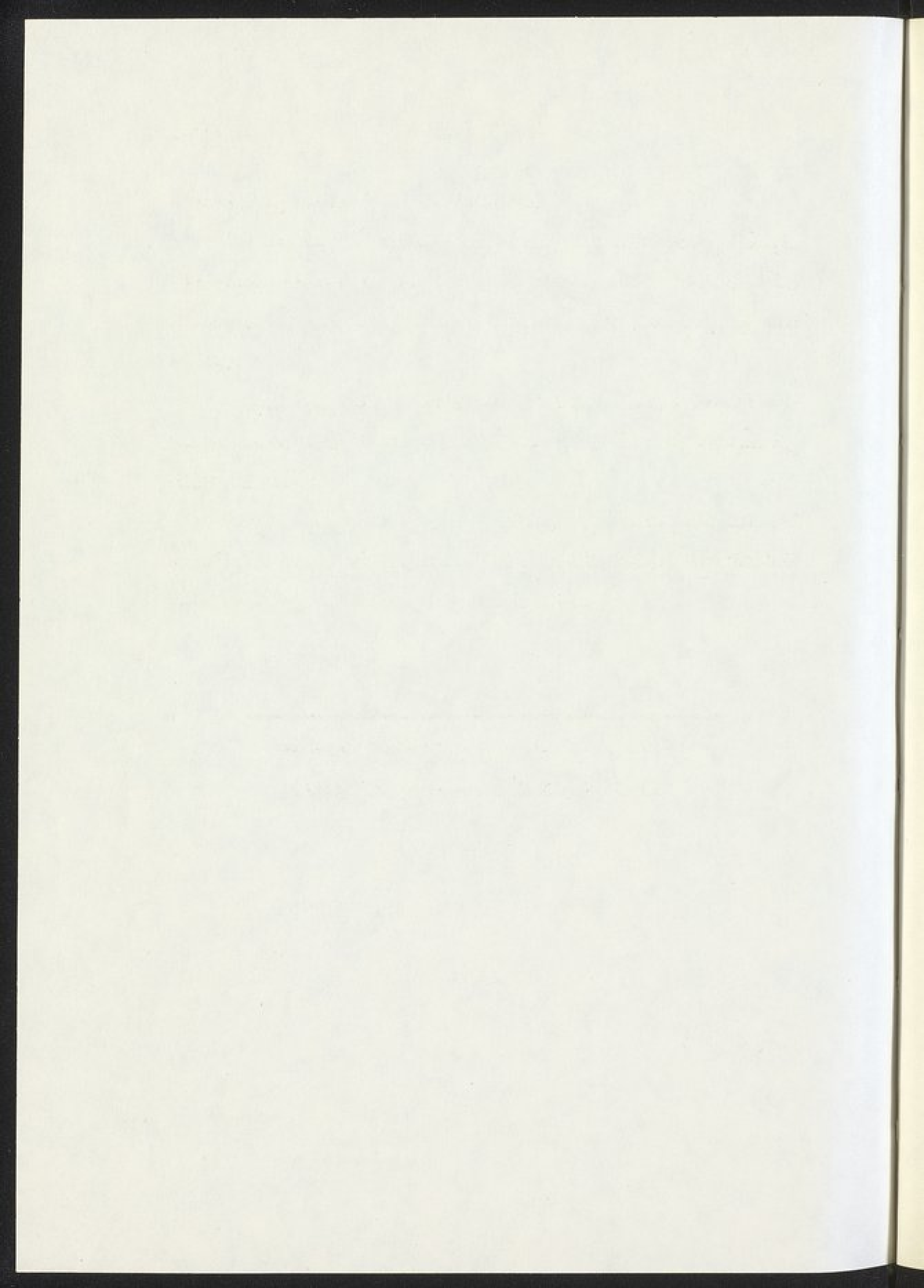
انها تدور فـي افلاكها بنظام يمكننا مـن التنبؤ بما يحدث من الكسوف والخسوف قبل وقوعه بقرون عديدة ، فهل يظن أحد بعد ذلك : أن هذه الكواكب والنجوم قد لاتكون اكثر من تجمعات عشوائية من المادة تتخبّط على غير هدى في الفضاء ! ؟

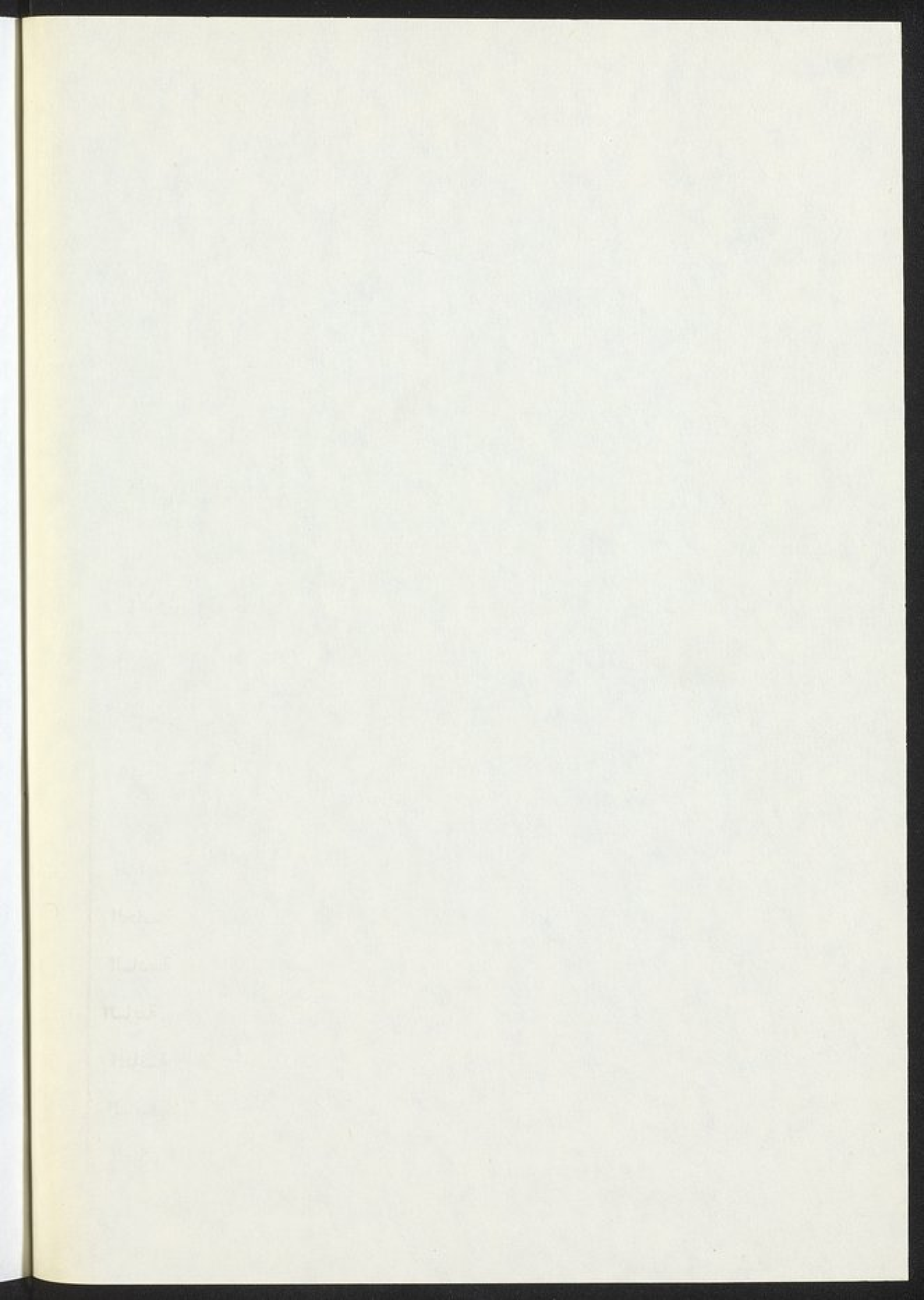
قد لا يسلّم بعض الناس بوجود الله ومع ذلك فانهم يسلمون بان هذه الاجرام السماوية تخضع لقوانين خاصة وتتبع نظاماً معيناً ، وانها ليست حرّة تتخبّط فى السماء كيف تشاء !

الحق انه من قطرة الماء التى رأيناتحت المجهر إلى تلك النجوم التى شاهدناها خلال المنظار المكبّر ، لايسع الانسان الا أن يمجد ذلك النظام الرائع وتلك الدقة البالغة ، والقوانين التى تعبر عن تماثل السلوك وتجانسه ! .. »

تمت سورة الواقعة ولله الحمد فى الاولى والاخرة

وصلى الله على محمد وآله النجباء البررة

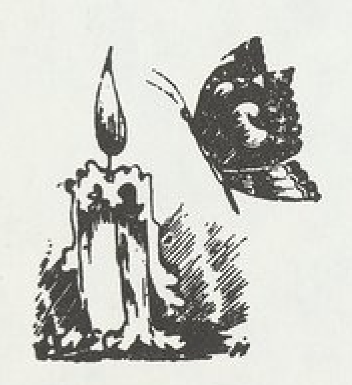




فهرس ما جاء في تفسير سورة الرحمن

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها سبع عشرة بصيرة :



الفصل الثاني :

في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة الرحمن وفيها تسع بصائر :

الاولى : وفيها ثلاثة امور :

البصيرة الثانية : وفيها امران :

البصيرة الثالثة: وفيها امور ثلاثة :

البصيرة الرابعة: وفيها اثنا عشر أمراً :

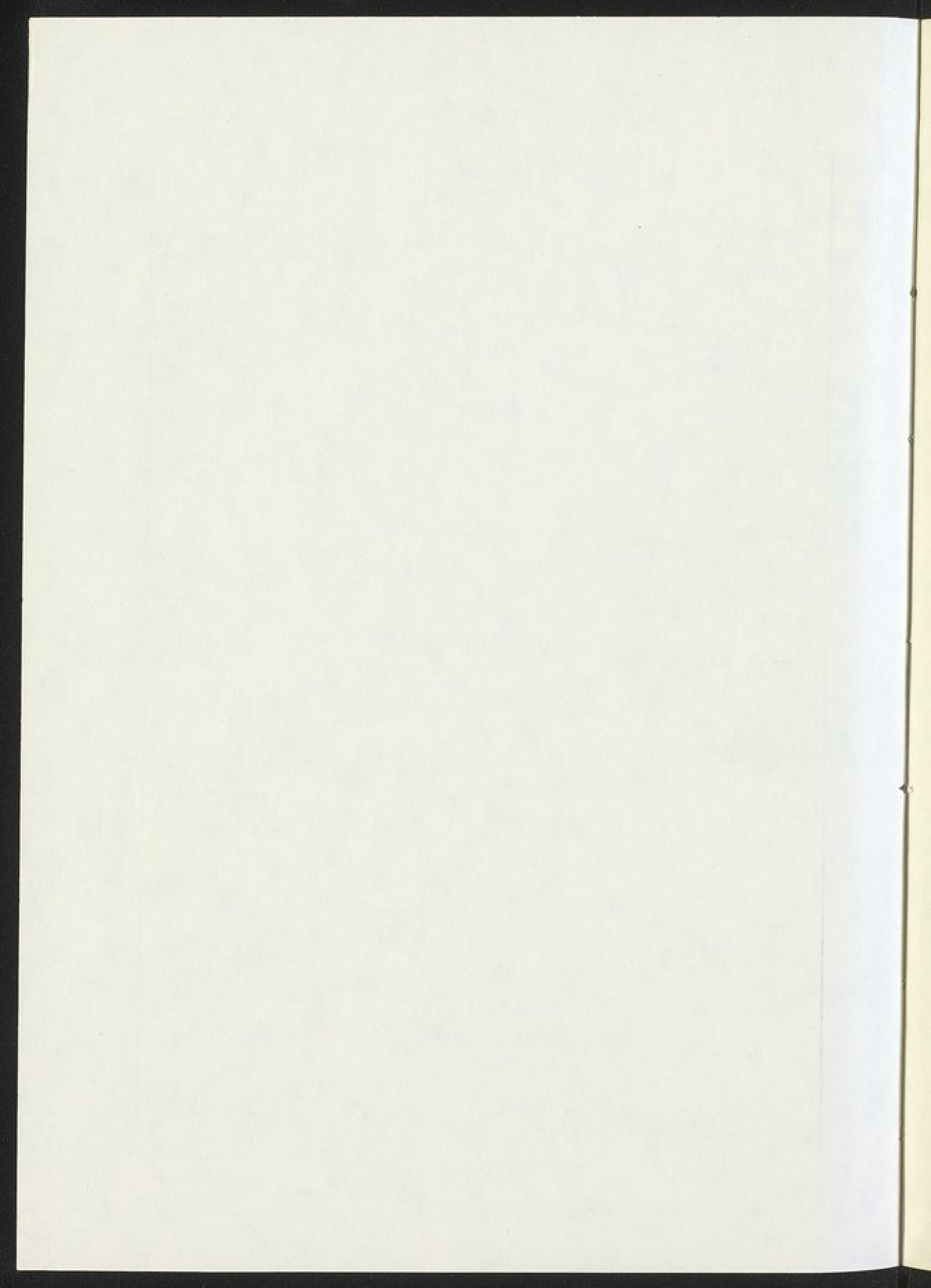
البصيرة الخامسة : وفيها أمران :

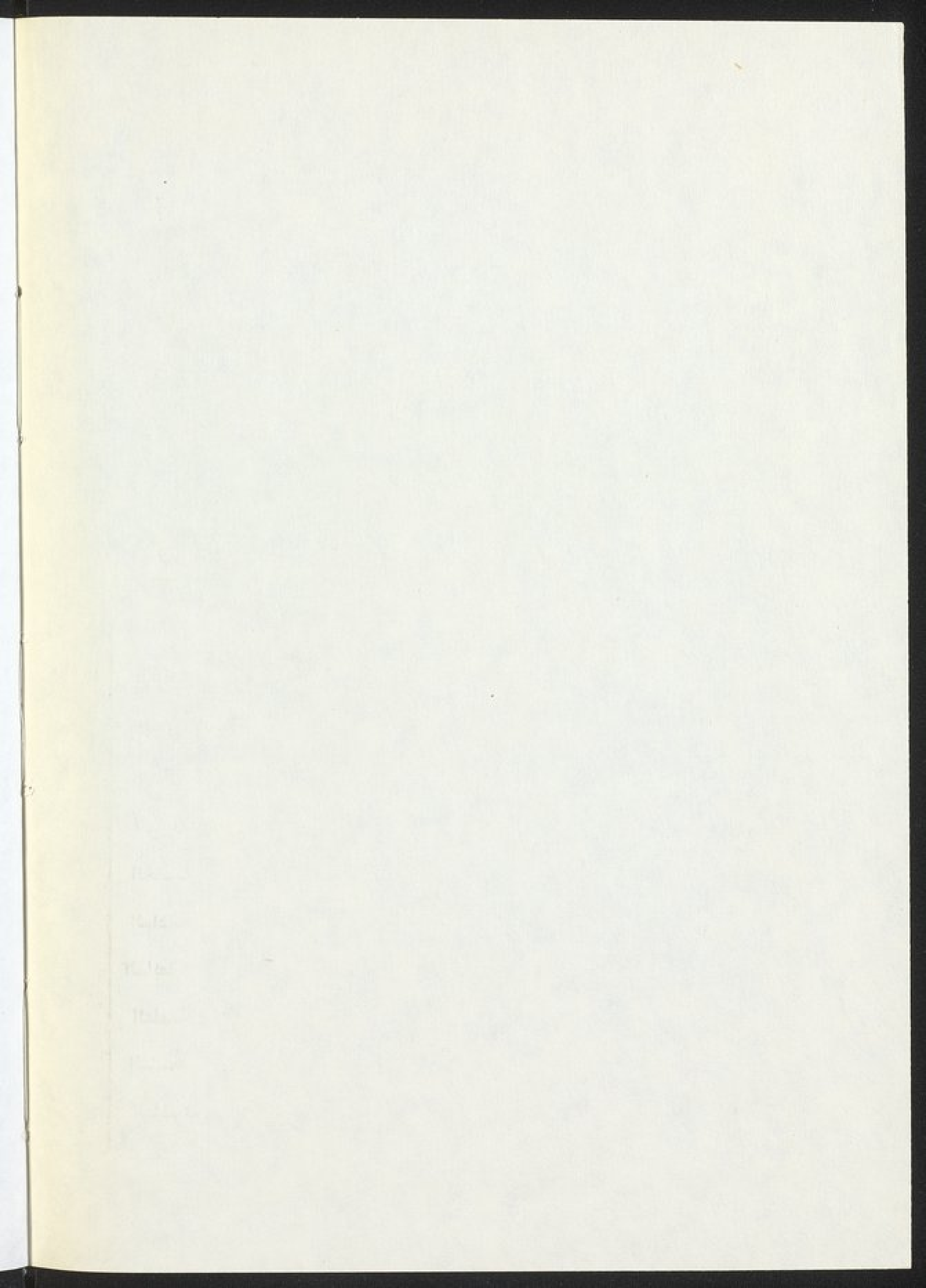
البصيرة السادسة : وفيها امور ثلاثة :

البصيرة السابعة : وفيها أمر واحد :

البصيرة الثامنة: وفيها أيضاً أمر واحد .

البصيرة التاسعة: وفيها ثلاثة امور :





فهرس ما جاء في تفسير سورة الواقعة

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثانى :

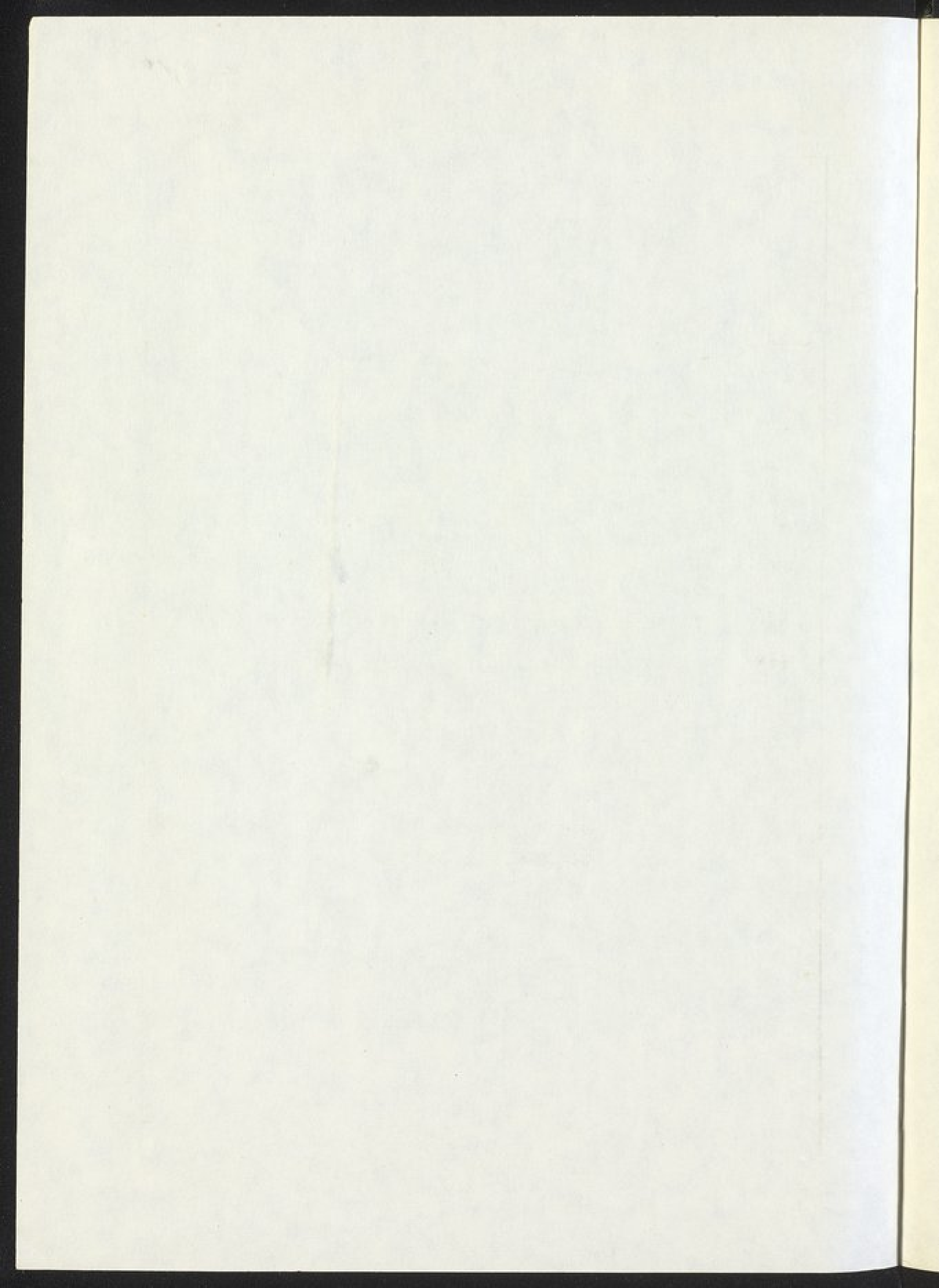
فى مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة الواقعة وفيها ثلاث بصائر :

البصيرة الاولى : وفيها أمر واحد :

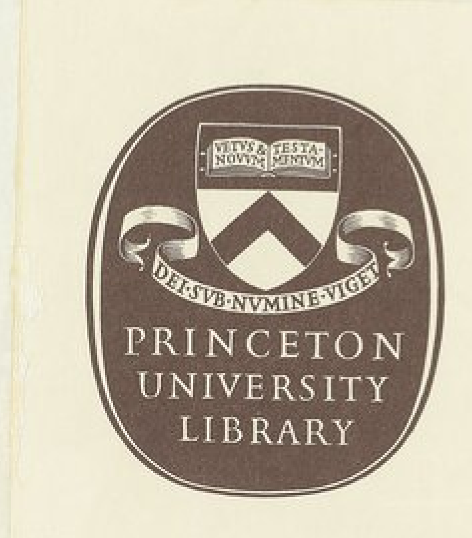
البصيرة الثانية : وفيها ثلاثة امور :

البصيرة الثالثة : وفيها سبعة امور :





[illegible]


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

